

تفسير

آيات المقربين

الجزء الثاني

من سورة يونس الى سورة المؤمنون

د. الشيخ فوزي محمد فوزي

دار الايمان والحياة



الجزء الثاني

من سورة يونس، إلى سورة المؤمنون

الشيخ فوزي محمد فوزي

مُتَقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل القرآن تبيناً لكل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين ..

والصلاة والسلام على نور البيان الذي أشرق على قلبه القرآن فشاهد أنواره بالقلب والجنان ورتله مع ربه وتلاه لأمته باللسان سيدنا مُحَمَّد وآله من خصهم الله بالفقه في القرآن وأصحابه أولي الهمم العوالي في العمل بالقرآن وكل من تبعهم على هذا الهدى إلى يوم الدين آمين وبعد،

القرآن الكريم مآدبة الله ﷻ في الأرض يأخذ منها كل مؤمن ويتناول منها كل مسلم ما يحتاج إليه في حياته الكونية وفي عمله لإرضاء رب البرية ﷻ فيأخذ منه فقهاء الأصول ، أصول الفقه القواعد الشرعية التي يأصلون بها الأحكام الفقهية ويرجع إليه الفقهاء ليأسسوا فقههم على الأحكام التشريعية القرآنية، ويعدده المؤرخون هو المرجع الصادق الأصيل الوحيد للفترة الزمنية من بدء الخلق إلى البعثة المحمدية ، واستنبط منه النحويون قواعد النحو فأصبح هو الميزان للقواعد النحوية للغة العربية ، وأسس عليه علماء البلاغة علومها المتنوعة من بيان وبديع وصور بلاغية، وأخذ منه علماء المنطق والفلاسفة قواعد الحجاج والمجادلة في النقاشات العلمية، واستضاءوا به في الرد على حجج الجاحدين والمنكرين والطبيعيين والدهريين والملاحدة وغيرهم من الفئات الضالة التي تنكر الألوهية وتكذب النبوات والرسالات.

وهكذا نجد أن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي لكل العلوم الشرعية والعربية والفلسفية والبلاغية وغيرها ولا يتم ذلك إلا بالدراسة الموضوعية لآيات القرآن الكريم التي تدرس الظاهرة وتستعرضها في كل الصور القرآنية لتصل إلى النتيجة العلمية السديدة التي يدعوا إليها القرآن ، وهذا ما حدانا إلى هذه الدراسة الموضوعية القرآنية ، فالقرآن الكريم يخاطب المسلمين والمؤمنين وغيرهم من الناس كافة ، وفي خطابه للمؤمنين نجد خطاباً لعامة المؤمنين وخطاباً لخاصتهم وهم الذين بلغوا مقام الإحسان ووصلوا إلى درجة الإيقان ، ويبين لكل منزلة خصائصها والأعمال والأوصاف الكريمة التي يطالبهم الله ﷻ بها ويوضح بعد ذلك أصناف النعيم وألوان التكريم التي أعدها الله ﷻ لهم.

وقد اختصنا كتابنا هذا سواء الجزء الأول منه الذي سبق إصداره ويبدأ من سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة، أو هذا الجزء الثاني ويبدأ من سورة يونس إلى آخر سورة المؤمنون وكذا الأجزاء التالية له بتفسير الآيات الخاصة بالمقربين حيث أنهم لعلو شأنهم ورفعة منازلهم عند الله ﷻ اختصهم الله تعالى بخطاب خاص في ثنايا كتابه؛ بين فيه فضلهم ووضح فيه أخلاقهم وبين لهم الأعمال التي توصلهم إلى ذلك الفضل، وبشرهم بما أعده لهم من منازل الأنس وأصناف التكريم في الدار الآخرة وألوان النعيم في جنة الخلد وما تقر به أعينهم من المؤانسات الإلهية والملاطفات القدسية والعطايا الصمدانية.

وكان سر اهتمامنا بتلك الآيات شحذا لهم الأفراد المطلوبين وتقوية لعزائم الصادقين وتبشيراً لأرواح الناهضين من السالكين.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا منهم ومعهم في الدنيا ويوم الدين وأن يدخلنا في قوله ﷻ: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة)، وأن ينظمننا في معية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إنه ولي ذلك وهو على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مساء الجمعة ٢٠ من جماد الأولى ١٤٣٨ هـ

الموافق ١٧ من فبراير ٢٠١٧ م



البريد : الجميزة . محافظة الغربية ، جمهورية مصر العربية

تليفون : ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩

موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإلكتروني: fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com,

fwzyabuzeid48@gmail.com,

fawzyabuzeid@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ
بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ
الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦﴾
دَعَوْتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ
وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۗ وَءَاخِرُ
دَعْوَتُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ (يونس)

أهل النجاة

d d d d d d d d d d d d d d d d d d

رسائل الله للمؤمنين

الله ﷻ أرسل رسائل للمؤمنين في كتابه المبين، وجملتها إثنان وثمانون رسالة.

وكل رسالة من هذه الرسائل نحن مُطالبون أن نقرأها ونتدبرها ونفهمها ثم نعمل بها، لننال بها رضا الله ﷻ، ولا عُذر لنا ولو في ترك رسالة واحدة، لأن الله قال لنا: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٤ النحل).

وهذه الرسائل خاصة بنا، فهي خطابٌ من الحبيب للأحباب، ومن القريب لمن قَرَّبهم وفتح لهم الباب، ومن الله ﷻ لمن كتب الله لهم في قلوبهم الإيمان، ورفع عنهم الغطاء والحُجب وجعلهم في الأولى والآخرة إن شاء الله من أهل المشاهدة والعيان، قال لهم جميعاً: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ وهناك خطابات أخرى مثلها حكى الله فيها عن أحوال المؤمنين، فالخطابات التي تبدأ بـ: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ فيها أوامر وفيها نواهي، فننتبه لها وننفذ الأوامر، وننتهي عن النواهي.

الخطابات التي يتحدث فيها الله عن المؤمنين كالخطاب الذي معنا اليوم، يُشوقنا الله إلى أحوالهم، ويُعرفنا منازلهم، فعندما يحكي الله عن المؤمنين يبين منازلهم ودرجاتهم وهيئاتهم وسرورهم ونورهم لنشتاق إلى هذه الأحوال.

والآيتان اللتان نحن بصددهما الآن يحتاج تفسيرهما كما ينبغي منا إلى سنين طوال، لكن سنأخذ منها كلاماً يسيراً قصيراً مُشيراً إلى هذه العبارات القرآنيات.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ :

ودائماً نلاحظ في القرآن عندما نقرأه ونتدبره أن الله ﷻ إذا حكى مناصب عالية، ودرجات راقية، وجنات المأوى وجنات النعيم، ومقامات الإكرام والتكريم للمؤمنين دائماً

يجعل فيها العمل قرين الإيمان.

آمن ولم يُقرن الإيمان بعمل، سيكون له إكرام، وله عند الله ﷻ مقام، لكن لم يصل إلى المقام الذي وصل إليه المصطفون الكرام؛ الذين آمنوا وعملوا الصالحات رغبةً في رضاء رفيع الدرجات ﷻ، لا يستوي هذا مع هذا.

عمل الصالحات

وكلمة ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ معناها:

أنهم تعلموا أولاً الصالحات من كتاب الله ومن سنة رسول الله، وتيقنوا من البيان العملي لأداء هذه الصالحات على سنة حبيب الله ومصطفاه؛ ليكون العمل مقبولاً لأن هذا هو ميزان الأعمال.

وزيادة في التأكيد اجتمعوا على رجال قواهم الله بنوره، وأعانهم الله بمدده، فعملوا في الدنيا متشبهين بالحيب، ليكون عملهم طيب ومصيب.

بيان القرآن بياناً نظري، وأنا أريد أن أرى التطبيق العملي في حال حضرة النبي، وأريد أن أرى التطبيق العملي في حياتي، فيكون في حال رجلٍ وليّ يمشي على قدم النبي، حتى أعرف التطبيق العملي الصحيح لكتاب الله وسنة حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

من يمشي على هذه الأطوار هل يختار؟ لا، ولمن تأتي الحيرة؟ للذي بُعد عن هذا المنهج الصحيح، فيقرأ في كتاب الله ولم يتضلع في كيفية تنفيذ هذه الأوامر والنواهي على سيدنا رسول الله، فيقول: هل أفعل هذا؟! أم أفعل ذاك؟! فيختار، ولكن لو ذهب إلى الأولياء العاملين، والأولياء المقربين فسيجد الهداية الصحيحة المقربة إلى سبيل الله.

ولذلك يقول لنا الله: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ (١٥ لقمان):

أنظر إلى سبيل هؤلاء القوم الذي أنابوا إليّ وامشي خلفهم، لأنهم عرفوا الطريق، ووصلوا واتصلوا، لأختصر على نفسي الأمر، بدلاً من أن أتوه في الكتب والمطولات والمختصرات، وحياتي ستتبدد ولن أصل في النهاية إلى ما أبعيه، فأختصر الطريق على الفور، خذ الرفيق قبل الطريق، والرفيق رجلٌ من أهل التحقيق، مشى على هدي النبي الشفيق،

حتى كشف الله ﷻ له الطريق، فاستبان سبيل أهل التحقيق، ووضع قدمه على قدم الصديق فهده الله ﷻ إلى طريق المقرّبين والمكرمين الذين ذكرهم في كتابه، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

هداية الإيمان

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ لم يقل: يهديهم ربهم بعملهم، ولكن بماذا يهديهم؟ بالإيمان، والإيمان أغلى نعمة أعطها لنا الله جل في علاه، ومن فضل الله ﷻ علينا أنه أعطها لنا قبل إيجاد الأكوان، وقبل إيجاد الأفلاك، وقبل سجود الأملاك لأبينا آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام... هذا الإيمان أعطاه لنا الله قبل القبل هدية منه، حتى أن الله ﷻ لم يترك وضع الإيمان في قلوبنا لأحدٍ سواه، ولو كان من أكرم الملائكة عند الله: ﴿ أَوْلَيْكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ (٢٢ المجادلة) هو الذي كتب، وأين كتبه؟ في القلوب في أعزّ موضع يحفظ الله ﷻ فيه كنوز أسراره وبره وخيره عن جميع الشر والأشرار، وهو خزينة القلب والفؤاد، ولذلك قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ }^٢

﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (٤٠ النور) فهذا النور هداية من الله ﷻ لنا من قبل القبل، هذا النور الذي استودعه الله ﷻ في قلوبنا هو الذي به نستضيء في حياتنا الدنيا، وهو الذي يهدينا إلى القرآن، وهو الذي يجذبنا إلى حب النبي العدنان، وهو الذي يشدنا في كل وقتٍ وحينٍ إلى الحرص على طاعة الرحمن، وهو الذي يُنقِرنا ويُكِرهنّا في المعاصي التي تباعدنا عن حضرة الرحمن، وهو الذي يُقَرِّب بيننا وبين المؤمنين، ويجعل بيننا مودة ومحبة على الدوام، وهو الذي يُنقِرنا من العصاة والمنافقين والمذنبين، ويجعلنا نفرًا منهم في كل وقتٍ وحينٍ.. كل هذا بالنور الذي وضعه الله في صدورنا وهو نور الإيمان، والذي علينا في الدنيا الآن أننا لا نستتر هذا النور ونقويّه، فلو سترناه سيضلّ سعينا في الحياة الدنيا، وكيف نستره؟ قال ﷺ:

٢ جامع الترمذي ومسنّد أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّأْنُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ }^٣

فنحن نحتاج أولاً أن لا نستتر هذا النور، فنبتعد عن المعاصي والفتن ما ظهر منها وما بطن، ونُقَوِّي هذا النور، بتقوى الله، والإقبال الدائم على طاعة الله، والمواصلة في تنفيذ سُنَّةِ حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

فإذا اتقينا الله، ومشينا على هدي رسول الله بعد أن نبتعد عن المعاصي، فسيعطينا الله في قلوبنا كَشَافاً نورانياً نستنير به، ونمشي على ضوئه في حياتنا، وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه حال المؤمن أجمعين، فلا يستطيع أحدٌ خداعه، ولا يضحك عليه، لأنه معه كَشَافٌ بداخله: ﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (٢٩ الأنفال).

وفرقان يعني نور تُفَرِّقُ به بين الحق والباطل، وبين الطيب والخبيث، وبين السيئ والأسوأ، فلا تضحك عليك نفسك، ولا الشيطان أن يُوسوس لك، ولا حتى شياطين الإنس يستطيعون أن يلمّوا بك ويُبعِدوك عن طريق الله ﷻ، مع قول بعض الصالحين: ((شيطان الإنس أشدُّ على الإنسان من ثمانين شيطانياً من شياطين الجن)).

فشيطان الإنس صاحبي الذي أجالسه وأمشي معه، أما شيطان الجن فعندما تقول: أعوذ بالله، يهرب على الفور، لكن شيطان الإنس يظل يُلِّحُ، وكما قيل: الدِّيُّ على الودان يقلب الكيان.

فيظل ورائي يُزِين لي ويوسوس لي ويُقَرِّب لي المعصية، ولذلك عندما تكلم الله عنهم في القرآن قال: ﴿ شَيْطَانِ أَلْسِنِ وَالْجِنَّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (١١٢ الأنعام) من الذي ورد أولاً؟

الإنس لأنه الأخطر، لكن شيطان الجن يحاول الوسوسة، فعندما تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، يهرب ويفر وينتهي الأمر.

٣ سنن ابن ماجه والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

لكن صاحبك جالس معك، ويدور حولك، فإن لم يستطع اليوم بيت لك لليوم التالي، فإن لم يستطع في اليوم التالي بيت لك آخر النهار ويُفكّر ويُقدّر ويُدبر، ويصنع الحيل ليوقعك في شرك المعاصي، فيكون شيطان الإنس أشد وأخطر من شيطان الجن.

وكيف يتخلص المؤمن من هذه الفتنة؟ لا بد أن يستخدم نور الله الذي كتبه ووضعه في قلبه، ويمشي به في الناس، ويدخل في الرجال الذين قال فيهم رب العزة: ﴿أَوْ مِنْ كَان مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ (١٢٢) الأنعام ليس في الآخرة ولكن في الدنيا، وهذا الذي قال لنا فيه حضرة النبي:

{ أَحْذَرُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ } ٤

فيجب على كل واحد منا أن لا يخرج من مركز التدريب الرباني إلا إذا كان معه هذا السلاح، ويعرف كيف يستخدمه، فإذا لم يعرف بعدد إمساك هذا السلاح واستخدامه فلا يترك مركز التدريب، ولا يجعل نفسه شاويش أو عريف ويريد أن يُعلّم غيره، كيف تعلّم غيرك؟! أفلا تتعلم أولاً كيف تمسك بالسلاح!!.

فلا بد أولاً أن يكون معه النور الكاشف، وهو نور الله ﷻ؛ نور الإيمان، ولكن يُعرض عليّ الأمر فلا أعرف إن كان هذا الصحيح أم ذاك، وأحترار في هذا وذاك، فأكون لا زلت في حيرة ولا بد لي أن أدخل مركز التدريب الرباني، حتى أتمرّن على استخدام النور الإلهي الذي وضعه الله ﷻ في صدري.

إذاً يهديهم ربهم بإيمانهم في الدنيا أولاً إلى الطريق القويم، وإلى المنهج المستقيم، وإلى الرأي السديد، وإلى العمل الرشيد، وإلى الأمر الذي فيه النجاح أكيد، فيهديهم ربهم ببركة الإيمان، فعندما يمشي في أي أمرٍ لا بد وأن ينجح، ولا بد أن يُفلح، ولا بد أن يصلح، لماذا؟ لأنه ماشي بنور الإيمان.

ولكن نحن بماذا نمشي؟

أحياناً نمشي بالنفس، وأحياناً نمشي بالهوى، وأحياناً نمشي بوساوس الشيطان، وأحياناً نمشي وراء الرغبات الدنية الدنيوية، ونضع عليها كسوة دينية!!!

٤ جامع البيان للطبري عن ثوبان

لأن الناس كلهم يعرفون أن من يُرد أن يضحك على الناس ماذا يفعل؟ المصلحة الدنيوية يضع عليها كسوة دينية، ولأن الناس مساكين فينخدعون له، ويمشون وراءه، لأن هذا الرجل ماشي بشعار ديني، ولكن وراءه أمرٌ دنيوي والعباد بالله ﷻ.

فالمؤمن يهديه ربه بإيمانه في الحياة الدنيا من البداية، يهديه ربه بإيمانه إلى طريق رضوانه، فيختصر عليه الطريق.

وهناك أناس ليسلك طريق الله تجده يسير فترة مع هذا الشيخ، وفترة مع هذه الطريقة، وفترة في هذه الساحة، فماذا بقي من العمر حتى تضع عمرك لتشهد؟! فمتى ستشتري وتساقر؟!.

هناك أناس يكرمهم الله من أول قدم فيدُّله على أهل الصدق والتصديق بدون تعب ولا نَصَب ولا عناء ولا بلاء ولا ابتلاء، وهذا دليلٌ عناية الله ﷻ، فيهديهم ربهم لصدق الإيمان إلى أقرب طريق يوصلهم إلى مراقبي حضرة الرحمن ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الذي يريد هذه الطريق يقول له الله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ إذا اتقيت الله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩ التوبة) حتى لا تتعب ولا تختار.

ما دام هناك تقوى الله وهناك نور الله، فسيدلك فوراً على الصادقين، ويُبعدك عن الدجالين والنصابين والمخادعين وقُطَاع الطريق على عباد الله، وما أكثرهم في هذا الزمان وفي كل عصرٍ وأوان، لا يريدون الدنيا بالدين، والذين يقول فيهم حضرة النبي:

{ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا يَمَلِكِ الآخِرَةَ فَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ }^٥

وفي رواية أخرى:

{ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا يَمَلِكِ الآخِرَةَ، طُمَسَ وَجْهُهُ، وَمُحِقَ ذِكْرُهُ، وَأُثْبِتَ اسْمُهُ فِي النَّارِ }^٦

فيهديه الله إلى الطريق الأقوم والأسلم: ﴿فَضَلًّا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٨ الحجرات) يهديه الله ﷻ بإيمانه إلى العمل الخاص الذي يصير به من الخواص، لأن شُعب الإيمان كثيرة، ولا يوجد أحدٌ منا يستطيع القيام بشُعب الإيمان كلها، ونحن نريد عملاً يسيراً،

٥ مسند الشهاب عن أبي بن كعب رضي الله عنه

٦ معجم الطبراني عن الجارود بن العلاء

كالرجل الذي ذهب إلى حضرة النبي وقال له:

{ يا رسول الله إن شرايع الإسلام قد كثرت عليّ فأنبئني بشيءٍ أثبتت به، فقال: لا يزال لسائك رطباً من ذكر الله }^٧

فيهديني الله للعمل الأمثل لي، والرافع في الدرجات عند الله لي، والذي يوصلني إلى رضوان الله ﷻ الأكبر بخيرٍ وسلامٍ وتمامٍ إن شاء الله رب العالمين، كل هذا بسر الإيمان: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾.

وعندما يخرج من الدنيا يهديه الله ﷻ إلى الثبات على كلمة الإسلام: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (٢٧ إبراهيم).

وما أول الآخرة؟

لحظة خروج الروح!

والثبوت من الله، فكم من صاحب عقلٍ قويمٍ احتار وتاه عند الموت، ولم يستطع أن ينطق بإسم الله العظيم!!، وقد قال ﷻ:

{ مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ }^٨، وقال:

{ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا }^٩

من منا معه هذه الضمانة؟

لا أحد، إلا الذين اختارهم الله!!

وأنا واثق والحمد لله أننا كلنا جميعاً منهم إن شاء الله، فأبشروا بهذا الفضل جميعاً إن شاء الله.

عندما يدخل المؤمن عالم البرزخ، وبمجرد أن نضع جسده في التراب، وإذا برجلٍ رجُلٍ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ:

٧ جامع الترمذي والحاكم عن عبد الله بن بسر ؓ

٨ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن عثمان بن عفان ؓ

٩ صحيح البخاري ومسنند أحمد عن سهل بن سعد ؓ

{ أَنْبِئْ بِالَّذِي يَسْرُكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعِدُ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ
وَجْهَ يَحْيَى بِالْخَيْرِ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ } ١٠

من المؤمن الذي يؤنسك في القبر؟

هو ذاك: يهديهم ربهم بإيمانهم في القبور بالأنيس والونيس.

ويأتي يوم النشور: ﴿ وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾

(١٥١هـ) يقوم الناس بعد نفخة البعث والقيامة، وهم على صنفين: صنف يركب عمله، وصنف يركبه عمله.

الصنف الأول: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً ﴾ (٨٥هـ) ووفدأً يعني ركوباً

بمعناها اللغوي، وأنت على حسب عملك تكون ركوبتك، قد تكون نفاثة، وقد تكون سفينة أسرع من سفينة الفضاء، وقد تكون ركوبة دنية دنيوية، فعلى حسب عملك تكون ركوبتك.

والصنف الثاني: ﴿ سَحْمُلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (١٣١هـ)

فيحمل عمله على ظهره، وهذا العمل كله أثقال وأوزار والعياذ بالله ﷻ.

إذاً الذي يهدي الإنسان في الدنيا ويوم القيامة إلى الخير وإلى البر وإلى الهدى والرشاد

كله العمل الصالح.

جريان الأثمار

﴿ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾

فمنهم من تجري تحته الأنهار في الدنيا، أنهار العلم الإلهي، وأنهار الحكمة المقدسة

القرآنية، وأنهار المواهب الإلهية العلية، فهذه أنهار من العلم والبيان والحكمة يجريها الله ﷻ على يديه إلى من حوله من المحبين والمشتاقين والطلابين لرضوان رب العالمين ﷻ.

وفي نفس الوقت أيضاً تجري الأنهار من تحته في جنات النعيم في الآخرة، والأنهار التي

في الآخرة التي وردت في القرآن أو في السنة هي مثل لتقريب الحقيقة وليست هي الحقيقة،

فحقيقة النعيم الذي في الآخرة كما قال حضرة النبي:

{ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا حَظَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ }^{١١}

ولذلك عندما تكلم الله ﷻ عن الجنة لم يقل الجنة ولكن قال: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ هو مثل فقط لتقريب الحقيقة: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (١٥هـ) فإذا انتبهت لهذه الآية تجدنا جالسين الآن في الجنة، لأننا من أهل العناية، وهي كذلك، فالجنة التي قال حضرة النبي فيها:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ :

مَجَالِسُ الْعِلْمِ }^{١٢} ، وفي رواية: { مَجَالِسُ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَحَلَقِ الْقُرْآنِ }^{١٣}

ونحن استمعنا للقرآن، ونحن الآن في مجلس العلم والذكر، وهذه هي الجنة: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ (١٥هـ) وهي العلوم الشرعية التي لا بد منها لكل إنسان لكي يمشي على هدي الله ﷻ وهدي حبيبه ومصطفاه ﷺ.

﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ﴾ (١٥هـ) وهي علوم الحقيقة التي ترفق القلوب، وترطب النفوس، وتخلع عنها كل عناء ووباء، وتقرّبها إلى حضرة المليك القدوس، وهذه هي الأساس في خلع الوسواس الخناس، والقرب من رب الناس ﷻ.

فعلوم الشريعة للأعمال الظاهرة، وعلوم الحقيقة للقلوب الباطنة، والقرب إلى الله ﷻ بأعمال القلوب إذا وافقت أعمال الأجسام.

لكن إذا كانت أعمال الأجسام لا يوافقها عمل، فإن حال هذا العمل يُرد.

لكن عمل القلب إذا كان وافق عمل الأجسام فهو العمل المقرب إلى حضرة القريب ﷻ، يعني الجسم يؤدي الركوع والسجود والوقوف والألفاظ في التلاوة والذكر، والقلب فيه الخشوع والحضور والإخلاص والصدق واليقين عند أدائه هذه العبادة لرب العالمين، وفيه

١١ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن سهل بن سعد

١٢ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

١٣ الثاني والعشرون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أنس

قبل ذلك النية، والأعمال بالنيات، والنية محلها القلب.

العلوم الإلهية

﴿ وَأَمْتَرُ مِنْ حَمْرِ ﴾ (١٥هـ) وهي العلوم الإلهية الذاتية التي تشد كل حقائق الإنسان إلى حضرة الرحمن، تجذبه إلى حضرة الرحمن ﷻ، وليس الجذب الذي نتكلم عنه في ظاهر الناس الذي يجعل الإنسان يغيب عن الدنيا وما فيها، ولكن تجعله يغيب عن الدنيا وهو فيها، فيغيب عن الدنيا يعني يراها بعينية ولكنها لا تصل إلى قلبه وفؤاده، فالقلب والفؤاد لله، والدنيا مشاغلها كلها في يديه وما حوله، ولا ينشغل بها عن مولاه ﷻ طرفة عين.

وهي علوم موجودة في رحاب الصالحين، ويسمونها علوم التجليات، وعلوم المكاشفات، وعلوم المطالعات، وهي علوم لها أهلها، ولها وارداتها، وكلها تأتي في رياض الصالحين والمتقين.

علم اليقين

﴿ وَأَمْتَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ (١٥هـ) وهي علوم أهل اليقين....

من؟ الذين تمكنوا في طريق الله ﷻ، إما علم اليقين، وإما عين اليقين، وإما حق اليقين، وكلها علوم يقول الله فيها ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ (٥ التكاثر) فعلم اليقين هذا علم، ومن يعلمه ماذا يرى؟ ﴿ لَتَرُونَ الْأَجْجِمَ ۖ ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ (التكاثر).

ولذلك ورد في الاثر: ((لا تجعلوا آخر زادكم ماء)) يعني لا تقف عند الشريعة وتقول هي فقط، فبذلك لن يكون هناك رُقِي ولا نَحُوض ولا جِدَّ ولا اجتهاد ولا قرب ولا اقتراب من حضرة الودود ﷻ.

فهذه أمثلة جعلها الله ﷻ للجنة، والجنة إن كانت في الدنيا أو في الآخرة فهي لأهلها، فأهل الجنة في الدنيا هم كما سمعنا عن أهل الجنة في الآخرة.

فأهل الجنة في الآخرة الواحد منهم لا يخطر شيء على قلبه إلا وتأتيه به الملائكة في الحال بدون طلب، لأن كل ما في الجنة غير الجمادات التي حولنا الآن، فلها عقل تعقل به، وفهم تفهم به، ونور تكشف به عن أفئدة الساكنين فيها، فبمجرد أن يخطر على بال أحدهم

شيء يجد هذا الشيء بجواره على الفور.

جنة المعرفة

والجنة العالية، وهي جنة المعرفة، والتي يقول فيها بعض العارفين: ((إن الله جنة عاجلة من دخلها لا يحتاج إلى جنة آجلة، قيل: وما هي؟ قال: المعرفة بالله تعالى)).

وهؤلاء يقول الله فيهم: ﴿ هُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (٣٤ الزمر):

ما يريدونه يأتي به لهم الله، وهم في هذا الوقت لا يريدون الدنيا ولا أهلها، ولا زينتها ولا زخرفها، فلا يرجون من الله إلا الله، ولا يطلبون منه غير رضاه، ولا يطلبون من الحبيب المصطفى ﷺ إلا مشاهدة وجهه، واكتحال العين بالنظر إلى جميل محيائه !!..
ليس عندهم شيء غير هذا، فعندما يطلبون شيئاً لهم في هذا السبيل فعلى الفور يكون لهم ما يشاءون عند ربهم.

الدعاء المستجاب

وعلمنا الله ﷻ سبيل أهل الجنة، إن كان في الدنيا أو في الآخرة:

عندما يريدون شيئاً في الجنة أو يطلبون شيئاً في الدنيا، فماذا يفعلون؟
﴿ دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ﴾ :

عندما يحتاج الواحد منهم إلى شيء فلا بد أن يبدأ أولاً بالثناء والتزنية والحمد لله ﷻ، فأبي دعاءٍ تريده أن يتحقق فلا بد أن تبدأ بذلك!!

ولذلك حضرة النبي ﷺ علمنا ذلك، فأدعية القنوت الواردة عن النبي ﷺ كلها تبدأ بالثناء على الله، والشكر لله، والحمد لله، وبعد ذلك ذكر الدعاء.

فهم في الدنيا أو في الآخرة بمجرد أن يُثني على الله يُحقق الله ﷻ له مناه، لأنه أثنى على الله، وقدم الشكر لله جل وعلا على ما أولاه.

حياة المؤمن

﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ أيضاً التحية هنا وهناك، فإذا كانت هنا ستنزل الملائكة: ﴿ تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٣٠ فصلت) وفي الليلة المقدر له فيها الفتح من الله، والقرب من الله، وتحقيق مناه: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ (٤٤ الأحزاب).

فالتحية في الدنيا تكون إما من الملائكة، وإما من الله، وإما من سيدنا رسول الله ﷺ الذي أمره الله ﷻ أن يُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبَدَ الْآبِدِينَ.

أيضاً عندما يدخلون الجنة: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد) أيضاً ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ (٤٤ الأحزاب) والسلام هنا من السلام، غير السلام من الملائكة، غير السلام من رسول الله ﷺ.

- فالسلام من الملائكة يعني:
البشرى الطيبة.

- والسلام من رسول الله يعني:
السكينة والطمأنينة: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ (١٠٣ التوبة).
- والسلام من الله ﷻ يعني:

التجليات الإلهية، والعطاءات الربانية، والملاطفات القدسية، التي لا تستطيع حتى الأرواح بكامل قربها أن تصفها لمن دونها، وإنما يقول شأن أصحابها:

فكان ماكان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ :

دائماً المؤمن ناظر لعطاءات الله في كل وقت وحين:

فكلما رأى عطاءً يحمد الله ﷻ على ما أعطاه، ويحمد الله ﷻ على ما أرضاه، ويحمد الله ﷻ على ما حقق به مناه.

تعقيب

رجال الله

رجال الله ذكرهم الله ﷺ في القرآن في مواضع عدة، وأجلى بياهم، ولكننا نحتاج أجمعين إلى من تحققوا بأحوالهم لنحذوا حذوهم ونكون مثلاً لهم.

وخاصةً ونحن في هذا العصر الذي سرت فيه الظلمات والأدعياء والمدَّعين، فكثيرٌ من الناس يدَّعي الولاية، ويدَّعي أنه بلغ رتبة الرشد والإرشاد والبعض منهم يجعل له ساحة ويدعو الناس إليها ويدَّعي أنه سيوصلهم إلى الله ﷻ.

الوارث المحمدي

فنحن إلى من نذهب؟ ولمن نسلم روحنا؟

وهل نختار وبين أيدينا كتاب رب العالمين؟

كتاب الله جلّى لنا الأمر ووضحه بأجلى بيان، فالرجل الذي سنسلم روحنا إليه لا بد وأن يكون وارثاً لسيدنا رسول الله ﷺ.

وما الميراث الذي سيرثه من رسول الله، والذي نحتاجه لنمشي معه ويكرمنا الله ﷻ كما أكرمه من عطاءات سيدنا رسول الله ﷺ؟ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧ الأنبياء) رحمة لكل كائنات الله العلوية والسفلية، عبّر عنها ﷺ فقال:

{ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهِدَاةٌ }^{١٤}

يا هناه من يأخذ نصيبه من رحمة حبيب الله ومصطفاه ﷺ، سيدنا رسول الله ترك أقوالاً، وترك أعمالاً، وترك أحوالاً، فمن الوارث الذي نمشي وراءه؟ وارث الرحمة، لأن الله ﷻ عندما أمر كلمه ونبيه ورسوله موسى أن يطلب العبد الذي يقربه قرب القرابة من مولاه، ويجعله يتحقق ويكون من أهل التحقيق، بعد أن كُمل في مقام التشريع، ما أوصاف هذا العبد؟

قال: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ وبعد الرحمة: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّنْ لَّدُنَّا

١٤ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن أبي هريرة ؓ

عَلَمًا ﴿٦٥ الكهف﴾ فلا بد أن يكون عبداً، وأخذ نصيباً من الرحمة، فهذه صفات الولي المرشد وعبد يعني جاهد نفسه، ومنعها من كل ما حرّمه الله، ونهاها عن كل ما نهى عنه حضرة الله، وجملها بأضداد الصفات التي يجبها الله جل في علاه، وهذا جهاد النفس: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (٦٩ العنكبوت).

حول نفسه من البخل إلى الكرم، ومن الغضب إلى الحلم، ومن الشدة إلى اللين، ومن الجهالة إلى العلم، ومن الكذب إلى الصدق، وهكذا.

جمال العبودية

فالجهد أولاً، وبعد أن يجاهد نفسه ويتصف بصفات الحبيب الأعظم ﷺ، يبدأ بعد ذلك يلبس ملواه ثياب العبودية: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ﴾ (٤ المدثر) يطهر ثيابه القلبية من الأوصاف التي تتنافى مع العبودية لرب البرية، فلا يجوز لصاحب هذا المقام أن يكون متكبراً على الخلق، ولا يجوز أن يكون متعالياً، ولا يجوز أن يكون متعطرساً، ولا يجوز أن يرى نفسه خيراً من غيره، بل لا يرى لنفسه حالاً ولا مقام، ويرى نفسه لا شيء في مواجهة ذي الجلال والإكرام ﷻ، لأنه عبد لله.

سيدنا أبو اليزيد البسطامي ﷺ يقول: قلت: يا رب بم يتقرب المتقربون إليك؟

قال: بما ليس فيّ، قلت: وما الذي ليس فيك؟

قال: الذل والمسكنة والخضوع والتواضع.

فهذه صفات العبيد والتي كان عليها النبي الرشيد ﷺ، وكان يقول:

{ إِمَّا أَنَا عَبْدٌ، أَكُلُّ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ }^{١٥} ، وفي رواية: { أَكُلُّ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ }^{١٦}

لا صولجان ولا هيلمان، حتى كان الناس يأتون إليه من البادية فلا يعرفون الرسول من بين صحبه، فيسألون عنه: أين الرسول؟ فلما رأى أصحابه رضوان الله تبارك وتعالى عليهم

١٥ مسند البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما

١٦ الطبقات الكبرى لابن سعد وشرح السنة عن عائشة

ذلك طلبوا من رسول الله أن يجعلوا له مكاناً مميزاً، فعن أبي ذرٍّ، قال:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَيِ أَصْحَابِهِ، فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ، فَلَا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ، فَطَلَبْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ، قَالَ: فَبَيَّنَّا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ وَكُنَّا نَجْلِسُ بِجَنبَيْهِ }^{١٧}

هو لا يريد أن يتميز عليهم، وهنا مقام العبودية: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَرَىٰ بَعْبَدِهِ﴾ (الإسراء) ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ (الفرقان) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ (الكهف) لا بد أن يكون عبداً:

فكن عبداً لنا والعبد يرضى بما تقضي الموالي من مراد لكن الذي يريد أن يقف له الناس ويعظموه ويجلوه ويكبروه، ويأتوه بالزاد، ويذهبوا له بالمقتنيات، هذا ما له وما للعبودية؟! إنه يعيش في الربوبية والعباد بالله ﷻ.

ميراث الرحمة

لكن العبد وما ملكت يده لسيدة ومولاه، إذا جُمِلَ العبد بجمال العبودية وصدق في ذلك نال إرثه من الحضرة المحمدية؛ الرحمة، فكان قلبه يفيض بالرحمة على جميع الخلق. ولذلك هذه الأوصاف أنتم تلاحظونها، فانظر ماذا يقول الله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران) وهل يوجد عبداً وارث لرسول الله يتعامل بالفظاظة والغلظة والقسوة والنهر والسب والشتم؟! لا يجوز.

إذا كان هناك بعض المجاذيب حصل له هذا الحال في حال الجذب فلا يكون مُرَبِّياً في هذا الوقت، لأن المجذوب في هذا الوقت لا يؤاخذ بما فعل، لأنه ربما يكون مغلوباً على أمره، لكن لا يُقْتَدَى به، فلا أعترض عليه ولا أقتدي به.

لكن الذي أتبعه لا بد أن يكون صورة من الرجل القرآني:

﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ (الكهف) وهذه الأشياء عطاءات

وهبات وتفضلات، لا بالعلم، ولا بالجِدِّ، ولا بالإجتهد، ولا بالعمل، يقول فيها إمامنا أبو العزائم رحمته:

علم غيب عن شهود	لا بعلمي أو بعلمي
بل بفضل الله ربي	وبطه خير ربي
وأنا عبد ظلم	أعلموني بعد جهلي
كشفوا لي الحجب حتى	أشهدوني نور أصلي

وهذا فضل الله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٤ الجمعة)

وماذا نعمل؟ نتعرض فقط، فنجهز أنفسنا ونتعرض لفضل الله جل في علاه.

توجه العبد

هذا العبد لا يبغي من الكونين سوى مولاه، لا يبغي من وراء الخلق دنيا ولا رياسة ولا مشيخة ولا أي شيء، وككامل الصالحين السابقين يكتسب رزقه من كده ومن عمله.

ولا يسخر المرئيين في عمل خاص له أبداً، حتى يطعم أولاده من حلال زلال وعلى مناجاة الصالحين والعبيد الصادقين، رضوان الله عليك عليهم أجمعين.

وجمله الله بجمال الرحمة والشفقة والعطف والحنان والمودة للخلق أجمعين، ولا ينتظر من أحد من الخلق أسدى له معروفاً، أو صنع له جميلاً حتى كلمة شكر، وإنما يمثل لقول الله: ﴿إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ نطعمكم العلم والحقائق والأسرار والأنوار لوجه الله: ﴿لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (١٩ الإنسان)، ولا يتزيأ بزبي مثل أهل المظاهر التي يراها المشايخ، كأن يعمل لنفسه ساحة، لأنه يريد أن يكون من المعروفين بين أهل السماء المجهولين بين أهل الأرض، وهؤلاء هم العبید الحقيقيون.

موسى الكليلر والعبد

سيدنا موسى عندما سأل ربه ودلّه على العبد، هل كان هناك أحد يعرف هذا العبد؟ لا، هل كان أحد يعرف مكانه؟ لا، هل كان أحد يعرف علاماته؟ لا، لأنها صفة العبید الذين ورثوا النبي ﷺ.

أين يا رب هذا الرجل؟ فأخبره أنه عند مجمع البحرين، وسيدنا موسى كانت بلدته جنوب الجزيرة بقليل، ومجمع البحرين عند مدينة دمياط في آخر نهر النيل عند إنقضاء النيل مع البحر الأبيض المتوسط، وأعطاه العلامة، عندما يشعر بالجوع فسيجد هذا العبد هناك.

أخذ معه تلميذاً واحداً اسمه سيدنا يوشع بن نون عليه السلام، وأتى بسمكة وشواها ووضعها في مقطف وقال له: هذه السمكة تحملها حتى إذا جُعنا نأكل، ثم مشياً وبعد أن مرَّ بدمياط بقليل شعر بالجوع، وشعر أنه مُتعب ومُجهد فقال له: ﴿ءَاتِنَا عَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ (٦٢ الكهف) وهذه هي العلامات، أنه شعر بالتعب والجوع، فسأل الغلام: أين السمكة التي معك؟ فقال له: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (٦٣ الكهف).

قال له ما الذي حدث؟ قال له: عندما كنا عند البحر كان هناك رجل يتوضأ فتناثر منه بعض رذاذ من ماء وضوئه على السمكة فاحتيت ونزلت البحر مرةً واحداً، وقد نسيت أن أخبرك بذلك، فقال له موسى: هذا هو الرجل الذي نريده.

وهذا الرجل لا يلمس شيئاً إلا احتيا، لا يلمس قلباً ميتاً إلا وأحياه الله بالغرام في حبيب الله ومصطفاه، وبالإقبال بالكلية على حضرة الله جل في علاه.

فرجعا فوجد الرجل نائماً على كوم من الرمل ومُعْطَى، فلا ساحة ولا حُجَّاب ولا عبيد ولا سكرتارية ولا شيء من ذلك، وهؤلاء هم العبيد:

عبيدٌ ولكن الملوك عبيدهم وعبيدهم أضحى له الكون خادما

فذهب وأيقظ الرجل من النوم وقال له: السلام عليكم، فقال الرجل: وعليك السلام يا موسى بن عمران، قال: كيف عرفتي؟ قال: عرَّفني بك الذي أرسلك إليّ، فقال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (٦٦ الكهف) والرشد هو علم الحقائق وعلم الباطن الذي يريده موسى ليتكَمَّل، لأن معه علم الشريعة، فقال له: يا موسى أنت على علمٍ علمك الله لا أعلمه أنا، وأنا على علمٍ علمنيه الله لا تعلمه أنت.

وأثناء حديثهم نزلت عصفورة شربت من الماء، والصالحين دائماً يُرسل الله لهم الأمثال التي تعينهم على إبلاغ المقال لأنهم يبلغون عن الله ﷻ، فقال له: وما علمي وعلمك في علم

الله إلا كما أخذ هذا العُصفور من هذا البحر، أي أن ما معي وما معك لا يساوي شيئاً بالنسبة لعلم الله.

العلوم الوهية

قد يقول البعض: وكيف تَعَلَّم هذا العبد؟

قال الله: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥ الكهف) علم الأحكام لصالح الأجسام، وعلم القلوب هو الذي به صلاح القلوب، لكن علم الأحكام هل هو الذي سيُصلح القلوب لله ﷻ؟ لا، فأنا أحتاج للإثنين معاً، أحتاج إلى علم الأجسام من أهل الأحكام، وعلم القلوب من أهل القلوب، ليصل الإنسان إلى وراثة الحبيب المحبوب ﷺ.

وكيف تتأتى هذه العلوم؟ هي نفحات إلهية، يفيضها الله ﷻ بجوده وفضله على من بلغوا في مواجهته مقام العجز، فيشعر بأنه عاجز أمام مولاه، سيدنا موسى سأل ربه: أين أجدك؟ قال:

{ أَنَا عِنْدَ الْمُكَسَّرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي }^{١٨}

ابحث عن أهل الإنكسار تجديني عندهم:

لأن هؤلاء هم الذين معهم الأواني التي فيها جمالات المعاني، وحضرات القرب والتداني، وكنوز الله ﷻ التي غيَّبها عن جميع السماوات والأرض، وكل الكائنات، موجودة في قلوب هؤلاء الأقسام:

قد أكرم الله أهل العجز عَلمهم أسرار توحيده بالحال والقال
خل الملام فإن الله مقتدرٌ يُعطي الولاية للساري وللقال

هؤلاء القوم يصلون إلى حال اسمه حال الفناء

فنوا عن الدنيا، وعن الأهواء ...

وعن الشهوات، وعن الحظوظ، وعن الملدات

١٨ ذكره الغزالي في البداية

ولم يعد لهم إلا هوى واحد في حضرة الواحد ﷻ!!

وهؤلاء يقول فيهم الله: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (الأنعام ١٢٢) ماتوا وهم أحياء، ولسيت موتة عزرائيل، ولكنهم ماتوا الموتة الاختيارية في هذه الدار الدنية، فأحياهم الحياة القرآنية، والحياة الكشفية، والحياة العيانية، والحياة الشهودية فأصبحوا كما قال رب البرية:

﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ (الأنعام ١٢٢):

يسعى بنور الله إلى إرشاد الخلق إلى الطريق الصحيح الموصِّل إلى رضوان الله رغبةً فيما عند الله لا رغبةً في شيء سواه.

والحقيقة هذه الأشياء كلنا نحتاجها:

لأنني أرى كثير من الأحبة كل واحد منهم يجمع عليه ثلاثة أو أربعة من الأحباب، ويريد أن يكون شيخاً عليهم، فيصدر أوامر وتعليمات وتنبيهاً وهم يسارعون إلى تنفيذ ما يطلب، وإن كان ما يطلبه لحظّه وهواه، ويغضب على من لا يقضي له طلب أو لا يسعى لقضاء مصلحة له.

لكن نريد أن نكون على الطريق القويم:

طريق هؤلاء الرجال الذي نمشي على آثارهم وعلى منوالهم، لعل الله ﷻ أن يجعلنا منهم أو معهم.

نريد شيئاً من إثنين، إما منهم وإما معهم، لنكرم بهذا الإكرام الإلهي العظيم، الذي خصّ الله ﷻ به أهل فضله وأهل كرمه أجمعين.

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا أجمعين لطريق الصادقين، ومنهج الصالحين، وأن يجعلنا أجمعين من خيار المتبعين لسيد الأولين والآخرين، وأن يرزقنا أرزاقاً حلالاً مباركة ظاهرة، وأرزاقاً باطنيةً وافرة، وأن يرزقنا علماً بغير تعلم، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ
السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا
يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ
الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ
قَدِرُونَ عَلَيَّهَا أَتَيْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا
فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ
كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ

يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

• لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ
وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُم فِيهَا خَالِدُونَ

٢: أهل الحسنى والزيادة-

d d d d d d d d d d d d d d d d d d

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أنزل لنا في كتاب الله ما قال فيه سيدنا رسول الله ﷺ:

{ كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأٌ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ }^٢

والقرآن الكريم لم يدع شاردة ولا واردة من حياة الأولين، ولا ما سيحدث للمعاصرين والآخريين إلا وذكرها في بيانٍ حكيم من العلي العظيم ﷺ.

والآيات التي بين أيدينا الآن هي آيات هذا العصر، فإن النبي ﷺ عند بعثته قال لأصحابه:

{ مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَهَاتَيْنِ { وَفَرَقَ بَيْنَ أَصْبَعَيْهِ }^٣

وهو من علامات الساعة، وظهوره دليلٌ على اقتراب الساعة، ونحن الآن على مقربةٍ شديدةٍ جداً من الساعة التي حددها الله في كتاب الله وأخفاها حتى لا يعلمها إلا من علمه الله جل في علاه.

مثل الدنيا

ضرب الله ﷺ مثلاً لنا للدنيا في عصرنا، لأن القرآن نزل لنا كما نزل لمن قبلنا، وبدأه بتأكيد من الحميد المجيد: ﴿ إِنَّمَا ﴾ وإنَّ حرف تأكيد، أي تأكيد لكلام الله.

وضرب لها مثلاً لأن ما لا يستطيع المرء أن يفقهه في المقال نضرب له لفقهه الأمثال، فضرب الله مثلاً للحياة الدنيا التي نحن فيها الآن فقال: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ لنا وللأمم ولكل الخلق مثل: عمري وعمرك، وحياتي وحياتك وحياة الكل، مثل ماذا؟

١ المنيا - مغاعة - عزية أبو إسماعيل - ٢٣ من رجب ١٤٣٧ هـ ٢٠١٦/٤/٣٠ م

٢ سنن الدارمي والترمذي عن علي بن أبي طالب ﷺ

٣ مسند أحمد عن سهل بن سعد ﷺ

d d d d d d d d d d d d d d d d d d d

﴿ كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ والماء منه ماءً ينزل من السماء وهو ماء الغيث والمطر، وماءً جعله الله ﷻ في الأرض، إن كان في باطن الأرض، أو في ظاهر الأرض كالأنهار وفروعها، ولماذا قال ﴿ مِنَ السَّمَاءِ ﴾؟ لأن الماء النازل من السماء لا يحتاج إلى عمل منا ولا جهدٍ منا، وإنما ينزل من السماء بمحض فضل الله جل في علاه.

لكن الماء الذي في الأرض إن كان في باطن الأرض يحتاج إلى مجهودٍ لاستخراجه، وإن كان في ظاهر الأرض يحتاج إلى مجهودٍ لتخزينه والانتفاع به.

﴿ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾ والنبات قسمين: نباتات للإنسان كالمأكولات التي نأكلها مثل البقوليات والقمح والذرة والنباتات الخاصة بالإنسان، ونباتات خاصة بالأنعام ولذلك قال الله تعالى: ﴿ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ﴾.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَنِدُرُونَ عَلَيْهَا ﴾

وهذه الآية لنا فيها ملمحٌ غيبيٌّ أشار إليه العارفون الصادقون: إن كلمة الأرض هنا تعني المكان الذي ليس فيه روح، والأرض التي ليس فيها روح، ولم يُبعث فيها نبي، ولم يُبعث فيها رجلٌ صالح، وهي أرض أوروبا وأمريكا.

لكن أرضنا هي مهبط الأنبياء، ومهبط الوحي، وموضع الصالحين والعارفين والمتقين، لكن لم يظهر في أوروبا أو أمريكا إلا الأعداء والكذابين، وليس لنا شأنٌ بهم، لأن النبي من عند الله.

فالأرض كل هُهمهم، والدنيا مبلغ علمهم، والشهوات جُل أمرهم، ولا يسمحون بنفسي للقلب والروح لأنهما متعلقان برب العباد ﷻ، غيرنا نحن هنا نهائياً.

فالأرض أخذت زُخْرُفها وتزيّنت كما نراها هناك عندهم بكل أنواع الزخارف والمباهج والزينات الدنيوية، حتى أن أولادنا الذين عندهم طيش عندما يذهبون إلى هناك يُغرر بهم ويعودون إلينا يقولون: العيشة هناك، تعالوا وانظروا للحياة في أوربا إن كان في ألمانيا أو في فرنسا أو في غيرها، لماذا؟

لأن كل أمور الحياة سُخِرَتْ لهم، والأرزاق الدنيوية كثُرَها الله ﷻ لهم، وقال رسول الله ﷺ في شأنهم:

d d d d d d d d d d d d d d d d d d d

{ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا }^٤

يخرج من هنا وليس له شيء عند الله ﷻ، كل الطيبات يأخذها من الدنيا، فليس له حسنة واحدة يطالب بها الله ﷻ، يقول الله تعالى فيما ورد في الأثر: { إذا أحببت عبدي أسقمت جسمه وضيقت عليه في معيشته وأحاسبه على ذلك بمثاقيل الذر حتى لا يبقى عليه سيئة واحدة أطالبه بها ، فإذا بقي عليه شيء شددت عليه سكرات الموت حتى يخرج من الدنيا وليس عليه سيئة واحدة أطالبه بها ، وإذا أبغضت عبدي وسعت عليه في معيشته وأصححت له جسمه وأحاسبه على ذلك بمثاقيل الذر حتى لا يبقى له حسنة واحدة أطالبه بها ، فإذا بقي له شيء خففت عليه سكرات الموت حتى يخرج من الدنيا وليس له حسنة واحدة يطالبني بها }

ولذلك دخل سيدنا عمر بن الخطاب يوماً على سيدنا رسول الله : { فإذا النبي ﷺ كان راقداً نحت رأسه وسادة من آدم مخشوة ليفاً ، وليس بينه وبين الأرض إلا الحصير ، قالت : وأثر الحصير في جنبه فلما رأى ذلك عمر ذرفت عيناه ، فقال رسول الله ﷺ : ما يبكيك يا عمر؟ ، قال : يا رسول الله ، كسرتي وقصير عدواً الله يفتريشان الديباج والحرير وأنت نبيّه وصفيّه وليس بينك وبين الأرض إلا الحصير وسادة مخشوة ليفاً ! وعند رأسه أهبة فيها ريح ، فقال رسول الله : أولئك عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا }^٥ ، وقال ﷺ : { كيف أنعم وقد التقم القرن القرن ، وحنى جنبته وأصغى سمعه ، ينظر متى يؤمر }^٦

وأيّن نحن الآن؟! وهذا بعد أكثر من ألف وأربعمائة سنة، وسيدنا رسول الله يريد بهذا الكلام أن يعرفنا أن الإنسان:

ما بين طرفة عين وانتباهتها يُبدّل الله من حال إلى حال

فأرضهم أخذت زخرفها وزينتها وانتهى الأمر ، وأصبح كل شيء بالريموت كنترول ،

٤ صحيح البخاري والترمذي عن ابن عباس

٥ الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة

٦ مسند أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري

ووصلوا في الرقي الديوي إلى درجة لم تُسبق من قبل.

على سبيل المثال أنت تريد مصلحة فتذهب للسوق وتشتريها، لكن هم ليس عندهم هذا الشيء، فالتلاجة عندهم مبرجة وتعمل بالنقصة فإذا نقص منها شيء تُرسل رسالة لصاحبها على المحمول وتقول له: أنا أريد كذا وكذا.

أو تتصل بالسوبر ماركت على الفور وتقول له: أنا أريد كذا وكذا، وهذا برسالة، فالسوبر ماركت يُرسل عليها على الفور ما تريد وتصل إليهم في الحال، وهناك أمثلة لا حد لها ولا عد لها من الرفاهية التي يعيشونها.

أخذت الأرض زخرفها هناك، لكن هل أرضنا فيها هذا الكلام؟! لا، فالمقصود بهذه الأرض التي هناك.

ظلم أهل الغرب لغيرهم

﴿ وَظَلَمَ أَهْلَهُمْ أَنْهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهِمْ ﴾ فأصابهم الطغيان والغرور، فماذا يحدث بعد ذلك؟ كما ترون حالياً طغوا وبغوا وتفرغوا لظلم أهل (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وليس الآن فقط، بل من فترة كبيرة منذ زمن، فدخلوا بلادنا، واستولوا عليها، ونهبوا خيراتها وكل ما فيها، وهي التي قامت عليها حضاراتهم الآن.

والآن رأوا أن الله قد أخرج لنا بعض الخيرات المباركات من باطن الأرض، والغل عندهم شديد، وهمهم كله أن لا يتفق هؤلاء القوم أو يتحدوا، وهمهم كله الآن القضاء على الأمم الناهضة من المسلمين، والشعوب المتقدمة من المؤمنين، وهذا الظلم الذي وقعوا فيه، ونتيجة هذا الظلم فإن الله ﷻ سيُسلط بعضهم على بعض، إنتقاماً للمؤمنين المستضعفين وللمسلمين المسلمين.

هم يكونون كما هم الآن، ويظنون أن العالم كله بين أيديهم كما ترون، وهم الذين يسيرونه كيف يريدون، وسياستهم لا بد أن تسير، وأمورهم لا بد من تنفيذها، فظهر فيهم الجبروت، لدرجة أن الواحد منهم إن كان وزير خارجية أو رئيس أو غيره يقول: أنا أريد كذا وكأنه رئيسك، إما ذلك وإما يعلن عليك الحرب، وأنت لن تقدر على حربه لأن معه أوروبا كلها، ومعها المال، ومعها الإقتصاد، فيريدون أن يملؤا علينا ما يريدون.

لكن سيُسلطهم الله ﷻ على بعضهم، وهذا على وشك أن يحدث إن شاء الله:

﴿ وَظَنَّ أَهْلَهُمْ أَنَّهُمْ قَدِيرُونَ عَلَيْهِمَ آتَتْهَا آمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾ لأن الليل إذا كان

في أوربا، فيكون النهار في أمريكا، والنهار في أوربا يكون الليل في أمريكا، ولذلك قال: ﴿ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾ فعند هؤلاء في الليل وعند هؤلاء في النهار، والأمر لن يستغرق غير لحظة، فكل الأجهزة الجهنمية والأسلحة الشيطانية التي اخترعوها ستكون للقضاء عليهم، يردُّ سيف الباغي عليه.

انتقام الله

الصواريخ العابرة للقارات، والقنابل الذرية، والأسلحة الجرثومية، والأسلحة التي لا نعرفها ولا ندركها، كل هذه الأسلحة سيوجهونها على بعضهم، ويبيدون بعضهم، ولذلك قال الله فيها؟ ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْرَبْ بِالْأَمْسِ ﴾ ستدمر أوربا وأمريكا تدميراً كلياً بأمر من يقول للشيء كن فيكون، فليس معنا أجهزة ولا معدات ولا تكنولوجيا ولا أسلحة تستطيع أن تواجههم، لكن القوي المتين مع الأجهزة التي ستدمرهم.

وعلى سبيل المثال: سيُسلط على أمريكا الزلازل، فما الذي عندهم يقاوم الزلازل؟! ليس عندهم أسلحة مع استشعار الزلازل تستطيع مقاومتها أو منعها.

سيُسلط عليهم العواصف التي تهبُّ عليهم من هذا الخليج ومن هذا الخليج، والعواصف تُغرق كل شيء ... أوروبا عندهم جبال من الثلج في المنطقة الشمالية، فسيُسلط عليها الشمس فتذيب هذه الثلوج فتتزلزل سيولاً، فما الذي يمنع هذه السيول؟! ومن الذي يستطيع الوقوف أمام هذه السيول؟! فهناك ثلوج لا تُعد ولا تُحَد، فماذا تفعل هذه السيول؟ .. ستُغرق المدن والبلاد والعباد، لماذا؟ لهذا الظلم الذي ارتكبه في حق من قال: (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله).

فأنت عندما تبحث حالياً في العالم كله، فهل يوجد أحدٌ يُظلم في الكون كله إلا أهل (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله)؟ هل يوجد نصيب من هذا الظلم للبوذيين الذين يعبدون البقر؟ لا، واليهود يساعدونهم بكل قوة، وعِبَاد الأوثان يتركوهم، وهمهم كله فيمن قال: (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ (٢٨ غافر).

وهذا الذي يفعلونه الآن، فهم الذين يُدمرون في بلاد الإسلام، فهذه سوريا وما يحدث من دمارٍ فيها، وهذه الصومال، وهذه السودان وتقسيمها، ومن الذي يقف أمامهم؟ مصر، فهي الثغرة الباقية، ويعرفون أنها إذا دُمرت فقد دُمِر العالم الإسلامي كله، ولذلك يستجمعون قواهم كلها على مصر، وأهل مصر كلهم لا يفهمون أن هؤلاء هم أعوان الشياطين، وكلهم مكرّ ودهاء وكيدٌ وحقدٌ على الإسلام والمسلمين، فلا بد أن ننتبه لأن الله ﷻ وعدنا: ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْرَبْ بِالْأَمْسِ ﴾ ... من يراها فكأنها لم يكن فيها بشر من قبل، فترجع مرةً ثانية للعصور الأولى، فترجع أمريكا إلى حالها قبل أن يكتشفها الأوروبيون، وليس فيها شيءٌ ثائباً.

بعد ذلك ماذا يحدث؟ ﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ تفصيل الله لأحداث آخر الزمان التي نتكلم فيها ونحن جالسين مع بعضنا، وسندكر بعضنا بهذا الكلام الذي قلناه كله إن شاء الله رب العالمين، لأن هذا كلام الله جل في علاه.

عموم دعوة الإسلام

وبعد ذلك: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ سيظهر الإسلام وبمألء الوجود كله بعد إنتهاء هؤلاء القوم، وتنفى جميع الملل والحن ولا يبق إلا الإسلام.

من الذي يدعو؟ الله، وإلى من؟ دار السلام، والسلام هنا يعني السلامة من الآفات، والسلامة من العاهات، إلى الجنة لأن الجنة دار السلامة، فعندما يدخلها الواحد منا يقول: ﴿ أَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ (٣٤ فاطر).

والجنة هي دار السلام لأن: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۗ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرد).

والحق ﷻ يحييهم: ﴿ تَحْيِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ (٤٤ الأحزاب).

فيدعو ربنا إلى الجنة، وكيف يدعو ربنا؟ يُعين الدعوة أهل الإيقان الذين اشربت قلوبهم بالحب الصادق لحضرة الرحمن، ولم تغوهم الدنيا ولا زُخرفها ولا زهرتها ولا زينتها، لأن الدنيا مملوءة الآن بالدعاة، ولكن من يدعو لتحصيل الأموال، ومن يدعو لحب الظهور، ومن

يدعو للرياء والسُّمعة، كل هؤلاء لا يصلحوا في طريق الله.

من الذي يدعو في طريق الله؟ الذي مات حظه وهواه، وليس له غاية ولا مرام إلا في إرضاء مولاه جل في علاه، فتكون هذه هي الدعوة الحقيقية إلى دار السلام:

﴿ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ما يريده من الباقين، فيهديهم إلى المنهج القويم، والدين القويم، والشرع الحكيم، فكل هذا اسمه الصراط المستقيم.

أيام الملاحم

فهؤلاء سيهتدون إلى هذا الأمر، وهذه الأيام يتكلم عنها سيدنا رسول الله فماذا يقول فيها؟ في أبواب الملاحم، والملاحم يعني الأحداث التي تسبق الساعة:

{ وَتُنزَعُ حُمَةٌ كُلُّ ذَاتِ حُمَةٍ }^٧

يعني الأشياء السامة كالثعابين والحيات فلن يكون لها سم في هذا الوقت، والسم الذي فيها الآن لإيذاء الكافرين، أو تنبيه الغافلين عن رب العالمين، فالكافرين قد قتلوا بعضهم، والغافلين تنبهوا، فينزِع الله من كل ذي حُمَةٍ حمتها.

وكل الأشياء المؤذية ستنتهي، حتى البرغوث، وحتى حشرات الفراش كلها ستنتهي، ولماذا تؤذيك؟! هو الآن يُوقظك لتقوم لصلاة الفجر، أو تقوم لله، لكنك استقمت، لذلك كل هذه الأمور ستنتهي بأمر من الله جلَّ في علاه، وقد ورد في الحديث:

{ طُوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ الْمَسِيحِ يُؤَذِّنُ لِلسَّمَاءِ فِي الْقَطْرِ، وَيُؤَذِّنُ لِلْأَرْضِ فِي النَّبَاتِ حَتَّى لَوْ بَدَرْتَ حَبَّكَ عَلَى الصَّفَا لَنَبَتَ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْأَسَدِ فَلَا يَضُرُّهُ، وَيَطَأُ عَلَى الْحَيَّةِ فَلَا تَضُرُّهُ، وَلَا تَشْحَاحَ وَلَا تَحَاسُدَ وَلَا تَبَاغُضَ }^٨

ويؤتى بالصدقات فلا يأخذها أحد، من كثرة المال والخيرات، التي قال فيها ﷺ:

{ وَيَجْتَمِعُ النَّفَرُ عَلَى الْقُطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيَشْبِعُهُمْ }^٩

٧ سنن ابن ماجه عن أبي امامة ؓ

٨ أبو سعيد النَّقَّاشُ في قوائد العرَاقِيينَ عن أبي هُرَيْرَةَ ؓ، جامع المسانيد والمراسيل

٩ سنن ابن ماجه عن أبي امامة ؓ

يعني الجماعة أمثالنا يجتمعون ليأكلوا قطف العنب فلا يستطيعون إنهاءه من الحلاوة التي فيه، والبركة التي فيه والنازلة من عند الله ﷻ.

هم يقولون أنه بعد الحرب الذرية القادمة فإن الأرض لن تُنبت ولن تُخرج نباتاً ولا زرعاً ولا غيره، نعم، إنها أرضهم هم، لأن أرضنا محروسة بأمر الله: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ وَيُذْئِن رِيحَهُ﴾ وهناك: ﴿وَالَّذِي حَبِثَ لَّا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ (الأعراف ٥٨) لأنها أرض كلها خمر، وكلها زنا، وكلها معاصي وفجور ... لكن هنا أرضٌ يُصلى عليها لله، ويُطعم عليها المسكين، وعليها يُواسى الفقير، وتقام عليها شعائر الله، وأهلها متمسكون بالقيم التي جاء بها سيدنا رسول الله ﷺ، فيكون:

وفضلاً عن ذلك، فإن الذين يُحسنون في هذه الأيام، ويتمسكون بالدين في هذا العصر، فلن يدخلوا في دائرة المنافقين، ولا المخادعين، ولا النصابين، ولا المحتالين للمؤمنين، وهؤلاء لهم ما لا نستطيع حصره من المنازل الإلهية، ويكفيه قول حضرة النبي ﷺ:

{ مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ }^{١٠}

فمن يمتنع نفسه الآن عن أكل الحرام، وعن الغش، وعن الكذب، وعن الخداع فيكون له أجر مائة شهيد، وهذا في الدنيا.

الحسنى والزيادة

وعند رجوعه إلى الله ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ من يُحسن العمل في هذه الحياة الدنيا، ويعمل بهدي الله، وبشرع الله، وبكتاب الله، وبسنة سيدنا رسول الله ﷺ، فله هناك الحسنى، يعني الجنة العالية الراقية في جوار الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين.

ولهم زيادة على ذلك، فما هذه الزيادة؟ قال فيها ﷺ:

{ الْحَسَنَةُ الْجَنَّةُ وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ }^{١١}

١٠ الزهد الكبير للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما
١١ حلية الأولياء لأي نعيم عن كعب بن عجرة

كيف يحدث هذا؟ كما قال ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ثُرِيدُونَ شَيْنًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ نُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ نُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَنُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْنًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ } ١٢

فيكشف الله ﷻ لهم، بعد أن يعطيهم من عنده طاقة إلهية يرون بها وجه الله ﷻ بلا كيفية، وإنما بأمور إلهية غيبية لا تظهر إلا في الدار الجنانية

فهؤلاء القوم منهم من يرى الله ﷻ مرة كل أسبوع كأسابيعنا، ومنهم من يراه قدر كل شهر مرة، ومنهم من يراه قدر كل سنة مرة، ومنهم من لا يحرم عن رؤيته نفساً بالمرة، قال بعض العارفين: ((إن لله رجالاً في الجنة لو حرموا من رؤية الله ﷻ نفساً لفروا من الجنة كما يفرُّ أهل النار من النار)) لأن نعيمهم الأكمل هو النظر إلى وجه الله ﷻ.

وهؤلاء القوم في الموقف العظيم كيف تكون هيئتهم؟

﴿ وَلَا يَرَهُنَّ وُجُوهَهُمْ قَتَرًا وَلَا ذَلَّةً ﴾ وجوههم نظرة، لا عليها قتر - يعني سواد - ولا غبرة، ولا ذلة، ولا صغار، ولا مسكنة، من هؤلاء؟ ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

فهنيئاً لمن يتمسك بهدي الله وسنة رسول الله في هذا الزمن، فله الفضل العظيم، وله الكرم الإلهي العميم !!!

وما الصبر إلا لحظة، وبعد اللحظة سنفرح جميعاً بفضل الله وياكرام الله، ولكن لا نتعجل الأمور بل نكبح جماح النفس عن هواها، ونستمسك بشرع الله.

نسأل الله ﷻ أن يُجَمِّلَنَا بِجَمَالِ أَهْلِ هَذَا الْمَقَامِ، وَأَنْ يُكْرِمَنَا بِهَذَا النِّعِيمِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا جَمِيعاً مِنْ أَهْلِ الْمَقَامِ الْعَظِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ
 مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا
 كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ
 وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ
 فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا
 أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ
 مُبِينٍ ﴿٣٦﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا
 خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
 ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا
 يَتَّقُونَ ﴿٣٨﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا
 تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿يونس﴾

أولياء الله

أكرم الله ﷺ هذه الأمة، وجعلهم أعيان الموجودات، وأخيار المخلوقات ...

فإذا نظرت إلى المهتدين من عباد الله قبلاً، تجد الصورة المشرقة النورانية في العوالم العلوية: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (٢٩ الفتح).

والمعية ممتدة إلى يوم الدين، فإن الله ﷻ لم يقل معه في زمانه، ولا في عصره، ولا في أوانه، ربما يمن الله ﷻ على أحدكم فيكشف عن بصيرته النورانية فيرى صورته في هذه الثلة المباركة النورانية، وهذه الحضرة البهية الحمديّة، فيفرح بفضل الله، ويقول كما قال الله: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلِيفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨ يونس).

فإذا ذُكر الأولياء فحيهل بحزب الله المفلحين، وأنصار الله الصالحين الهداة المهديين الذين هم أمة سيدنا محمد ﷺ الغر الميامين، ونحن والحمد لله منهم أجمعين.

مقام المراقبة

وقرب الله ﷻ لنا هذه الحقيقة.. وجعل أصل الأصول الذي به صار الفحول في طريق الله فحول، هو الآية الأولى التي قدّمها على وصفه لأولياء الله:

مراقبة الله في السر والنجوى، في الظاهر والباطن، حتى يصل العبد إلى حال لا يغيب الله ﷻ منه على البال طرفة عين ولا أقل، فإذا تحرك يرى نفسه يتحرك بالله، وإذا سكن يُسَلِّم لأمر الله، وإذا توجه يعلم أن الذي وجهه هو مولاه، وإذا نظر إلى أي كائن ينظر إلى غريب صنع الله جل في علاه.... هذا الحال لمن أراد أن يكون من أهل العطاء والنوال، اجعل هذا الحال قصدك ومناك، أن تصل إلى هذا الحال في تعاملك مع مولاك، يُلَخِّصه قول الله ﷻ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ (٤ الحديد) فيعلم الإنسان علم اليقين أن الله ﷻ معه ويطلع عليه ويراه في كل أنفاسه.

إذا آنتست من نفسك هذا الحال، ورأيت أنك بفضل الله لا تغش نفسك قد أكرمت بهذا المقام فأبشر، واعلم أن الله اصطفاك وحباك ورقاك، ولكل كنوز العناية الإلهية والأنوار الربانية ﷺ سَوَاكَ، فأصبحت مؤهلاً لكل شأن: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾ أي شأن كان، إن كان في أكل، أو شرب، أو لهو، أو مزاح، أو لعب، أو عمل إلا ومعك في قلبك ما يوافقه من آيات القرآن، لتعمل فيه على هدي النبي العدنان ﷺ.

كان الإمام الجنيد ﷺ يقول في ذلك: ((بقي لي ثلاثون عاماً أحاطب الحق في الخلق والخلق يظنون أنني أتحدث معهم)) بينما هو لا يرى إلا وجه مولاه، أو نوره الذي بنه في خلقه جل في علاه، ولا يحرك أحداً ولا يُسكِّنه في الحقيقة إلا الله: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ (يونس ٢٢) مَنْ الذي يُسَيِّرُ الكل؟ الله ﷻ.

ولذلك قال بعض القوم للسيدة رابعة العدوية ﷺ: هل لو تبت يتوب الله ﷻ علي؟ قالت لا، بل لو تاب الله ﷻ عليك لتبت، قال: من أين لك هذا؟ قالت: من كلام الله: ﴿ تُمْرَاتَبْ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ (التوبة ١١٧) إذاً التوبة تبدأ من عند الله ﷻ.

يلهم العبد بمعاني التوبة، ويجعل العبد يشعر بالإثم وفداحة الذنب، فيشعر بالخجل من مولاه، ويندم على ماجنت جوارحه ويداها، فيتوب إلى الله للمعاني الإلهامية التي ألهمه بها الله جل في علاه.

ومن أين الحب؟ ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ مُّحِبِّمْ وَمُحِبُّوهُمْ ﴾ (٥٤ المائدة) إذاً الحب أولاً من الله، ولذلك كان يقول سيدي مصطفى البكري ﷺ في حزب السحر: ((اللهم إنا نسألك بحبك السابق في "يجبهم" وحبنا اللاحق في "يجبونه")) فحب الله ﷻ هو السابق، ولو نظرت إلى عين الحقيقة ترى الله ﷻ هو الفَعَالُ لما يريد، وتردد قول الشيخ الصالح الجيلي ﷺ:

أنا آلة والله جلّ الفاعل أنا قلمٌ والإقتدار أصابع

هذا حال أهل الكمال، الذين يريدون أن يذوقوا لذة الوصال، ويتمتعوا بنعيم الحبيب المصطفى ﷺ والآل، لا بد أن يرتقي باطننا إلى هذا الحال.

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتَلَوْنِ مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ لا يستطيع العبد أن يمنع نفسه من الوقوع في الذنب إلا إذا وصل

إلى هذا الحال، ولذلك حتى صغار العارفين في بداياتهم كان أهل الصلاح والثقى يلقنوهم ذلك.

الشيخ سهل التستري رحمته الله وكان من أكابر الصالحين، وكان خاله محمد بن سوار من الصالحين، فيحكى أن خاله كان يقوم الليل، فكان يقف بجواره ليُصلي قيام الليل، فلما رأى خاله هذا الجهد منه، وعلم أن له مكانة عند الله، وجَّهه إلى هذا الحال مع الصالحين من عباد الله، فقال له: يا بُني قل كل يوم ثلاث مرات ((الله معي ، الله ناظر إليّ ، الله شاهد عليّ)) قال: فكررتها، وبعد أيام قال: يا سهل أحفظت ما قلت لك، قلت: نعم: ((الله معي ، الله ناظر إليّ ، الله شاهد عليّ)) قال: كررها كل يوم إحدى عشرة مرة، قال: فكررتها، وبعد فترة قال: يا بُني لا تغفل عن هذه الكلمات عمرك، واعلم أن من كان الله معه كيف يعصاه؟! ومن كان الله ناظر إليه كيف يخالفه ويتبع هواه؟! ومن كان الله شاهد عليه كيف يراه على معصية قبيحة فيسخط عليه مولاه!؟.

وهذه بداية الصالحين، وهي مقام المراقبة، لو كان الإنسان على عبادة الثقيلين، وويله قيام ونهاره صيام ولسانه لا يكل ولا يمل من الذكر وتلاوة القرآن والعبادات اللسانية، ولم يصل إلى هذا المقام في مراقبة رب البرية، فإن هذا يُقال له يوم الدين، وهذا ما يُخَوِّف العارفين: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ (٢٣٣ الفرقان).

أساس العمل مراقبة الله تعالى، لأن مراقبة الله تُنتج الخشية، وتُنتج الخوف، وتُنتج الوجل، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم مبيناً مقامه عند ربه:

{ أَنَا أَتَقَاكُمُ لِلَّهِ ، وَأَعْلَمُكُمْ بِحُدُودِ اللَّهِ }^٢

ليست التقوى في الأعمال، لكن التقوى في الأحوال التي يتجمل بها القلب في مواجهة ذي الجلال والإكرام تعالى.

ويعلم علم اليقين أنه لا يغيب عن معرفة الله تعالى شيئاً صغر أو كبير: ﴿ وَمَا يَعْرُزُ عَنْ رَّبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾ ويعزب أي يغيب، فلا يغيب عنه شيء: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (٥٤ آل عمران) ما الذي سيغيب عن الله تعالى طرفة عين ولا أقل!؟ لا يوجد.

إذا يرى أن الله ﷻ يطلع على خفاياه، ويطلع على سره ونجواه، ويرى حركات جوارحه وما تفعله يده، حتى يعلم ﷻ خائنة الأعين وما تخفي الصدور، إذا غمز بعينه، إذا همز بجسمه، إذا لمز بلسانه .. يعلم أن الله ﷻ يطلع على كل أحواله، والله ﷻ هو الذي يتولى جميع شئونه وجميع أمره.

﴿ وَمَا يَعْرُوبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ لم يقل الله (ذرة) ولكن (مثقال ذرة) أي بعض الذرة: ﴿ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ هذه عدّة العارفين، وأساس الصالحين لمن أراد أن يكون مع الواصلين، ومع الذين أنعم الله ﷻ عليهم من المتقين، في الدنيا ويوم الدين.

مقام الاصطفاء

إذا وصل إلى هذا المقام يدخل في منشور الولاية الربانية ...

فإن الله ﷻ مناشير تُشرق في اللوح المحفوظ، وتُفك عنها الطلاسم والرموز، ويقروها أهل السماء، ويوضع لها القبول في أهل الأرض من الصالحين والعارفين وأئمة المتقين والوارثين، ويُنوّه الله ﷻ عنهم ويقول: ﴿ آي: أي:

يا أهل الأرض والسماء تنبهوا وانتبهوا أن هذا الرجل أصبح من أولياء الله ﷻ: ﴿ آي: أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

الأنبياء وكمّل الوارثين والعارفون من الأولياء اختارهم الله ﷻ من الأزل:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ نُوْحًا وَعَالِ إِبْرَاهِيمَ وَعَالِ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (آ٣٣)

عمران) ، ومن رحمته ﷻ بنا جعل قانون الاصطفاء خصوصية لأئمة نبينا مُحَمَّد ﷺ إلى يوم الدين: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي ﴾ لم ينته الاصطفاء، ولكن باستمرار ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (١٧٥) من هؤلاء؟

الذين وصلوا إلى هذا الحال: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (١٧٦) نفس المقام، يعلمون أن الله ﷻ مطلع عليهم ويراهم، ويراقبون هذا، ويعلمون أنه ﷻ بيده الأمر كله، ففوضوا له كل الأمور.

س الولاية

هؤلاء الأولياء بم نالوا هذه المنزلة؟ وبم وصلوا إلى هذه الدرجة؟ وما المدرسة التي أوصلتهم إلى هذا الحال؟

حضرة النبي ﷺ سهّل علينا الأمر، فوضحه لنا في بيان يجعلنا لو خررنا ساجدين إلى يوم الدين لما استطعنا أن نوفي شكر الله ﷻ على هذه النعمة طرفة عين ولا أقل، فقال ﷺ في حديثه الصحيح:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ ﷻ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغِطُّهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ وَالْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغِطُّهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ! انْعَثْهُمْ لَنَا يَعْني: صِفْهُمْ لَنَا، فَسَرَّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَتَوَازِعِ الْقَبَائِلِ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَوْا، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، فَيَجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا وَتِيَابَهُمْ نُورًا، يَفْرَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْرَعُونَ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } ٣، وفي رواية أخرى قال ﷺ:

{ إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لِأَنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغِطُّهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: " أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } "

٣ مسند أحمد عن أبي مالك الأشعري ﷺ

٤ سنن أبي داود والبيهقي عن عمر بن الخطاب ﷺ

ويغبطهم أي يتمنوا منزلتهم ومكانتهم، فهم قوم من أمة النبي ﷺ، من بلدان مختلفة، المودة بينهم لله، ليس بينهم قرابة دنيوية، ولا شراكة تجارية، ولا بينهم منافع فانية دنيوية، وإنما الحب لله، قال ﷺ:

{ أَوْتِقْ عُرَى الْإِيمَانِ، الْحَبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ }

﴿الْإِنِّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٧) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٧٢﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٤﴾ من الذي فسّر الآية لأهل العناية؟ سيدنا رسول الله ﷺ، وجعل لها شرط واحد بعد مراقبة الواحد ﷺ وهو أن يكون التعامل لله، الزيارة لله، والإنفاق لله، والتواصل لله، والعمل لله، وأي معروف يقدمه لأي مسلم لا يرجو منه عطاءً ولا نوالاً، وإنما يرجو العطاء والنوال من حضرة الله جل في علاه، لا يريد من الخلق جميعاً إلا أن يكون الأمر بينه وبين مولاه: (تحابوا بروح الله) هذه هي المودة التي بين سيدنا رسول الله ﷺ وأنها سر الولاية.

إذا كانت المودة لدنيا أو لمصالح أو لمنافع وليست لله فتكون كما قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا أَخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٢٥ العنكبوت) إذا كانت المودة للدنيا فهي كعبادة الأوثان.

إذا هؤلاء القوم أحبوا الله، وأحبوا رسول الله، وأحبوا المؤمنين لله، وأحبوا الخلق جميعاً طلباً لمرضاة الله، ولذلك وصفهم الله ﷻ بأنهم أهل ولاية الله، وكلمة (ولاية) تعني القرب، ولي الله أي قريب من الله، والله ﷻ لا يحده حد، ولا جهة، ولا زمان، ولا مكان، لكن قريب من عنايته، قريب من عطاءاته، قريب من هباته، قريب من منحه، قريب من كل شيء يتفضل به الله ﷻ على عباده المقربين، فالقرب هنا معنى وليس قرب حسي، قرب معنوي تحسه القلوب في حالة الوصل مع حضرة علام الغيوب ﷻ، كما قال الإمام علي عليه السلام وكرم الله وجهه في حقيقة الإيمان: ((لا تراه العينان، ولا تسمعه الأذنان، وإنما تشعر به القلوب)) فالقلوب تشعر بمعنى القرب من الله ﷻ.

٥ مصنف بن أبي شيبة ومسنَد أبي داود الطيالسي عن البراء بن عازب ﷻ

خوف المقربين

هؤلاء القوم الذين قربوا من الله ﷻ قرب القرابة: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا يخافون من الصد، ولا يخافون من الهجر، ولا يخافون من البعد، ولا يخافون من الحرمان من عطاءات حضرة الرحمن، وهذا هو الخوف الذي يشغل العارفين والصالحين في كل وقت وآن، سيدنا رسول الله ﷺ عندما قرأ سورة هود شاب في شعره حوالي سبع عشرة شعرة، فقيل له: شاب شعرك يا رسول الله، فقال:

{ شَيْبَتْنِي هُوْدٌ وَأَخْوَاتُهَا }^٦

فسألوا الصالحين: ما الذي شيب رسول الله ﷺ عند قراءته لسورة هود؟ والصالحون لهم وجهات نظر يلهمهم ويعلمهم بها الله ﷻ، بعض الصالحين قال: عندما قال له الله ﷻ: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ (١١٢ هود) حدثت رجة لرسول الله ﷺ، فشاب الشعر، والإمام أبو العزائم ؑ كان له وجهة نظر أخرى، فقال: عندما كان يقرأ سيدنا رسول الله ﷺ في سورة هود سيرة الأنبياء والمرسلين مع أمهم، كان يقرأ: ﴿أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُوْدٍ﴾ (٦٠ هود) ﴿أَلَا بُعْدًا لِثَمُوْدٍ﴾ (٦٨ هود) ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُوْدُ﴾ (٩٥ هود) فكان عندما يقرأ كلمة البعد يخاف، فترتعث أطرافه ويبيض شعره:

خوف بعدي في القرب نار جحيمي شيب الرأس سيره أعياني

أهل القرب في حالة القرب كل ما يخوفهم أن يبعد عن هذا المقام الكريم، وأن يصد، وأن يحصل له هجر، وكان الإمام أبو العزائم ؑ يقول:

أنا لا أخاف وحقه من ناره كلا ولا أبغي الجنان لطبيها
فالقرب منه جنتي ومحاسني والبعد عنه ناره ولهيبها

كل ما يخاف منه أن يبعد، وهذا لمن ذاق وطاب له الوصال، وجلس على بساط الدلال، وتناول من كتوس الواحد الأحد المتعال، واختلط بالحبيب ومن معه وألبسوه خلعة الوصال، فيخاف أن يبعد عن هذا المقام طرفة عين، فطمأهم الله ﷻ وقال:

٦ الأحاديث المختارة ومسند البزار عن ابن عباس ؓ

﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ويقول في ذلك إمامنا أبو العزائم رحمته:

لا خوف يعرفوه إذ مولاه قريبه وليس يحزن من في روض جلوات

الذي يترقى في رياض المشاهدات والمعانيات والمكافحات على أي شيء يحزن؟!

هؤلاء الأقسام ما وصلوا إلى هذا المقام إلا بعد أن جعلوا الدنيا خلف ظهورهم، والأهواء كلها تحت أقدامهم (جعلت هواي تحت قدمي فسخر الله لي الهواء).

تركوا الدنيا خلف ظهورهم فصارت الدنيا تسعى خلفهم تحاول أن تقدم لهم ما يحتاجون وما يريدون وهم لا يلتفتون عن وجه الله ﷻ طرفة عين ولا أقل.

كل كلام عن الأولياء في القرآن له مقام غير السابق واللاحق، فهم درجات عند الله، معقد عزمهم، ومبلغ شأنهم مراقبة الله ﷻ على الدوام، ولا بد أن يجاهد المرء نفسه في هذا الأمر على منهج الحبيب، وأصحابه المباركين، حتى يصل لفضل الله، إلى مقام يقول فيه الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (١٢٨ النحل).

كيف يكون معهم؟ بنصره، وبتأييده، وبإكرامه وبعطائه وبهباته، وبصيانته وبوقايته، بكل ما يتمناه المرء من ربه ﷻ، يجد الله تولاه: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (١١٩٦ الأعراف)، ووجدنا حضرة النبي ﷺ لم يترك للأخرين تفسير الآية ففسرها في حديثه الكريم:

﴿ إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يُعْطِيهِمُ الْأَنْبِيَاءَ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تُخَيِّرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ : هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا ، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهُهُمْ لَتُورٌ ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : " أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " ، وفي رواية أخرى : { يَتَحَابُّونَ بِرُوحِ اللَّهِ ﷻ يَجْعَلُ اللَّهُ وُجُوهُهُمْ نُورًا ، وَيَجْعَلُ لَهُمْ مَنَابِرَ مِنْ لَوْلُؤٍ قَدَّامَ الرَّحْمَنِ ، يَفْرَعُ النَّاسُ وَلَا يَفْرَعُونَ ، وَيَخَافُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ }^٧

٧ سنن أبي داود والبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٨ الأسماء والصفات للبيهقي عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه

إذاً من هم الأولياء؟ كما وضّحهم الحديث، ولنا ملاحظات لطيفة في الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ:

الملاحظة الأولى:

في قوله ﷺ: { إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ } كيف يتمنى الأنبياء والشهداء منزلة هؤلاء القوم؟ أذكر في هذا المجال مولانا الشيخ محمد علي سلامة رضوان الله تبارك وتعالى عليه وضّح لنا وجلّى لنا هذا السر فقال: الأنبياء والمرسلون يوم القيامة في شغل تام بأممهم، ولذلك يقول سيدنا أنس رضي الله عنه:

{ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: أَنَا فَاعِلٌ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ، قَالَ: أَطْلُبْنِي أَوْلَ مَا تُطْلِبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أَحْطِي هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ }^٩

فالأنبياء والمرسلين سيكونون مشغولين بأممهم، لكن هؤلاء القوم يقومون من قبورهم إلى المنابر التي جهّزها الله ﷻ لهم في مواجهة العرش، لذلك يتمنى الأنبياء منزلتهم بسبب الراحة والهناء الذي هم فيه، لكن الأنبياء مشغولون بعبادهم وأولادهم وأتباعهم إلى أن يطمئنا عليهم.

الملاحظة الثانية:

نجد كل الناس تتمنى أن تكون تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، ويحاول أن يحجز له مكان ليكون تحت ظل العرش، وحضرة النبي ﷺ جعل لنا حوالي تسعة وسبعين خصلة ذكرها في مختلف أحاديثه ﷺ، كل خصلة لو عملها صاحبها فإنه سيحجز مكاناً له تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله.

لكن هؤلاء القوم ليسوا تحت الظل، ولكن قُدام عرش الرحمن في المواجهة: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة) هل يستويان؟! المقام الذي يظل من يوم القيامة

٩ جامع الترمذي ومسنده أحمد

وحرارته وظلماته وأهواله تحت ظل العرش هل يستوي مع المقام الذي في المواجهة؟! ﴿عَلَى
 الْأَرَابِكِ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (المطففين) غيرهم يكون عطشاناً،
 لكن هؤلاء ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ ﴿٣٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكَ﴾ (المطففين) لأن هؤلاء في مواجهة
 الله ﷻ، والله ﷻ بلا كم ولا كيف ولكن بأنوار تعالت معنوية، فإياك أن تُحَيِّرَ، فكل ما خطر
 ببالك فهو هالك، والله تعالى بخلاف ذلك.

الحب في الله

الملاحظة الثالثة :

حضرة النبي ﷺ بيّن أن أهم شيء عند هؤلاء القوم بعد مراقبة الله هو الحب في الله،
 والمودة في الله، والتعامل مع الكرام من الأنام في الله ولله:

فلا يتركون المعاملات مع الخلق لكن بشرط أن لا تؤدي إلى قطيعة، ولا تؤدي إلى
 فراق، لأن الأقوى بيننا الحب لله والمودة لله، ... فلا مانع أن نشتغل في تجارة، لكن يجب
 توثيق العقود كما قال الله ﷻ في قرآنه الكريم حتى لا نختلف، وإذا اختلفنا فالخلاف لا
 يفسد للود قضية، ... ولا مانع إن وجدت عند أخي في الله ابنة تصلح أن تكون لإبني زوجة
 صالحة، أن أطلبها منه، لكن هذا الأمر يحتاج إلى توفيق الله، وتوجيه القلوب بين الطرفين،
 وهذا بيد الله:

{ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعِينَ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ } ١٠

فإذا قال لي أخي في الله أن ابنته استخارت الله ﷻ ولا يوجد نصيب، فيجب أن لا
 يؤدي هذا الرفض إلى شقاق، ولا يؤدي إلى خصام، ولا يؤدي إلى تباعد، لأن هذا ليس هو
 أساس المعاملة التي بيننا، فالمعاملة التي بيننا أساسها في الله ولله.

وهذا جانب خطير يؤدي إلى مشاكل لا تُعد ولا تُحَد بين صفوف الأحبة في أي زمان
 ومكان، وهذا دليل على عدم الفقه في دين الله ﷻ، فنحن معنا " تحابوا بروح الله " وأي
 شيء آخر بعد ذلك ليس له علاقة بهذا الأمر، ولكن نعملها بشرع الله، حتى تكون أمورنا

١٠ جامع الترمذي وابن ماجة عن أنس ؓ

كلها محفوظة بحفظ الله ﷻ.

أخي يحتاج مني قرض، لا مانع، لكن بشرط أن يتم كتابته، لان الله ﷻ قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (البقرة ٢٨٢) هل نقول سمعنا وأطعنا أم سمعنا وعصينا؟! نقول سمعنا وأطعنا، قد يقول أحدهم: هذا مبلغ صغير، لكن الله ﷻ قال: ﴿وَلَا تَسْمَعُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ (البقرة ٢٨٢) الآجال بيد الله، ولذلك يجب أن نتمم كل أمورنا بالكتابة.

قد يقوم البعض بعمل جمعية ويرتبون من يأخذها الأول والثاني والثالث وهكذا، كذلك لا بد من تسجيل هذه الجمعية في منشور ويوقع عليه الكل ويكون هناك شهود، لأنه قد يقبض هذه الجمعية أحدهم ثم يموت، فما العمل؟! لذلك لا بد من تسجيل كل شيء بيننا لأن هذا هو شرع الله ودين الله جل في علاه.

وهذا الأساس الأول الذي نحن عليه، وهو الحب في الله، حتى نكون مع حبيب الله ومصطفاه ﷺ، وحتى ندخل في قول الله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢ يونس) لا نخاف هنا ولا هناك، وأهل هذا المقام يخافون أن يكونوا في الآخرة في مكان والأحبة في مكان آخر، هم في درجة والأحبة في درجة أخرى، لكن الله ﷻ طمأننا على السنة أصحاب حضرة النبي ﷺ أهل هذا المقام، قال رجل لرسول الله ﷺ:

{ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرٍ صَلَاحٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ }^{١١}

فلا بد أن نحافظ على جوهر المحبة، وهذا ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب لرسول الله، قليل الصبر عن فراقه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه، يعرف في وجهه الحزن:

{ قَالَ: لِأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَوَلَدِي وَأَهْلِي وَمَالِي، وَلَوْ لَا أَنِّي آتِيكَ فَأَرَاكَ لَحَشَيْتُ أَنِّي سَأَمُوتُ، وَيَكِي الْأَنْصَارِيِّ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا أَبْكَاكَ؟، قَالَ: ذَكَرْتُ

١١ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

أَنَّكَ سَمَّمْتُ وَنَمَوْتُ، فَتَرَفَعَ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَنَحْنُ إِنِ دَخَلْنَا الْجَنَّةَ كُنَّا دُونَكَ، فَلَمْ يُخْبِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ بِشَيْءٍ فَنَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء) فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبَشِرْ» ١٢

يُنزَلُ الْحَقُّ مِنْ أَجَلِهِ وَمِنْ أَجْلِ أَمْثَالِهِ قُرْآنٌ يُتْلَى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ!! هُنَاكَ أَصْحَابُ الْأَجْرِ، وَأَصْحَابُ الْإِنْعَامِ، أَصْحَابُ الْأَجْرِ يَعْدُونَ لَهُمُ الْأَعْمَالُ وَيَعْطَوْنَهُمْ حَسَنَاتٍ وَزِيَادَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لَكِنْ أَصْحَابُ الْإِنْعَامِ سَيَأْخُذُونَ الْأَوْسَمَةَ وَالنِّيَاشِينَ، وَسَيَكُونُونَ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مَعَ الْمُقْرَبِينَ، وَمَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَمَعَ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ لِلخَلْقِ أَجْمَعِينَ سَيَدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ﴿ أَخَذُوا هَذَا الْمَقَامَ بِالْفَضْلِ مِنْ صَاحِبِ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ: ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (البقرة) ١٠٥.

إِذَا أَحْرَصَ شَيْءٌ يَجِبُ أَنْ تَحْرَصَ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِكَ حَتَّى تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِمْ الْمَحَبَّةُ فِي اللَّهِ وَوَالِدِهِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَعَكِّرَهَا بِالدُّنْيَا، وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْمَحَ لِلهَوَى أَنْ يَدِيرَهَا أَوْ يَغْيِرَهَا، وَلَكِنْ كُنْ دَائِمًا حَارِسًا وَحَرِيصًا عَلَى أَنْ يَكُونَ حَبْكُ خَالِصًا لِلَّهِ جَلَّ فِي عِلَالِهِ، وَهَذَا شَيْءٌ سَهْلٌ وَمَيْسُورٌ، وَلَكِنْ يَحْتَاجُ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ يَقْضَى لِبَدَوَاتِ النَّفْسِ، وَهَفْوَاتِ وَوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، لِأَنَّهُمْ يَحَاوِلُونَ أَنْ يَكْدُرُوا عَلَى الْإِنْسَانِ هَذَا الْحَبَّ.

ترباق الأغيار

وَالْإِنْسَانُ إِذَا أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَإِخْوَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا بَدَّ أَنْ يُمْتَحَنَ، فَيَتَعَرَّضُ لِلْإِغْرَاءَاتِ، وَاللَّهُ ﷻ ذَكَرَهَا فِي الْآيَاتِ: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَضُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٤ التوبة) وهذا هو الميزان!

١٢ رواه الطبراني في الكبير عن عبدالله بن عباس ؓ.

فإياك أن تكون أي و احدة من هذه الأشياء تغلب عندك في باطنك على حب الله ورسوله، لا بد أن يكون حب الله ورسوله هو الأعلى والأرقى والأبهى والأعلى على الدوام، وهذه أحوال الصالحين عندما نطالع سيرهم، نجدهم على هذه الشاكلة.

الحب لله والرسول يزيد، فيحرق الأغيار، والقلب مُقلبه لا يريد فيه سواه، وأي شيء يدخل سواه يسبب الحجب لصاحب هذا القلب عن جمالات الله، وكمالات الله، وعن حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

كيف نُخرج من القلب كل شيء من الأغيار؟ لا يحرقه ولا يطرده إلا نار المحبة، إذا أوقدت بدوام صحبة الأحبة لله، فتُفَرِّغ كل ما في القلب، وتجعله صافياً لله جل في علاه:

نار المحبة كم أذابت مهجتي	وأخو المحبة لا يميل لغيرها
يا لائمين محمداً رفقا به	فهو الذي ذاق الجحيم وحرها
قسماً بمن أنا فيه ميث مغرم	لو فُتِحَتْ أبوابها لقلتها

سألوا أحد العارفين: لو أطفأت نار جهنم كيف يوقدها الله ﷻ؟ فقال: يُسلط عليها شرارة من نار محبة أوليائه فتوقد: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٦٥ الفرقان) الغرام في الحبيب السامي ﷺ، وشدته هو الذي يمحو السوى، ويُطهر القلوب، ويجهزها لصافي المشروب، وهي البشريات التي تحدث عنها الله ﷻ في قرآنه المكنون.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٦٣ يونس) والتقوى درجات، بدايتها للسالكين

التعريف الذي عرّفه بها الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه: ((الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل)) أربعة مراحل، وهذه بدايتها، وما غايتها؟ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ (١٠٢ آل عمران) وقال في ذلك ابن مسعود ﷺ وآخرون:

{ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يَكْفَرُ وَأَنْ يَذَكَرَ فَلَا يُنْسَى } ١٣

كل هذه التقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَدُّكُمْ﴾ (١٣ الحجرات) ليس التقى، ولكن أتقاكم بصيغة المبالغة، فكلما يزيد في التقى يزيد في رفعة المقام عند الله، وفي المنح والعطاءات الإلهية التي ذكرها الله.

بشريات الصالحين

﴿ لَهُمُ الْبَشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ والبشرى على قدر تقواه، وعلى

قدر قربه من مولاه، وعلى قدر نظرات الحبيب المصطفى ﷺ التي تواليه وترعاه، والبشريات لا عدَّ لها ولا حدَّ لها، وأولها كما قال ﷺ:

{ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النَّبُوَّةِ، إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ،
أَوْ ثَرَى لَهُ }^{١٤}

بدايتها عندما يطهر القلب فيبدأ يقتبس من الملكوت الأعلى الرؤيا، إذا كان من أهل الصفاء، ولا شأن لنا بالأحلام، فالحلم هو الشيء المشغول به الإنسان في يومه فيراه عند منامه، وهذا من الشيطان، لكن الرؤيا تأتي من الله ﷻ على جناح طائر، وهو ملكٌ مُخصَّص للرؤيا، والرؤيا هي بداية الصالحين.

حضرة النبي ﷺ كانت فترة نبوته ثلاث وعشرين سنة، وقال في الرؤيا:

{ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ }^{١٥}

لأنه ﷺ مكث - كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها - ستة أشهر تأتبه الرؤيا الصالحة، فإذا أراد الإنسان أن يظل في الرؤيا الصالحة طوال عمره فقد حجب نفسه.

فالرؤيا هي البداية، لكنه بعد ذلك يريد الكشف، ويريد الشهود، ويريد الأنس، ويريد اللطف، ويريد الأسرار، ويريد الأنوار .. بشريات لا عدَّ لها ولا حدَّ لها!

لكن أعظم البشريات للمؤمن في دنياه أن يرزقه الله ﷻ الاستقامة في العمل بشرع الله، وهذا أمر يغفل عنه كثير من الناس، فالرؤيا قد يدخل الشيطان فيها، لكن أكبر بشرى للمرء أن يرزقه الله ﷻ الاستقامة، ويجد نفسه تميل دائماً للمحافظة على شرع الله ﷻ، والعمل بما يحبه الله ﷻ ويريضاه.

أو أن يرزقه الله ﷻ التوفيق، والتوفيق لم يُذكر في القرآن كله إلا مرة واحدة وعلى

١٤ صحيح مسلم وسنن أبي داود عن ابن عباس ﷺ

١٥ صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ

لسان نبي: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (٨٨ هود) فلا يُحكم أمر إن كان بلسانه أو بيده أو غير ذلك إلا ويرى الخير فيه، ويرى الخير فيه أيضاً أهله وذويه، فيكون مباركاً، وهذا من توفيق الله، وتوفيق الله ﷻ قال فيه ابو الدرداء ﷺ فيما اشتهر بأنه حديث:

{ قَلِيلٌ مِنَ التَّوْفِيقِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ }^{١٦}

كذلك يجد في نفسه ميلاً شديداً إلى التفقه في الدين، وزيادة الاطلاع على ما أتى به سيد الأولين والآخرين لأنه قال ﷺ:

{ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ }^{١٧}

يريد أن يتفقه في الدين ليتكلم، وهذا ليس طريقنا، لكن يتفقه في الدين ليعمل، ويرضي رب العالمين ﷻ، يطلب العلم للعمل، ولا يطلب العلم للنشر والإذاعة والظهور وما شاكل ذلك، إذا كان عنده رغبة في العلم النافع فهذا من توفيق الله ﷻ.

إذا وجد في نفسه ميلاً قليلاً إلى الإصلاح بين المؤمنين، فهذا يكون في درجة النبيين: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ (٨٨ هود) يريد أن يصلح بين فلان وفلانة، وبين فلان وفلان، فهذا على قدم النبيين إذا وجد في نفسه ميلاً شديداً إلى خدمة الفقراء والمساكين والمنقطعين من أمة محمد أجمعين.

الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه يقول:

((ذهبت إلى أبواب القرب فوجدت باب العبادات مزدحماً، فذهبت إلى باب المحبة فلم أجد عليه إلا نفرًا قليلًا)) . باب العبادات نهايته الجنة لو كانت هذه العبادات خالصة ومقبولة، لكن الصالحين عندما تنظر إلى سيرهم كيف نجدهم وصلوا إلى الله؟ وصلوا بخدمة الفقراء والمساكين وبالصلح بين المتخاصمين، وبنشر المحبة بين المبغضين والكارهين، وهذه رسالات الأنبياء والمرسلين، وهم القائمين بها في الدنيا بهذه الكيفية.

١٦ أوردته صاحب الإحياء على أنه حديث وقال العراقي لم أقع له على أصل، وقد رواه صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء ﷺ بلفظ الغفل بدلاً من العلم، كما روى عن ابن السماك ﷺ بقوله: قليل من توفيق، أحب إلى من كثير من عمل، كذا في (بجحة المجالس وأنس المجالس وشحن الداهن والهاجس).

١٧ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ

لكن العبادة رسالة الملائكة، منهم القائم أبداً، ومنهم الراكع أبداً، ومنهم الساجد أبداً، ويأتي يوم القيامة ويقول: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

هذا طريق، وهذا طريق، فطريق الأنبياء والمرسلين مع الآخرين، فيجب أن يكون لك دور مع الآخرين، وهذا حال الصالحين أجمعين في كل زمان ومكان، منذ عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا.

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ وأول الآخرة عند خروجه من الدنيا، تأتيه المبشرات الصالحات، يرى مقعده من الجنة، أو تأتيه ملائكة الرحمة، أو يأتيه حبيب الله ومصطفاه ليحضر خروج روحه ويصلي عليه كما أمره الله: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ (١٠٣ التوبة).

مات رجل من الصالحين، وبعد أن غسلوه، وذهبوا به ليدفنوه، وكان من عادتهم في هذا الزمان أنهم يكشفون وجه الميت في قبره ويضعون تحت صدغه قالباً من الطوب بدون ساتر تذلاً لله ﷻ، يحكي صديق له أنه بعد أن وضع قالب الطوب تحت صدغه إذا به يجلس ويقول: أنذلني بين يدي من دلني؟! فقال: أحياة بعد الموت؟! فقال: أنا حي، وكل محب لله ﷻ حي!! فأحباب الله ﷻ أحياء، قال فيهم ﷻ:

{ إِنَّ أَكْثَرَ شُهَدَاءِ أُمَّتِي أَصْحَابُ الْفُرُشِ، وَرُبَّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفِينِ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ }^{١٨}

لكن هؤلاء ماتوا بسيف المحبة، غير الذي مات بسيف الأعداء، فهؤلاء القوم أحياء عند ربهم يُرزقون، أرزاق معنوية إلهية لا نستطيع أن نبينها في الحياة الدنيوية، وإنما هم في مُتَع وهناء إلى يوم اللقاء إن شاء الله رب العالمين.

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ ناهيك بشيء يقول عنه الله: ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ماذا تريد بعد ذاك يا أبا الإسلام؟! بعد أن يُخبرك الله ﷻ أن هذا هو المقام العظيم، ومن دخل فيه فهو الذي فاز فوزاً عظيماً، لأنه سيعظمه العظيم ﷻ يوم لقاءه، سيكون من المعظمين، ومن المكرمين، ومن الأحبة، ومن المتقين: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

١٨ مسند أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ

مرآة النبي

ثم أعلم الله ﷺ أصحاب هذا المقام لأنهم ورثة النبي، أو ورثة الأنبياء فلا بد أن يكون لهم نصيب من معاداة الخلق لهم: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣١ الفرقان) لا يوجد ولي صادق إلا وله أعداء، كالأنبياء والرسل، من يستهزأ به، ومن يسخر منه، ومن يشتمه، ومن يحاول أن يؤذيه، لكن في النهاية: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (١٩٥ الحجر).

لذلك لا بد أن يوطن نفسه على ذلك، ولكن إذا ضعف وقال في نفسه كيف أكون قريباً من الله ويترك فلان يؤذيني، وفلان يفعل بي كذا وكذا؟! وتأخذه الحمية، فيريد أن يدمر هذا، ويريد أن يهلك هذا، ويريد أن يصيب بسوء هذا!! هذا لا يصلح في ولاية الله ﷺ، لأن الله ﷺ عاتب سيدنا إبراهيم الخليل عندما جاءه ضيف وقدّم له الطعام، وطلب منه أن يُسمِّ الله، فرفض الضيف، فقال له: ما دينك؟ فأخبره بدينه، فقال: لن تأكل حتى تؤمن أولاً، فرفض الطعام وتركه، فعاتب الله ﷺ إبراهيم، وقال له:

{ يَا حَلِيلِي حَسَنَ خُلُقِكَ وَلَوْ مَعَ الْكُفَّارِ، تَدْخُلُ مَدَاخِلَ الْأَبْرَارِ }^{١٩}

الله ﷺ يرزقه طول عمره ولم يسأله، وأنت من أجل لقمة تريده أن يؤمن!!

فأحوال الصالحين عن هذا، فكما يرثون بشرى سيد الأولين والآخرين لا بد أن يرثوا توصيات الله له في كتاب رب العالمين: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١٩٩ الأعراف) ... !!!

أنت تريد أن ترث الأنوار من غير أن تأخذ قسط من متاعب الأشرار والفجار!! لا بد من ذلك.

إذاً يجب أن تؤهل نفسك لهذا الأمر، كيف؟

أن تتق في الله، وتعلم أن الله ﷺ إذا لم تلتفت إلى غيره سيكفيك كل هؤلاء!!

كما قال تعالى لحضرة النبي ﷺ: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (١٩٥ الحجر) ..

١٩ الطبراني والأماشي المطلقة لابن حجر عن أبي هريرة ؓ

يقول لنا أجمعين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (الحج: ١٣٨):

- إذا أراد أحد أن يؤذيهم بالقول وما شابه!
- وإذا كان بالفعل فكما في القراءة الأخرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يدفع عنهم كل سوء وكل شر وكل ضر:

{ وَاعْلَمَنَّ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ جَفَّتِ الْأَقْلَامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ }^{٢٠}

- وسينقلب هذا الضر إلى خير!
- وتراه حقيقة جليلة، كما رآه الصالحون في كل زمان ومكان.
- معنى ذلك أن الإنسان الذي يقربه مولاه، ويؤنسه ﷺ ببشرياته التي أشار إليها في كتاب الله؛ لا يظن يوماً أنه سيسلم من خلق الله، وفي الأثر قال موسى ﷺ:

{ يا رب، أسألك أن لا يذكرني أحد إلا بخير. قال: ما فعلت ذلك لنفسي }،
وروى أنه قال: { يا رب، احبس عني كلام الناس. فقال الله ﷻ: لو فعلت هذا بأحد لفعلته بي، وروي: يا موسى هذا شيء لم أصطفه نفسي فكيف أفعله بك؟ }^{٢١}
كيف يذكرونك بخير أم كيف يرضيهم عنك؟ أو يرضون عنك؟

لكن الذي يرضى عنك المتقون! ... هؤلاء هم الناس في نظر رب الناس ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنَّ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (٥٤ النساء)، سيدنا جعفر الصادق ﷺ قرأ الآية وقال لمن حوله: { نحن الناس المذكورون في هذه الآية، لأننا المخصوصون بفضل الله }، لم يقل الله: (على ما أتاهم من رزقه) ولكن (من فضله) ... من الذي معه الفضل؟
هؤلاء القوم! ... والذي معه فضل هل لا يحسد؟! قال ﷺ:

٢٠ مسند أحمد والترمذي عن ابن عباس ﷺ
٢١ أخرجها أبو نعيم عن وهب في الدر المنثور

{ كُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ }^{٢٢}

والحسود لا بد أن يحاول أن يشوهه، ويحاول أن يؤذيه، ويحاول أن يُسيء إليه، لكن إذا أوكل أمره وفوض أمره إلى الله، وقال كما قال الله: ﴿ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٤٤ غافر) تأتية وقاية الله في قول الله: ﴿ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُؤًا ﴾ (٤٥ غافر) إذا لا يجب أن نشككي! وفي الإحياء قيل للحسن:

{ يا أبا سعيد إن قوماً يحضرون مجلسك ليس بغيتهم إلا تتبع سقطات كلامك وتعنيتك بالسؤال؛ فتبسم وقال للقائل: هوّن على نفسك فإنني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت، وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لأنني قد علمت أن خالقهم ورازقهم ومحبيهم ومميتهم لم يسلم منهم. }

إذا كيف أعبد الله، وفلان يضربني ولا يأتيه ضرر، وأنا أدعو عليه؟

لماذا تدعو عليه؟! لقد قال ﷺ:

{ مَنْ دَعَا عَلَيَّ مِنْ ظَلَمَةٍ فَقَدْ انْتَصَرَ }^{٢٣}

فلا يقام لك قضية يوم القيامة لأنك دعوت عليه!

لكن عليك أن تقول: ﴿ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٤٤ غافر).

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا بجمال هذه الآيات ... وأن يُكرمنا بهذه العنايةات ..

وأن يجعلنا على هذا المقام الكريم في البدايات والنهايات، وأن يُفرحنا أجمعين بمعية سيد السادات، وأن يكتبنا في عداد عباده الصالحين، وأن يجعلنا من الذين يجلسون على أرائك المحبة ولوجهه ﷻ ناظرين، وأن يتفضل علينا دوماً بتوفيقه ورعايته وصيانته وحفظه في كل وقت وحين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٢٢ معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل ﷺ

٢٣ جامع الترمذي ومسند الشهاب عن عائشة ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَيَلْبَسُونَ
خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ
غَيْرٌ مَجْذُودٍ ﴾ (١٠٨ هود)

٤: أهل السعادة!

كلام الله ﷻ يحتاج إلى التدبر والإدكار لكي نفقه مراد الله ﷻ في كلامه ...

هذه الآية - نسأل الله أن نكون من أهلها أجمعين - فيها ملاحظات لا تبدو من أول وهلة لمن يقف عند ظاهر الآيات، ولا يتدبر ما فيها.

أول ملحظ بها: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا﴾ :

والسعادة من الله، وليست منا نحن، لا بعمل ولا بأمل ولا بعلم:

إن مولانا تنزهه عن علل إنه الرب المنزه والكبير

والحبيب وضح هذه الأمر

فأول ما خلق الله الخلق أين كنا؟ قال ﷻ:

{ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ ﷻ قَبَضَ مِنْ طِينَتِهِ قَبْضَتَيْنِ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِيَدِهِ الْأُخْرَى، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ: هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي بِيَدِهِ الْأُخْرَى: هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَلَا أَبَالِي، ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ فَهُمْ يَتَنَاسَلُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْآنَ }^٢

وليست يمين الله كيميننا هذه، نزه الله، فكل ما خطر ببالك فهو هالك، والله ﷻ بخلاف ذلك، لكنه يأتيك بما هو على قدر فهمك.

فمن قدر الله له الجنة، وهل كنا نعرف شيئاً وقتها؟ وهل كنا عملنا شيئاً؟ وهل كنا صلينا ركعة؟ وهل سبحنا تسبيحة؟ أبداً، لكنه كان يعرف أن هذا سيأتي فيما بعد.

فاخترنا الله ﷻ لسعادته، وجعلنا في الدنيا والآخرة من أهل جنته.

١ المنيا - مغاغة - عذبة عثمان - ٢٤ من رجب ١٤٣٧ هـ / ١٦/٥/٢٠١٦ م

٢ مسند البزار والطبراني عن أبي موسى ؓ

أهل الشقاوة

وأما من قدر لهم الله النار، فما ذنبهم؟

يقول لنا في القرآن: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾

(١٧٧ فصلت) هم من اختاروا طريق العمى، لكن ما من مولودٍ إلا ويُولد على الفطرة.

أهل الغرب - أهل الكرب - لا يأتي شيء من عندهم يسرُّ القلب، قد يسر النفس الخسيسة الإبليسية الشيطانية، لكن ما يسر القلب لا يأتي إلا من عند حبيب الله ومصطفاه وأحباب الصالحين.

وهؤلاء يعملون الآن أفعال لا ترضاها الحيوانات لنفسها، تخلُّوا حتى عن الفطرة؛ الفطرة الإلهية التي فطر الله الناس عليها، والمصيبة العظمى أنهم يريدون أن يجبرونا نحن على هذا، يريدون من أهل الإسلام إباحة الشذوذ ويقولون: كيف تعادون الشذوذ، وهذا الشذوذ حق، هل هذه فطرة الله؟! وهل يوجد صاحب فطرة سليمة يقبل هذا الوضع؟! فهؤلاء كما قال الله فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَصْلًا﴾ (١١٧٩ الأعراف).

لأن الأنعام تسير على المنهج الذي علمه لهم الله، لكن هؤلاء لا يوجد شيء أتى به الله إلا ويريدون أن يغيروه ويبدلوه.

ف نجد رجلاً خلقه الله رجلاً فيذهب للطبيب ويحوّل نفسه إلى أنثى، أو أنثى تتحوّل إلى رجل، لماذا تخالف الفطرة؟! لكن الله يعرفنا أنهم متخلفين في الفطرة، والفكر، وإن كانوا أعلى منا في العلم.

أين الفطر السليمة المستقيمة؟! يريدون الشيوعية التي ليس فيها زواج ولا خصوصية، وهل الحيوانات ترضى بذلك؟ أبداً.

الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه عندما ذهب إلى باريس، قالوا له: تعالي معنا لنريك مزارع الخنازير، فذهب معهم فوجد المزارع في غاية الفخامة والنظافة والمباني والأكل والعناية البيطرية، فقالوا: هذه هي الخنازير عندنا كما ترى، وأنتم تقولون: أننا نطعمها قاذورات، وأنت كما ترى أكلها نظيفٌ جداً؟ فلم حرم الإسلام أكلها؟

فقال لهم: الأمر غير ذلك، ائتوني بخنزيرة أنثى وذكرين، وتكون الأنثى تشتهي الوقاع، فأتوا له بما طلب، فوجد الذكرين يعاونا بعضهما وهذا يساعد الآخر، ثم قال: لهم: ائتوني بديكين ودجاجة، فوجدوا أن الديكين كادا يقتلان بعضهما البعض، فقال لهم: من أجل ذلك حرم الله أكل الخنزير لأنه يقتل الغيرة عند الإنسان، فالإنسان يتأثر وتصيبه عدوى من اللحم الذي يأكله، فمن يأكل لحم الخنزير لا يكون عنه غيرة، ولذلك هم ليس عندهم غيرة لابين الرجال ولا بين النساء.

وهم يريدون أن يصدرُوا لنا هذا الأمر، وكل القبائح التي تصيب الفرد والإنسان يريدون تصديرها لنا باسم المدنية والحضارة، فهؤلاء كما قال حضرة النبي ﷺ عن الله ﷻ:

{ هُوَلاءِ لِلنَّارِ وَلَا أَبَالِي }^٣
الجنة العاجلة

لكن بالنسبة لنا: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾ هل قال: سيدخلون الجنة؟

لا، لكن هم الآن في الجنة: ﴿فَفِي الْجَنَّةِ﴾ وما الدليل؟ ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (١٠٨هـ).

وهل يوجد سماوات وأرض في اليوم الآخر؟ لا، لكن تطوى السماوات وتطوى الأرض، وكل شيء، فما معنى الآية، يقولون: إذا كنت قد كتب الله لك الهداية، وتريد أن تكون من أهل العناية، فاجعل أحوالك كلها وأنت هنا في الدنيا في الجنة، وكيف ذلك؟ اجلس دائماً في الجنة! ... وهل يوجد جنة في الدنيا؟ ... نعم، قال ﷺ:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ:

مَجَالِسُ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَحَلَقُ الْقُرْآنِ }، وفي رواية أخرى: { إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ

فَارْتَعُوا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ الْعِلْمِ }^٤

فإذا أردت أن أكون من أهل العناية، أكون دائماً في مجلس من هذه المجالس، إما أن

٣ مسند البزار والطبراني عن أبي موسى ﷺ

٤ الأول: المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أنس (رقم ٢٢)، والثاني: المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس ﷺ

أكون جالساً في ذكر، أو في تلاوة قرآن، أو في تحصيل علم، حتى ولو كنت وحدي، فهل وأنا وحدي يكون مجلساً؟ نعم، قال ﷺ:

{ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيْنَا حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحْفُوهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا } °

فإذا جلست وحدك تذكر الله فالملائكة التي في الكون سيأتون إليك ويجلسون حولك ويقيمون حلقة الذكر معك، ولكنك لا تنتبه لذلك، فأنت قد أصبحت في روضة من رياض الجنة أو مع كتاب الله، فإذا كنت تعمل في الحقل ومشغول، أسمع، وهل السمع يعني من العمل؟ لا، بل يُشجعي على العمل، ويعطيني قوةً وعزيمة، فالسامع والقارئ لهما من الأجر مثل بعضهما تماماً، قال ﷺ:

{ الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْأَجْرِ }

إذا دائماً يكون إما في مجلس علم، وإما في مجلس قرآن، وإما في مجلس ذكر لله، فأكون في هذه المجالس المباركة على الدوام، وبذلك أكون دائماً في الجنة العاجلة، وهي التي يقول فيها بعض الصالحين: ((إن لله جنة عاجلة من دخلها لا يحتاج إلى الجنة الآجلة، قيل: وما هي؟ قال: معرفة الله تعالى))، .. وكان بعضهم يقولون له: أنت دخلت الجنة أو رأيت الجنة؟ قال: ((جنتي في صدري حيثما مشيتُ فهي معي))!

وما الجنة التي في صدره؟ ذكر الله: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (١٢٤ الكهف) طوال سيره يذكر الله في نفسه: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (١٩١ آل عمران).

فمجالس الخير، ومجالس البر، ومجالس الرحمة، ومجالس الهداية، ومجالس القرآن .. كل هذه المجالس تكون روضة من رياض الجنة، والمسلم عليه أن يتقلب في رياض الجنة في حياته الدنيا، من روضة إلى روضة، فإذا أنهى روضة يذهب لروضة أخرى.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة
٦ سنن ابن ماجه والطبراني عن أبي امامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ وَمَنْ تَابَ
مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا
إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا
لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ
أَحْسَنَ يَدَهِنَ يُدْهِبُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ
ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ
اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

٥: أهل الاستقامة

d d

كثيراً من الأحاب يسألني ويقول لي: أريد أن أكون من أصحاب المقامات العالية، والأحوال الراقية؛ مثل الصحابة الأولين، والأولياء والصالحين، وآخذ مدداً مباشراً من سيد الأولين والآخريين !!!

ونحن كلنا نريد ذلك، وكلنا طُلاب هذه المنازل العالية، والدرجات الراقية، من منا لا يريد أن يكون مع ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (٢٩ الفتح)، فما الخُطة التي تُوصلنا لذلك؟ وما الروشنة القرآنية الإلهية والتي إذا مشينا عليها وصلنا إلى ذلك؟ الآيات التي بين أيدينا من كلمات حضرة الرحمن ﷺ، فاسمعوها وعوها، وحاولوا بعد ذلك أن تعيشوا فيها ليُكرمكم الله ﷺ بالأسرار والأنوار والمقامات العالية التي فيها.

روشنة الاستقامة

ماذا في هذه الروشنة؟

أولاً: القيام بأوامر الله

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ :

وهل سيدنا رسول الله - حاشا لله - لم يكن مستقيماً؟! لا، لكن جرت عادة الملوك أن يخاطبوا العامة في قائدهم وإمامهم، فالخطاب يكون لقائد الجماعة وهو موجّه لكل الجماعة التي تسير معه وتنتدي بهديه وتنتهج بنهجه.

سيدنا رسول الله ﷺ ضرب الله لنا المثل في شأنه، فإن الله كلفه بتكليفات إلهية ربانية غير ما كلف به جميع الأمة الإسلامية الحمديّة، فمثلاً كلفنا الله بالصلوات الخمس، لكنه كلفه بفريضة سادسة: ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمَزْمِلُ ﴿٦٦﴾ قُمْ أَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (المزمل) ..

هل هذا التكليف لنا؟

لا، بل له ﷺ، وهو تكليف زائد من الله ﷻ.

وهو كلف ذاته بصيام الوصال، ونهى أصحابه عن صيام الوصال، والوصال يعني الصوم أيام متتالية بدون فطور ولا سحور، ولما أراد أصحابه أن يتابعوه في ذلك قال لهم:

{ إِيَّاكُمْ وَالْوَصَالَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيْتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي، فَتَكَلَّفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ }^٢

فلا بيت عندهم في المدينة، ولكن بيت عند الله ﷻ.

وكلفه الله ﷻ بالرسالة: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ (٦٧ المائدة) مهما تمالي الكافرين، ومهما اشتدت عداوة المشركين، حتى ولو كان بمفرده، لكن لا يستطيع أن يتهاون بهذا التكليف الإلهي، ولذلك عندما عرضوا عليه المال والملك والطب رفض ذلك كله، لأنه تكليف من الله، وقال لعمه:

{ يَا عَمَاهُ، لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ }^٣

فهذا تكليف من الله ﷻ أن يبلغ رسالة الله، والخلق جميعاً لو كانوا ضده لكنه لا يتأخر ولا يتباطأ عن دعوة الله وإبلاغ رسالة الله.

تكليفات كثيرة لا نستطيع ذكرها الآن، ومن يُرد الزيادة يرجع لكتاب (الخصائص) لسيدي جلال الدين السيوطي رضوان الله تبارك وتعالى عليه، وكتاب الخصائص أربع أجزاء في مجلدين، إثنين جمع فيهما الخصائص التي خصَّ بها الله حضرة النبي وحده، غير الأمة وكلها خصائص إلهية وتكليفات ربانية كلفه بها الله ﷻ.

﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ ﴾ :

كل الأوامر التي جاءتك من الله إياك أن تتواني عن أمر منها، ومن يُرد أن يكون معه

٢ بحر الفوائد للكلايازي عن أبي هريرة رضي الله عنه
٣ تاريخ الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما

- وهذا بيت القصيد - يستقيم على تنفيذ كل ما جاءنا به حبيب الله ومصطفاه؛ من عبادات، ومن معاملات، ومن أخلاق، ومن سلوكيات، لا يفاضل بين هذه وتلك، لكن يعمل بالكل ليكون من أهل الإستقامة، سيدنا سفيان الثقفى رضي الله عنه قال:

{ يا رسول الله قل لي قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك ، قال : قل : آمنتُ بالله ،
ثم استقم }^٤

الإستقامة هي رأس المال التي كلفنا بها الله ﷻ في كل المجالات الدينية، وفي الآيات القرآنية، وفي سنن الحبيب النبوية صلوات ربي وتسليماته عليه.

فالإستقامة جامعة لكل برامج الإصلاح؛ إصلاح المجتمعات والأفراد، وإصلاح البلاد والعباد، فجمع الله ﷻ الإصلاح كله في الإستقامة ولذلك كان كثير من الصالحين في تربيتهم للمريدين الصادقين يقولون: ((كن طالباً للإستقامة لا طالباً للكرامة)).

فإن ربك يريد منك الإستقامة، ونفسك تريد منك الكرامة، وأنت ماذا تريد؟ طلب النفس؟ أم طلب الله؟.

فهذا المطب الذي يقع فيه كثير من المريدين والسالكين المبتدئين، بمجرد ما يسلك طريق الله، ويفتح الله عليه شيء من الطاعات والعبادات، ويفتح الله عليه شيء من النوافل والقربات، وقد يمدُّه الله ﷻ بشيء من العلوم الإلهية والإلهامات، فيريد أن تظهر الكرامات على يديه ليقول الناس: الشيخ فلان تظهر على يديه كرامات، والشيخ فلان راح، والشيخ فلان جاء، وهذه هي الماحقة التي تمحق السالكين، وتبعدهم بُعداً كلياً عن الطريق السديد الذي كان عليه سيد الأولين والآخرين ﷺ.

كن طالباً للإستقامة لا طالباً للكرامة، وماذا أفعل بهذه الكرامة؟ فالكرامة قد تظهر على أيدي الدجالين والسحرة وما يُشبههم، وقد تظهر على أيدي الهنود الذين يمارسون اليوجا، فماذا أفعل بها؟!.

ما منهج الحبيب؟

الإستقامة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾ (٣٠ فصلت) لا شأن لهم بالناس،

٤ مسند أحمد وابن حبان ومسلم

ولا يريدون الناس، ولا يلتفتوا إلى الناس، لكن تنزل لهم بشريات من رب الناس: ﴿تَتَعَزَّزُوا عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠ فصلت).

إذا رأى رؤيات، أو مشاهدات، وبدأ يحكيها للسامعين والحاضرين، فتكون نفسه لا زالت حيّة، وتحتاج إلى جهاد شديد ليتابع سيد الأولين والآخرين، ولذلك جعل الصالحون لذلك موازين، فقالوا: ((إذا رأيت الرجل يُكثر الحديث عن خصوصيته، فاعلم أن ذلك نقصٌ في مقام عبوديته)).

لكن نتكلم عن الله، ونتكلم عن رسول الله، ونتكلم عن الصالحين الصادقين من عباد الله، فلو قبلوني خادماً تحت أعتابهم فيا هنائي، ولكن أدخل نفسي بينهم، وأجعل نفسي من الصالحين، أجعل لها كرامات ودواوين لكي يتبعني الناس!!.

وماذا يفعل لي الناس؟! هب أن الخلق جميعاً اتبعوك، فهل ينفعوك بشيء؟ أو هل يدفعوا عنك ضراً؟!، لكن أهل اليقين منتبهون لهذا الأمر، لأنهم يريدون أن يكونوا في معية سيد الأولين والآخرين ﷺ.

آفات السلوك

ثانياً: الإنتهاء عن جميع ما نهى عنه الله

: ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ :

والطغيان يعني مجاوزة الحد، إياك أن تتجاوز الحدود التي حددها الله ﷻ، فالله ﷻ كلّفنا بتكليفات ونهانا عن معاصي ومخالفات، وتمام الإستقامة أنني أقوم بما ينبغي عليّ قدر وسعي وطاقتي من التكليفات، وأحفظ نفسي قدر وسعي وطاقتي عن جميع المعاصي والذنوب والسيئات.

وأكبر ذنبٍ عند السالكين هو الغفلة عن ذكر الله طرفة عينٍ أو أقل، وأنا أذكر ذلك لأن كثيرٍ من الأحباب لا ينتبه إلى أن الغفلة في ذاتها أعظم ذنبٍ، فكيف تغفل عن الله وهو لا يغفل عنك ولا يسهو عنك ولا ينسأك طرفة عينٍ ولا أقل؟!!

﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (١١ الطلاق) من يتعدى الحدود التي رسمها الله

ﷺ والتي قال فيها: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ (البقرة ٢٢٩) إياكم أن تتجاوزوها، أو أن تعفوا فيها، فهذا حاد عن طريق الإستقامة، وليس له نصيبٌ في هذا الفتح وهذه الكرامة.

فالمؤمن يسير على شقين، يسير على المحافظة على الأوامر الربانية والتكليفات الإلهية، والبعد بالكلية عن كل النواهي التي نهي عنها رب العباد في آياته القرآنية، وزاد في إيضاحها وبيانها الحبيب ﷺ في سنته النبوية ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾ (البقرة ١٨٧).

مرة يقول: " فَلَا تَعْتَدُوهَا " ومرة يقول: " فَلَا تَقْرُبُوهَا " يعني إياك أن تُقترَب منها، لأنك لو اطمأنت على نفسك وتقربت، فربما تقع في المعصية ولا تدري:

﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَى ﴾ (الإسراء ٣٢) كيف أقرب الزنا؟ أي إياك والنظرة والبسمة ثم اللقاء، ثم كذا ثم كذا، وهذه المقدمات التي تقود لما بعدها.

أريد أن أقي نفسي من الوقوع في المعصية، فأبدأ على الفور: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ ﴾ (النور ٣٠) فأكون قد سددتُ الباب حتى أتجمل بجمال الأحباب، وأكون من الذين ﷺ وجعلهم مع الحبيب ﷺ في هذا الباب.

وغضّ العين ليس للسائرات في الطريق فقط، ولكن أصبح غضّ العين كذلك في الموبايلات، وفي النت، وفي الكمبيوترات وهي ألعن وأشد وأسوأ، لأنهن في الطريق قد يكن مستورات، لكن هؤلاء هناك أشياء على النت لا ينبغي لمسلم أن يراها بالعين، وهي تورث القلب الظلمة والعياذ بالله، فكيف يستتير وهو ينظر هنا وهناك إلى ما حرّمه الله ﷻ.

ثالثاً: التجمل بخشية الله ومراقبته

أعلمنا الله ﷻ المقام الذي ينبغي أن نكون جميعاً فيه على الدوام:

﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ :

ما الذي يُنجي الإنسان ويجعله يُحافظ على هذه الأركان؟ إذا وصل إلى مقام خشية الله ومراقبته، وأن الله يطلع عليه في كل أنفاسه ويراه، وأن الله لا يخفي عليه خافيةً حتى ولو كان شيء في صدره أو في حشاشة قلبه، لأنه ﷻ قال:

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (غافر ١٩).

رابعاً: للمحافظة على تلك النعم والعطايا ...

جَمَّلَنِي اللهُ ﷻ بِهَذَا الْجَمَالِ، وَكَمَّلَنِي بِهَذَا الْكَمَالِ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَحَافِظَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمِ مِنَ الزَّوَالِ، فَمَاذَا أَفْعَلُ؟

﴿ وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ :

لا أجالس أهل المعاصي، ولا أهل الظلم، ولا أهل البعد، ولا أهل الفسق، ولا أهل الفجور، بل أجالس الأخيار والأبرار والصالحين والأطهار، لأن الجليس الصالح والجليس السوء كما أخبر النبي ﷺ:

{ إِنْ مَاتَ مِثْلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ }^٥

يجالسه الإنسان، ولا يستطيع أي إنسان أن يحفظ نفسه إلا إذا حفظه الحفيظ ﷻ، وعدوى الطباع أكثر من عدوى الأمراض، لأنك إذا جالست امرؤً فيه طباع سوء تنتقل إليك دون أن تشعر، وبعد فترة تجد نفسك تقلد هذا الرجل وتنفذ أشياء مثله بالضبط، لماذا؟ لأن النفس تسرق الطباع، أكثر من عدوى الأمراض.

ولذلك الأساس الأول الذي قال لنا فيه الله في هذا المجال: ﴿ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١١٩ التوبة) لكن تجلس في مجلس فيه غيبة وغميمة وتقول: أنا أحفظ نفسي!!، لكنك ستسمع، وكما ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول:

{ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّمِيمَةِ، وَنَهَى عَنِ الْغَيْبَةِ، وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى الْغَيْبَةِ }^٦

إذا لم تحض معهم، فبعد قليل ستغفل عن نفسك وتجد لسانك وقد انزلق وخاض، لأنك جلست مع هؤلاء القوم الذين نهى الله ﷻ عن الإقتراب منهم، أو مجالستهم، والله ﷻ لم يقل (ولا تجلسوا) وإنما قال: ﴿ وَلَا تَرْكُنُوا ﴾ والجلوس يقول فيه الله: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٦٨ الأنعام)، !!

والركون يعني ميل القلب، فبعد أن تتركهم إياك أن يميل قلبك لهم مرة ثانية، وتقول

٥ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه

٦ حلية الأولياء لأبي نعيم

لك نفسك: أنا أريد أن أجلس مع هؤلاء ولو مرة واحدةً لتهديهم، أو لكي تأخذ بأيديهم، هذا الكلام لو أذن لك به الله، وأعانك سيدنا رسول الله، وأمرك بإبلاغ الرسالة، فتكون مُعان، وإذا أقامك أعانك، لكنك ستقيم نفسك، فلا تحاول أن تُقرب مبعداً فيبعدك معه، إذاً حتى الركون وهو ميل القلب نهي عنه الله ﷻ.

﴿ فْتَمَسَّكُمْ النَّارُ ﴾ :

ما هذه النار؟ نار الذنوب التي يرتكبوها، ونار المعاصي التي يخوضون فيها، ونار البُعد عن الله ﷻ التي أوقعهم الله ﷻ فيها .. كل هذه نيران أمرك الله ﷻ أن تبعد عنها، كيف؟ أن لا تميل إلى الذين ظلموا أنفسهم، وكذلك من يميل للظالمين للعباد فهو نفس الأمر يعني ظلم نفسه بتجاوز حدود الله، أو ظلم العباد ظلماً بيناً، وهذا لا نناصره ولا نؤيده ولا نسانده ولا نميل إليه، وإنما نميل دائماً وأبداً مع الحق، كما قيل: ((دوروا مع الحق حيث دار)) فنحن مع الحق على الدوام.

وإذا مسَّتكَ النار: ﴿ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴾ تحذير إلهي، ولذلك ذهب رجل للإمام أبي العزائم ؑ وأرضاه، وقال له: أنا أريد أن أكون مع الصالحين أو من الصالحين، قال له: عليك بثلاثة أشياء: مفارقة الأشرار، ومجالسة الأخيار، والسير على السنن والآثار.

أهم شيء مفارقة الأشرار، ونحن نعرف الرجل الذي حكى لنا عنه سيدنا رسول الله ﷺ، وكان الرجل من بني إسرائيل وأراد أن يتوب فذهب لرجلٍ عابد، والعابد قليل العلم، فالعبادة تحتاج إلى الفقه، ولا خير في عبادةٍ لا فقه فيها، فقال له: أعرض عني حتى لا ينزل عليّ الغضب وعليك، فقتله وأكمل به المائة، ثم ذهب لرجلٍ من العلماء العرفاء الحكماء، فقال له: هل لي توبة؟ فقال له: ومن يمنع أحداً من التوبة؟! ولكني أرى أن من تعيش بينهم لن يهيئوا لك سبيل التوبة، اذهب إلى بلدة كذا فإن فيهم أناسٌ صالحين عسى الله ﷻ أن يتوب عليك.

فمن أجالسهم لو كانوا بطالين فكيف أرتقي؟! لأن الشيطان يأتي بهم أعواناً له، والشيطان أمره سهلٌ عندما يوسوس للإنسان فيستعيز بالله من الشيطان الرجيم.

لكن الشيطان الإنسي الذي يجلس معي، آتية من هذه الناحية فيأتي من الناحية الأخرى، لم يستطع اصطيادي من هذه الناحية يأتي بجيلة أخرى، ويظل يوسوس، وكما يقولون: (الرَّزَّ عَلَى الْوَدَانِ يَقْلِبُ الْكِيَانَ).

ولذلك قال الله لنا في القرآن: ﴿ شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ (١١٢ الأنعام) من الأخطر؟ الذي جاء به الله أولاً، فشياطين الإنس أخطر من شياطين الجن، لأنه جالس معي، ويُرِينِ لي، فإذا لم أفعَلها، يأتي بأخرى، ويظل حتى يُنْقِذَ مراد الشيطان عن طريق هذا الإنسان، لكن الشيطان كما قال الله: ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (١٩٨ النحل) فينتهي أمره: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (٩٩ النحل) ليس له سلطان عليهم بعد ذلك.

وعندما يستعذ بالله فأين يذهب الشيطان؟ ليس له صاحب، ولذلك حذرنا الله تحذيراً شديداً من حتى الركون - ميل القلب - بمجالسة الظالمين والباطالين والعارقين بالكلية في المعاصي التي تباعد بينهم وبين رب العالمين ﷻ.

فهؤلاء لا نجالسهم أبداً حذراً من قول الله: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾

خامساً: المحافظة على الصلوات الخمس في وقتها في جماعة

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (١٠٣ النساء) لا أحد منا له عُذْرٌ في عدم أداء الصلاة في وقتها في جماعة في بيت الله، إلا إذا كان عُذْراً شرعياً ذكره أئمة العلم والفقهاء في دين الله، لكننا وصلنا في هذا العصر إلى أن كل واحد يلتمس لنفسه الأعذار، والأعذار سيُقال له فيها: ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ (٣٦ المرسلات).

ما العُذْر الذي يمضي من صلاة الجماعة؟

لا شيء إلا إذا كنت في سفرٍ ضروري، والسفر لنفع، يعني لو أنا مسافر لأحضر مباراة كرة، فهذا ليس سفرًا ضروريًا وليس عُذْراً شرعياً، أو مسافر لأصيف، فليس هذا عُذْراً شرعياً، ولذلك قال العلماء: الجمع والقصر لا يجوز في هذه الأسفار، ولكن يجوز إذا كنت مسافراً لطلب العلم، أو لصلة الرحم، أو مسافر لأي مصلحة أو لأي منفعة.

وكذلك صلاة الجماعة فلو أنا مسافرٌ لسفرٍ شرعي ويستغرق وقتاً طويلاً والوقت سيؤذن وأنا في السفر وأنا لا أستطيع أن أنزل ولا أوقف المركبة لأصلي، أو إذا كان الإنسان مريضاً مرضاً شديداً والطبيب المسلم التقي النقي أمره بعدم الحركة لأن الحركة تزيد من ضرره وداؤه.

غير ذلك، فالحبيب ﷺ ضرب لنا المثل وقال الله لنا فيه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٢١ الأحراب) كان مسافراً في غزوة، ووجب وقت الظهر، فطلب ماءً ليتوضأ، قالوا: لا يوجد ماء، وسيدنا رسول الله كان دقيق التنظيم فكان يكلف جماعة دائماً يسرون أمام الجيش يبحثون عن مواطن الماء، حتى إذا نزل الجيش ينزل في مكان فيه ماء، ويبحثوا عن الأماكن المستوية فلا ينزل على جبل، وجماعة يتأخرون بعد أن يمشي الجيش ثلاثة أو أربعة كيلو ليبحثوا في معسكرهم ربما يكون أحدٌ قد نسي شيئاً خلفه.

فالجماعة الذين يبحثون عن الماء رجعوا فقالوا: يا رسول الله بيننا وبين الماء ميل واحد، ننتظر حتى نصل إلى هناك ونطلب الماء، قال:

{ وَمَا يُذِرْنِي لَعَلِّي لَا أَبْلُغُهُ }^٧

ما الذي يضمن لي أن أعيش حتى أصل إلى الماء؟ ولو جاء الموت فأكون مديناً بفرضٍ لله ﷻ، لأنه حضر وقت الصلاة ولم أؤدي الصلاة، يعني عندما أكون في سفر والظهر قد أذن فهل يصح أن أقول أو أجل الصلاة حين عودتي، ومن يضمن لي أن أرجع؟ ركبت سيارة وحدثت حادثة، أو حدثت سكتة قلبية أو أي أمرٍ إلهي، فلا أؤخر الصلاة عن وقتها إلا لضرورة شرعية.

وإذا كنت في العمل، وأستطيع أن أستقطع منه وقت الصلاة فقط، بحيث لا يؤثر على العملاء ولا على العمل، فأصلي الفريضة في وقتها في جماعة، ولا أظل قبلها نصف ساعة للوضوء، ولا بعدها نصف ساعة لأختم الصلاة، لأنني في العمل، فأصلي الفريضة وأؤجل النوافل! ... ولو كنت قائماً على مصالح الناس، والناس يقفون في طابور، فهل أقول لهم: انتظروا حتى أصلي الظهر، وأرجع لكم، لا، لأن وقت الظهر إلى قبل العصر، فبعد أن أنهي

٧ مسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما

حاجات الناس أصلي الفريضة لأن رسول الله ﷺ نهي عن التمتع في الدين.

لكنني لو كنت أعمل في عملي الخاص، كزراعتي، وأذن الظهر، فيمكنني أن أوجل هذا العمل وأخذ راحة ربع ساعة أصلي فيها ثم أعود لإكمال العمل، بل سيعينني الله على إكمال العمل وعلى أداء الصلاة في وقتها في جماعة، فلا عُذر لترك صلاة الجماعة أبداً.

وسيدنا رسول الله ﷺ كان في آخر حياته وفي آخر أنفاسه مريضاً وجاءته الحمى وكان يضع الماء على رأسه فينزل ساخناً من شدة الحمى، سمع الأذان، فربط رأسه ونادى على الإمام علي ونادى على سيدنا العباس، واستند إلى الإمام علي من اليمين وعلى العباس من اليسار لأنه لم يستطع المشي، إلى أن وصل إلى المسجد ليصلي مع جماعة المسلمين، وآخر كلمات خرجت منه كانت:

{ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ }^٨

فلا يوجد مرضٍ يعنى من الجماعة، إلا ما يقوله الطبيب المسلم التقي، كأن يقول لي: إياك أن تتحرك لئلا يزيد المرض، لكن لو كان بين بيتي وبين المسجد خمس دقائق، وأخذته في نصف ساعة، فلا بأس لأنال الأجر والثواب، وحتى أكسب صلاة الجماعة.

{ أتى النبي ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ ، فَرَخَّصَ لَهُ ، فَلَمَّا وَلَّى ، دَعَاهُ ، فَقَالَ : هَلْ تَسْمَعُ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَجِبْ }^٩

واعتقد أنه في هذا العصر قد أقام الله علينا الحجة كلنا!!!

فهل أحدٌ منا لا يسمع الأذان حالياً؟ لا، فالميكروفونات جعلت الكل يسمع الأذان، ومن الذي ينادي؟ الله ﷻ: ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ماذا يريد منا؟ ﴿ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِمَّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ (١٠. إبراهيم) تعالى لأغفر لك ذنوبك، وليس لمنفعةٍ أو مصلحةٍ منك، حاشا لله ﷻ، ولذلك قال ﷺ:

٨ سنن ابن ماجه عن أنس ؓ

٩ صحيح مسلم والنسائي عن أبي هريرة ؓ

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ بِحَطْبٍ فَيُحْطَبُ، ثُمَّ أَمُرَّ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَدَّنَ لَهَا، ثُمَّ أَمُرَّ رَجُلًا فَيُؤَمِّمَ النَّاسَ، ثُمَّ أَخَالَفَ إِلَى رِجَالٍ فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ} ١٠

ليُعرفنا أنها جريمة كبيرة، وإن كان المسلمون الآن لا يعتبرونها جريمة، وكنا قديماً في القرى لا يوجد أحدٌ منا يُصلي في البيت، لكن الآن يقول لك: الماء في البيت فأصلي في البيت، وماذا عن الجامع والجماعة الأولى؟! كان أصحاب رسول الله ﷺ من فاتته التكبير الأولى وهي تكبير الإحرام يعزّوه ثلاثة أيام، ومن فاتته الجماعة الأولى يعزّوه أسبوعاً على الفضل الذي فاتته من الله ﷻ.

حاتم الأصم مات ابنه، فراح عددٌ كبير يزيد عن عشرة آلاف من بلده خراسان يعزّونه، وفاتته صلاة عصر، فلم يعزّه أحدٌ على ذلك، فقال: يموت إبني فيُعزّيني عشرة آلاف، وتفوتني صلاة العصر في جماعة فلا يعزّيني أحد، فوالله لموت إبني أهون عليّ من صلاة جماعة.

لأن هذه التي أمرنا بها الله، حتى أنزل لنا آياتها جماعة !!

هل فينا من يُقل: (إياك أعبد وإياك أستعين)؟ لا، ولكن نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بلسان الجماعة، ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ كلنا، حتى إذا قرأ الإمام تكون القراءة للمؤمنين من خلفه بلسان الجماعة، ولو كان الإنسان حتى من كبار أولياء الله، وأصبح فذاً في القرب من الله، حضرة النبي يقول:

{ صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةِ الْفَدِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً } ١١

والفد أي الذي لا مثل له في طاعة الله وقرب الله !!

لكننا على قدرنا، والمشاكل التي تشغلنا هي التي تأتينا في الصلاة، وأنا أريد الصلاة أن تنال القبول، فتكون في الجماعة !

لأن الجماعة لو كان فيها رجل واحد يقبل الله صلاته، فيقبل الله صلاة الكل من أجله، فصلاة الجماعة هي التي فيها الضمان إن شاء الله:

١٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
١١ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَلَيْلٍ ﴾ :

وطرفي النهار قال فيها بعض الأئمة: الصبح والمغرب، وبعضهم قال: الصبح والظهر والعصر، وزُلْفَا من الليل يعني المغرب والعشاء، والآية أصلاً كانت قبل نزول الصلوات الخمس، فلما نزلت الصلوات الخمس نُؤديها في أوقاتها في جماعة.

لماذا قال الله ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ ولم يقل أَدِّ الصَّلَاةَ؟ أقمها بحضور قلبٍ وخشوع لله.

﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيئَاتِ ﴾ :

لا يوجد أحدٌ يمنع نفسه من اللطم من صغار الذنوب، وصغار الذنوب ما دام الإنسان اجتنب الكبائر فيغفرها الله بالصلاة.

ونزول هذه الآية له أسبابٌ متعددة، فقد كان رجل من أصحاب رسول الله تَمَّاراً يعني يبيع التمر، وجاءته امرأة تشتري تَمراً، فأدخلها بستانه، وقَبَلها قُبلةً رَغماً عنها، فخرجت مسرعة، فأحسَّ الرجل بالذنب، فجاء إلى النبي ﷺ فقال:

{ إِنِّي أَخَذْتُ امْرَأَةً فِي الْبُسْتَانِ، فَأَصَبْتُ كُلَّ شَيْءٍ، غَيْرَ أَنْ لَمْ أَنْكِحْهَا، فَأَفْعَلْ بِي مَا شِئْتَ، فَلَمْ يَقُلْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً، ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيئَاتِ ﴾ }^{١٢}.

وفي رواية والروايات متعددة في هذا الشأن: { أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًا فَأَقِمْنِي عَلَيَّ. قَالَ: تَوَضَّأْتَ حِينَ أَقْبَلْتِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ صَلَّيْتَ مَعَنَا حِينَ صَلَّيْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: اذْهَبْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَفَا عَنْكَ }^{١٣}، وكما قال حضرة النبي: { أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خُمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَبِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَبِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَاةِ الْخُمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا }^{١٤}

١٢ سنن النسائي ومسنده أحمد عن عبد الله بن مسعود

١٣ سنن أبي داود عن أبي أمامة

١٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة

ولذلك قال الله ﷻ: ﴿ إِن مَّجْتَبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾

(٣١ النساء) قال سيدنا عبد الله بن عباس ؓ: ((نكفر عنكم سيئاتكم بالصلاة)).

ما دمننا نجتنب الكبائر التي تحتاج لتوبة نصوح مثل القتل والزنا وشهادة الزور والسرقة وعمل قوم لوط وشرب الخمر وغيرها فالصغائر تغفرها الصلوات الخمس.

فمن حافظ على الصلوات في وقتها في جماعة في بيت الله ﷻ، ولا يسمح للنفس أن تقدم أعداراً خوفاً من الواحد القهار يدخل في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ﴾ فهذه تذكرة وتبنيه من الله ﷻ لعباد الله المتنبهين والفاكرين والحاضرين والذاكرين، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

سادساً: الصبر

آخر شيء في الروشنة، لا غني لأي عبد عنه في هذه الحياة: ﴿ وَأَصْبِر ﴾ فقد روي عن سيدنا علي بن أبي طالب ؓ أنه قال:

{ الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ }

هل يستطيع أحد أن يعيش بجسد بدون رأس!؟

فكذلك الإيمان لا يصمد في قلب الإنسان لشواغل الزمان، وفتن الأكوان، وما يتعرض له الإنسان من أكدار، وما يتعرض له الإنسان من مضار، إلا إذا كان معه الصبر الجميل الذي أمرنا به الله ﷻ:

﴿ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾:

والمحسنون هم الذين قال فيهم النبي ﷺ:

{ الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ }^{١٥}

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا
وَمَنِ اتَّبَعَنِي ^ط وَسُبِّحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ
﴿١٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ
مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ^ط أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ^ط وَلَدَارُ الْآخِرَةِ
خَيْرٌ لِلَّذِينَ ^ط اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا
اسْتَيْعَسَ الرُّسُلُ وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم
نصرتنا فنحنى من نشاء ^ط ولا يُردُّ بأسنا عن القومِ
المُجرمين ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي
الْأَلْبَابِ ^ط مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ
الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف)

٦: الدعوة إلى الله على بصيرة^١

القرآن كله معجز، ومعجزات القرآن لا تُعد ولا تُحَد، والآيات التي بين أيدينا توضِّح أمراً جوهرياً وخطيراً يحتاجه جميع المسلمين الآن، وبعد الآن إلى آخر الزمان ..

إن الله ﷻ أخبر في صريح القرآن، بأن نبينا الخاتم هو خاتم النبيين، وبين ﷻ صريح هذه الآية فقال صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ إني عند الله لخاتم النبيين }^٢، وقال: { وإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي }^٣

إذاً من يُرشد الخلق ويهديهم إلى الطريق القويم، ويبين لهم شرع الله ﷻ الحكيم؟

وشرع الله ﷻ أنزله صالحاً لكل زمان ومكان، فيه مرونة وفيه يُسر وتيسير، فلا يجوز أن يكون الشرع جامداً، لكن يتغيَّر حسب الزمان، وحسب المكان، وحسب قُوى الأفراد، وحسب مناسبتهم وأحوالهم في كل زمانٍ ومكان.

ورثة الإرشاد

من الذي سيُبين؟ ومن الذي سنأخذ منه الهداية؟ من الذي يُرشدنا إلى الطريق الصحيح لعناية الله وولاية ورعاية الله؟

الله ﷻ أمر نبيه ﷺ أن يُطمئن قلوبنا فقال: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ وسبيل يعني الطريق، فهذه طريقي فلا تنشغلوا بطرقٍ أخرى، ولا تلتفتوا إليها، ولكن انشغلوا بالطريق الذي مشى على هذا النهج القرآني، والذي كان عليه حضرة النبي ﷺ.

فهذه طريقي: ﴿ اَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ :

فليست دعوة لسانية ولكنها دعوة فيها فتوحات ربانية، لأن الكلام إذا كان من

١ المنيا - مغاعة - آبا البلد - ٢٤ من رجب ١٤٣٧ هـ / ١٥ / ٢٠١٦ م

٢ مسند أحمد وابن حبان عن العرياض بن سارية ﷺ

٣ البخاري مسلم عن أبي هريرة ﷺ

اللسان فلا يتجاوز الأذان، والكلام إذا كان من القلوب يصل إلى القلوب، والقلوب تتلقى من الغيوب، فينجذب أهلها حباً وعشفاً وهياماً في الحبيب المحبوب ﷺ.

قالوا كل من يأتي من بعد النبي ﷺ فزنوه بهذا الميزان، فمن كان معه أنوار البصيرة، وصفاء السريرة، وفتح الله ﷻ له عيناً في فؤاده يتلقى منها من الله علوم الإلهام، التي هي دليل على الورثة الأكملية للحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فهذا الذي تتبعوه، وتسلكوا سبيله، وتمشون على نهجه.

﴿ اَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ :

طمأننا الله أنه سيأتي من بعده أتباع إلى يوم الدين يمشون على هذا النهج، فلا نخاف، والحمد لله فهناك رجال سيقمهم الله وبيعتهم في كل زمان ومكان، فمن الجائز أن يكون في نفس الزمن أكثر من رجل، في كل مكان رجل أو أكثر على حسب إرادة الواحد ﷻ.

هؤلاء الرجال على نفس نهج الحبيب المصطفى ﷺ، فهم لا يدعون لأنفسهم، ولا يريدون أن يلتفت الناس من حولهم، ولا حتى للطريقة التي يسيرون فيها، لا يريدون من الناس أن يتركوا طرقهم ويمشون في طريقهم، لأن الطريق إلى الله كله طريق واحد: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ (النعام ١٥٣) انظر إلى كلام الله: (هذا) إسم إشارة، أي أن هذا الرجل هو الصراط المستقيم، ولذلك لم يقل (فامشوا عليه) ولكن قال: ﴿ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ يعني امشوا خلفه، فيكون الصراط المستقيم هنا هو سيدنا رسول الله ﷺ.

وسائل القرب

وما هذه الطرق كلها؟

هذه الطرق كلها وسائل توصل السائل إلى لب الأمر، وهو طريق الله جل في علاه، وطريق الله الذي عليه سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك كان السادة الصالحين يقولون:

وكلهم من رسول الله ملتتمس رشفاً من البحر أو غرقاً من الدميم

لماذا يتعصب هذا لطريقته والآخر يتعصب لطريقته، والثالث يتعصب لطريقته!!

هؤلاء يدخلون في قول الحبيب:

{ لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصِيَّةٍ }^٤

وهل توجد عصبية في الإسلام؟ لا، ولكن العصبية لحضرة الله، ولسيدنا رسول الله، ولكتاب الله، وماذا نكون نحن كلنا؟ إن كان شاذلي أو رفاعي أو صوفي أو سُني أو غيره؟ **﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾** (١٠ الحجرات) كلهم على اختلاف ألوانهم إخوة، فمن يدعو إلى عصبية ليس له نصيب في هذه الآية من ميراث الحبيب ﷺ.

وربما يقول البعض: لماذا تمشون خلف الشيخ فلان والشيخ فلان والدين ليس فيه مشايخ؟ فأنا أقول لهم: وهل فيكم رجل يمشي من غير شيخ يوجهه ويمشي خلفه؟! فلماذا تُحرموا المشايخ عندنا؟!.

وما معنى شيخ؟ يعني موجّه، فالرجل كبر في طريق الله، فأصبح عنده خبرة، وعنده بصيرة، وعنده ما يهدي به الحيارى الذين يريدون أن يمشوا خلفه إلى أن يصلوا إلى طريق الله، وطريق رسول الله ﷺ.

﴿ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ كما قلنا من يدعو لنفسه فلا شأن لنا به، ومن يرد أن نلتف حوله ونعظمه ونكرّمه ونكبره ونشيّخه فهذا لا تزال نفسه تضحك عليه وهو محتاج لمن يأخذ بيديه فكيف يأخذ بأيدينا؟! والدعوة: هناك دعوة إلى سبيل الله: **﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾** (١٢٥ النحل) فهذه دعوة، وهناك دعوة إلى الله، وهي دعوة أخرى الدعوة إلى سبيل الله هي دعوة غير المسلمين إلى الدخول في هذا الدين، وهي تحتاج أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة.

لكن المسلمين المهتدين أريد أن آخذهم ليتدرجوا في المراتب العلية، ويرتقوا في الدرجات الإيمانية، إلى أن يدخلوا في قول رب البرية: **﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾** (٢٩ الفتح)، فهناك دعوة خارجية، ودعوة داخلية.

الدعوة الخارجية لإدخال الناس في الدين وتحتاج للحكمة والموعظة الحسنة، فلا أسبهم ولا أهرهم ولا أشتهم ولا أكره إليهم ما هم فيه، ولكن آخذهم بالتدرج الإلهي الذي علّمه الله لنا على لسان حضرة النبي ﷺ.

٤ سنن أبي داود والبيهقي عن جبير بن مطعم ﷺ

البصيرة والدعوة

من دخل ويريد أن يكون له درجة عند الله، ومقام كريم عند مولاه، ويكون من رفقاء الحبيب في الدار الآخرة إن شاء الله، فهذا يحتاج إلى داعٍ آخر على بصيرة، لكي يأخذ بيده إلى أن يوصله إلى هذه الدرجات الكريمة المنيرة، فهذا شرطه أن يكون داعياً إلى الله على بصيرة.

﴿ اَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ :

والبصيرة هي تطهير القلوب من العيوب، واستنارتها بالنور الموهوب؛ الذي ينزل فضلاً وكرماً وعتاءاً محضاً من حضرة علام الغيوب ﷺ، وليس له ثمن يدفعه، وإنما ثمنه الأساسي الإخلاص لله، والصدق في التعامل مع الله جل في علاه.

إذا جاهد الإنسان نفسه إلى أن زكت، ثم صفى قلبه حتى يتطهر، وتعرض لفضل الله، أكرمه الله ﷻ بعتاءاته الإلهية، ونفحاته الربانية، فيصبح له نوراً كاشفاً يُعينه على تحقيق الأمنية، لكل فردٍ يريد بلوغ تلك المراتب العلية.

ربما بعضكم يقول لي: أنا رأيت فلاناً فتح الله عليه ولكنه لم يواصل، فأقول له: أن نفسه ضحكت عليه وأراد أن يجمع الناس عليه، لأن المفروض أن يجمع الناس على الله، فإذا ضحكت نفسه عليه وأراد أن يجمع الناس عليه، فعلى الفور أنواره تخبو، وقمر المشاهدات في قلبه يُخسف، ولا يستطيع أن يتبين هذا من ذاك، لماذا؟ لأنه ضلَّ الطريق القويم والمنهج المستقيم الذي بينه الله ﷻ في الذكر الحكيم، وكان عليه سيدنا محمدُ الرءوف الرحيم ﷺ.

تريد أن تنجح في هذا المجال، فعليك أن تسوق الخلق إلى الحق، وإياك أن يقف أحدٌ عندك، فلا تكن حجاباً بين الخلق وخالقهم، وإياك أن توقفهم عندك أنت، لأنك ستكون الحجاب، وكيف أفعل بمن يأتي؟ أذهب به إلى الله، أسوق الخلق إلى الخالق ﷻ، فأوجههم وأرشدهم لكن الخطأ ليست عندي، فأنا أقول له: هذا هو الطريق، فأمشي معه أو أمشي أمامه، أو أصف له الطريق على حسب مرتبته من عالم التحقيق، لكن المهم أن لا يقف عندي أنا، فأوجهه إلى الله ﷻ.

وهذه لأي داع ناجح، فتجد أن سر نجاحه في هذا الأمر، وهذه القضية؛ أن الخلق كلهم يدفعهم إلى الله ﷻ، أو أننا ندعو الخلق إلى سيدنا رسول الله، وسيدنا رسول الله يدعو الخلق إلى الله.... وإذا كنتُ مساعداً في طريق الله فأوجههم للأستاذ، والأستاذ يوجههم لحضرة الحبيب، والحبيب يوجههم إلى الله، لكن لو كل مساعد جمع له ثلاثة أو أربعة حوله، ويقف عندهم فستنتهي الإمدادات الإلهية، ولم يعد عنده البصيرة النورانية التي ذكرها لنا الله على لسان حبيبه ومصطفاه.

الجهاد الموصل

ولذلك كان السلف الصالح كأصحاب رسول الله تماماً بتمام، كل واحد منهم ينشغل تمام الإنشغال بمجاهدة نفسه وتصفية قلبه.

والمجاهدة والتصفية تحتاج إلى مشرف، ومشرف بمعناها اللغوي: منحه الله ﷻ القدرة الإلهية الباطنية أن يُشرف على باطني فيرى ما فيه، حتى أستطيع أن أجلو الفؤاد مما فيه، فيُصبح خالصاً لله ﷻ فتتنزل العطايا الإلهية فيه.

فكان ينشغل بتزكية نفسه وتصفية قلبه، إلى أن تُفتح له عينٌ في القلب، وهذه العين يقول فيها الله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ (الإنسان) ولم يقل: يشربوا منها، ولكن قال: (يشربوا بها) وماذا يشربون بها؟ شراب أهل المودة، وشراب أهل القرب، وشراب أهل الحب، وشراب أهل الشوق والوجد، ﴿وَسَقَلْتُمْ رَهْمَ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الإنسان) وهذا الشراب هو الذي يُطهر القلوب من كل ما يحجبها عن أنوار حضرة علام الغيوب ﷻ.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (الإنسان) يفجرونها بديناميت المحبة، على نسق الأجابة، مُحَمَّدٌ ﷺ وحزبه، الحب الذي يُفجر العين في القلب الذي وصل واتصل بقول الحبيب:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ، وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } °

وفي رواية أخرى:

° البخاري ومسلم عن أنس

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }^٦

وفي رواية أخرى:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ }^٧

وهذا هو الجهاد، هل تُحب رسول الله؟ كلنا نُحب رسول الله والحمد لله، لكن حب المال أكثر، فهل ستفجر العين؟ أو حب الزوجة أكبر هل ستفجر العين؟ لا، ولذلك هؤلاء قال فيهم سيدنا رسول الله:

{ تَعْسَ عَبْدُ الدَّيْنَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ، وَعَبْدُ الحَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعْسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ }^٨

دعا عليه أنه إذا أصيب بشوكة فلا يجد ملقط يلتقط به هذه الشوكة، لأنه شغل نفسه بالفاني، والفاني مضمون ومأمون وتكفل به الحي القيوم الذي لا تحذه سنة ولا نوم.

هل كلفك الله جل في علاه برزق أولادك؟ لا، ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾ (٢٢ الذاريات) وهل كلفك الله ﷻ بأن تجعل أكثر شعبة في قلبك نحو زوجك؟ لا، ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ (١٤ التغابن) ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (١٥ التغابن).

فإياك أن تقع في هذه الفتنة، فتنشغل بهم عن الحب الصحيح لله ورسوله، فأعلى شيء يكون عندي هو حب الله وحب رسول الله.

فإذا استطعت أن أصل لهذا الحب فعلى الفور يكون كالديناميت الذي ينسف الجبال، فينسف من قلبي جبال الأغيار، وجبال الوهم، وجبال الخيال، وجبال الظلال، وتشرق في القلب على الفور: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ (٦٩ الزمر) وتأتيني علوم الكتاب، ومشاهد النبیین والصديقين والشهداء والصالحين، ويكون هذا القلب عامراً بكل ما أشرنا إليه، وذكره الله ﷻ في كتابه الكريم.

٦ صحيح مسلم والنسائي عن أنس
٧ مسند أحمد والبخاري عن عبد الله بن هشام
٨ البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة

بشارة الإذن

ثم بعد ذلك ينتظر الإذن، فلا يتكلم من نفسه: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ (٤٦ الأحزاب) وهذه سنة الصالحين.

وسأخذ بعض الأمثلة البسيطة على ذلك: سيدنا الإمام الجنيد رحمه الله كان يترى على يد شيخه السري السقطي رحمه الله، وظل يجاهد نفسه ويوصف قلبه، إلى أن وهب العلوم الإلهية: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٦٥ الكهف).

والأحباب كانوا يسمعون منه شذرات، فاستطعموا هذه العبارات، ودائماً الشراب من عند الله يكون له طعماً شهياً في القلوب، فإذا كان الكلام من النور حصل لسامعيه السرور، فيكون الإنسان سعيداً وهو يسمع هذا الكلام.

فقالوا للشيخ السري السقطي: نريد من الجنيد أن يتحدث بما فتح الله عليه به عليه، وهذه كانت العلامة، فلا تحدثنا من نقولات السابقين، ولا من كتب المؤلفين، لأن كل واحد كتب على حسب ما وهبه الله لمن حوله في عصره وزمانه، وكل عصر وزمان يحتاج إلى شراب جديد ينزل من عند الحميد المجيد عليه، وهل الخزان الإلهية وقفت عند السابقين؟ حاشا لله عليه، عطاء الله واسع لا يُعد ولا يُحد: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (٤٥ ص) لا ينتهي أبداً: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾.

إن رزق الدنيا، أو رزق العلوم والإلهامات والحقائق والمكاشفات والأسرار والتنزلات، كل هذا الرزق ما له من نفاذ، لأنه ينزل من عند حضرة الله عليه.

فقال له الشيخ: يا جنيد حدث إخوانك بما فتح الله عليه به عليك، فقال في نفسه: لا أتحدث إلا بعد الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والشيخ يظل مع المريد إلى أن يوصله لرسول الله، وبعد أن يوصله لرسول الله يقول له: أصبحنا إخوة مع بعضنا في الحضرة المحمدية، ولكن الشيخ له السبق للأقدمية وللخصوصية التي قدمها لي.

وفي نفس الليلة رأى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لنعرف أن هؤلاء الرجال لهم ما يشاءون عند ربهم، وما يريدونه لا بد أن يحققه لهم، لأنهم لا يريدون أموال ولا دولارات، ولكنهم

يريدون ملاطفات وموانسات وعلوم وهبية ومكاشفات وفيوضات وتجليات، فهذا مطلبهم، لكن الدولارات مع الكفار والفجار فماذا يصنعون بها؟!

فرأى سيدنا رسول الله ﷺ في المنام وقال له: يا جنيد حدث إخوانك بما فتح الله ﷻ بك به عليك، فقام من الرؤيا قبل النسمة الفجرية؛ وقت السحر، فطابور الصالحين يكون صفاءه وانتباهه في وقت السحر بين يدي رب العالمين - صفاء يعني صفا وانتباه - ثم يقول: اجمع، فيجمع على الله: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (١٧) **وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَعْفِرُونَ** (الذاريات).

هل يجوز لعسكري عندما يقولون له: اجمع، أن ينام؟! هذا ليس له في الغنائم، والغنائم تتوزع في وقت السحر على الصالحين والمقربين من الله ﷻ، وهو الذي يوزعها وينادي من يريد كذا ومن يريد كذا، قال ﷺ:

{ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ، نَزَلَ اللَّهُ ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ ذَا عِ فَأَجِيبُهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ }^٩

فاستيقظ الجنيد في وقت النسمة الفجرية، وذهب إلى شيخه الشيخ السري السقطي، وطرق عليه الباب ليبشره بالرؤيا التي رآها، وهو على الباب قال له: أنا عرفت، ونحن الذين أرسلناه إليك، فأنت تريد إذناً من رسول الله فلا مانع إن شاء الله.

جاءه الإذن، ومادام جاء الإذن يجيء العون - إذا أقاموك أعانوك - فذهب ليصلي صلاة الظهر بالمسجد، وصلاة الظهر، غالباً الناس تكون في مشاغل، من يكون في مزرعته، ومن يكون في السوق، ومن يكون في العمل، لكنه وجد المسجد مُمتلئاً عن آخره، وها هي الإعانة من الله، فبمجرد أن صلوا الظهر أحضروا كرسيّاً وقالوا له: يا جنيد تعال حدثنا بما فتح الله به عليك ... إذا أقامك أعانك، يذهب لمكان فيجد الملائكة السياحين جمعوا الصالحين والذين لهم نصيبٌ لهذا الكلام الإلهي من كل مكان ليسمعوه، والآخر يُصلي العشاء أو يُصلي الجمعة ويقول لهم: أنا أريد منكم خمس دقائق فقط نجلس سوياً لدرس

٩ مسند أحمد عن أبي هريرة ؓ

العلم، فلا يجد أحد، لأنه أقام نفسه، لكن الآخر أقامه الله ﷻ، وإذا أقامه أعانه.

بدأ الجنيد في الكلام، وكان في هذا الوقت العرب متمسكين بالعمل بحديث رسول الله ﷺ والذي يقول فيه: { الْعَمَائِمُ تِيْجَانُ الْعَرَبِ }^{١٠}، وكان على ذلك آباؤنا، لا بد أن يتعمّموا لهذا الحديث، ومن لا يتعمم كان يتعمم يوم الجمعة عملاً بالحديث، وغير المسلمين كانوا معروفين، لأنهم يمشون بغير عمامة، فتعرف المسلم من غير المسلم بذلك!

فدخل المسجد أحدهم متعمماً، فقال للجنيد: لي سؤال، فقال سل، فقال: ما معنى قول رسول الله ﷺ: { اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِئُورِ اللَّهِ }^{١١}؟

ولما كان الرجل لا بساً عمامة فهذا يعني أنه مسلم، فأطرق الشيخ إلى الأرض وهي من علامات الصالحين المكاشفين، ينظر في الأرض ويُرسل عيون الروح تجول في السرائر والضمائر وتجول في الملكوت وهي كذلك، وبعد ذلك رفع رأسه وقال: معناه أنه آن الآن أوان إسلامك يا نصراني!!^{١٢}، من أين عرف؟ ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ (الأنعام ١٢٢) قال له: صدقت يا تاج العارفين، فقد امتحنتُ قبلك جمّاً غفيراً من العلماء والصالحين فلم يعرفني أحدٌ منهم.

وتأخذ نموذجاً آخر:

سيدي عبد القادر الجيلاني رحمته الله، مكث في بغداد يُزكي نفسه ويُصفى قلبه، لأنه نزلت عليه العطايا التي لا تُعد في قلبه من الله ﷻ، وقلب المؤمن وعاء الغيوب الإلهية، والعلوم الربانية، والأسرار الذاتية .. كلها تُوضع في قلب المؤمن بأمر من يقول للشيء كن فيكون فجاءه سيدنا رسول الله في المنام بعد أن تأهل وقال له: يا عبد القادر تحدّث للخلق بما فتح الله ﷻ عليك، قال: فقلت يا سيدي أنا رجلٌ أعجميٌّ - لأنه كان تربي في بلاد فارس وإن كان أصله عربي - ولا أُجيد النطق بالعربية، فقال: افتح فاك وتفل فيه ﷻ سبع مرات ... فذهب إلى المسجد في صلاة الظهر فوجد المسجد مليئاً، وبعد الصلاة أتوا له بكرسي وقالوا: أسمعنا شيئاً مما أفاض الله به عليك، قال: فنظرتُ إلى المسجد فوجدته غاصاً بأهله

١٠ مسند الشهاب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

١١ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

١٢ روح البيان لإسماعيل البروسوي بتصرف.

فارتج عليّ - حدث عنده دهش - فرأيت الإمام علي عليه يقظة فقال: يا بني حدث الناس بما فتح الله عليك، قال: قلت يا سيدي أنا رجل أعجمي وقد لا يفهموني، قال: افتح فاك، فتفل فيه ست مرات، قال: فقلت يا سيدي لم لم تكمل السابعة؟ قال: أدباً مع رسول الله ﷺ ... فانطلق، وأعطاه الله ﷻ من قوته الإلهية أن صوته كان يُسمع في كل القرى المحيطة ببغداد، وهو في مسجده ببغداد، بدون ميكروفونات ولا استريوهات ولا سماعات ولا شيء، لكن ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب.

ولو تتبعنا حياة الصالحين والعارفين وأئمة المتقين فتجدهم كلهم على نفس هذه الهيئة وعلى نفس الكيفية.

ومن يتعجل فيكون كالفاكهة التي لم تنضج بعد، لا يستطيع أحد أن يتذوقها، وهي نفس الأمر، فالداع الذي أقام نفسه ولم ينتظر حتى زكت نفسه وتطهر قلبه وأخذ الإذن من رسول الله ﷺ، فهذا كالذي يأكل العنب الذي لم يطب ويُسَمَّى بالحصرم، والحصرم الذي يأكله يتقزز، ولا يريد أن يسمع ولا يريد أن يأكل.

س الإخلاص

لكن ما الطريق؟

﴿ اَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبِّحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾:

تخلص من الشرك الأصغر، والشرك الأكبر، والشرك الخفي، والشرك الأخرى، وأصبح خالصاً لله، صادقاً مع مولاه ...

لأن الإخلاص هو سرُّ الإمدادات الإلهية لمن يُريد المدد من الله ﷻ ... والإخلاص يعني أن ترجو من عملك، ومن وراء عملك وجه الله، فلا تريد شهرة ولا رياء ولا سمعة، ولا حتى كلمة ثناء ولا مدح ولا دعاء، ولا أي من أمور الدنيا الفانية، وإنما تتأسى بالرسول والأنبياء وتقول كما قال عنهم الله ﷻ في كتاب الله: ﴿ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ (٧٢ يونس).

والعمل الذي ستؤديه لأي قوم، فتقتدي فيه بإمام الدعوة بعد سيدنا رسول الله الإمام علي، كان يقول كما أخبر القرآن: ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (١٩ الإنسان).

الذي ضيَّع المسلمين كلهم أو معظمهم في هذا الزمان أن من عمل شيئاً للخلق يُريد الأجر من الخلق، وماذا مع الخلق ليعطوه لك؟! إذا كنت أنت ستحمل بضاعة الحق، فمن الخلق حتى ولو اجتمعوا جميعاً يستطيع أن يكافئك على كلمة واحدة من بضاعة الله وبضاعة حبيب الله ومصطفاه!.

فنفسك ستضحك عليك إذا طلبت نظير ذلك أن يُعظموك، أو يكرِّموك، أو يقبلوا يدك، أو يقضون لك مصلحة أو منفعة، فمن يُرد مصلحة أو منفعة يعملها لله ليأخذ الأجر من الله، فيُدرب الإنسان نفسه على الإخلاص لله ﷻ في السر والعلانية.

ثم بين الله ﷻ لنا حقيقة قرآنية إلهية: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ ﴾ أن النبوة، وورثة النبوة لا تكون في ملائكة، ولا في جن، ولا في نساء، لا يصلح أن تكون المرأة داعية إلى الله إلا إذا كانت تدعو النساء من حولها، لكن داعية إلى الله وتدعو الرجال ليجتمعوا عليها فلا يجوز ذلك.

سيدي أحمد البدوي ﷺ كان قد أخذ الطريق من الشيخ برِّي، من خلفاء سيدي أحمد الرفاعي، فلما سمع أن امرأة من إخوانه كانت وصلت لمقام الكشف في العراق وأعلنت الدعوة، وأصبح الناس يذهبون ليتربُّوا على يديها، خرج خصيصاً من خلوته من غار حراء، وحضرة النبي هو الذي أرسله، وظلَّ يمشي حتى وصل عندها، ولم يتركها حتى تابت من هذا الأمر، لماذا؟ لأن الله حكم وحكمه حق: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ ﴾.

لا بد وأن يكون رجالاً، فلا تصلح النساء، ولا الجن لأن الجن غيرنا، ولا الملائكة لأننا لن نراهم ولن نكلمهم، فلا بد وأن يكونوا رجالاً وصلوا إلى مقام الرجولية الكاملة، والوحي بالنسبة للأنبياء السابقين، والإلهام بمثابة الوحي بالنسبة لورثة النبي المصطفى القائم مقامه إلى يوم الدين.

﴿ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾:

لا بد أن يكونوا من أهل القرى، يعني في مدينة عامرة، ليعرف أخلاق المدن والحضارة، وأخلاق أهل البداوة، ولذلك لم يرسل الله ﷻ نبياً أبداً من بادية، فلا بد وأن يكون من مدينة ليعرف أخلاق المدن والمدنية والحضارة ويُحيط بكل هذه الأمور.

وراجعوا تاريخ الأنبياء هل يوجد نبي بُعث من صحراء؟ لا، وكذلك الأولياء، لكنه قد يخلو فترة في الصحراء ليجرد نفسه، لكنه أصلاً من المدينة، ويرجع للمدينة، كما قال الله: ﴿مَنْ أَهْلَ الْقُرَى﴾ ... ثم يخاطب الله ﷻ المكذِبين إن كانوا في أيام حضرة النبي، أو في أيامنا هذه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ لماذا الإنسان لا ينظر نظر عبدة؟! وله من التاريخ مدرسة يعلم منها علم الأولين، وحكم الآخرين، وفي قصص الأنبياء ما يُعني الإنسان عن البعد عن الله ﷻ، والإعتراض عن المُقامين من الله ﷻ في كل وقتٍ وحين.

أعمال الآخرة

﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ :

أنبأنا الله ﷻ أن الدار الآخرة هي في الدنيا هنا، فإذا كنت في عملٍ من أعمال الآخرة، فأنت وإن كنت في الدنيا تكون في الآخرة.

نحن الآن في مجلس علم، إذاً نحن في الآخرة، لأن المجلس الذي نحن فيه مجلسٌ من مجالس الآخرة، فنكون جالسين في الآخرة، أين هذا الكلام في القرآن؟

﴿وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ﴾ (آل عمران ١٥٣) عندما يبلغكم الرسول الدعوة

فتكونوا في الآخرة في هذا الوقت والحين وليس في الدنيا.

إذا كان الإنسان بين يدي الله يناجي الله في الصلاة فأين يكون؟ في الآخرة، لأنه يناجي الله، وإذا كان ممسكاً بكتاب الله يناجي الله بكلامه فأين يكون؟ في الآخرة.

فالإنسان إذا كان في أي عملٍ من أعمال الآخرة فيكون في الآخرة وإن كان الخلق يظنون أنه في الدنيا.

ولذلك ينبغي على المؤمن أن يكون دوماً ينتقل في هذه الدنيا في أعمال الآخرة، من ذكر، إلى فكر، إلى مجلس علم، إلى تلاوة القرآن، إلى مجلس صلح، إلى صلة رحم، إلى زيارة مريض، إلى تشييع جنازة .. فيكون دوماً في أعمال الآخرة لأن الله قال لنا: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

شذائد الدعوة إلى الله

النبيون والمرسلون الذين اصطفاهم الله واجتباهم، ومن بعدهم من الوارثين، والعلماء العاملين، والحكماء الربانيين، والصالحين، والعارفين .. هم أكثر الناس تعرضاً للشذائد في حياتهم الدنيا، بسبب إبلاغهم لرسالة الله ﷻ.

لذلك لا بد لهم من معرفة ذلك، وأن يوطنوا أنفسهم على ذلك، لماذا؟ قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٣١ الفرقان) هذا العدو من المجرمين وليس من الناس الطيبين ولا المتساهلين، ولذلك قال النبي ﷺ في أي جهل: { فرعوني أشد علي من فرعون أخي موسى عليه }^{١٣}.

كان أشد عليه من فرعون موسى على موسى، وكان جباراً من جبابرة الله ﷻ في الأرض، بل كان معه مجموعة من الجبابرة، وهؤلاء هم الذين ينفقون أموالهم وكل ما يملكون ليصدوا عن سبيل الله، وسبحان الله فهي موجودة في كل زمان ومكان.

ولذلك سيدنا موسى عندما أوحى الله ﷻ إليه قال: يارب تتركني إلى خلقك هذا يُطعمني وهذا يجرمني؟ فقال الله تعالى: يا موسى ألا ترضى أن نعنت من أجلك كل يوم رجلاً من النار؟.

لأن شرط النبوة أن يتفرغ لله عندما يُكَلَّف بالرسالة، فلا تكون له مصلحة، ولا أي عمل دنيوي، وتكون وظيفته عند الله ﷻ.

وكذلك نفس الأمر للوارثين، سيدنا أبو الحسن الشاذلي عندما كان يتعبّد لله ﷻ في جبل شاذلة، والعبادة تكون أصفى وأتقى، ليس فيها حرب من المجادلين، ولا من الغيورين، ولا من الحاقدين، ولا من الحاسدين، ولا من المتشددين، وليس له شأن بذلك لأنه جالس في الصفاء مع ملك الملوك ﷻ ...

فقال له: يا علي انزل اهدي الناس إلينا، فقال: يا رب تتركني إلى خلقك هذا يُطعمني وهذا يجرمني؟ فقال: يا علي أنفق وأنا الملمي ... إن شئت من الجيب وإن شئت من الغيب.

١٣ تفسير الرازي وروح البيان وتفسير حقي وغيرها في قصة قتل ابن مسعود لأبي جهل.

نحن لن نرسلك وتنتخلى عنك ونتركك، لكن لا بد أن يتعرضوا للشدائد، وما هذه الشدائد؟ النفوس العنادية، وهي موجودة في كل البشرية، وهذه النفوس الإبليسية العنادية رغبتها وشهوتها في عناد النفوس المخلصة الزكية القوية.

حتى بين الله ﷻ أن هذا حال المرسلين مع أممهم، وهذا حدث مع الكل: ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا ﴾ :

الرسول الذين هم على ثقة تامة بالله، ويعرفون تمام المعرفة أن الله ﷻ سينصرهم إن آجلاً أو عاجلاً فهل يحدث عندهم يأس من هذا النصر؟! لا، هذا اليأس له وجهات: إما أنهم ينسوا من هؤلاء القوم من قبول دعوة الله، ولذلك لا يوجد نبي دعا على قومه إلا بعد أن اطلع على اللوح المحفوظ فوجد أن هذه النفوس لقساة وليس لها في طريق الهداية نصيب، فنوح ﷺ عندما اطلع عليهم ولم يجد في اللوح المحفوظ حتى واحداً منهم مكتوب له الهداية، فماذا قال؟: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا ﴾ (نوح) على حسب ما رآه بعين الكشف في اللوح المحفوظ، لأن النبي لا يقول إلا عن رؤيا حية بصيرية في الألواح الإلهية العلية.

سيدنا رسول الله ﷺ لما اطلع ورأى أن هذا الجيل كافرين وجاحدين، ولكن رأى أنه سيخرج موحدين من ظهورهم، لم يدعو عليهم، ويأتيه ملك الجبال ويقول له: إن شئت أطبق عليهم الأخشبين؟ قال له: ﴿ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ﴾^{١٤}

من هو فرعون؟ كما ذكرنا أبو جهل، ومن كان من كبار فرسان الإسلام؟ عكرمة بن أبي جهل، وقس على ذلك، ولذلك رسول الله ﷺ لم يدعو عليهم لأنه رأى هذا الأمر.

﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا ﴾ :

وهناك قراءة أخرى: " قَدْ كَذَّبُوا " أي أن من حوله كذبوه ولن يؤمنوا بهذه الرسالة، أو القوم المرسل إليهم، لأن المرسلين كانوا يوعدونهم: إذا آمنتم فسيحدث لكم كذا وكذا، وإذا لم تؤمنوا فسيحقيق بكم من عذاب الله كذا وكذا، فإذا طالت المدة يظن هؤلاء الأقوام أن

١٤ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

هؤلاء الأنبياء - حاشا لله - كذبوا عليهم، لأنه لم يأتهم وعد الله مع تكذيبهم ومحادتهم لدين الله.

أو حتى لو أولناها التأويل البشري:

فإن كل رسول وكل نبي وكل ولي وكل صديق لا يأمن مكر الله ﷻ، فلَمَّا يحدث له تكذيب ولم يأت موعود الله له، فماذا يفعل؟

وهذا ما يجب أن نفعله كلنا، يُفْتَش في نفسه، ماذا قصرت ولذلك كذبوني؟ أو في أي شيء أخطأت ولذلك لم ينقادوا إليّ؟ وما الذي أهملته في سبيل الدعوة الإلهية لأنه لم يحدث المطلوب؟. وهي السنة التي وضعها لنا الله، بأننا نراجع أنفسنا دوماً عند أي طلب يتأخر قضاؤه، بعد الإلحاح في الطلب من حضرة الله ﷻ.

وكان على ذلك ولا يزال الصالحون:

فنحن نعلقها في الآخرين ولكن الصالحون غير ذلك، أصحاب رسول الله والصالحون من عباد الله دوماً يلوم نفسه فيراجع نفسه، فإذا لم يتحقق المراد، وإذا لم ينل القصد، وإذا تأخرت الإجابة، فيلوم نفسه ويحاسبها على هذا الأمر، لماذا؟

لأن هذا الذي قاله سبحانه وتعالى لنبيه:

﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ (١٧٩ النساء)

ومن نفسك بالنسبة للمؤمنين هي تطهير، إذا كان عليه ذنوب، أو أوزار، وإما رفعة للدرجات، يعني المؤمن على كلتا الحالات له درجات عند رفيع الدرجات ﷻ.

فإذا ظن هؤلاء أن الرسل كذبوهم جاء نصر الله ﷻ، وإذا ظن المرسلين أن الله ﷻ عاتبهم على تقصيرهم وأخر عنهم الفرج، فيأتي أيضاً نصر الله ﷻ:

﴿ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ ﴾ :

فيأتي نصر الله ﷻ دائماً في وقت الشدة.

ولذلك اليأس كبيرة من كبائر القلوب، فإذا يئس الإنسان في أي أمرٍ من أموره الدنيوية أو الإيمانية فقد ارتكب كبيرة من الكبائر:

﴿ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨٧ يوسف):

وحتى لا يصاب المؤمن باليأس قط في أي أمرٍ من أموره، فدائماً يكون مُنتظراً لفرج الله، وطامعاً في نصر الله، لا يتعلق بغير نصر مولاه طرفة عين ولا أقل، مهما انتابته الشدائد، ومهما أحاط به الأعداء، ومهما حاول أن يُثنيه عن طريقه الألداء، فليعلم علم اليقين أن نَجح الصالحين والنبیین والمرسلين أن نصر الله ﷻ يأتيهم، ولكن بعد حين، وهذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ وبأس الله ﷻ إذا جاء عن المجرمين لا يستطيع أحد أن يردّه عنه، وكما بينا قبل ذلك سيأتي بأس الله ﷻ لأهل أوروبا وأهل أميركا، وكما قال الإمام أبو العزائم رحمه الله، وسمعوا وعوا:

يوم لا مدافع يدافع عنهم ولا ذرّ ولا دارعات الحصون

لا المدافع التي معهم، ولا حتى راجحات الصواريخ ستدفع عنهم، ولا الذرّة - وأبو العزائم قالها قبل اختراع الذرّة - ولا المدرعات المحصّنة، وهي الدُشم المحصّنة ضد القنابل الذرية، وهذه الأشياء كلها لن تنفعهم، لأنه عندما يأتي أمر الله ﷻ فلا مردّ لقضاءه، وقال في أميركا ليبيّن مراد الله كيف يأتي؟ فقال:

وبأمريكا زلازلٌ ومخازي انتقاماً لفتنة الصهيون

وما السلاح الفعّال الإلهي الذي سيُدمر أميركا؟

الزلازل والعواصف، لماذا؟

إنتقاماً لما يفعلونه بالعرب والمسلمين من أجل اليهود، كل الإضرار الذي يضمروه فينا، وكل المؤامرات، وكل الحروب التي يُنشئوها في كل وقتٍ وحين، من حروب إقتصادية وحروب صحية وحروب جراثومية وحروب كذا وكذا وكذا، وكلها من أجل اليهود وماذا يفعلون ضد هذه الزلازل!؟

وما التكنولوجيا التي عندهم وتستطيع أن تمنع هذه الزلازل؟! لا شيء:

﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾.

الحكمة في دراسته قصص السابقين

ثم توجه الله ﷻ بالخطاب لنا جماعة المؤمنين الصادقين أننا ينبغي علينا دراسة سيرة الأنبياء والمرسلين والتابعين والأولياء والصالحين، لماذا؟

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ :

قصص هؤلاء الأقسام تُعين الإنسان على جهاد النفس وعلى تصفية القلب وعلى تحمُّل أذى الخلق ... فمن تعرَّض لطريق الله فلا بد أن يكون له نصيبٌ من أذى الخلق كما قلنا، وما الذي يُعينه على ذلك؟ عندما يقرأ ما حدث للسابقين ويجد أن نصر الله جاءهم بعد حين، فيعرف ويتأكد أنه سيكون في النهاية من المنصورين: ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (١٧٣ الصافات).

من هؤلاء الجند؟ الأولون والمعاصرون والآخرون، ونحن إن شاء الله داخلون في هذه الآية: ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (١٧٣ الصافات) ... ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ﴾ (٤٠ الحج) لا بد أن يأتي نصر الله، ولذلك كان الإمام الجنيد رحمه الله يقول: حكايات الصالحين جُنْدٌ من جُنْدِ اللَّهِ، تُعلي همم المريدين، وتُعينهم على تزكية النفس، وشفاء القلب، وسلوك طريق الله ﷻ، فقالوا له: وما دليلك؟ قال في الآية:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾ .

يعني ليست أحاديث تتناقلها على سبيل التسلية، أو نختلقها أو نؤلفها، ولكنها قصص واقعية:

﴿ وَلَكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من أول الدنيا إلى هذا اليوم الذي نحن فيه ... وفيها كذلك: ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

نسأل الله ﷻ أن يجعل لنا أجمعين عبرةً وأسوةً في سير الأنبياء والمرسلين، وفي أحوال الصحابة والتابعين، وفي قصص الأولياء والصالحين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ
يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِمْ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ السُّوءُ
الْحِسَابِ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْهَادِ ۖ ﴿١٨﴾ * أَفَمَنْ
يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ
أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۖ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ
بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۖ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ
سُوءَ الْحِسَابِ ۖ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ هُمُ عُقْبَى
الْأَرْضِ ۖ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ
آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ
فَإِنَّمَا عُقْبَى الْأَرْضِ ﴾ (سورة الرعد)

٧: صفات أهل الاستجابة

السعداء والأشقياء

القرآن الكريم يكشف الله ﷻ في بيانه الحكيم ما كان وما هو كائن وما سيكون إلى يوم الدين، وما سيحدث لنا وللخلق أجمعين في يوم الدين، حتى نصير فريقاً إلى الجنة جعلنا الله منهم ... وفريقاً إلى السعير أعاذنا الله أن نكون منهم ..

وبين الله ﷻ هذا البيان، بياناً شافياً لا يحتاج إلى جلاء ووضوح، فبين الله ﷻ أن الخلق طائفتين، كما قال النبي ﷺ في حديثه الشريف:

{ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ ﷺ قَبَضَ مِنْ طِينَتِهِ قَبْضَتَيْنِ قَبْضَةً يَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِيَدِهِ الْأُخْرَى، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ: هُوَ لَئِىَ الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي بِيَدِهِ الْأُخْرَى: هُوَ لَئِىَ النَّارِ وَلَا أُبَالِي، ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ فَهُمْ يَتَنَاسَلُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْآنَ }^٢

مع تنزيه الله ﷻ عن المشابهة بالآدميين، وعن المحسوسات والملموسات، لأن الله ﷻ تعالى وتنزه عن جميع الإدراكات بجميع الآلات التي في الإنسان، والتي اخترعها، والتي في جميع الكائنات.

وسيدنا موسى ﷺ كان دائماً يناجي مولاه ويسأله أن يكشف له عن الأسرار الإلهية حتى تروح نفسه ويطمئن قلبه إلى الله جل في علاه، فذات مرة قال له:

{ يَا رَبُّ، خَلَقْتَ خَلْقًا فَجَعَلْتَهُمْ فِي النَّارِ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: أَنْ يَا مُوسَى، ازْرَعْ زَرْعًا، فزرعه، وسقاه، وقام عليه حتى حصده، وداسه، فقال له: ما

١ المنيا - العدوة - مسجد الفتح - ٢٥ من رجب ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦/٥/٢ م

٢ مسند البزار والطبراني عن أبي موسى

فَعَلَ زَرْعَكَ يَا مُوسَى؟ قَالَ: رَفَعْتُهُ، قَالَ: فَمَا تَرَكْتَ مِنْهُ؟ قَالَ: مَا لَا خَيْرَ فِيهِ،
قَالَ: فَإِنِّي لَا أُدْخِلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ ٣

والذي لا خير فيه هو الذي لا يقول: (لا إله إلا الله)!

وربما هذا السؤال يجيش في صدور كثيرٍ من الأحاب، وسيدنا موسى عرف ردَّ الكريم
الوهاب لنستريح لهذا الجواب إن شاء الله.

من الذي يدخل النار؟

الذي يكابر ويجادل، ولا يريد أن يعترف بالألوهية، ولا يقر بالربوبية، ويتكبر أن يقول
حتى بلسانه: (لا إله إلا الله)، فماذا ترى بعد ذلك في هذا الإنسان الذي خلقه الرحمن
وأمدّه بما تشتهيهِ من الكائنات وأنواع المصنوعات والمخلوقات ليربِّه على عينه؟!.

فجاءنا الله بالقول الفصل في هذه القضية في الآيات القرآنية: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا
لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى﴾ والحسنى فسرها النبي ﷺ بنفسه لما نزل قول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا
أَحْسَنَى وَزِيَادَةً﴾ (٢٦ يونس) قيل: يا رسول الله ما الحسنى وما الزيادة؟ قال:

{ الْحُسْنَى الْجَنَّةُ وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ } ٤

فمن استجاب وتاب وأتاب ومشى في رحاب أهل الإيمان فيكون له الجنة، والذين لم
يستجيبوا لله ﷻ ولقرآنه وكتابه ولأنبيائه ورُسله:

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا
بِهِ﴾ يريدون أن يفتدوا أنفسهم به ولن يحدث هذا أبداً، لن يُغنيهم بكل ما يملكون عن
الجزاء الذي قدره من يقول للشيء كن فيكون.

لأنهم كذبوا بالله، وحادروا رُسل الله، وأعلنوا على الملأ العام أنهم كافرين بأنعمه،
جاحدين بخيره وبرّه سبحانه وتعالى، فكان جزاؤهم:

﴿أُولَئِكَ هُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾

٣ الزهد والرفائق لابن المبارك عن عمار بن ياسر
٤ حلية الأولياء لأي نعيم عن كعب بن عجرة

أصناف الناس عند الحساب

والحساب أنواع:

- من الناس من يُحاسب على النقيير والقطمير والقليل والكثير حساباً عسيراً.
- ومن الناس من يُحاسب حساباً يسيراً، وهم المؤمنون المنتقون من أهل اليمين، كيف يُحاسب حساباً يسيراً؟ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ (١٦ الاحقاف) يتقبل الله منهم الأعمال الصالحة مع ما فيها من سهو، ومن نسيان، ومن غفلة، ومن ما شابه ذلك .. يقبلها ﷻ على علاقتها إكراماً لهم، ويتجاوز عن ذنوبهم وعن سيئاتهم، ويجعل هذا الحساب بينه وبينهم، فلا يطلع على هذا الحساب غيرهم، وهي خاصية الأمة المحمدية، سيدنا رسول الله يقول له الله في الحديث القدسي:

{ أبلغ أمتك عني السلام، وأخبرهم أن جعلتُهم آخر الأمم لأفصح الأمم عندهم، ولا أفصحهم عند الأمم }^٥

ونحن عرفنا ما حدث مع الأمم السابقة كلها، لكن من سيأتي بعدنا؟ لا أحد لأننا الختام، فلن يطلع على ذنوبنا وهفواتنا وسيئاتنا إلا الله جل في علاه، ويأتي يوم القيامة ونحن أول من يُبدأ بهم الحساب، قال ﷺ:

{ نحنُ الآخرون، الأولون يومَ القيامةِ }^٦

يعني الآخرون في الخروج من الدنيا، والأولون في الحساب يوم القيامة، وكيف يكون حسابنا؟ سيكون كما وضَّح الحبيب ﷺ وقال:

{ إنَّ اللهَ يُدني المؤمنَ، فيضعُ عليه كنفهَ ويستشره، فيقول: أتُعرفُ ذنباً كذا، أتُعرفُ ذنباً كذا، فيقول: نعم، أي ربِّ، حتَّى إذا قرَّره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال:

٥ تاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي عن أنس ؓ

٦ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أبي هريرة ؓ

سَتَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ ٧

وهذا ما تُسميه الحساب بالفضل، لكن حساب الكافرين بالعدل، ولا يستطيع أحد منا تحمل الحساب بالعدل، ولكننا طامعين في الفضل ونقول: (اللهم لا تحاسبنا بعدلك، فإنك لو حاسبتنا بعدلك على أرحى عملٍ عملناه لك لهلكنا جميعاً، وحاسبنا بفضلك)

وما معنى الفضل؟ يعني التجاوز والتسامح والعفو، وهذا ما علمه لنا الحبيب أن نقول

دائماً:

{ اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي }^٨

وماذا عن المقربين؟ المقربين ليس لهم شأنٌ بذلك، لا بأرض الموقف، ولا بالحساب، ولا بأهوال الموقف، ولا بكرابته، وإنما يطبرون من القبور إلى القصور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنَّا مُبْعَدُونَ﴾ لا يسمعون حسيسها وهم في ما أشتهت

أنفسهم خلدون ﴿الأنبياء﴾ وحسيس جهنم يعني صوتها، وقد ورد بالأثر أن حسيس جهنم بسمع على مسيرة خمسمائة عام ... سفر خمسمائة عام، ومن يستطع السفر لخمسمائة عام؟! فالأرض كلها لو مشيناها لن نأخذ هذه المدة، فكيف بمن يمشي هذه المسافة ويسمع؟! لكن هؤلاء القوم ليس لهم شأنٌ بهذه الجزئية، وما يحدث في الموقف العظيم من الفزع والجزع والهلع ليس لهم شأنٌ به: ﴿لَا تَحْزَنْهُمْ أَلْفَازُ الْأَكْبَرِ﴾ (١٠٣ الأنبياء) هؤلاء استثناهم الله وخصهم على الفور بالجنة، فضلاً من الله ومنه، فلا يتعرضون لسؤال ولا لحساب ولا لعذاب، ويُدخلهم الله ﷻ الجنة بغير حساب: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٠ الزمر).

ويبين الله ﷻ الفارق بين الطائفتين: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾

ونور الله بصيرته، وأنار الله سيرته، ولما استمع إلى القرآن وللايمان اهتز قلبه، وأجاب وأجاب ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ كمن هو أعمى البصيرة؟ لأن العمى عمى البصيرة: ﴿فَلْيَنهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٤٦ الحج).

٧ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

٨ جامع الترمذي وابن ماجه

﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ من يتذكَّر، ومن يظُلُّ على ذكْرِي، ومن يأخذ من الذكْرِي عبْرَةً، ومن يمشي في الطريـق القويم والمنهج المستقيم هم أولوا الألباب، وأولوا الألباب هم أهل الجنة، الذين نَسألُ الله ﷻ أنْ نكون منهم أجمعين.

أبواب النار وأبواب الجنة

النار ذَكَرَ اللهُ ﷻ شأنها في القرآن، وقال في أبوابها: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (٤٤: الحجر) كل باب يدخل منه مجموعة من أصحاب الجرائم الخاصة بهذا العذاب الذي يدخلون منه ومن هذا الباب إليه، فمنهم من يدخل سقر، ومنهم من يدخل الحطمة، ومنهم من يدخل القارعة، ومنهم من يدخل لظى، ومنهم من يدخل جهنم.

وهذه الأشياء لو وصفناها لمكثنا في مقرنا هذا طويلاً، ولن يكفنا تفصيلها، وأنتم والحمد لله لا تحتاجون لشيء منها ... لكن نحن نريد أبواب الجنة، وأبواب الجنة لم تُذكر في كتاب الله، ولكنها ذُكرت في أحاديث رسول الله ﷺ، قال فيها سيدنا رسول الله ﷺ:

﴿ مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ التَّوَضُّوعَ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ، فَتَحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ ۙ ﴾

فأبواب الجنة ثمانية، ومن الذي ذكرهم؟ الذي لا ينطق عن الهوى، هذا الباب ما شكله؟ حبيبتنا أعطانا ملمحاً بسيطاً على قدر عقولنا، فقال ﷺ: ﴿ إِنْ مَّا بَيْنَ مَضْرَاعِي الْجَنَّةِ وَمَقْدَارِ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ يُزَاحَمُ عَلَيْهِ كَارِذِحَامِ الْإِبِلِ وَرَدَّتْ بِحَمْسٍ ظَمَاءً ۙ ﴾^٩

هؤلاء الذين سيدخلون بعد الحساب، لكن نحن لا نريد ذلك، نحن نريد سفينة فضاء تُدخلنا إلى القصر مباشرةً، وهذا الذي نطمع فيه، لأنه حتى من يدخل بعد الحساب سيكون زحاماً، حتى أن الأكتاف تنخلع من شدة الزحام.

٩ جامع الترمذي والنسائي عن عمر بن الخطاب ؓ

١٠ معجم الطبراني عن عبد الله بن سلام ؓ

هذه الأبواب الثمانية جعل الله ﷻ لكل بابٍ منها عمل صالح يوصل المرء إليه، فما الأعمال الصالحة التي تُدخل الجنة؟ الروشنة التي ذكرها لنا ربنا ﷻ في قرآنه وفي كتابه سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾.

وأولو الألباب يعني أصحاب العقول السليمة المستقيمة، الذين يُفكرون التفكير السديد، ويهتدون إلى الهدى الرشيد، لأن المرء إذا كان مريضاً نفسياً فيكون تفكيره غير سديد، ونحن نشهد ذلك في حياتنا الدنيا.

الوفاء بالعهد

أول صفة من صفات هؤلاء القوم الثمانية: ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ :

العهد الذي عاهدنا به الله في يوم الميثاق، لأنه قبل خلق الدنيا، خلق الله ﷻ أرواحنا أجمعين مرة واحدة، وخلق الأجسام على مراحل، لكن الأرواح خُلقت مرة واحدة، وأعطى لكل روح صورتها الخاصة بها، ولا يوجد واحد يُشبه الآخر من الأولين إلى الآخرين، إعجازاً لنا لنعلم تُفرد رب العالمين بالوحدانية.

فإنه كما أنه واحد، فكل صنعه ﷻ واحد ليس له شبيه، حتى أن كل واحد له صوتٌ خاصٌ به، وبصمات عينية، وبصمات أسنانه، وبصمات يديه، وبصمات رجليه، خاصة به، عقله خاصٌ به، وعواطف قلبه خاصة به، وكل أحواله خاصة به، وبنفرد بها، حتى نعرف تُفرد الذات العلية بهذا الصنيع الذي لا يشبهه أحدٌ في الأولين ولا في الآخرين، فخلقنا كلنا وقال لنا: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ كل الكائنات، ونحن بالذات كل الإنس والبشر: ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ كل واحد أخذ صورته التي أعطاها له الله، متى يا رب؟ قال: ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ (الأعراف) إذاً هذا كان قبل نفخ الروح في آدم، وأمر الله للملائكة للسجود لآدم.

إذاً فقد خلقنا كلنا أرواحاً نورانية حيث لا حيث، ولا زمان، ولا مكان، ولا حيطة، ولا إمكان، في غيب غيبٍ، لا يعلمه ولا يطلع عليه إلا حضرة الواحد الأحد الديان ﷻ.

ولمَّا خلقنا أرواحاً جمعنا ولقنَّا وكلمنا وخاطبنا ونحن رددنا عليه:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ساعة الظهور، عندما أظهرنا

أول مرة في العوالم العالية والدانية، وبعد أن أظهرنا وأصبحنا صوراً نورانية تقيّة نقيّة: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ اشهدوا على أنفسكم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وهذا كان خطاباً في المواجهة: ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ (١٧٢ الأعراف) لم يقولوا: سمعنا، لكن شهدنا، رأيناه بالقوة التي أعاننا بها الله، وسمعنا الخطاب، وفقهنا الجواب، ورددنا على الله ﷻ بما أعاننا سبحانه وتعالى من علياء قُدسه، ومن نفخة روحه فينا سبحانه وتعالى.

في هذا اليوم أخذ علينا العهد أننا إذا نزلنا إلى الدنيا نوحده ولا نشرك به شيئاً، ونشكره على نعمه، ولا نكفر بها، ونذكره ولا ننساه، ونطيعه ولا نعصاه، وأودع في قلوبنا جميعاً في هذا الوقت هذه الحقائق، فكلنا أخذنا العلوم من هناك، وبعد ذلك أرسل النبيين، ليس ليعلمونا، ولكن ليذكرونا ويفكروننا، ومن الذي علمك؟ الله: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (الرحمن) هو من علمنا القرآن، ثم: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (٤ الرحمن)، ويأتي النبي، ليذكرك ويقول لك: لا تنسى اليوم الذي أخذت فيه على الله العهد، ولذلك قال له: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (٢١ العاشية) أنت تُذكرهم بما سمعوه قبل ذلك، وما أخذوه من الله سبحانه وتعالى في هذا اليوم، ولذلك أحياناً تسمع من أحدِ علوم، فتقول: يهينى إليّ أني سمعتُ هذا الكلام من قبل، وأنت سمعتها قبل ذلك صحيح ولكنك لا تتذكر، وأحياناً ترى واحداً لأول مرة وتقول: لقد رأيتك قبل الآن، فأين رأيتَه؟ هناك، قال ﷻ: ﴿الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُّجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ۗ﴾

فالتعارف والتآلف من هناك، قالوا للإمام عليّ ﷻ وكرم الله وجهه: اتذكر يوم الميثاق؟ قال: ((نعم، وأعلم من كان فيه عن يميني ومن كان فيه عن شمالي)) يعلم من كان عن اليمين ومن كان عن الشمال، حاضرٌ حضوراً كلياً في هذا اليوم.

الإمام أبو العزائم ﷻ وأرضاه يتكلم عن هذا اليوم عن حاله وأمثاله - نسأل الله أن نكون معهم - فيقول:

من ألسْتُ لم ننسى ما قد شهدنا من جمال الجميل إذ خاطبنا
كيف تُنسى يا جميل وأنت نور سرِّ الأسماء سرُّ المعنى
لم ننسى هذا اليوم، ولا هذه اللحظات الجميلة، ولا الخطاب الشهيّ من الله أبداً.

فأول صفة من صفات أهل الجنة أنهم يوفون بعهد الله، وهؤلاء الذين مدحهم الله وقال فيهم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ وليس كل المؤمنين، ما صفتهم؟ ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب) ٢٣ وقوا بالذي عاهدوا به الله ﷻ.

الحفاظ على المواثيق الإلهية

الصفة الثانية: ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ أَلْمِيثَاقَ﴾:

كيف ينقضونه؟ جاءهم النبي ومعه كتاب الله فيؤفوا معه هو أيضاً، ويجددوا البيعة لحضرة النبي، ويجددوا البيعة للعمل بكتاب الله، ويتلذذوا بتلاوة هذا الكلام، ويجدوا طعامة وحلاوة في العمل الصالح وخاصةً إذا كان فيه مناجاة للملك العلام ﷻ.

لكن من يأتي إلى الدنيا ويكذب، مع أنه هناك رأى!، فقال الله لحضرة النبي: ﴿فَلِإِيَّاهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ لأنهم رأوا قبل ذلك: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِقَايِدَةِ اللَّهِ تَجَحَّدُونَ﴾ (الأأنعام) فلا تحزن عليهم، فهؤلاء معترضين، لماذا؟ حسد منهم، فمنهم من يقول: لماذا نزل الوحي على هذا الرجل؟ ولم لم يختار أحداً من الجماعة الأغنياء؟! ﴿لَوْ لَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف) ٣١.

ومنهم من يقول: أنا كنت مؤهل فلماذا لم يختري أنا؟! فهذه كلها اعتراضات الكافرين والجاحدين والملحددين، لكنهم في قرارة أنفسهم كما قال رب العالمين: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (العنكبوت) ٦١.

فهم يوفون مع الله، ولا ينقضون العهد مع رسول الله، ولا مع نصوص الشريعة المطهرة في العمل بها في هذه الحياة.

فالشريعة أمرتنا بأوامر، يقتضي الوفاء بها أن أنفذ هذه الأوامر، إن كان في البيع، أو كان في الشراء، وإن كان في التعامل مع الأهل، وإن كان في التعامل مع الجيران، وإن كان في صلة الأرحام .. فهذه كلها أوامر إلهية لا بد للإنسان أن يوفّي بها ليدخل في قول الله: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (الحجم) ٣٧ لا بد وأن يوفّي.

أنت تحافظ على الصلاة ولكن لا توفّي بالمواثيق التي وضعها لنا الله في كتاب الله،

ويَبْنِها رسول الله، فتدخل في قول الحبيب:

{ مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ تَزِدْهُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا }^{١٢}

صلة أهل القربى والمودة

الصفة الثالثة: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ ﴾ يصل الأرحام، ويصل العلماء العاملين ليتعلم منهم الدين، ويصل آل بيت النبي الكريم لقول الله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (٢٣ الشورى).

نفرض أنهم بعدوا قليلاً عن طريق الله، يجب أن نصلهم ونصحهم إكراماً لرسول الله صلوات ربي وتسليماته عليه، ولا نعينهم على طريق الغي، بل ننبههم ونصحهم حتى أكون قد أديت ما عليّ نحو رسول الله صلوات الله وتسليماته عليه.

كل أعمال البر والخير التي يقوم بها في أي زمان ومكان نحن مأمورين بقول الرحمن أن نصله ونساعده ونعاونه عليها، لأن الله قال لنا في الأمر الجامع: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ (٢ المائدة) لكن الآفة التي جدت في هذا الزمان أننا جماعة المسلمين كلما قام أحدنا بعمل خير في أي مكان يجد المثيطين والمشوهين والمحرضين أكثر من المعينين والمساعدين والناصرين، وهذا لا يصح بين المسلمين.

رجل تطوَّع بعمل خيري لله، كأن يعمل مسجداً، أو يعمل مكتب تحفيظ للقرآن، أو يعمل مستشفى خيري، أو يريد أن يعمل مقابر صدقة جارية لمن لا يستطيعون أن يصنعوا مقابر لأنفسهم، أو أي عمل خيري، ماذا أفعل؟ إما أن أساعده بالمال، أو أساعده بالقول، أو أساعده بالعمل، ولكن المهم أن لا أثبطه، ولا أوهن عزيمته، ولا أحاربه على المأل وأحاول أن أنفر الناس من حوله، حتى أصل كل من يقوم بعملٍ برٍ وخيرٍ لنفع المسلمين في أي زمان ومكان.

وأنا وأنت كما قال الله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٢٨٦ البقرة)، لا تريد أن تشارك بمالك، فشارك بالكلمة الطيبة وهي صدقه، كأن تقول له: ربنا يعينك، أو ربنا

يقويك، أو ربنا يساعدك، فذلك يُجبر خاطره، وهذا هو المطلوب منا جماعة المسلمين ... لكننا عندما يبدأ الإنسان في عمل الخير تبدأ قائمة الإتهامات والتشكيك ويقولون: إنه يعمل ذلك لمصلحته الشخصية، وأخذ كذا، وعمل كذا، وهل رأيت؟! وهي مصيبة حلت في المجتمع الإسلامي في هذا الزمان، والله يريد منا أن نتزّه ونتبرأ منها في كل وقتٍ وآن، رجل يصنع خيراً إما أن تساعد أو تشجعه أو تتركه، المهم أنك لا تُثبِّط عزمته، ولا تُشعّع عليه، قال الحبيب المصطفى ﷺ:

{ مَنْ أَشَاعَ عَلَىٰ أَمْرِي مُسْلِمٍ كَلِمَةً بَاطِلٍ لِيُشِينَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُذِيبَهُ بِهَا مِنَ النَّارِ حَتَّىٰ يَأْتِيَ بِنَفَاذِهَا }^{١٣}

وهذا أمرٌ لم يستطع المسلمون أن ينزّهوا أنفسهم عنه، فرجل يعمل خيراً، يأتيه حاقد أو حاسد فيتحدث عنه: إن فلان هذا كذا وكذا، لماذا هذا؟! هل رأيت أو شاهدت؟! حتى ولو سمعت قال لك الله: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات) ... وحتى لو رأيت يجب أن تتناقش معه أولاً، لأنه من الجائر أن يظهر لك أمرٌ، وهو يُخفي أمراً آخر، لكن أنت على الفور تُشعّع عليه، ومن يفعل ذلك فهو من غضب الله ﷻ عليه أن يُشوه صورته بين المؤمنين ... حتى أن كثيراً من المؤمنين الآن يخافون من الأعمال الخيرية للحروب التي سيتعرضون لها!! فمن أين تأتي بمن يفعل الخير للمسلمين؟ لذلك لا بد أن نصل كل من يعمل خيراً وبراً لنا وللمسلمين أجمعين في كل زمانٍ ومكان.

خشية الله

الصفة الرابعة: ﴿وَيَحْشُرُونَ رَبَّهُمْ﴾:

أهل الجنة من أهم أوصافهم خشية الله ﷻ، والخشية هي حالة قلبية تجعل الإنسان يلاحظ دوماً أن الله ﷻ مُطلعٌ عليه ويراه، إذا تحرّكت نفسه لتوسوس له بمعصية فيرد عليها ويقول لها: إن الله يراي، وأين أذهب منه؟

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد) وإذا وسوس له أحدٌ ويقول له: لا يرانا أحدٌ،

١٣ الجامع في الحديث لابن وهب عن أبي الدرداء

يقول له: إذا كان الناس لا يرونا فالله ﷻ يرانا.

فخشية الله هي الحفظ للأمة كلها من الوقوع في معاصي الله، وفيما يغضب الله ﷻ،
ولذلك قال ﷻ في طائفة من الناس:

{ مَنْ بَرَّتْ يَمِينُهُ، وَصَدَقَ لِسَانُهُ، وَاسْتَقَامَ قَلْبُهُ، وَمَنْ عَفَّ بَطْنَهُ وَفَرَجَهُ فَذَلِكَ مِنَ
الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ }^{١٤}

يكون من الراسخين في العلم لأنه حفظ نفسه، وما الذي يحفظه؟ خشية الله، والخوف
من الله، ومراقبة الله جل في علاه.

الخوف من الحساب

ومع خشية الله دائماً يتذكَّر أنه مسافر، وأنه ما بين طرفة عينٍ وانتباهتها يجد نفسه قد
خرج من الدنيا وأصبح في الآخرة فيخاف: ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ خائف من الحساب،
فيحاسب نفسه هنا، ولذلك الرجال هم الذين عبر عنهم سيدنا عمر فقال: ((حاسبوا
أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم)).

عندما نكون شركاء في عمل، وأنا أرى شريكي يحاسب نفسه أولاً بأول على كل
صغيرة وكبيرة، فهل أقول له في يومٍ من الأيام هيا بنا لنتحاسب؟ لا، لأن الرجل يحاسب
نفسه، فكذلك نفس الأمر - والله المثل الأعلى - فمن يحاسب نفسه أولاً بأول هو الذي
سيدخل الجنة بغير حساب.

ولذلك أصحاب رسول الله ﷺ كان كل واحدٍ منهم يجعل لنفسه وقتاً على الأقل كل
يومٍ وليلة، وبعضهم كان يحاسب نفسه قبل النوم، فيجلس وحده ويستعرض سجلاته لهذا
اليوم: ماذا عملت من الخير؟ وماذا عملت من الشر؟ وما السقطات التي سقطت فيها؟ وما
الأعمال الصالحة التي عملتها؟ فيشكر الله على الصالحات، ويستغفر الله ﷻ من الذنوب
والسيئات.

وإذا كانت الذنوب والسيئات فيها إساءة للغير، لا ينام إلا إذا قال لفلان سامحي،

١٤ تفسير ابن أبي حاتم والطبراني عن أبي الدرداء

لأنه يخاف أن ينام فلا يقوم، ويطلبه بهذه المظلمة يوم القيامة، حتى ولو كانت كلمة قلتها له وبعدها ندمت عليها.

فماذا فيها لو قلت له: يا فلان سامحي، فلا أدري لماذا قلت هذه الكلمة؟ فهل هذا يُنقص من قدر الإنسان؟!.

ولكننا في هذا الزمان كبرت النفوس، فلا يريد أحد أن يُقَرَّ بالخطأ إذا أخطأ، ويجادل وبماحك يميناً وشمالاً ولا يعترف بخطأه، فإذا لم تعترف أنك أخطأت كيف يسامحك؟! والمصيبة كلها في مظالم العباد يوم القيامة.

نفرض أنك أذنبت، وهذا الذنب بينك وبين الله، فمن الذي يتوب الله عليه؟ من أدرك أنه أذنب واعترف بالذنب وسأل الله التوبة، لكن من أذنب وتمادى في الذنب، ويظن أنه على صواب، ولا يعترف بخطأه ولا ينجي التواب ولا يرجع إلى الله، فهل هذا يتوب عليه الله جل في علاه؟ لا.

وهي نفس القضية، إذا كان الذنب في حق نفسه نحو ربه، أو في حق إخوانه، أو في حق حتى من معي بالمنزل إن كانت زوجتي أو أولادي أو جيراني، فما المانع أن أقول: يا فلان سامحي فأنا أخطأت، قال ﷺ:

{ كُلُّ بَنِي آدَمَ حَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْحَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ }^{١٥}

ما الذي يجعل الإنسان يُحاسب نفسه على ذلك؟ إذا تدكّر أنه سيموت، وبعد الموت هناك حساب، ويُقال له: لا تدخل الجنة حتى تُرضي خُصماءك، اجلس معهم وتفاوض معهم وأحضر محاضر الصلح، ما الذي يلجئني لهذا؟! الأمر سهلٌ في الدنيا، ولكن هناك الأمر صعبٌ، لأن هناك كل إنسان يبحث عن الأشياء التائهة لِيُكثر حسناته، لكن هنا لو انتبه، وقال: سامحي يا فلان، فسيقول له: نحن إخوة وأهل وأحباب وينتهي الأمر، بذلك تأخذ البراءة.

فما الذي يعني من ذلك؟ الكبر، والنفس التي تمنع الإنسان من ذلك، وهناك سيندم

١٥ سنن ابن ماجة والدارمي عن أنس

ندماً شديداً على ذلك، ويقول: يا ليتني لم أفعل ذلك، ولكن لا ينفع الندم.

الإمام الشبلي رحمته الله وأرضاه كان من كُملِّ الصالحين، وكان قد عُيِّنَ والياً يعني حاكم، وعندما جاءه الموت وجدوا دموعاً قد طفرت من عينيه وأخذ يبكي، فسأله: لم تبكي فالحمد لله حياتك كلها مع الله؟ قال: يوجد ذنبٌ فعلته وأنا والي، فقد أخذتُ من رجل ديناراً رغماً عنه، وبحثُّ عنه في كل أصقاع الأرض فلم أجده، فتصدقتُ عنه بألوفٍ، ولكن أخاف أن يُطالبني يوم القيامة به!! كل هذا من أجل دينار واحد!! فماذا نفع في أنفسنا؟! منا من يأكل حقوق إخوته، فأين يذهب؟! ومن يغشِّ المسلمين في الثمن أو في الكيل أو في البيع فأين يذهب؟! وغيره وغيره وغيره.

فالمسلم الحكيم هو من يجعل لنفسه وقتاً للحساب، يحاسب نفسه فيه، وليس كل شهر، ولكن كل يوم مرة، قبل المغرب، أو قبل النوم، لا بد أن يكون لك حساباً مع النفس ... حتى أن بعض الصالحين كان يكتب كل شيء يفعلُه، خوفاً من النسيان، وطبعاً الإنسان ينسى ما يفعله، ويراجع ما كتبه قبل المغرب، فينظر ماذا فعل، وماذا تكلم، لماذا؟ من أجل: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا).

الصبر لله

الصفة الخامسة: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾:

أهم ما ينبغي أن يتحلى به المؤمن في دنياه ليدخل الجنة بغير حساب، أو إن قلَّ مجهوده أن يدخل من الأبواب هو أن يُدرب نفسه على الصبر، فتجد آيات القرآن تُركِّز على الصبر: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَتُذَكَّرُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ (٢٤ السجدة) ﴿وَمَا يُقْلِبَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ (٣٥ فصلت) وماذا يُلقَى؟ الدرجة العظمى في الجنة: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٠ الزمر).

والصبر الذي وضَّحه لنا الله في هذه الآية له ميزة، لماذا؟ لأنه ليس من أجل الخلق وتحمل أذاهم أو الخوف منهم ولكن: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ الصبر يكون لله، والصبر يكون إما صبر عن المعاصي، وإما صبر عن الطاعات.

فالصبر عن المعاصي هو البعد عن المعاصي التي تزينت وتهيات للإنسان وأصبح سهلاً

عليه أن ينزلق فيها، فإذا صبر فله أجر الصابرين.

كيوسف نبي الله، لما غلقت زليخة الأبواب وقالت: هَيِّتْ لَكَ أَوْ هَيْتْ لَكَ، على حسب القراءات المتعددة الموجودة فيها: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ (يوسف ٢٣) ولذلك قال ﷺ:

{ عَلِّمُوا أَرْقَاءَكُمْ سُورَةَ يُوسُفَ فَإِنَّهُ أَيُّمَا مُسْلِمٍ ثَلَاثًا وَعَلَّمَهَا أَهْلَهُ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَأَعْطَاهُ الْقُوَّةَ أَلَّا يَحْسُدَ مُسْلِمًا }^{١٦}

وزليخة كانت جميلة من الجميلات، وكانت مشكلتها: أنها كانت متزوجة من ابن عمها العزيز، وكان عينيًّا لا يأتي النساء، وهي كانت صابرة على هذا الأمر، ولا تستطيع أن تُفصح عن ذلك.

ولما تكلم النسوة عليها جمعتهن وأعطت كل واحدة منهن سكيناً وطبق فيه تفاح، وقالت لهنَّ: تفضلن، فبدأن في تقطيع التفاح، ثم قالت ليوسف: أدخل عليهن، فلما دخل نسوا ما في أيديهن وقطعن أيديهن، من جمال يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة وأتم السلام.

وهناك صبرٌ على الطاعات، وحتى يؤدي الإنسان الطاعات كما ينبغي لا بد وأن يصبر، يريد أن يصبر على قيام الليل ولو لنصف ساعة ليقف بين يدي الله في جُح الظلام، أو يريد أن يُصبر نفسه بعد أن يُصلي الفجر ليفوز بالنعمة العظيمة ويظل حتى شروق الشمس يذكر الله، أو يريد أن يصبر في الأيام الحارة ويصوم بعض الأيام لله وقد قال ﷺ:

{ مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَاعَدَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ بِذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْعِينَ حَرِيفًا }^{١٧}

لأنه يتحمَّل الحر ويصبر .. كل العبادات لا بد أن يكون فيها الصبر، فقد روي عن سيدنا علي بن أبي طالب ؓ أنه قال: { الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ }، وقال ﷺ: { الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ }^{١٨}

وهناك صبر على الأقدار التي يُجرِّبها الواحد القهار، فلا يتبرم بها المرء، ولا تضيق بها نفسه، ولا يتزلزل، ولا يتغير، ولا يقول ولا يفعل ما لا يُرضي الله، أو ما نهي عنه رسول الله،

١٦ الوسيط في تفسير القرآن المجيد عن أبي بن كعب ؓ

١٧ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ؓ

١٨ مسند الشهاب والبيهقي عن عبد الله بن مسعود ؓ

بل يستسلم لقضاء الله ويقول كما علمنا الله: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٦).

لا بد للمؤمن أن يُدرب نفسه على الصبر على هؤلاء الثلاثة حتى يكون من الصابرين الذي يدخلون الجنة بغير حسابٍ إن شاء الله.

إقامة الصلاة

الصفة السادسة: ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ وهذا الشرط الأساسي الذي لا غنى لكل مسلمٍ عنه لقوله ﷺ عن الصلاة:

{ مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا ، كَانَتْ لَهُ نُورًا ، وَبُرْهَانًا ، وَنَجَاةٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا ، لَمْ تُكُنْ لَهُ نُورًا ، وَلَا نَجَاةً ، وَلَا بُرْهَانًا ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ ، وَفِرْعَوْنَ ، وَهَامَانَ ، أَبِي بَنِي خَلْفٍ }^{١٩}

ولم ذكر هؤلاء الأربع؟ لأن فرعون كان يدعي أنه إله، وهامان كان وزيره وكان مشغولاً بالوزارة، وقارون كان مشغولاً بجمع الأموال، وأبي بن خلف كان مشغولاً بمحاداة ومعاداة رسول الله.

فيكون مثله مثل هؤلاء القوم إذا ترك الصلاة، أو تخلى عنها لحظةً من حياته، وكلنا كما قال ﷺ:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }^{٢٠}

معك أحدٌ لا يُصلي فأنت شريكٌ معه في المسؤولية: ﴿ وَأَمْرًا هَلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا ﴾ (١٣٢هـ) ولا تقول أنا مشغولٌ بالرزق، فالرزق شأن الله: ﴿ لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعِيقَابُ لِلتَّقْوَى ﴾ (١٣٢هـ).

الإففاق

الصفة السابعة: ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ من أراد الدرجات العلى في

١٩ سنن الدارمي ومسنند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٢٠ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

الجنة، وأن يتهنّى بفضل الله على الدوام، فلا بد أن يكون له نصيبٌ في باب الإنفاق، لأن الله ﷻ يقول في الحديث القدسي:

{ يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ }^{٢١}

﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ وهنا الأمر واسع، فإذا رزقه الله مالاً يُنفق منه على الفقراء، وإذا رزقه الله علماً فلا بد أن يعمل في نشر هذا العلم ابتغاء وجه الله، قد يخطب خطبة الجمعة مقابل مال، لا بأس ولكن اجعل بعدها درساً لله، حتى تكون قد أنفقت من العلم الذي حمّلك إياه الله جل في علاه.

لكن هل لا تقول كلمة العلم إلا بالثمن؟! كبيع الدعاة الموجودون في هذه الأيام، في الفضائيات وغيرها، الذين يأخذ الواحد منهم في الليلة عشرة آلاف جنيهاً، ومنهم من يأخذ في الليلة خمسة وثلاثين ألفاً، ومنهم من يأخذ في الليلة مائة وخمسين ألفاً!!.

وماذا تصنع بهذه الآلاف؟! فقد حُرمت من الأجر والثواب عند الله ﷻ، وهذه الآلاف ستجمعها ثم تتركها: ﴿ أَشْتَرُوا بِعَائِدَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ (٩ التوبة).

وإن أعطاك الله قوةً فتعين بها الضعفاء والفقراء المحيطين بك، كامرأة فقيرة ولا تجد من يقضي لها مصالحها، فهي فرصة أن أنفق من قوتي وأقضي لها ما تريد، وأطوع لها نفسي كما كان يفعل جيل المسلمين الأولين.

لكننا أصبحنا في زمن من يبلغ منا فيه الكبر لا يجد حتى ابناً له من أبنائه يرعاه، فالإبن مشغولٌ بزوجته وعباله، أما والديه فلا علاقة له بهما، لماذا؟! وأين ما رزقناهم من القوة!؟

وإن أعطاك الله منصباً فتستطيع أن تنفع به غيرك، فأوصّل حاجة من لم يستطع إبلاغ حاجته إلى المسؤولين الذين باستطاعتي أن أحادثهم وأن أعاملهم لوجه الله ﷻ، قال ﷺ:

{ مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفًا عِنْدَ مِيزَانِهِ، فَإِنْ رَجَحَ وَإِلَّا شَفَعْتُ لَهُ }^{٢٢}

٢١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
٢٢ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

الحبيب بذاته سيشفع له، لأنه يُسهّل مصالح الناس المستضعفين الذين ليس لهم سند أو عون، وأي مسلم سندٌ لمعاونة إخوانه المسلمين أجمعين، قال ﷺ:

{ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا }^{٢٣}

ومنذ أن تفصّد بنياننا من بعضه، حدثت المشاكل التي ليس لها حد عندنا، فهذا بنيان واحد، فتعاون بعضنا ونساعد بعضنا في الملمات، قال ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ }^{٢٤}

وفي رواية أخرى:

{ لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ }^{٢٥}

وحضرة النبي ﷺ فصلّ بيوت المؤمنين، فقال:

{ فَرَّاشٌ لِلرَّجُلِ، وَفَرَّاشٌ لِلْمَرْأَةِ، وَفَرَّاشٌ لِلضَّيْفِ، وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ }^{٢٦}

هذا التقسيم الإسلامي والفراش كناية عن الغرفة بلغتنا اليوم والمرأة أى للأولادها، وفيه بيتٌ أى غرفة للضيف، فماذا نصنع للضيف وليس معنا شيئاً؟! قال: ليس لكم شأنٌ بذلك، فقبل أن يدخل الضيف البيت بأربعين يوماً يذهب إلى هناك مندوبٌ من وزارة الأرزاق والتموين الإلهية بتموين هذا الرجل في الفترة التي يأتي فيها، وماذا نكسب من ذلك؟ قال الحبيب ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ الضَّيْفُ عَلَى قَوْمٍ دَخَلَ بَرِّزِقِهِ وَإِذَا خَرَجَ خَرَجَ بِمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِمْ }^{٢٧}

وقال في الحديث الآخر الذي يُخيفنا منه:

٢٣ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه

٢٤ صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن أبي مالك الأشعري

٢٥ مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

٢٦ عن جابر بن عبد الله مكارم الأخلاق (الخرائطي)

٢٧ رواه الديلمي عن أنس رضي الله عنه

{ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الدَّارِ بَيْتُ الضِّيَافَةِ }^{٢٨}

البيت الذي لا يدخله ضيفٌ كيف يكون بيتاً؟ هل يوجد بيتٌ من بيوت المسلمين لا يدخله ضيفٌ، لا، لأن زكاة الأكل والشرب في البيت الذي نحن فيه أن يدخل فيه ضيفٌ.

فإذا لم يوجد ضيفٌ، أبحث عن فقير وأطعمه لوجه الله، وأقول كما قيل في حق سيدنا علي: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (١٩ الإنسان).

الحمد لله شعبنا، ووسّع كل واحدٍ منا على نفسه في الطعام، ونصف ما يطبخونه يلقونه، فبدلاً من ذلك أعطي الفقير باقي هذا الطعام، فلو فعلنا ذلك فهل يبقى فقيرٌ في بلادنا؟! لا، وأنت كُلُّ فقط ما يحتاج إليه جسمك، ولا تأكل إلى أن تمتلئ المعدة ثم تبحث عن شيء يهضم وغيره، ولماذا تضع نفسك في هذا المأذق؟! لكن كما قال حضرة النبي:

{ نَحْنُ قَوْمٌ لَا نَأْكُلُ حَتَّى نَجُوعَ وَإِذَا أَكَلْنَا لَا نَشْبَعُ }^{٢٩}

إذا فعلنا ذلك، فمن أين يأتينا المرض، لكننا خالفنا هذه التوجيهات وهذه التعليمات، ولذلك قال سيدنا عبد الوهاب الشعراوي رحمته الله: ((أقبح القبيح صوفي شحيح)).

هل يوجد أحدٌ ينتسب للصوفية ويكون شحيحاً؟! لا، يريد أن يمشي هنا وهناك ويأكل فقط، لا بأس، ولكن يجب أن يكون لك نصيباً في مشاركة الأجر والثواب لتكون قد استفدت من هؤلاء الأقوام، وتكون معهم يوم العرض والجزاء.

فالإنفاق هو الباب الواسع، الذي فيه النور الساطع لمن يدخله فوراً من الله تعالى.

﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ سواء في السر أو في العلانية، وكما قال تعالى:

{ فَضْلُ صَدَقَةِ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلَانِيَةِ كَفَضْلِ صَلَاةِ اللَّيْلِ عَلَى صَلَاةِ النَّهَارِ }^{٣٠}

فإن كان الإنسان قدوة فلا بد أن يكون له شيء ظاهر ليتعلم منه غيره ويقتدي به.

الحسنات يذهب السيئات

٢٨ الجامع لأخلاق الراوي أدب السامع للخطيب وتاريخ دمشق لابن عساكر عن أنس رضي الله عنه

٢٩ زاد المعاد والبداية لابن كثير

٣٠ السادس عشر من المشيخ البغدادية لأبي طاهر السلفي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

الصفة الثامنة: ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾:

فهؤلاء يعملون بحديث حضرة النبي:

{ وَأَتْبَعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا }^{٣١}

فإذا فعلتُ ذنباً، فبعده على الفور ماذا أفعل؟

أعمل عملاً طيباً: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسَيِّئَاتِ﴾ (١١٤ هود) قال ﷺ:

{ مَا قَالَ عَبْدٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا طُمَسَتْ مَا فِي صَحِيفَتِهِ مِنْ

السَّيِّئَاتِ حَتَّى يَسْكُنَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ }^{٣٢}

محة تمسح الذنوب، من كلمة واحدة فقط، فإذا عملتُ ذنباً فماذا أفعل؟

على الفور أَسارع إلى طاعة الله، أو ذكر الله، أو الإستغفار لله، أو أي عملٍ صالحٍ لله،

لكي يغفر لي الله سبحانه وتعالى.

جزاء الصادقين

من تخلق بهذه الأخلاق الإلهية، وأصبح بهذه الأوصاف القرآنية فما مكافأته عند رب

البرية؟ له ثلاث مكافآت:

العاقبة الطيبة

المكافأة الأولى: ﴿أُولَئِكَ هُمْ عُقَبَى الدَّارِ﴾:

العاقبة الطيبة في الدار الآخرة، وحسن المال

وهي الدار التي يبين حضرة النبي أمرها فيقول في أول الحساب:

{ يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَعُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ

يَا ابْنَ آدَمَ: هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟، فيقول: لَا وَاللَّهِ يَا رَبُّ،

٣١ جامع الترمذي وسنن الدارمي عن أبي ذر

٣٢ مسند أبي يعلى الموصلي واتفق الخبير المهرة للبوصيري عن أنس

وَيُؤْتِي بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْنَعُ صَبْعَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيَقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ: هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟، فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ {^{٣٣}

غمسة واحدة في جهنم تُنسيه كل أنواع النعيم، وغمسة واحدة في الجنة تُنسيه كل ألوان الشقاء، فالذين يُكرمهم الله ﷻ ويرضى عنهم هم الذين يُكرمهم في العقبى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ عُقَبَى الدَّارِ﴾:

لهم الدار الباقية، ولهم العاقبة الطيبة الحسنة عند الله، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا لِمَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ }^{٣٤}

هل نستطيع أن نصل لأهل أوروبا وأمريكا في الدنيا؟ لا، لأن هؤلاء هم وقود النار بما اقترفت أيديهم من ظلم العباد: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (٢٤ البقرة) ...

لكن الله قد أنعم علينا بالإيمان، وخلع علينا خلع الرضوان لأنه دعا لنا في الآخرة بأن جعل لنا العاقبة الطيبة ولنا الجنان.

الجنة مقامهم

المكافأة الثانية: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾:

وعدن يعني الإقامة، أي يقيمون فيها، وهناك حيي اسمه عدن، ولكن كلمة (جنات عدن) لكل أنواع الجنات التي جعلها الله في الجنة، لأنهم يقيمون فيها خالدين فيها أبدا. ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾:

وهذا أول إكرام أن يدخلوا الجنة، ولكن زوجتي التي كانت معي، وأولادي، فهل أكون في الجنة سعيداً وأتَنعم وهم في النار؟ أو هم في درجة غير درجتي؟ فأنا أريد أن نكون

٣٣ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أنس

٣٤ شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن مسعود

مع بعضنا، نعيش في مكان واحد كما كنا نصنع في الدنيا، ولذلك طمأننا الله ﷻ فقال:

﴿ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾

فيكونون كلهم مع بعضهم، هو وآباؤه وأبناؤه وذريته وزوجته.

يخاطبنا الله فيقول:

﴿ يَنْعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٧﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ (الزخرف) ..

يدك في يد زوجتك، ما هذا؟ إكراماً من الله لأحباب الله وأصفياء الله، قال ﷺ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، لَتَقَرَّبَهُمْ عَيْنُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: " وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ " ٣٥

فلم يستطيعوا أن يعملوا مثل عمله، والدنيا أخذتهم قليلاً، ولكنهم كانوا يحافظون على الفرائض الأساسية، وهذا هو المهم، أن يحافظوا على الصلاة وعلى الزكاة وعلى الأساسيات الإسلامية، لكن لم يعملوا الأعمال الصالحة التي توصلهم إلى هذه الدرجات العلى، فيرفعهم الله ﷻ إلى درجته ومكانته في الجنة حتى يجمع شمله، لأنها أرض فرح وسرور، ليس فيها حزن.

فمجرد أن يدخل الرجل الجنة يجد كما قال الله: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ ﴾ (٦٦ الرحمن) تنضح يعني تُخرج الماء لك أنت خصيصاً:

- فيشرب من العين الأولى فيذهب عنه الحزن، فيقول: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ (٣٤ فاطر) .

- ويشرب من العين الثانية فيظهر عليه نضرة النعيم.

فلا يوجد أحدٌ في الجنة يحزن، فهم في سرورٍ دائمٍ ومتصل!!

ولذلك من حكمة الله ﷻ أن لا يوجد أحدٌ في الجنة يرى من هو أعلى منه، لماذا؟

٣٥ القضاء والقدر للبيهقي، ومعالم التنزيل تفسير البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما

حتى لا يحزن ويقول: لماذا لم أكن معهم؟ ولكن يرى من هو تحته ليفرح، فالله ﷻ لا يريد أن يكون فيها حُزْنٌ ولا هَمٌّ ولا غَمٌّ، وكلنا يريد أن يكون في درجةٍ واحدةٍ مع الحبيب ﷻ، فهو ﷻ فَرَحْنَا وقال:

{ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ }^{٣٦}

نحن كلنا نحبه، ولكن الحب الذي يقول عليه:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ ، وَوَالِدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }^{٣٧}

فنكون هناك مع رسول الله، في أي مكان: ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ (٦٩ النساء) وهل كل واحد منهم في مكان؟ لا، كلهم مع بعضهم في حيِّ الأنبياء والمرسلين، وقرّة العين مع سيد الأنبياء والمرسلين ﷻ.

الملائكة في خدمتهم

المكافأة الثالثة: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ :

الملائكة الذين لم يعصوا الله طرفة عين، ولم يتزوجوا، ولم يسعوا للرزق، ولا أكلوا ولا شربوا ولا ناموا، وحياتهم كلها في طاعة الله، يكونوا خُدّاماً لنا.

أرايتم إعجاز الله ﷻ؟

فنحن ننام ونأكل ونلهو ونلعب ونسهو ونُذنب!!!

وهؤلاء لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولا ينامون ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتزوجون من لحظة أن خلقهم الله، وعمرهم طوال الدنيا كلها، وليس ستين أو سبعين مثلنا، ومع ذلك يأمرهم الله ﷻ أن يخدمونا، قال ﷻ:

{ هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمُهَاجِرُونَ، الَّذِينَ تَسَدُّ بِهِمْ

٣٦ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٣٧ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهِ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَّتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحْيُوهُمْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَاوِكَ، وَخَيْرُكَ مِنْ خَلْقِكَ، أَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي، لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهِ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَّتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ " سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ " { ٣٨

وبعد تحية الملائكة تأتي تحية الله: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ (٤٤: الأحزاب) فالملائكة ستحييهم، والله ﷻ سيحييهم ويسلم عليهم، لماذا؟ لأن هؤلاء اتصفوا بصفات المؤمنين.

مثل هذه الآيات لا تحتاج لدرس كالذي عملناه، ولكن تحتاج أن الواحد منا يضعها أمام عينيه ويبدأ لينقذ شروطها شرطا شرطا، والشرط الذي ينفذه ينتقل للشرط الذي بعده، كما كان أصحاب رسول الله يفعلون، فإذا استوفى الشروط فيا بشرها ويا هناه لأنه فاز بهذا الأجر الكريم الذي وعد به الله ﷻ من طبق الآيات، وانطبقت عليه المواصفات!

نسأل الله ﷻ أن نكون من أهلها، ومن الذين يفوزون بالجزاء الكريم الذي أعدّه الله لمن اتصف بصفاتها، وأن يوفقنا أجمعين لفعل الخيرات، وأن يحفظنا بحفظه من المعاصي والمنكرات، وأن يجعلنا في هذا الزمان مؤيدين بحضرة الرحمن، ولا يجعل للشيطان ولا للأشرار علينا سلطاناً، ويحفظ علينا وعلى أبنائنا وبناتنا وزوجاتنا الإيمان، حتى نقر من الدنيا إلى حضرته ونحن مسلمين، ويلحقنا بالصالحين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ
بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ
الْقُلُوبُ ﴾ (٢٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ
وَحُسْنُ مَقَابٍ ﴿ (الرعد)

٨: طمأنينة القلب

d d d d d d d d d d d d d d d d d

القرآن الكريم أرسله الله ﷺ لنا جماعة المؤمنين رحمة من الله، وهدايةً من الله، وشفاءً من الله، فإذا سرنا على هُداه كنا في الدنيا موفقين ولننا رضا الله، وكنا بعد ذلك في الآخرة مع الذين أنعم عليهم الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

فن الغافلين

ولذلك قدم القرآن لنا جماعة المؤمنين نصائح غالية حتى لا ننجرف في هذه الدنيا مع الغافلين عن الله، والساهين عن ذكر الله، والبعيدين عن كتاب الله، بل نكون دائماً وأبداً مع محمد رسول الله والذين معه.

كلمة الناس من النسيان، ولذلك عندما يخاطب الله في القرآن ويقول:

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ﴾ أي الناسين لله، والناسين لذكر الله، والناسين لكتاب الله، والناسين

لدعوة سيدنا رسول الله ﷺ، لكن خطابه لنا:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وآمنوا يعني صدّقوا وتابَعُوا.

فإذا نظرنا إلى من حولنا في عالم الدنيا نجد أن أغلب الناس في هذا الزمان وما قبله من الأزمان تطمئن قلوبهم للدنيا وزينتها وزُخرفها وما فيها من صنوف النعم وأنواع البر، فمن الناس من لا يطمئن إلا إذا ملك المال؟! وإذا لم يأت المال وقلَّ عنده المال تتغير منه الأحوال، لأنه لا يطمئن إلا بالمال، مع أن المال سُمِّيَ مالاً لأنه يميل بالمرء.

فإما أن يميل به إلى جنة مولاه إذا وفقه مولاه لاستخدامه فيما يحب الله ويرضاه، وإما أن يميل به إلى جهنم والعياذ بالله لو استخدم هذا لمال في ما يُغضب الله من المخدرات والمسكرات والخمور والربا والزنا وما شابه ذلك، لكن الناس أغلبهم يميل إلى لمال.

١ المنيا - بلهاسة - ٢٦ من رجب ١٤٣٧ هـ / ٣/٥/٢٠١٦ م

d d

- ومن الناس من يطمئن إلى المنصب والجاه الذي فيه، ويظن أنه سيُخلد في هذا المنصب ولن يتخلى عنه، أو لن يخرج منه.

- ومنهم من يطمئن إلى الأولاد الذين رزقه الله ﷻ بهم، ويرى أن حوله عُصبة سيعينونه ويقوؤونه فيكونون شُغله الشاغل.

هؤلاء وهؤلاء ماذا قال لهم ربهم؟ ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (٢٨ الأنفال) هم فتنة لكم إذا كانوا بهذه الكيفية.

ونحن نريد أن يكونوا نعمة فماذا نفعل؟

نجعلهم وسائل مُعينة لنا على طاعة الله، وعلى بلوغ الرضا الذي نتمناه مع حبيب الله ومصطفاه، والصحابة المباركين الذين كانوا معه، ولذلك قال ﷺ:

{ نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ }

لماذا؟ لأنه سيستخدم المال فيما يُحبه الله، وفيما يُبيحه له كتاب الله، ولن يُنفقه في مصرفٍ نهى عنه شرع الله، ولذلك أثنى عليه حضرة الحبيب ﷺ، والذين اطمأنوا للمال ولالأولاد وللمناصب، قال لهم الله وقال لنا: ﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَلْهَمُهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٩ المنافقون) ومن يقع في هذا المطب وينشغل بماذا عنه؟ ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩ المنافقون).

طمأنينة المؤمنين

وبماذا يطمئن المؤمنون؟ كما قال لنا الله في الآيات التي بين أيدينا:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ :

لا تطمئن قلوبهم لا بالمال ولا بالأولاد ولا بمنصب ولا بأي شيء في الدنيا، لأن هذا كله زائل ... وبماذا تطمئن قلوبهم؟ ... إذا وفقهم الله ﷻ لذكره جل وعلا، فكانوا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، ولماذا يطمئن؟

٢ صحيح ابن حبان عن عمرو بن العاص

d d

لأن الله معه، وأن الله لن يخذله في أي أمرٍ، وأن الله سيفرج عنه كل كرب، وأن الله سينصُرُه على من عاداه، وأن الله يتولَّى جميع أموره في الدنيا، وفوق ذلك فإنه من أهل النجاة والجنة العالية يوم يلقي الله جل في علاه.

وما الشيء الذي نريد أن نطمئن إليه؟ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطَهَّرُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ :

ذكر الله الذي تنصُّ عليه هذه الآية ليس ذكر اللسان فقط، فذكر اللسان ذكره الله في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١ الأحزاب) التسييح والتحميد والصلاة على حضرة النبي والاستغفار وقراءة القرآن ... كل هذا ذكرٌ لله، فمن يُرد أن يذكر الله ذكراً كثيراً كما قال حضرة النبي: { لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ } ٣

فيكون لسانه ذاكراً على الدوام، ويتنقل من ذكر إلى ذكر، والله ﷻ كثر الذكر حتى لا يمل الإنسان، فلو ذكر بحالة واحدة فرمما يملُّ ويكلُّ، لكنك تستغفر، فإذا مللت من الاستغفار تدخل على الصلاة على النبي المختار، ولو شعرت بالتراخي تذكر الله بتلاوة القرآن، أو تُسبِّح الله وتحمده وتكبر الله .. ذكر باللسان، وهذا ما قال الله لنا فيه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١ الأحزاب) فلا تمل، لأنه لا ينفع الملل من ذكر الله، لقول حبيب الله ومصطفاه: { فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا } ٤

ذكر الجوارح

لكن الذكر الذي يُطمئن القلب: هو ذكر الله ﷻ بجميع الجوارح التي أوجدها الله ﷻ للإنسان.

أولاً: ذكر العين

﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١٠١ يونس):

تنظر في الكائنات، وتتدبر فيها لكي يطمئن القلب إلى بديع إبداع صنُّع الله، وإلى إتقان الله ﷻ في كل ما كونه لنا في هذه الحياة بالتفكير والتدبر.

٣ سنن الترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن بسر ؓ

٤ البخاري ومسلم عن عائشة ؓ

إذا فُكّر العبد وتدبّر، أصابت القلب الخشية، وإذا أُصيب القلب من خشية الله ظفرت الدموع من العين، والدموع إذا نزلت من العين لخشية الله فهذا أكبر ذكر للعين يُثبّتها عليه الله جل في علاه، قال ﷺ:

{ عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }^٥

ثانياً: ذكر الأذن:

يكون بالإصغاء إلى كلمات الله، والإصغاء لدروس العلم التي تُدكّرنا بالله، وتفقهنا في دين الله، والإصغاء إلى النصحاء الحكماء الذين يرشدون إلى الطرق السديدة التي توصلنا إلى الله.

فلو أنا على حالةٍ من هذه الحالات، أستمع إلى القرآن، أو أنصت وأستمع إلى مجلس علم، أو أخشع وأستمع إلى النصيحة وأقبلها بقبول حسن، وأقول كما قال سيدنا عمر: ((رحم الله امرأً أهدى إليّ عيوب نفسي)) فالأذن أصبحت هنا ذاكرة لله جل في علاه.

ثالثاً: ذكر اللسان

ذكر اللسان في كل كلمة يقولها المرء للتخفيف عن إخوانه المؤمنين أو إسعادهم، أو مناجاةً لحضرة الله ﷻ، وليس قاصراً على ما ذكرناه من قبل.

إنسانٌ مريض أرفع روحه المعنوية فكلماتي هذه ذكر لله ﷻ، أو إنسانٌ عنده مصاب فأقول له كلمات لأخفف عنه وقع هذا المصاب وأجعله يُسَلِّم ويرضى بقضاء الله، فتكون كلماتي هذه ذكر لله ﷻ، أو جلست في مجلس صلح وأخذت أُقَرِّب وجهات النظر بين هذا وذاك ليصطلحا ويصيرا إخوة، فكلماتي هذه كلها ذكر لله، حتى ولو كانت ليلة كاملة فكأنها إقامة تامة بين يدي من يقول للشيء كن فيكون.

أو أحارب شائعة من الشائعات نشرها أعداء الإسلام ليفتتوا شمل المسلمين، وأحاول أرد من اقتنعوا للشائعة بالحجة والمنطق والبرهان ليظلّ المؤمنين واثقين في رب العالمين وفي سيد الأولين والآخرين ﷺ.

٥ جامع الترمذي والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

كل هذا ذكرٌ للسان، فليس الذكر قاصراً فقط على المسبحة، ولكن كل الكلام لإخواني المؤمنين، وأكبره وأعظمه إذا كان أمرٌ معروفٍ أو نُهي عن منكر، ولكن بالطريقة السديدة الرشيدة التي كان عليها النبي ﷺ، وصحابته المباركين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

رابعاً : ذكر اليد :

بأن لا أقبضها على ما معي من مال، بل أبسطها ويكون ما معي منه نصيب للفقراء والمساكين والمحتاجين، أي أنه ذكر عطاء، فتُعطي للمحتاجين والفقراء والمساكين، وتساعد الضعفاء، وتأخذ بأيدي المسنين والعجزة والمرضى بين المسلمين، حتى يعمُّ التكافل والتراحم فيما بين مجتمع المسلمين أجمعين.

فيكون كل عضو من جوارحنا له ذكر، وهذا الذكر الذي أشار إليه الله في قوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطَهَّرُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ :

هذا الذكر هو الذي يأتي بالطمأنينة في القلب، وهو ذكر الجوارح والأركان، كالعينين والأذنين واللسان واليدين والرجلين والفرج والبطن.

حقيقة الطمأنينة

وماذا يعني أن يطمئن القلب؟

أن يثق في الله، ويطمئن إلى أقدار الله، ويعلم علم اليقين أن الله ﷻ مطلع عليه ويراها، سيكون عنده في داخله يقين أن الله ﷻ لا يختار إلا الأفضل والأحسن له في الدنيا، ليكون من السعداء يوم لقاء الله، فيدخل في قول الله ﷻ:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيْ

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥ النساء)

والطمأنينة عندنا صنفان:

- طمأنينة لأهل الإيمان، وهي الثقة في الله، والرضا بقضاء الله، وحسن التوكل على الله، وتسليم كل الأمور ظاهراً وباطناً لحضرة الله، وعدم المنازعة فيما يقضي به

الله، وعدم شكاية الله على أمرٍ قضاه إلى خلق الله، حتى يصل إلى اليقين بأن كل ما يجريه له فيه الخير الحتمي الذي لا مناص له، لأنه من الله جل في علاه: ﴿ وَرَبُّكَ مَخْلُقٌ مَا يَشَاءُ وَمِخْتَارٌ ﴾ (٦٨ القصص).

أي أن الذي لم يصل لهذا اليقين عنده شيء من الشرك، ونسميه الشرك الخفي، وليس الشرك الظاهر، لأن الشرك الظاهر يعني عدم النطق بـ (لا إله إلا الله محمد رسول الله) والتوجه بالعبادة لغير الله، لكن الشرك الخفي يعني - ومعدرةً في العبارة - عدم الثقة في أقدار الله، وعدم الوثوق في قبول الدعاء وقضائه إذا دعونا الله جل في علاه، أو اتهام الله ﷻ فيما يصنعه معي والشكاية لغير الله كأن يقول: لماذا اختصني الله بالمرض؟ أو لماذا ابتلاني؟ فهذا هو الشرك الخفي الذي ينبغي على المؤمن أن يطهر نفسه منه، وأن يكون على يقين تامٍّ بمن لا يغفل ولا ينام ولا تأخذه سنةٌ ولا نوم، وهو ﷻ أعلم بنا منا، وأعلم بمصالحنا من أنفسنا، وأرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا تبارك وتعالى.

- وهناك طمأنينة لأهل مقام الإحسان، وأهل مقام الإيقان، وهي أعلى، لأنها طمأنينة في مقام العيان: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ ﴾ (٢٦٠ البقرة).

وهذا كلام سيدنا إبراهيم، فهذه طمأنينة في مقام العيان:

ومقام العيان يزيد من طمأنينة القلب، والقلب لا يطمئن تمام الطمأنينة إلا إذا عاين وكاشف الله ﷻ صاحب هذا القلب بهذه الحقائق الإلهية التي جعلها تسيّر هذه الأكوان الدنية والعلية:

﴿ سَتَرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (٥٣ فصلت)، هذا المقام قال فيه الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ (١٧٥ الأنعام) ولكي يصل الإنسان إلى الطمأنينة في مقام الإيقان فلا بد أن يجاهد نفسه حتى يتفضل الله ﷻ عليه بعد صفاء قلبه بسياحة روحه في مقام العيان فيرى ما لا يراه الناظرون فيزيد اليقين في قلبه برب العالمين سبحانه وتعالى.

بين الجمال والجلال والكمال

البعض يسأل فيقول:

يقول الله في سورة الرعد: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ويقول في أول سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال ١٢) هل هناك تضاد بين هاتين الآيتين؟ ونجيب على ذلك فنقول: إذا كان الإنسان في حالة جلال وخوف من الله وخشية من البعد عن حضرة الله فإنه إذا ذكر الله يزيد الوجل في قلبه.

وإذا كان المرء في حالة جمال، ويشعر بالبسط مع مولاه وكمال الأنس مع حضرة الله، فإذا ذكر الله يطمئن قلبه، فلا يوجد تعارض،

فآية الأنفال في حالة الجلال وفي حالة الخوف وفي حالة الوجل وفي حالة الخشية، وآية سورة الرعد في حالة الطمأنينة والهدوء والسكينة واليقين في الله ﷻ وهي ما نسميها حالة الجمال.

أما الذكر في حالة الكمال فهذا ذكر أهل الوصال، وهو لا يكون إلا للحبيب المصطفى والسادة الأبدال، وهذا الذي قال الله فيه: ﴿قُلِ اللَّهُ تَمَرَّ ذَرَهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنعام ١٩١) ولي وجهك نحو الله، وظهرك للجميع، فهذه حالة الكمال، لأنه يذكر الله وليس في البال إلا الله، وليس في البال شيء من الكائنات سواه، وهو الذكر الأعظم؛ ذكر أهل الكمال؛ سيدنا رسول الله ﷺ والأبدال الذين ورثوا مقام حضرته في هذا المقام، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ وكما اتفقنا أننا نأتي بآيات البشريات لنُبشِّرَ أنفسنا وإخواننا على الدوام لأن الحبيب قال لنا:

{ يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا }

فاخترنا جانب التبشير وليس لنا شأن بجانب التنفير الذي نهى عنه الله، ونهى عنه البشير النذير ﷻ بالنسبة للمؤمنين.

حفظ الله للمؤمنين

من آمن بهذا الإيمان الكامل بالله، وأصبح على ثقة تامة في مولاه، فيجد الجوارح كلها تسوقه إلى طاعة الله، ولا تنقاد له إذا أرادت النفس أن تسوقه إلى مخالفة الله أو معصية الله.

حتى لو همت النفس بجد حفظ الله له، ما دام مشى في هذا الأمر الذي ذكرناه، فيدخل في حفظ الله: ﴿ فَأَلَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٦٤ يوسف).

الله ﷻ جعل العصمة في الأنبياء والمرسلين، والعصمة هي أن النبي لا يُفكر في ذنب، ولا يخطر في باله عيب، ولا يقع في أي شيء يخالف الرب ﷻ.

وإياك أن تظن في وقتٍ من الأوقات أن المعصية تمر على خاطر نبيٍّ من الأنبياء، لأن الله اختاره واصطفاه وطهره وحصنه من خطور حتى المعصية على القلب.

فكيف بقوله: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا ﴾ (٢٤ يوسف)؟ همَّ بدفعها ليمنعها عن نفسه ولم يهَمْ بالمعصية حاشا لله، لأنه قال: ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنُ مَثْوَايَ ﴾ (٢٣ يوسف) لكنه همَّ بدفعها، وخاف عليه أبوه سيدنا يعقوب، فأصبحت كوكزة موسى تثبت الجريمة عليه، فسيدنا موسى دفع الرجل المصري دفعةً خفيفةً أي يمنعه فقط: ﴿ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ (١٥ القصص) لم يضربه ولم يفعل به شيء غير دفعة خفيفة لكنها صادفت القضاء.

فسيدنا يوسف همَّ بدفعها عنه لأنها كانت متشبهة بملابسه، وأمسكت به من الخلف لأنه كان يفر من أمامها، فهَمْ بدفعها ولم يهَمْ بالمعصية، لأن المعصية لا تخطر على قلوب الأنبياء.

لكن بالنسبة للمؤمنين فقد تخطر المعصية من وسوسة النفس، أو تسويل الشيطان على الصدر، لكن الله ﷻ يحفظه ويحفظ الجوارح من تنفيذ ذلك، وهذا ما يسمى بالحفظ الإلهي، كما قيل: ((إِنَّ مِنَ الْعِصْمَةِ أَنْ لَا تَجِدَ)).

فإذا فكرت نفسه في المعصية، فعند التنفيذ يجد الله ﷻ قد خذل النفس والهوى، وحفظه من الوقوع في المعصية، لأي سببٍ من الأسباب يسببه مسبب الأسباب ﷻ.

حلاوة الطاعة

فالمؤمنون الذين وصلوا إلى هذا اليقين يجدون الجوارح من نفسها مُسَخَّرَةٌ ومُذَلَّلَةٌ وهينة وليفة في طاعة رب العالمين: ﴿اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٢٣ الرمز) فتلين هذه الأعضاء إلى طاعة الله، وتجدها هينة سهلة، بل تجد هذه الأعضاء في طاعة الله لذة وحلاوة لا يجدها غيرهم، وعبرَ عنها نبينا فقال:

{ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا رَسُولًا }^٧

وقال ﷺ: { ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ }^٨

يجد للعمل الصالح: حلاوة في داخله، ومذاقاً في داخل تجاوب قلبه، فيفرح به ويستزيد منه.

الحياة الطيبة

هؤلاء القوم الذين عملوا هذه الأعمال الصالحة بمحبة وبرغبة وبشوق وبلذة عظيمة يذيقها لهم الله، ماذا لهم؟ ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنَ مَعَابٍ﴾ وتعني كلمة (طوبى لهم) يعني الدعاء لهم بأن الله سيجعل حياتهم طيبة يوم القيامة، وستكون حياتهم أيضاً طيبة في حياتهم الدنيا، ففي الدنيا قال لنا الله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (٩٧ النحل) ما الحياة الطيبة؟ قال رسول الله ﷺ:

{ مَنْ أَصْبَحَ مُعَافَىٰ فِي بَدَنِهِ ، آمِنًا فِي سِرِّهِ ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ ، فَقَدْ حَيَّرَتْ لَهُ الدُّنْيَا }^٩

فهذا ملخص الحياة الطيبة، أن يغنيه الله بخيره وبره فلا يمد يده إلى سواه إلا بالعتاء،

٧ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن العباس بن عبد المطلب ﷺ

٨ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

٩ صحيح ابن حبان والبيهقي عن أبي الدرداء ﷺ

ولا يمدها ليأخذ شيئاً من أحد، وليس شرطاً أن يكون عنده ألفة من الأموال، ولكن يدخل في قول الحبيب:

{ اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافًا }^{١٠}

رزق يوم بيومه، فلا يحتاج شيئاً من أحد، ويمتعه الله ﷻ بالهناءة في قلبه نحو نفسه ومن يعولهم ومن يموتهم، ويمتعه الله ﷻ بالأمن، فليس له أعداء، وإن كان هناك حُساد فهذا أمرٌ لا بد منه، ولكن الحساد يتولاهم رب العباد ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (الحج ٣٨) أو في القراءة الأخرى: " إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا " .

أما في الآخرة فتكون لهم الحياة الطيبة الهانئة في النعيم المقيم في جوار الرءوف الرحيم ﷺ، وورد أن سيدنا عبد الله بن عباس ؓ قال في معنى طوبى: طوبى شجرة في الجنة في منزل النبي ﷺ، وفروعها في كل قصور الجنة.

وقد يكون إليها الإشارة بقول النبي صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا }^{١١}

يمشي في ظل هذه الشجرة ولا يستطيع أن يصل إلى نهاية ظلها، فلهم الحياة الطيبة، ولهم نعيمهم المقدر لهم من شجرة طوبى في الجنة، تدلى في قصرهم، وتأتي لهم بما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الأعين، ولهم عند الله حُسن مآب، يعني حُسن المرجع والمصير ...
ويكفيهم أن الله ﷻ سيباهي بهم الخلائق يوم القيامة، وسيجعلهم يوم العرض الأكبر أعلى من الوجهاء والعظماء في الدار الآخرة.

نسأل الله ﷻ أن نكون من أهل هذه الآية، وأن يكرمنا بهذه العناية، وأن تكون حياتنا طيبةً في الدنيا، وأن يرزقنا جوار حبيبه في الدار الآخرة

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

١٠ صحيح ابن حبان والنسائي عن أبي هريرة ؓ

١١ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ؓ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
 ﴿٤٦﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾
 وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ
 إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا
 يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا
 بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ * نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي
 أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
 هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ (الحجر)

٩: نعيم الملقين^١

د د

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله رب العالمين الذي اختارنا أولاً من أهل جنته، فخصنا بهدايته، وكتب الإيمان في قلوبنا بقلم قدرته، وقال عن ذلك في خير كتاب أنزله إلى بريته: ﴿أَوْلَيْتِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ (الجادلة) (٢٢) والصلاة والسلام على مفتاح دار الجنان الذي يقول عن نفسه صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاسْتَفْتِحْ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أَمَرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ }^٢

صلى الله وسلم وبارك على هذا الحبيب الشفيق الذي وصفته بأنه أشفق بنا من أنفسنا وأرحم علينا من آبائنا وأمهاتنا وقلت لنا في شأنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة) (١٢٨) صلِّ وسلِّم اللهم وبارك عليه وعلى آله الأطهار وعلى صحابته الأبرار وكل من تبعهم من الأخيار إلى يوم القرار، واجعلنا من جملتهم ومعهم بمنك وفضلك وجودك يا عزيز يا غفار.

ذكر الله ﷻ ما نحن مقبلون عليه من الفضل الإلهي لنشتاق إلى لقاء الله، وتحن قلوبنا ونفوسنا إلى الجنة التي جهَّزها لنا الله، ولذلك كانت طريقة رسول الله ووصيته للدعاة:

{ يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا }^٣

أنت تجلس مع أهل الجنة، فعرفهم بالجنة، واشرح لهم النعيم الذي يتهنون به في الجنة ليزيد شوقهم إلى لقاء الله ﷻ إلى الجنة.

إذا أردت أن تتكلم عن النار إذا جالست الأشرار وإذا جالست الفجار وتريد أن تخيفهم ليرجعوا إلى الله ويسلكون الطريق القويم والمنهج المستقيم.

١ المنيا - ميانة - ٢٦ من رجب ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦/٥/٣ م

٢ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أنس

٣ البخاري ومسلم عن أنس

d d

لكن هؤلاء القوم كما قال الله في القرآن: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ (٦٠) لا بد وأن يعرفوها وهم في الدنيا، هل يوجد أحدٌ يحجز سكن في أي مدينة من المدن الجديدة ولا يعرف عنه شيئاً؟ لا، لا بد أن يتحرى عن موقعه وعن مساحته وعن محتوياته وعن مواسلاته ليعرف كيفية الوصول إليه.

فنحن كلنا ذاهبين إلى الجنة إن شاء الله، فلا يوجد أحدٌ يقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) إلا ويدخل الجنة، لكن الأهل الإستقامة الذين هم مثلنا إن شاء الله، فهؤلاء سيدخلون على الفور.

أما من كان عليه شيء وسيتمرض إلى الحساب، وقد تحكم عليه المحكمة الإلهية بشيء فيتعرض للعذاب، ولكن بعد فترة يخرج من العذاب ويدخل الجنة، قال ﷺ:

{ مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ }^٤

فكل أهل (لا إله إلا الله) لا أستطيع أن أحرم أحداً منهم من الجنة أبداً، لأن هذا أمر الله جل في علاه، لكن الدرجات في الجنة والمنازل في الجنة فهذه بالعمل الذي يتقبله الله ﷻ، لكن العمل وحده لا يُدخل الجنة، قال ﷺ:

{ لَا يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَفَضْلٍ }^٥

فنحن سندخل الجنة بفضل الله، وبرحمة الله، وبإكرام الله، لكن من عدل الله جل في علاه سيجعل المنازل في الجنة على حسب العمل الذي عملناه، وننال به القبول من الله جل في علاه، لأنه ليس كل عمل سينال القبول.

نعيم الجنة

والجنة جنانٌ لا عدَّ لها ولا حدَّ لها، والله يُعرفنا بعض منازلهم وبعض هناءتهم في الجنة فيقول: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

٤ سنن أبي داود والحاكم عن معاذ بن جبل

٥ مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة

d d

فلكي أدخل الجنة فلا بد أن أدخل نفسي في عداد المتقين، فيكون معي شيئٌ من تقوى الله جل في علا، وتقوى الله كما قال الإمام على عليه السلام وكرم الله وجهه عندما سئل عن التقوى: ((التقوى العمل بالتنزيل - يعني بالقرآن الكريم - والرضا بالقليل، والإستعداد ليوم الرحيل، والخوف من الجليل عليه السلام)) فهذه صفات المتقين.

والتقوى باختصار شديد أن يبتعد الإنسان عما نهي عنه الله، وأن يسارع في تنفيذ ما طلبه منه مولاه

من يعمل بالأوامر، ويتقي المعاصي والفتن، ويكون معه وقاية من هذه الأمور، ويسارع في الطاعات والقربات وعمل الصالحات، سيكونوا يوم القيامة من أهل الجنة العالية.

فمنهم جماعة سيخرجون من القبور إلى القصور في الجنة، يقول فيهم الحبيب عليه السلام:

{ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَنْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى لِبَاطِنَةِ مِنْ أُمَّتِي أَجْنِحَةً فَيَطِيرُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ يَسْرَحُونَ فِيهَا وَيَتَنَعَّمُونَ فِيهَا كَيْفَ شَاءُوا ، فَتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ : هَلْ رَأَيْتُمْ الْحِسَابَ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا رَأَيْنَا حِسَابًا ، فَتَقُولُ لَهُمْ : هَلْ جُرْتُمُ الصِّرَاطَ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا رَأَيْنَا صِرَاطًا ، فَتَقُولُ لَهُمْ : هَلْ رَأَيْتُمْ جَهَنَّمَ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا رَأَيْنَا ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : مِنْ أُمَّةٍ مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ، فَتَقُولُ : نَاشِدْنَاكُمْ اللَّهُ حَدِّثُونَا مَا كَانَتْ أَعْمَالُكُمْ فِي الدُّنْيَا ، فَيَقُولُونَ : حَصَلْتَانِ كَانَتَا فِيْنَا فَبَلَّغْنَا هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ ، فَيَقُولُونَ : وَمَا هُمَا ؟ فَيَقُولُونَ : كُنَّا إِذَا خَلَوْنَا نَسْتَحْيِي أَنْ نَعْصِيَهُ ، وَنَرْضَى بِالْيَسِيرِ مِمَّا قُسِمَ لَنَا ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : يَحِقُّ لَكُمْ هَذَا }^٦

من فضل الله عليه السلام علينا - مع أننا آخر الأمم - إلا أننا أول الأمم في الحساب، وأول الأمم في دخول الجنة، قال عليه السلام:

{ نَحْنُ الْآخِرُونَ ، الْأَوْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^٧

هؤلاء القوم يقومون من القبور إلى القصور، اومنهم الذي تعرّض لأمرٍ من الأمور

٦ أخرجه الحافظ العراقي في الإحياء عن ابن حبان وأبو عبد الرحمن السلمي عن أنس رضي الله عنه

٧ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

الشداد في الدنيا وصبر ولم يتبرم ولم يتسخط ولم يشك الله ﷻ إلى عباده، إن كان مرضاً، أو كان موتاً، أو كان ضيقاً في الرزق، أو كان أي أمرٍ من الأمور وصبر، فهؤلاء يقول فيهم الله: ﴿ إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠ الزمر).

ولذلك بشرنا حضرة النبي ﷺ بأننا كلنا أو أغلبنا إلا القليل سنكون من أهل هذه الآية، قال ﷺ:

{ الْحُمَّى كَبِيرٌ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، وَهِيَ تَصِيبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ }^٨

إذا أصيب الإنسان ذات مرة بالحمى وصبر على أمر الله - مع العلاج طبعاً - ولم يشك ولم يتبرم بقضاء الله فله على الفور الجنة.

إذا أصيب بوجع في عينيه وأخذ الله بصره، يقول ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: مَنْ أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ، فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ، لَمْ أَرْضَ لَهُ بِثَوَابِ دُونَ الْجَنَّةِ }^٩

لماذا؟ لأنه صبر على أمر الله ﷻ، ولذلك قال ﷺ في هذه الأمة:

{ أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتْنُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ }^{١٠}

من هؤلاء؟ أهل الإستقامة المقيمين للصلاة، والصائمين لشهر رمضان، والمخرجين للزكاة، والمبتعدين عن المعاصي والمناهي التي حرمها علينا الله جل في علاه.

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾

منهم من له جنة واحدة، ومنهم من له جنان متعددة: ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ (٤٦ الرحمن) ثم ذكر بعدها: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ (٦٢ الرحمن) فمن خاف مقام الله له أربع جنان، قال فيهم ﷺ:

٨ شعب الإيمان للبيهقي وابن عساكر عن شعون بن زيد

٩ مسند أحمد ومعجم الطبراني عن أبي هريرة

١٠ سنن أبي داود والحاكم في المستدرک عن عبد الله بن قيس

{ جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ أَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ أَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا }^{١١}

إذاً هناك من له جنة واحدة، ومن له جنان متعددة، كلٌّ على حسب تقواه وعمله الصالح الذي تقبله منه مولاه جل وعلا.

وسيكون لهم في الجنان كمال النعيم، من القصور التي تجري من تحتها الأنهار، وماذا في هذه الأنهار؟ ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنهَرٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنهَرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهَمٌّ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ (١٥٠هـ) هو نهر واحد ولكن فيه لبن لم يتغير طعمه، وفيه ماء غير آسن، وفيه خمر لذة للشاربين، وفيه عسل مصفى، وكلها تجري في النهر، ولا تختلط ببعضها، لأنها محفوظة بأمر ربها ﷻ.

هؤلاء القوم عندما يدخلون الجنة ينادي مناد الله ﷻ:

{ يُنَادِي مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تُحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تُشَبُّوا فَلَا تُهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تُنْعَمُوا فَلَا تُبَاسُوا أَبَدًا }^{١٢}

لا يوجد هناك مرض، لا يوجد هناك حزن، ولا يوجد هناك هرم، وستتغير صورة الإنسان لكي يدخل الجنان، ويكون كل واحد منا من أهل الجنة في صورة أبينا آدم، يعني سبعة وستين ذراعاً تقريباً، كما كان طول سيدنا آدم عندما نزل من الجنة، وتكون أجهزتهم مجهزة بحيث لا يتبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون، قال ﷻ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ ، وَلَا يَثْفَلُونَ ، وَلَا يَبُولُونَ ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ ، قَالُوا : فَمَا بَالُ الطَّعَامِ ؟ ، قَالَ : جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمَسْكِ }^{١٣}

والله ﷻ أرانا مثلاً لذلك في حياتنا الدنيا، فمن كان هذا المثل؟

كان هو سيدنا رسول الله ﷺ، كان ﷺ غزير العرق، وكانت رائحة عرقه أشد من

١١ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس ؓ

١٢ صحيح مسلم والترمذي عن أبي سعيد الخدري ؓ

١٣ صحيح ومسنود أحمد عن جابر ؓ

رائحة المسك، وورد أنه ﷺ كان يقبل في الصيف بعد صلاة الظهر عند السيدة أم سليم أم أنس بن مالك ﷺ، وكانت من الصالحات، فاستيقظ ذات مرة فوجد معها مناديل تُجفّف بها عرقه، فقال لها:

{ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تُصْنَعِينَ؟، قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ، نَجَعَلُهُ فِي طَيِّبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطَّيِّبِ }^{١٤}

الطيب الذي عندنا رائحته ليست زكية فنضع فيه قطرات من عرق الحبيب فيكون طيباً ليس له شبيهة ولا مثيل.

فأرانا الله ﷻ صورة من صور الجنة لكي نوقن، لأن سيدنا رسول الله ﷺ كان كما قال في شأن نفسه:

{ إِنِّي أَيْتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي، فَتَكَلَّفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ }^{١٥}

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها ﷺ: قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَوَائِطَ دَخَلَتْ عَلَيَّ أَثَرُهُ فَلَا أَرَى شَيْئًا فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ:

{ يَا عَائِشَةُ أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ أَجْسَادَنَا نَبَتَتْ عَلَى أَرْوَاحِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَا خَرَجَ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ ابْتَلَعَتْهُ الْأَرْضُ }^{١٦}

لماذا؟ لأنه وهو في الدنيا أخذ صفة أهل الجنة، التي بينها لنا ووضحها لنا سيدنا رسول الله، وإن شاء الله سنكون فيها كلنا.

وعندما ندخلها تقول لنا الملائكة: ﴿ اَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ؕ آمَنِينَ ﴾ ادخلوها وأنتم سالمين من كل أذى، وسالمين من كل شر، وسالمين من كل حجاب، وسالمين من كل صد وهجران، لأن الجنة هي الدار التي نتمتع فيها برؤية وجه الحنان المنان ﷻ.

وليس معنى ذلك أن الجنة فيها الله - حاشا لله - لكن هي المكان الذي نتجهز فيه

١٤ البيهقي والطبراني عن أنس ﷺ

١٥ بحر الفوائد للكلايادي عن أبي هريرة ﷺ

١٦ شعب الإيمان للبيهقي وتاريخ بغداد

لنحظى بوجه الله، وبرؤية الله، وبالكيفية التي يُجهِّزنا فيها الله جل في علاه.

لكن الله سبحانه وتعالى تعالى عن الجهات، وتسامى عن الأماكن والحيطات، فلا تحدُّه الحدود، ولا تُحيط به الأرجاء، وإنما كما قال عن نفسه في كتابه الكريم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١ الشورى).

سلامة الصدور، مفتاح دخول الجنة

ما الذي نحتاجه من الدنيا لندخل الجنة على الفور؟ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ من يُرد أن يضمن الجنة يجاهد نفسه إلى أن ينزع، وهذا النزاع بشدة، فيعمل عمليات جهادية ليُخرج من قلبه الغل والكُره والحقد والحسد والشح والطمع والحرص .. وكل هذه الأشياء التي بينه وبين إخوانه المسلمين.

ما الذي بينه وبين إخوانه المسلمين؟ ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ عندما يرى أحداً من إخوانه المسلمين فكما قال ﷺ:

{ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ }^{١٧}، وكما قال: { الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ }^{١٨}

فالسرور بيننا على الدوام في كل أحوالنا، حتى لو كان عندك مشكلة أو معضلة، فهذا لا يمنع من أن تبسم لي لتربح وتأخذ صدقة من هذه البسمة، وعندما تُسلم على أخيك يقول في ذلك حضرة النبي ﷺ:

{ إِنْ الْمُسْلِمَ إِذَا صَافَحَ أَخَاهُ نَحَّاتٌ حَطَايَاهُمَا كَمَا يَتَّحَاتُ الشَّجَرِ }^{١٩}

وقال في الرواية الأخرى:

{ إِنْمَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا تَقَيَّأَ مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى }^{٢٠}

يعني كونك تسلم على أخيك المؤمن فذنوبك ستنتزل، وهو ذنوبه ستنتزل، فلماذا لا

١٧ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي ذر ﷺ

١٨ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

١٩ كشف الأستار والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

٢٠ آداب الصحابة للسلمي عن أنس ﷺ

تمد يدك وتسلم عليه؟! أنت الكاسب ... ولذلك ضرب حضرة النبي ﷺ لأصحابه مثلاً عملياً في حياته، يقول أنس بن مالك ﷺ:

{ كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشَّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوَّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَيَّ مِثْلَ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَحِبُّ أُمَّي، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أُدْخِلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ، فَعَلْتُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَنْسُ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَى وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ ﷻ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا حَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثَ لَيَالٍ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ تَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَارٍ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مَرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ، لَأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وُلِّيتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أُجِدُّ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَيَّ حَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُطِيقُ }^{٢١}

لأن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ كان شاباً نشأ في طاعة الله، وكان من

العَبَادَ يَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ وَيَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ، وَيَجْتَمِعُ الْقُرْآنَ فِي بَدَايَتِهِ كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَى أَنْ زَوَّجَهُ أَبُوهُ، فَكُلَّمَا ذَهَبَ أَبُوهُ لِيَسْأَلَ زَوْجَتَهُ عَنْهُ تَقُولُ لَهُ: إِنَّهُ مَشْغُولٌ بِالْعِبَادَةِ، وَلَا يَهْتَمُّ بِي، فَذَهَبَ لِيَشْكُوهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَاسْتَدْعَاهُ النَّبِيُّ وَقَالَ لَهُ:

{ لَكِنِّي أَنَا مٌ وَأَصْلِي، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، فَصُمْ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، قَالَ: إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى قَالَ: فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ صُمْ يَوْمًا وَأُفْطِرْ يَوْمًا، وَأَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، قَالَ: إِنِّي أَقْوَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: إِلَى أَنْ، قَالَ: حُمْسَةَ عَشَرَ، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: أَقْرَأْهُ فِي سَبْعِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ثَلَاثٍ { ٢٢

فمشى على هذا النهج سيدنا عبد الله بن عمرو، وعندما سمع أن هذا الرجل من أهل الجنة وهو سيدنا عبد الله بن سلام رضي الله عنه، قال في نفسه: ماذا يزيد هذا الرجل عني في العبادة؟ وكانوا كما قال الله فيهم: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (٢٦ المطففين) يتنافسون في الصدقات، وفي العبادات، وفي طاعة الله، وفي عمل الخير والبر لخلق الله، .. كان هذا تنافسهم، وليس كما يتنافس أهل الدنيا الفانية مثل أهل هذا الزمان.

فذهب للرجل وطرق الباب وكان ما كان كما أوردنا بالحديث الشريف بالصفحة السابقة ... حتى قال له في النهاية :

مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَبِي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسَدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ { ... أَى هَذِهِ الَّتِي أَعْجَزْنَا.

فمن يُرد أن يكون من أهل الجنة فماذا يفعل؟

{ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ } :

الدنيا كلنا سنتركها ونسافر، فلماذا تزيد الخلافات بيننا!؟

ولماذا المشاكل تجعل الواحد منا يقابل أخاه فيلتفت عنه بوجهه للناحية الأخرى!؟

ولا يريد حتى أن يقول له: السلام عليكم، مع أن السلام لله، وإذا قال له: السلام عليكم يقولها وشفتاه لا تُريدان إظهار الكلام!! وعندما يراه يعبس في وجهه، لماذا تعبس؟! وهل سيأخذ أحدٌ منا رزق الآخر؟! ... أبدأً، فالرزق على الرزاق! قال ﷺ: ﴿لَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣٢ الزخرف) لنعرف أنها قسمة إلهية!!!

ومن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط، قال ﷺ ليُعرفنا من أغني الناس:

{ اَرْضَ يَمَّا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ }^{٢٣}

فأغني الناس من يرضى بما قضاه مولاه جل وعلا، فمن يمشي على هذا المنوال فإن شاء الله سيخرجون من القبور إلى القصور.

ومن لا يقدر على قهر نفسه، قد يظلّ حتى لحظة الموت ويقول: إياكم أن يدخل عليّ فلان، أو يحضر جنازتي وعزائي فلان، وقد يكون أخوه من أمه وأبيه، لماذا؟!!

من فضل الله ﷺ علينا جماعة المؤمنين ما قاله ﷺ في الحديث الصحيح:

{ إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نَقَوْا وَهَدُّبُوا أُذُنَ لَهُمْ يَدْخُولُ الْجَنَّةِ }^{٢٤}

سيوضع لهم جزء بين النار والجنة، والذي يقول فيه الله ﷻ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ﴾ (٤٦ الأعراف).

يعني لو هناك شخص يكرهني، ويحقد عليّ، ويسبب لي مشاكل، وأنا لا أعرفه في الدنيا، فسأعرفه هناك، لأن المؤمنين كلهم قبل أن يدخلوا الجنة لا بد أن تكون القلوب كلها مستريحة وصحيحة وسليمة لأن الله قال في قرآنه:

{ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } (٨٩ الشعراء):

سليم من الكره ومن الحقد والحسد وكل هذه الصفات.

٢٣ جامع الترمذي ومسنَد أحمد عن أبي هريرة

٢٤ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري

بشريات سلامة الصدر

فإذا تمكن الإنسان المؤمن وهو في الدنيا من نزع هذه الأشياء من صدره فله بشريات لا تُعد ولا تُحد.

البشرى الأولى: أن الله ﷻ يجعل حبيبه ومصطفاه يزوره مناماً ويُشّره بأنه من أهل كمال الإيمان بالله، لأن الله قال له ذلك: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٧ الأحراب) وهل هذا لمن كان في زمانه أم البشري إلى يوم القيامة؟ على الدوام، بماذا يبشرهم؟ ﴿ بَأَنَّ هُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ (٤٧ الأحراب).

البشري الثانية: يريه الله ﷻ وهو في الدنيا إذا كان من أهل الدرجات العُلا، أو وهو خارج من الدنيا إلى الآخرة، يريه مكانه في الجنة، وقصوره في الجنة، ونعيمه في الجنة، حتى يخرج من هنا وهو يعرف إلى أين يذهب، وهل يوجد أحدٌ منا يأتي يوم القيامة ويسأل عن عنوانه ويبحث عن قصوره؟ لا، بل لا بد أن يعرفها من هنا، قال ﷺ:

{ مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ }^{٢٥}

لكن أهل الإيمان الأرقى:

يرى منزلته وهو لا يزال هنا في الدنيا، ليستبشر بفضل الله، ويفرح بكرم الله جل في علاه، ويُحب لقاء الله، ومن أحب لقاء الله ﷻ أحب الله لقاءه.

وفي الآخرة :

يخرج من غير حساب ولا ميزان ولا صراط ولا كُتب، وإنما يدخل في قول الله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٥٠﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ (الأنبياء)

٢٥ الزهد هناد بن السري عن ابن عمر رضي الله عنهما

والحسيس صوت جهنم، وهو يسمع على مسيرة خمس مائة عام كما ورد بالأثر.

وأين هم من الأهوال التي في الموقف، والكرب والهم والغم الذي في الموقف؟

ليس لهم شأنٌ بذلك:

﴿ لَا سَخَرْتُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ

تُوعِدُونَ ﴾ (الأنبياء ١٠٣) فهؤلاء سيدخلون الجنة التي لا تُسمع فيها لاغية لأنهم طابوا!

- فمن طاب من هنا تقول له الملائكة ﴿ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طَبْتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ ﴾

... (الزمر ٧٣)

- والذي لم يطب ينتظر على القنطرة (الجسر) حتى يتراضى مع القوم الذين بينه وبينهم شيء في الدنيا، وبعد أن ينتهوا يدخلون الجنة.

- أما من يدخل الجنة مباشرة: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ :

ليس فيها تعب ولا عمل ولا عناء!!

وما عملنا هناك؟

نجلس مع بعضنا ونتذكر فضل الله ﷻ علينا، ونعبد الله ﷻ ...

ولكن هذه العبادة ليست تكليفاً:

لأن عبادة الدنيا تكليف يعني من يتركها فعليه عقاب..، لكن عبادة أهل الجنة كما ورد

في الأثر: ((يذكرون الله تفكهاً وتلذذاً)).

يتلذذون بذكر الله، وفاكهتهم دوام التسبيح والتحميد والتكبير لله ﷻ :

﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴾ (٥٥يس) أي يتفكهون بهذه العبادات،

وليس فيها نصب، قال ﷺ:

{ قَالَ لِي جِبْرِيلُ: بَشِّرْ خَدِيجَةَ بِنْتِ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَحْبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ }^{٢٦}

٢٦ معجم الطبراني والبراز عن عبد الله بن أبي أوفى

ليس فيه ضوضاء، ولا أصوات مزعجة، ولا تعب، ولا عناء !!!

لأنه بمجرد أن يدخل الواحد منا الجنة يقول:

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ (٣٤ فاطر).

وأثناء دخوله هناك عينان على باب الجنة: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴾ (٦٦ الرحمن):

- فيشرب من العين الأولى شربة تخرج بأمر حضرة الرحمن ﷻ، فيذهب عنه الهم والغم والتعب والشقاء والعناء والمرض والسقم، فيقول: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾.

- ويشرب من العين الأخرى فيظهر عليه نضرة النعيم، وهو الشباب والفتوة، فأهل الجنة يظنون شباباً على الدوام في سن الثلاثة والثلاثين، فيظنون خالدین فيها أبداً في سن الشباب، فلا هرم، ولا شيخوخة، ولا ينحني ظهره، ولا عينيه تقل الرؤية فيهما، ولا أضراره تنخلع، فيظل في سن الشباب وفي متعة الشباب.

والنساء في الجنة ليس يأتين حيض ولا نفاس، لأن هناك ما كنا نشكو منه في الدنيا ينتهي في الجنة إن شاء الله: ﴿ لَا يَمَسُّهُمُ فِيهَا نَجَسٌ ﴾.

سيخافون من شيء واحد فقط وهو أن هذه المتعة لا تدوم، وقد يخرجوا من الجنة، فطمأنهم الله وقال: ﴿ وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ ﴾ اطمئنوا فأنتم خالدین فيها أبداً.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل هذا المقام ...

وأن يُطَهِّرَ قلوبنا، ويُصْفِي نفوسنا، ويُهَيِّمَ فيه أرواحنا

ويحفظ جوارحنا من المعاصي والفتن ما ظهر وما بطن

وأن يحفظ بطوننا من الأرزاق الحرام

ويجملنا بطاعة الله، وذكره وشكره على الدوام

ويجعلنا في الدنيا والآخرة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

لطائف الاشارات

هناك بعض الملاحظات الخفيفة في هذه الآيات لتبين فضل الله ﷻ علينا جماعة المؤمنين ... عندنا كلمة:

﴿ أَدْخُلُوهَا بِسَلْمٍ آمِنِينَ ﴾

هذا كلام الملائكة، وهناك قراءة أخرى: ﴿ أَدْخُلُوهَا ﴾ : يعني ليس هم الذين دخلوا، ولكن الذي أدخلهم هو الله ﷻ، وهذا يتماشى مع الحديث الذي ذكرناه والذي قال فيه ﷺ:

{ لَا يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَفَضْلٍ }^{٢٧}

وروى لنا سيدنا رسول الله ﷺ عن رجل من السابقين جعله الله ﷻ في جزيرة في البحر عرضها وطولها ثلاثين ذراعاً، وبينها وبين البر أربعة آلاف فرسخاً، وجعل الله ﷻ له عين ماء يشرب منها ويتوضأ منها، وجعل له شجرة رمان تُنتج طوال العام كل يوم رمانة، يصوم ويُفطر على الرمانة، وفيها كل المواد الغذائية التي يحتاج لها جسم الإنسان فلا يحتاج إلى أكلٍ سواها.

ودعا الله أن يُطيل عمره فأقامه في هذه الطاعة والعبادة خمسمائة عام، ودعا الله ﷻ أن يقبضه وهو ساجد فتوفاه وهو ساجد.

سيدنا جبريل يقص أمر هذا الرجل لسيدنا رسول الله ﷻ فيقول:

{ يَا مُحَمَّدُ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنَّ لِلَّهِ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِهِ، عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَى خُمْسَ مِائَةِ سَنَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ فِي الْبَحْرِ، عَرْضُهُ وَطُولُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا فِي ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا، وَالْبَحْرُ مُحِيطٌ بِهِ أَرْبَعَةَ آلَافِ فَرَسَخٍ، مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَأَخْرَجَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ عَيْنًا عَذْبَةً بَعْرَضِ الْأَصْبَعِ، تَبْصُ بِمَاءٍ عَذْبٍ، فَتَسْتَنْفَعُ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، وَشَجَرَةٌ رُمَانٍ تُخْرَجُ لَهُ كُلُّ

٢٧ مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة

d d d d d d d d d d d d d d d d d d

لَيْلَةَ رُمَاتَةَ، فَتَعَذِّيهِ يَوْمَهُ، فَإِذَا أَمْسَى نَزَلَ، فَأَصَابَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَخَذَ تِلْكَ الرُّمَاتَةَ
 فَأَكَلَهَا، ثُمَّ قَامَ لِصَلَاتِهِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ ﷻ عِنْدَ وَقْتِ الْأَجْلِ أَنْ يَقْبِضَهُ سَاجِدًا، وَأَنْ لَا
 يَجْعَلَ لِلْأَرْضِ وَلَا لِشَيْءٍ يُفْسِدُهُ عَلَيْهِ سَبِيلًا، حَتَّى بَعَثَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ، قَالَ: فَفَعَلَ،
 فَنَحْنُ نَمُرُّ عَلَيْهِ إِذَا هَبَطْنَا، وَإِذَا عَرَجْنَا، فَنَجِدُ لَهُ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
 فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ ﷻ فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ:
 رَبِّ، بَلْ بَعَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ، بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، بَلْ
 بَعَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ، بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: رَبِّ بَلْ بَعَمَلِي، فَيَقُولُ
 اللَّهُ ﷻ لِلْمَلَائِكَةِ: قَائِسُوا عَبْدِي بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ، فَتُوجَدُ نِعْمَةُ الْبَصْرِ قَدْ
 أَحَاطَتْ بِعِبَادَةِ حُمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَقِيَتْ نِعْمَةُ الْجَسَدِ فَضْلًا عَلَيْهِ {^{٢٨}

كلنا في هذه الأيام نشتكى من دفع الفواتير، فما بالك عندما تدفع فاتورة لضوء
 العين؟! كم تدفع؟! كلنا نستغيث من شحن الموبايلات، فكم ثمن فاتورة هذا السمع؟!
 واللسان الذي ظل يتكلم ولا يكل ولا يملُّ كم فاتورته؟! نَعَمْ اللهُ فينا كما قال اللهُ في شأنها:
 ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (١٨ النحل).

لم يقل: وإن تعدوا نعم الله، ولكن نعمة واحدة، فنعمة واحدة من هذه النعم عندما
 تعد فيها من فضل الله وكرم الله لا يستطيع أحد من الأولين ولا من الآخرين أن يحصيها.

عناية الله بالمؤمنين

العبادة التي تؤديها لله، هل فينا أحدٌ يقوم بها بغير معونة من الله وتوفيق من الله؟! لا،
 فلو وقف العبد بين يدي الله، وأمر الله ﷻ الأعضاء أن لا تخضع له، ولا تلين له، فكيف
 يركع؟! وكيف يسجد؟! وكيف يحرك يديه وأعضائه؟!
 ولذلك المنافقين الذين يظنون أنهم يضحكون على الله وعلى المؤمنين قال فيهم الله:

﴿تُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا تُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩ البقرة).

d d d d d d d d d d d d d d d d d d

أول شيء سيحدث في الموقف العظيم ستكون صلاة جماعة، يُصلي فيها رسول الله ﷺ بكل المؤمنين من الأنبياء والمرسلين ومن كافة الأمم، وهؤلاء المنافقون يقفون في الصفوف، ولكن الأمر هناك بخلاف هنا: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤٢ القلم) فالأعضاء هناك طوع أمر من يقول للشيء فيكون، فيحاول السجود فلا تطاوعه أعضاؤه، فينكشف وينفضح لأنها القيامة وستفضح الكل.

بين لنا ربنا ﷻ أيضاً في هذه الآيات بياناً آخر، أن الإنسان لا يستطيع تطهير قلبه ولا تزكية نفسه إلا إذا لجأ واستغاث بربه، وطلب منه ﷻ إتمام هذا الأمر بفضله وجوده وكرمه، لأن من الذي ينزع؟ لست أنا ولا أنت: ﴿وَتَرَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ من الذي نزع هنا؟ الله.

ولذلك الغافلين الذين يعترضون على الأولياء والصالحين، هؤلاء لولا أن لهم عناية عند رب العالمين فهل كان قد طهر قلوبهم مما ذكرناه، وملاها بالحب والود والشفقة والرحمة والحبّة لكل خلق الله؟! عناية الله بهم.

لكن هل يوجد أحدٌ منا يستطيع عمل هذه الأشياء بنفسه؟ لا، لكن أستطيع عملها بري، وكان الرجل الصالح يقول: ((عرفتُ ربي بري ولولا ربي ما عرفتُ ربي)) من الذي سيعرفني بالله؟ ومن الذي سيُعيني على جهاد النفس؟ الله ﷻ، يقول أحد الصالحين وهو يناجي الله:

مولاي إني عاجزٌ عن كبجها هب لي اعتصاماً منك بالشرع الأمين

أعني حتى أجاهد النفس، وهل فينا أحدٌ يستطيع أن يجاهد نفسه؟ لا، والله قال لنا: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (٣٢ النجم) يعني لا تعتمد على نفسك بالكلية، ولكن استعن بالله، واطلب المعونة من الله، واطلب التوفيق من الله، واطلب الحول والطول والقوة من الله، ولذلك حضرة النبي يقول لسيدنا أبو هريرة:

{ أَكْثَرُ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ }^{٢٩}

وهذا ذكر الصالحين، فدائماً على أسنتهم: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) لأنه يرى أن الحول والطول والقوة كلها من الله ﷻ.

فضل الله علينا

ونأخذ قطرة واحدة - على قدرنا - من فضل الله ﷻ علينا جماعة المؤمنين: سيدنا رسول الله ﷺ كان ماشياً بجوار الكعبة، فوجد بعض شباب المؤمنين يضحكون أي يتكلمون ويتسامرون ويتناقشون ويضحكون، فحضرة النبي أخذته الحمية وقال لهم:

{ اذْكُرُوا الْجَنَّةَ، واذْكُرُوا النَّارَ، فَتَزَلْتُمْ: " نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ " }^{٣٠}

﴿ نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ عليك أن تبشرهم، ونبي يعني: خير، من هؤلاء؟ عبادي، وانظر إلى رحمة الله، فقد قال: (عبادي) فنسبهم إلى ذاته، وأكد الكلام فقال: (أني) ثم قال: (أنا) وأتى بكلمة (الغفور) بالألف واللام، فهذه ثلاث تأكيدات متتاليات.

ولمَّا ذكر العذاب لم يَقم بذكر هذه التأكيدات، ولكنه قال: ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ بدون أي تأكيد لنعرف مدى رحمة الله ﷻ وخاصة بالغصاة والمذنبين.

سيدنا داود كان من العباد، وكان ينادي الله، وكان صوته شجيًّا، فعندما كان ينادي الله بصوته العذب الشجي كانت الطيور والأشجار والجبال والوحوش كلهم يُرددون معه: ﴿ يَنْجِبَالُ أَوْي مَعَهُ وَالطَّيْرُ ﴾ (سبا) وأوي يعني:

رددني معه، فهم يرددون وراءه، ومع ذلك قال له الله كما ورد في الأثر:

{ يا داود أنين المذنبين أحب إليَّ من زجل المسبحين }^{٣١}

هؤلاء المذنبون عندما يرجعون إلى الله، فإنه يفرح بهم، أما المشغولون بالطاعات فمن

٣٠ تفسير بن أبي حاتم والطبراني بصيغة: { أَنْتَضَحُونَ وَذَكَرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ نَبْنُ أَيْدِيكُمْ؟! فَتَزَلْتُمْ هَذِهِ الْآيَةَ }
٣١ مجموع فتاوى ابن تيمية والكثير من مراجع التفسير، وفي شعب الإيمان: أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام أنين المذنبين أحب إلي من صراخ الصديقين

الجائز أن ينتابهم الغرور فيحتاجون لمن ينبهم، لكن هؤلاء يحتاجون لفرط رحمة الله ﷻ، وهذا ما قال عنه الشيخ ابن عطاء الله السكندري في حِكْمِهِ: ((رُبَّ مَعْصِيَةٍ أَوْرَثَتْ ذُلًّا وانكسارا، خيرٌ من طاعة أورثت عزًّا واستكبارا))، لماذا نجد دائماً بين الصالحين وأتباع الصالحين أحوالاً عليه، فمنهم من يرى رؤيات منامية عالية، ومن يُلهمه الله، ومنهم من يكشفه الله، ومنهم من يكرمه الله برؤية حضرة النبي مناماً أو يقظةً، أو من يكرمه الله بالفراسة؟ لأهم دائماً يضعون أنفسهم، فيرفعهم الله، قال ﷺ:

{ وَمَا تَوَاضَعْ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ } ٣٢

الذين يشددون في العبادات الظاهرية، ويصلُّون فيطيلوا، يطيلوا القراءة، ويطيلوا السجود والركوع، وتقول له: أنا رأيت رؤيا، فيقول لك: كيف رأيت؟! فلو أحد رأى فيكون أنا، لأنه يرى أنه عمل شيئاً، مع أنك لو رأيت أنك عملت شيئاً فلن ترى شيئاً، لكن الآخر يرى أنه إذا عمل شيئاً فذلك بتوفيق الله، وبحول الله، وبمعونة الله، وبطول الله جل في علاه، فدايماً واقفاً على أعتاب الذل والتواضع لمولاه كما كان رسول الله ﷺ.

وفي غزوة بدر ضرب الله لنا مثلاً بصحب سيدنا رسول الله الكرام، وكانوا ثلاث مائة وإحدى عشر أو وثلاث عشر رجلاً على اختلاف الروايات، والكفار كانوا ألفاً، ومع ذلك نصرهم الله، لماذا؟ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (آل عمران ١٢٣) لأنهم رأوا أنفسهم ضعافاً ومساكين، فلدجأوا إلى القوي المتين، فجاء نصر الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ فعلى الفور: ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ﴾ (الأفغان).

فلما ذهبوا إلى الطائف وكان الجيش إثنا عشر ألفاً، فقالوا: (لن نُهْزَمَ اليوم من قلة) لأن عدداً كبير، والكافرين تربصوا بهم من جهات مختلفة وفي وسطهم طهريق، فبمجرد ما دخلوا وجدوا النبال تأتيهم من غير حساب، ففروا: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (التوبة ٢٥).

من الذي ثبت؟ لا أحد غير سيدنا رسول الله ﷻ، ومعه نفر قليل حوالي سبعين رجلاً

٣٢ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة

فقط، والعجب العُجاب أن سيدنا النبي على بغلة والبغلة بطيئة غير الفرس، وأخذ يقول:

{ أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ }^{٣٣}

لأنه على ما هو عليه مع الله، ولذلك جاء نصر الله بسبب سيدنا رسول الله ﷺ.

مقام التوبة

الله فتح التوبة للمؤمنين، بل قال لنا كلمة تتقَطَّعُ منها أعناق الموحدين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
التَّوْبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة ٢٢٢) فهل يترك الإنسان التوبة لحظة؟! لا، ولذلك لا بد
للإنسان أن يظل دائماً في مقام التوبة والإنابة إلى الله على الدوام.

نفرض أنني عبدتُ الله، فلا يوجد أحدٌ يعبد الله كأصحاب رسول الله، كانوا يقومون
الليل كله وفي آخر الليل يستغفرون الله: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَجُونَ﴾ (١٧) وبِالْأَسْحَارِ
هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الذاريات) مم يستغفرون؟ من التقصير، يرون أنهم مقصرون في عبادتهم،
ومفرطين في طاعة الله، يرون أنهم لن يستطيعوا أن يعبدوا الله ﷻ ولو عاشوا لآخر الزمان
على نعمة واحدة من النعم التي أسداها إليهم حضرة الرحمن، فما بالك بنعم الآخرة، ونعمة
الجنة، ونعمة الشفاعة العظيمة التي يشفعها لنا الحبيب العذنان ﷺ!.

فدائماً هذا حال الصالحين، كيف تعرف الصالحين؟ من يرى نفسه أنه مقصر، ويرى
نفسه أن يحتاج إلى التوبة والأوبة والرجوع إلى الله، ويرى نفسه أنه لم يقدم ما ينبغي أن يقدمه
لمولاه.

لكن من يرى نفسه أنه أحسن وأنه أفضل ممن حوله لأنه يزيد في الركوع أو في
السجود أو في العبادة، فهل أنت يا مسكين تصل إلى إبليس اللعين في العبادة؟! إبليس عبد
الله إثنين وسبعين ألف سنة حتى أنه - كما ورد - ليس في السماء موضع أربع أصابع إلا
ولإبليس فيه سجدة لله تعالى، ولكن في لحظة قال له الله: ﴿قَالَ أَخْرَجْ مَتْنًا مَّدْهُومًا
مَّدْحُورًا﴾ (الأعراف ١١٨) لماذا؟ لأن العبادة تحتاج للأدب، وإبليس كان عبداً ولكن فقد
الأدب، فكانت النتيجة أنه طُرد، وكل من يمشي وراءه إلى يوم القيامة.

٣٣ البخاري ومسلم عن الراء بن عازب

وأدب العبادة أن الإنسان لا يرى ما قدمه، ولكن يرى معونة الله له، وتوفيق الله ﷻ له، وإكرام الله سبحانه له، لا تفرح بالعبادة إلا إذا نظرت إلى توفيق الله لك في هذه العبادة، لتعرف أن الأمر كله من الله جل في علاه: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨ يونس)، إذا كان محل نظره فضل الله، ورحمة الله، ومعونة الله، فهذا أفضل مما يجمعه من العبادات ومن العُمرات ومن الأعمال الصالحة كلها، لأن فضل الله هو الذي سننال به المنى يوم لقاء الله: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢١ الحديد)، ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (١٠٥ البقرة) فهذا كله اختصاص وفضل من الله ﷻ.

ولذلك المؤمن دائماً يقف على باب مولاه يناجيه دوماً، ويلزم الأعتاب، ويضرع إلى الكريم الوهاب، يرى ذنوبه أمام عينيه، ويرفع عمله إلى الله ﷻ ولا يعيد النظر إليه، ويتضرع إلى الله ﷻ أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن، لأننا نعمل والعبرة بالقبول.

فأكرمنا الله ﷻ في هذه الآية، وفتح لنا العناية، وعرفنا أنه غفور، وأنه رحيم، وأنه تواب، وأنه كريم، وأن عذابه للكافرين والمشركين والجاحدين هو العذاب الأليم، لكن ليس هناك نصيب للمسلمين في عذاب جهنم أجمعين، لأن المسلمين جعل الله لهم الجنة، فأصحاب الجنة هم المؤمنون: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠٦﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (المؤمنون) وهذا فضل الله علينا.

علينا أن نتدبر كلام الله عند تلاوته أو عند سماعه حتى نعرف منازل الفضل الإلهي، فمننا جماعة ستبشرهم الملائكة بالجنة: ﴿ وَأَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٣٠ فصلت) ومننا جماعة سيبشرهم رسول الله ﷺ: ﴿ وَدَبِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴾ (٤٧ الأحزاب) ومننا جماعة سيبشرهم حضرة الله ﷻ: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٢١ التوبة)، فهل الناس كلهم مثل بعضهم؟ لا: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (١٦٣ آل عمران).

اللهم بلغنا جميعاً أعلى الدرجات، واجعلنا نحظى بكل هذه البشريات، ويكون لنا في الجنة الهناء والمسرات بالنظر إلى وجه الله وبالقرب من حبيبه ومصطفاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ
لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا
حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء)

١٠: الإسراء-

d d

بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي وسعنا بكرامته، وشمّلنا بإنعامه، وجملنا بخير الخلال التي خص بها الأنبياء والمرسلين في كلامه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام النبيين، وخاتم المرسلين، والرحمة العظمى للخلق أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

إعجاز القرآن البلاغي في خبر الإسراء

إن آية الإسراء فيها من الإعجاز الإلهي، والبيان البلاغي الرباني ما يحير العقول والقلوب والألباب، فإن الله ﷻ ذكر في هذه الآية الكريمة كل ما يتعلق بهذه القصة الكريمة من البداية إلى النهاية، بل إن الله ﷻ ردّ فيها على تساؤلات المنكرين، وعلى شكوك المشككين، وعلى دعاوى المعترضين.

الرد على المعترضين

أول اعتراض كان من الناس هو: كيف يذهب النبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس - وكانوا يقطعون هذا السفر في مدة أربعين يوم - ثم يصل إلى الأنبياء، ثم يصعد السماوات سماءً تلو سماء، وهو الذي يبين ﷻ عظمة السماوات وما بينها من مسافات فيقول صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: بَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ خَمْسٌ مِائَةً سَنَةً، وَمِنْ كُلِّ سَّمَاءٍ إِلَى سَّمَاءٍ مَسِيرَةٌ خَمْسٌ مِائَةً سَنَةً،

١ مسجد قاسم المصري - مغاغة - المنيا ٢٧ من رجب ١٤٣٧ هـ / ٤/٥/٢٠١٦ م

وَكَيْفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةٌ خَمْسٌ مِائَةً سَنَةً {^٢

عرج به حتى تجاوز هذه السماوات، ثم دخل الجنة وشاهد ما أعد الله ﷻ للصالحين والمتقين فيها، ورأى النار وما جهز الله ﷻ للكافرين والمشركين والمجرمين فيها، ثم إلى سدرة المنتهى، ثم إلى قاب قوسين أو أدنى ورجع وفرأشه الذي كان نائماً عليه لم يبرد بعد، أي أن الرحلة استغرقت دقائق معدودات.

بدأ الله ﷻ الآية برِدِّ بالغ على هؤلاء المعترضين والمعارضين والمكذبين والمجادلين أجمعين، فقال: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى﴾ من الذي قام بالإسراء؟ الله ﷻ، وهل يُعجز الله ﷻ شيئاً؟! لو كان الإسراء من ذات الحبيب كان من الجائز أن نتكلم أو نخوض، لكن إذا كان الأمر متعلق بالقدرة الإلهية فإن الله كما قال في قرآنه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (٤٤: فاطر) بل إن أمره بين السماء والأرض، وكل ما بينهما وما بعدهما: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢: يس) كم تستغرق كن هذه؟ أقل من لمح البصر.

فبما أن الأمر أسنده الله إلى ذاته، فيجب على المؤمنين أجمعين التسليم لله، والتصديق برحلة رسول الله ﷺ في الإسراء والمعراج، ولا ينبغي لمؤمن أن يعترض على ذلك. ولذلك فنحن عندنا جماعة المسلمين أن كل من كذب بالإسراء فهو كافر لأنه كذب بآيات الله ﷻ، والآية صريحة ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ﴾.

الإسراء بالروح والجسم

مرة أخرى عاد المنكرون فقالوا: ليس من المعقول أن يكون قد ذهب لهذه الرحلة بالجسم؟ فكيف يذهب بالجسم في هذه الرحلة المقدسة الطويلة الأمد؟ فرد الله عليهم وقال: ﴿أَسْرٰى بِعَبْدِهِ﴾ والعبد يعني الجسد والروح:

لفظ عبد يقتضي الجسم الذي فيه روح بل وعقل والخيال

لم يقل (أسرى بروح عبده) وإلا كانت رؤيا منامية، فما الداعي للإعتراض إذاً؟! لأن

٢ مسند أحمد عن العباس

الرؤيا المنامية جائزة لكل إنسان في أي زمان ومكان، فكل إنسان وهو نائم من الممكن أن يرى نفسه يطوف بالبيت الحرام، أو يرى نفسه واقف على جبل عرفات، أو يرى نفسه في الجنة، هل هذا مستبعد على أي إنسان؟ أبداً.

لكن الخصوصية لا تكون خصوصية لسيدنا رسول الله إلا إذا كانت بالجسم والروح، فكانت معجزة الإسراء والمعراج لرسول الله ﷺ بروحه وجسمه معاً صلوات ربي وتسليماته عليه.

وحَدَّدَ اللهُ ﷻ الإسراء بأن وقته في الليل وقال: ﴿لَيْلاً﴾ وكلمة (ليلاً) في قواعد اللغة العربية منكرة، والمعرفة منها تكون بلفظ (الليل) ولو قال الله سبحانه وتعالى (الليل) فستعني الليلة كلها من أولها لآخرها، لكن (ليلاً) تعني في جزء من الليل، وليس الليلة كلها، حيث ذهب به الله وعاد في جزء من الليل صلوات ربي وتسليماته عليه.

مشاهد الإسراء

﴿مَنْ أَلْمَسَ سَجِدَ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ فماذا رأى؟ جاءت الآية الكريمة: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ فهناك آيات رآها في الإسراء من مكة إلى بيت المقدس، وآيات رآها في المعراج في السماوات، وآيات رآها عند سدرة المنتهى، وآيات رآها في قاب قوسين أو أدنى .. كل هذه الآيات أجملها الله ﷻ في قوله: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾.

وحتى لا نُكذِّبَ لما سنستمع إليه من آيات، قال الله نحن الذين أريناه: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ فإذا كان الله هو الذي أراه وكشف له عن هذه الآيات، فهل يصح أو يجوز لمسلم أن يعترض أو ينكر بعض هذه المشاهدات؟! بالطبع لا، لأن الذي أراه هو الله، فهو الذي كاشفه بهذه الآيات، وهو الذي متعه بهذه المشاهدات: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

هذه الرحلة بما كنوز لا تعد ولا تحد من العلوم والمعارف الإلهية الخاصة بالحضرة الحمديّة، وبما كثير من العطايا والمنح الربانية الخاصة بالأمة الحمديّة، وهذا ما نريد أن نروي بعضاً منه.

رحلة الإسراء والمعراج

فما نصيبنا في هذه الرحلة؟ فإنه ﷺ كما وصفه ربه ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة ١٢٨) كان في هذه الليلة يبيت عند ابنة عمه السيدة أم هانئ بنت أبي طالب، وبيتها بجوار المسجد الحرام، والاسراء كان قبل الهجرة، قيل بعام، وقيل بعامين، وقيل بثلاثة أعوام، ولكن أصح الآراء أنه كان قبل الهجرة بعام.

واستيقظ في الليل، فذهب إلى حجر سيدنا إسماعيل وهو الجزء الذي بجوار الكعبة، فعندما اشتكى سيدنا إسماعيل لربه حر مكة، فأوحى إليه ربه بأن اجلس في الحجر، فإننا سنفتح لك فيه باب من الجنة يأتيك فيه الروح والريحان، وأوصى أنه عندما يموت يدفن في هذا الحجر، وعندما ماتت أمه هاجر دفنها بالحجر، فسيدنا إسماعيل وأمّه هاجر مدفونان في هذا الموضع.

فسيدنا رسول الله ﷺ اضطجع في الحجر ما بين النوم واليقظة، وإذا بالأمين جبريل ينزل من السماء في نفر من الملائكة ومعه البراق الذي جاء به ليركبه الحبيب ﷺ إلى بيت المقدس، فقال له جبريل: قم يا نائم فقد هُيئت لك الغنائم قال: يا جبريل إلى أين؟ قال جبريل: يا محمد الكريم يدعوك إليه، قال: فماذا يفعل بي؟ قال جبريل: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: وماذا يفعل بأمتي؟ حيث كان رسول الله ﷺ حريص علينا في كل أحواله، وكان أنبياء الله السابقين يقول كل نبي منهم نفسي نفسي لا أسألك غيرها، ولكن سيدنا رسول الله كلما يقول أمتي أمتي، يبحث عن الأمة لأنه ﷺ كاشف الغمة، وهو الحريص علينا والأولى بنا من أنفسنا صلوات ربي وتسليماته عليه.

ثم حكى ﷺ أن الملائكة أخذوه إلى جوار ماء زمزم، وأضعوه، ومرر أحد الملائكة يده على رسول الله ﷺ من بداية صدره إلى منتهى عانته، فشقه، وجاء أحدهم بطست من ذهب، وأخرجوا قلبه ووضعوه في هذا الطست، وأخذوا منه قطعة وألقوها وقالوا: هذا حظ الشيطان، وجاء ملك آخر ومعه طست مملوء إيماناً وحكمة، وحشو قلب رسول الله ﷺ إيماناً وحكمة، ثم مرر الملك الأول يده مرة أخرى فعاد الأمر كما كان عليه، وقال ﷺ: لم أشعر بألم، لأن هؤلاء هم ملائكة الله جل وعلا.

اجتماعهم بالأنبياء بيت المقدس

ما هذا الذي حدث؟ هذا الذي حدث هو التجهيز لرحلة الإسراء والمعراج، ثم ذهب إلى بيت المقدس، واجتمع بالأنبياء، وصعد إلى السماوات، وقابل فيها الملائكة، حتى يعلمه الله نعمه عليه وتكريم الله ﷻ له، لأنه في هذا الوقت الشديد كان قد كذبه قومه في الطائف، فكان في حالة شديدة، فأراه الله ﷻ منازل الأنبياء، وقدمه جبريل ليصلي بالأنبياء ليعلم أن له مكانة عظيمة عند الله، فهو إمام الأنبياء والمرسلين صلوات ربي وتسليماته عليه.

والأنبياء والمرسلين عاهدهم الله ﷻ وهم أرواح نورانية لحضرته البهية، فعندما خلق الله أرواح النبيين جمعهم حيث لا مكان ولا زمان ولا أفلاك ولا أكوان، غيب غيب لا يعلمه إلا حضرة الرحمن، وأخذ عليهم العهد والميثاق: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ (آل عمران، ٨١)، كل النبيين، ولماذا قال النبيين؟ لأنهم كانوا ارواحاً ولم يكلف أحد منهم بالرسالة بعد، فالتكليف بالرسالة يكون عندما يأتي للحياة الدنيا بعد أن تلبس الروح في الجسد: ﴿لَمَّا آتَيْنَكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ لم يقل نبي بل قال رسول ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ ماذا نفعل يا رب؟ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِمْ وَلَتُنْصُرُنَّهُمْ﴾ فيجب على كل الأنبياء أن يؤمنوا برسول الله، ولكن كيف ينصرونه وقد أتو قبله؟ كل منهم يوضح لأمته ملامحه وأوصافه ودعوته، ويوصيهم بأن يتبعوه ويؤمنوا به إذا أدركوه في زمانه، ويناصروه في دعوة الله ﷻ ويعينوه على تبليغ دعوته: ﴿قَالَ أَأَقْرَبْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَيَّ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أقرَرْنَا قَالَ فآشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران، ٨١).

العهد والميثاق الذي أخذه الله على الأنبياء والمرسلين كما أوضحت الآيات لا يكتمل إلا إذا بايعوه بعد بعثته بالرسالة ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ لذلك أحياهم الله وجمعهم له في بيت المقدس حتى يجددوا البيعة له بعد بعثته وتكليفه بالرسالة، حتى يكونوا من أمة محمد ﷺ:

صُفُّوا وراعك إذ أنت الإمام لهم قد بايعوك على صدق المتابعة
أبوهم أنت يا سر الوجود ولا فخر وسرهم قبل المعاينة

وبعدما اجتمع بالأنبياء وقد كان عددهم كما ورد في حديث أبو ذر حين سأل رسول الله ﷺ:

{ كَمِ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: مِائَةٌ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمِ الرُّسُلُ }

من ذلك؟ قال: ثلاث مائة وثلاثة عشر جم غفيراً^٣

والذين ذكروا في القرآن منهم خمس وعشرون، والعظماء منهم خمسة وهم أولوا العزم من الرسل.

فكل الأنبياء والرسل عددهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ورسول جمعهم الله سبحانه وتعالى للحبيب ﷺ في بيت المقدس، وبعد ما ألقى كل منهم كلمة ترحيب بالحبيب جاء جبريل وأخذه من يده وقال له: تقدم صلِّ بهم يا رسول الله.

لكن ما كيفية هذه الصلاة؟ ليس لنا شأن بهذا، لأن هذا أمر غيبي لا يعلمه إلا الله، فرمما تكون الصلاة بمعنى الدعاء، أو هي صلاة على شريعة إبراهيم، لا يهم، المهم أنه كان لهم الإمام صلوات ربي وتسليماته عليه.

وكانوا ورائه في سبعة صفوف من الأنبياء والمرسلين، تقدمهم رسول الله ﷺ، حتى يعلم مكانته عند الله، ويفرح بالمنزلة التي ادَّخرها له مولاه، فيزيد شوقه إلى الله، ولا تحمد عزمته في الدعوة إلى الله جل في علاه.

بعد هذا صعد إلى السماوات وفيها ما فيها على المعراج، وعند سدرة المنتهى تدلي له الرفرف الأخضر، وزجه جبريل في النور إلى حيث قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى.

قاب قوسين

ما أود أن أوضحه هنا هو ما مقدار نصيبنا في هذه الرحلة؟

سيدنا رسول الله ﷺ في هذه الرحلة عاد محملاً بهدايا لا تعد لا تحد، هدايا من الله، وهدايا من ملائكة الله، وهدايا من أنبياء الله ورسول الله.

ووصوله إلى قاب قوسين أو أدنى معناه :

أنه وصل إلى مقام لم يصل إليها أحد سواه من خلق الله، وليس معناه أن الله هناك حاشا لله ﷻ، فالله سبحانه وتعالى قربه من العرش كقربه من الفرش، لا يخلو منه زمان ولا

٣ الأربعين حديثاً للأجري

مكان، لكن هذا تبيان للمنزلة العلية التي وصلها النبي.

لماذا لم يستطع جبريل أن يتقدم....، وقال له: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (١٦٤ الصافات)؟ حتى نعرف أن هذا النبي الكريم أعلى الله شأنه، ورفع قدره وجعله في مقام لم يصل إليه أحد من الملائكة الكرام، ولا أهل عالين، ولا أهل عليين، ولا الكروبيين، ولا الأنبياء والمرسلين.

فالأنبياء كانوا في السماوات:

منهم من كان في الأولى، ومنهم من كان في الثانية، وأعلامهم سيدنا إبراهيم وقد كان في السماء السابعة.

وكذلك الملائكة، وأعلامهم جبريل، وقد وقف عند سدرة المنتهى، حتى نعلم أن هذا مقام خاص برسول الله ﷺ:

وَحِكْمَةٌ إِسْرَاءِ الْحَبِيبِ إِعْثَاةٌ	لِعَالَمِهِ الْأَعْلَى وَرَحْمَةٌ حَنَانٌ
وَلَمْ يَكْ رِبَ الْعَرْشِ فَوْقَ سَمَائِهِ	تَنَزَّهَ عَنِ كَيْفٍ وَعَنِ بَرَهَانٍ
وَلَكِنْ لِإِظْهَارِ الْجَمَالِ لِأَهْلِهِ	مِنَ الْعَالَمِ الْأَعْلَى وَنِيْلِ أَمَانٍ

سيدنا رسول الله هو الوحيد الذي أرسل للناس كافة:

فكل نبي كان يُرسل لقومه، لكن سيدنا رسول الله أرسل للجن والإنس والملائكة: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ (٢٨ سبأ).

فالملائكة كانوا يريدون نصيبهم من رسالة رسول الله:

فصعد حتى يعطيهم نصيبهم من الرسالة الإلهية، لأنه نبي جميع الكائنات الذي جعله الله ﷻ نبي للكافة على الإطلاق.

بعدما كان قاب قوسين أو أدنى ووصل إلى مقام يقول عنه: { ثُمَّ عُرِّجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ }^٤، وهي أقلام القدرة الإلهية التي تكتب الأقدار وينفذها

٤ البخاري ومسلم عن أبي ذر

الملائكة في اختلاف الأدوار، قال: قلت: التحيات المباركات والصلوات الطيبات لله، فقال له الله: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فقال ﷺ حتى يدخلنا معه: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ولذلك قال ﷺ:

{ أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٌ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }°

أدخلنا معه صلوات ربي وتسليماته عليه، فقالت الملائكة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله.

وأمره ربه أن يعرض عليه ما يريد، فقال يا رب إنك عذبت الأمم قبلي بعضهم بالخسف، وبعضهم بالمسح، وبعضهم بالقذف، وبعضهم بالحجارة، فما أنت فاعل بأمتي؟ لم يطلب لنفسه، ولكن كانت كل طلباته لأمته.

وانظروا إلى بشارة الله، واشكروا الله على عطايه، وصلُّوا على الحبيب الذي استجلب لنا هذا الخير من الله، فقال الله تعالى:

{ أنا لهم إذا عاشوا، وأنا لهم إذا ماتوا، وأنا لهم في القبور، وأنا لهم في النشور، وفي الدنيا أستر على العصاة، وفي الآخرة أشفعك فيهم، من توكل منهم عليّ كفيته، ومن أقرضني منهم جزيته، ومن دعاني منهم لبيته، أنا الله رب العالمين لا أخلف الميعاد }^٦.

انظروا إلى إكرام الله للأمة علي يد سيد الأمة ﷺ، والمكرمات بتفصيلها يحتاج إلى وقت كثير، لكن ملخصها أن الله ﷻ جعل لهذه الأمة من الإكرامات ما لا يستطيع أحد من الأولين أو الآخرين عده أو إحصاؤه:

{ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (١٨ الحجرات).

هدية الله للأمة الإسلامية

وبعد ذلك أعطاه الله هدية لأمته، فمن يقع منهم في شدة، أو يصيبه هلع، أو جزع،

٥ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٦ المواهب اللدنية، وقد ورد في بعض أخبار الإسراء مما ذكره العلامة ابن مرزوق في شرحه لبردة المديح.

أو فزع، أو تتنابه المشاكل، أو تكثر عليه المشاغل؛ يستخدم هذه الهدية، فيحل الله ﷻ بفضله له كل ما يشغله من أي قضية، ما هذه الهدية؟ إنها الصلاة التي فرضها الله علينا في هذه الليلة.

ولا يوجد من يستطيع أن يحسب قدر نعم الله ﷻ علينا في الصلاة أبداً، وقد فرضها الله في أول الأمر خمسين صلاة، وكلف سيدنا موسى ليقف في طريق رسول الله ويرجعه مرة تلو الأخرى يسأل الله التخفيف للأمة، حتى قال ﷺ:

{ سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ }^٧

فقال رب العزة في فضل الصلوات الخمس:

{ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي، وَأَجْرِي الْحَسَنَةَ عَشْرًا }^٨

أي أصبحت خمس صلوات في العمل خمسون في الأجر والثواب، وهذه أول فضيلة، فالصلوات الخمس التي نصلّيها في اليوم واللييلة يكتب لنا فيها أجر خمسون صلاة، ولذلك قال سيد الأولين والآخرين:

{ مَنْ حَافِظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي جَمَاعَةٍ، فَقَدْ مَلَأَ الْبِرَّ وَالْبَحْرَ عِبَادَةً }^٩

ولكننا لا ننسبه لهذا، فالله سبحانه يريد أن يغنينا ونصبح من العابدين، وانظر كيف يعاملنا الله ﷻ؟ فالصلاة بعشرة، وذلك في الأيام العادية، أما في رمضان فالفريضة فيه بسبعين فريضة فيما سواه.

فجعل الله ﷻ في الصلاة غناءً للعبد المؤمن:

فلوا اقتصر على الصلاة فقط يكون يوم القيامة من العابدين لله ﷻ، ويكون من الوجهاء الأغنياء الذين عندهم عبادات عظيمة عند الله ﷻ.

وماذا بعد ذلك؟ قال أريد أن يكونوا مغسولين، وليس عليهم ذنوب، ولا لهم عيوب،

٧ صحيح البخاري ومسنده أحمد

٨ صحيح البخاري ومسنده أحمد

٩ حلية الأولياء لأبي نعيم عن سعيد بن المسيب

حتى عندما أطلب الواحد منهم في أي وقت يأتي عندي خالي من الذنوب والعيوب، فكيف يغسلنا؟ يغسلنا في الصلاة: ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ ﴾ من الذي يدعونا للصلاة؟ إنه الله، ولماذا تدعونا يا رب؟ ﴿ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ (١٠ إبراهيم) كيف يتم هذا الأمر يا رسول الله؟ قال:

{ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَنْبَقِي مِنْ دَرَبِهِ - أَوْ سَاخِهِ - شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يَنْبَقِي مِنْ دَرَبِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا }^{١١}

كما أنه لا يقف العبد بين يد الله ويناجي الله إلا ويحقق له الله ﷻ له مناه، في أي أمر، مالم يدعو بإثم أو بقطيعة رحم، لأن الله يقول في الحديث القدسي:

{ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: "الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ"، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ"، قَالَ: مَجَدَّنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ"، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ }^{١١}

ولذلك ورد عن النبي ﷺ:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَرَزَعَ إِلَى الصَّلَاةِ }^{١٢}

فعندما يصلي ويدعو لله: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ وَمِنْ زُقَّتْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق) وعلم حضرة النبي أصحابه هذا الأمر، فكانوا جميعاً على هذه الشاكلة.

أحدهم كان تاجراً، وكان من ثقته بالله كان يخرج بتجارته في الصحراء الجرداء وحيداً

١٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

١١ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

١٢ معجم الصحابة وجامع البيان عن حذيفة بن اليمان ﷺ

بلا رفيق ولا حارس، متوكلاً على الله، ومعتمداً على حضرة الله جل في علاه:

وهو في طريقه للطائف وجد رجلاً قاطع طريق، يقف وبجانبه فتحة بين جبلين، وقال له: ماذا تريد؟ قال: أريد المال، قال: خذه، قال: ولا بد من قتلك، فحاول معه ولم يجد سبيل، فطلب منه أن يتركه يصلي ركعتين لله ﷻ، وهو في الصلاة سمع صوت يقول: دعه يا عدو الله، لكنه واصل الصلاة، ثم في ركوعه سمع صوت يقول: دعه يا عدو الله، والواحد منهم عندما يصلي كان لا يشغله شاغل عن الصلاة، وفي السجود سمع صوت يقول: دعه يا عدو الله، وعندما انتهى من الصلاة نظر فإذا رجل بيده سيف، وقطع عنق هذا الرجل، وما زال الدم بالسيف، فسأله من أنت؟ ومن الذي أرسلك إلي؟

قال أنا ملك من السماء الرابعة، عندما استغثت بالله ﷻ قال من يغيث عبدي فلان بأرض كذا، فقلت: أنا يا رب، وأنا في السماء الرابعة همّ بقتلك فقلت: دعه يا عدو الله، وأنا في السماء الأولى همّ بقتلك مرة ثانية فقلت له: دعه يا عدو الله، ثم عندما كنت عند شفير هذا الوادي همّ بقتلك فقلت: دعه يا عدو الله، ثم قتلته.

هذا هو نوح وحال المسلمين المؤمنين الصادقين الأولين، الذين صاروا على نوح سيد الأولين والآخرين ﷺ ...

ولكن لماذا لم نصل إلى هذه الأحوال؟!.

الصلاة إسرائاً ومعراج

إن رحلة الصلاة جعلها الله سبحانه وتعالى إسرائاً ومعراجاً لكل مسلم:

فإذا كان حضرة النبي أسرى به الله ﷻ وعرج به إلى السماوات

فأنت يسري الله ويعرج بك في اليوم خمس مرات على الأقل.

كيف؟

الرحلة كانت ثلاث مراحل:

- من البيت الحرام الي المسجد الأقصى.

- ومن المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى.

- ومن سدرة المنتهى إلى قاب قوسين أو أدنى.

والصلاة ثلاث مراحل؟

- وقوف.

- وركوع.

- وسجود.

ونبين فنقول:

- الوقوف كرحلة الإسراء.

- والركوع كرحلة المعراج.

- والسجود كقاب قوسين أو أدنى..

ولذلك أوصانا حضرة النبي بالسجود، لأن الله قال فيه: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (١١٩ العلق):

لأنك في السجود تكون بين يدي من يقول للشيء كن فيكون، فقال ﷺ:

{ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ }^{١٣}

أي كأنه في قاب قوسين أو أدنى، ولذلك قال لنا:

{ إِذَا سَجَدْتُمْ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَإِنَّهُ قَمْنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ }^{١٤}

فالصلاة هي رحلة إسراء ومعراج للعبد:

يكون فيها في السجود ليس بينه وبين الله بين ولا غين ولا رين، كأنه يعاين جمال

الواحد الأحد، ويناجيه فيستجيب له.

الجهز للعطاءات الإلهية

١٣ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة ؓ

١٤ سنن النسائي وابن خزيمة عن ابن عباس رضي الله عنهما

ولكن ما الذي نحتاجه لكي نصل إلى هذا الحال؟ نحتاج إلى الطهارة القلبية التي فعلت للحبيب ﷺ في بداية الرحلة، فقد أمرنا الله بالطهارة الظاهرية بالماء، ولكن ما الذي ينظر إليه الله فينا؟

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ }^{١٥}

فالأولى بالطهارة مع الماء هو القلب، لأنه محل نظر الله، فأنا سأقف بين يدي الله فيجب أن أطهر القلب لحضرة الله جل في علاه، مم أطهر القلب؟ ﴿ وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَبِلِينَ ﴾ (٤٧: الحجر) وانظر إلى وصية سيدنا رسول الله ﷺ لخادمه الخاص سيدنا أنس بن مالك ؓ، يقول أنس ؓ: قال: قال لي رسول الله ﷺ:

{ يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْبَبَنِي، وَمَنْ أَحْبَبَنِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ }^{١٦}

سأقف بين يدي الله لكي أناجيه، فهل يجوز أن أكون بين يدي الله وأنا مشغول - مثلاً - بالتدبير في كيفية أن أضرب فلان من خلق الله؟ أو كيف ألق قضية مزورة ضد فلان؟ كيف هذا؟!..

حظ الشيطان

لكن ما الذي يجب عليّ فعله؟

لا بد لي من أن أنزع من قلبي حظ الشيطان، وحظ الشيطان هو الرياء والإعجاب بالنفس والفرقة بين المسلمين والكره والبغض والحقد للناس أجمعين، لأن المؤمن يعلم علم اليقين أن الأمور كلها بيد الله وليس لأحد في الكونين سواه تصرف في أي شيء في هذه الحياة، فلماذا أحقد على فلان أو فلان؟! فالأمور كلها من الله وإلى الله وباللّه.

ويغسل قلبه بدوام الإستغفار للواحد القهار، أمر واحد طلبه الله منا لو سرنا عليه سيرفع الله به كل بلاء وعذاب عنا جماعة المسلمين، ما هذا الأمر؟ ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ

١٥ صحيح مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة ؓ
١٦ جامع الترمذي

مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ (الأنفال) لو داومت الأمة على الإستغفار للواحد القهار: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (١٠. نوح).

سننال كل ما نريد بشرط المداومة على الإستغفار، لكن العجب أننا نجد كثير في هذا الزمان يبخل على نفسه بالإستغفار لله ﷻ، لماذا يا أخي؟ إذا كان الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقول:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَاسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةً مَرَّةً }^{١٧}

فيجب ألا نقل عن هذا، بل يجب أن نزيد، لكن أين من المسلمين الذي يستغفر في اليوم سبعين مرة؟ لا يوجد إلا ما قل وندر.

بضاعة الإيمان

لكن يجب أن أطهر القلب بالإستغفار، وأملأه بهدي النبي المختار ببضاعة الإيمان، فسيدنا رسول الله ﷺ أتته الملائكة بطست مملوءة بالإيمان والحكمة ووضعوه في قلبه الشريف، فيجب عليّ أن أضع في قلبي بضاعة الإيمان.

وما بضاعة الإيمان؟

الحب للناس أجمعين، وتمني الخير لجميع خلق الله، وشكر الله ﷻ على عطاياه، والرغبة في عمل المعروف طلباً لمرضات الله، ولا أقول بأن فلان يستحق وفلان لا يستحق، فأنا أعمل العمل لله والله يقول: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣٠. الكهف).

فعلي أن أملأ القلب كله ببضاعة الإيمان التي حببنا فيها النبي العدنان، والتي نزل بها صريح آيات القرآن، والتي ينبغي أن يكون عليها أهل الإيمان أجمعين.

إذا طهر القلب من الخطايا التي ذكرناها، وأكثرنا من الاستغفار، ووضعنا به بضاعة الإيمان، وجمالناه بالإخلاص والصدق في التعامل مع الله ﷻ ...

دخلنا في قول الله: ﴿ حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (١٧ الحجرات).

زينة الإيمان في القلب

وما زينة الإيمان؟

زينة الإيمان إخلاص العمل لله:

فلا يرجو الأجر إلا من الله، ولا ينتظر شيء من خلق الله، وأن يعمل العمل بصدق مع مولاه، وأن يتابع فيه حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

إذا صرنا على هذه الوتيرة ندخل في الحديث الذي يقول فيه الله ﷻ:

{ إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلَاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ لِعَظْمَتِي، وَلَمْ يَتَعَاطَمْ عَلَى خَلْقِي، وَكَفَّ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي، فَقَطَعَ نَهَارَهُ بِذِكْرِي، وَلَمْ يَبْتَ مُصِرًّا عَلَى حَظِيَّتِهِ، يُطْعِمُ الْجَائِعَ، وَيَكْسُو الْعَارِيَ، يَرْحَمُ الضَّعِيفَ، وَيُؤْوِي الْغَرِيبَ، فَذَلِكَ الَّذِي يُضِيءُ وَجْهَهُ كَمَا يُضِيءُ نُورُ الشَّمْسِ، يَدْعُونِي فَأَلْبِي، وَيَسْأَلْنِي فَأُعْطِي، وَيُقْسِمُ عَلَيَّ فَأَبْرُ قَسَمَهُ، أَجْعَلُ لَهُ فِي الْجَهَالَةِ عِلْمًا، وَفِي الظُّلْمَةِ نُورًا، أَكَلُوهُ بِقُوَّتِي، وَأَسْتَحْفِظُهُ مَلَائِكَتِي، فَمَثَلُهُ عِنْدِي كَمَثَلِ الْفَرْدَوْسِ فِي الْجَنَانِ، لَا تَبَسُّ ثِمَارُهَا، وَلَا يَتَغَيَّرُ حَالُهَا }^{١٨}

فإن الله سبحانه وتعالى يريد ...

أن يصلي أمامه الخاشعون الخاضعون....الذين يشعرون بالحاجة الشديدة إلى رب العالمين، ولا يتعالون على خلق الله، ولا يتكبرون على الفقراء والمساكين من عباد الله، ولكن ينظرون إليهم بعين رحمة وحنان ... فإذا صرنا على هذه الوتيرة فإن الله ﷻ يكرمنا غاية الإكرام.

هدية الخليل إبراهيم

١٨ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما

فالصلاة هدية من الله، وهناك هدايا أخرى أحضرها لنا سيدنا رسول الله من الأنبياء والمرسلين، فعندما ذهب عند أبينا إبراهيم: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١٧٨ الحج) يقول ﷺ:

{ رَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ،
أَقْرئُ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ }^{١٩}

ولذلك أمرنا رسول الله أن نذكره في كل صلاة، وهو الذي طلب من الله ذلك حين قال: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٨٤ الشعراء) أي اجعل الأمة الآخرة يذكروني، فقال (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم)، فقال له:

{ يَا مُحَمَّدُ ، أَقْرئُ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ الثَّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ ،
وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ ، وَغِرَاسُهَا قَوْلُ سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ،
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ }^{٢٠}

ولما نزل قول الله ﷻ: ﴿وَأَلْبَقَيْتُ الْأَصْلِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (٤٦ الكهف) قال رسول الله ﷺ:

{ اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ ، قِيلَ : وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : التَّكْبِيرُ ،
وَالْتَهْلِيلُ ، وَالتَّسْبِيحُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ }^{٢١}

هذا الكلام نقوله باللسان، لكن ما قيمته عند حضرة الرحمن؟، حضرة النبي يقول:

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ مَا بَيْنَ السَّمَاءَاتِ
وَالْأَرْضِ }^{٢٢}

هذه الكلمات لا نلقي لها بالاً، فالكلمة الواحدة فيها عبادة لا تساويها عبادة من العبادات الأخرى للأمم الأخرى ولو اجتمعوا أجمعين، ولكن هذا فضل من الله ﷻ لأمة

١٩ معجم الطبراني والترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٢٠ معجم الطبراني والترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٢١ صحيح ابن حبان ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٢٢ صحيح مسلم والترمذي عن أبي مالك الأشعري ﷺ

سيدنا محمد ﷺ، فإذا قال الإنسان: (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) قال في ذلك حضرة النبي ﷺ:

{ مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ }^{٢٣}

متى تطرح هذه النخلة؟ فالنخل عندنا يخرج ثمره بعد غرسها بخمس سنوات تقريبا، لكن هذه قال الله فيها: ﴿ تُوْتَىٰ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ (٢٥ إبراهيم) فعندما تطرح ثمرها، وتحصده الملائكة، فيخرج مكانه في الحال، وهذا إلى يوم القيامة، ويكون في رصيدك، وهذا ما قال الله فيه: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ (٩٦ النحل).

ذكر الله

ولذلك العبد المؤمن الذي يسير أو يجلس أو ينام أو يمشي ساكت ولا ينطق بذكر الله هو الذي سيأتي بعد الموت ويتحسر ويندم على ما فاتته في هذه الحياة، حتى ولو دخل الجنة، قال رسول الله ﷺ:

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا سَاعَةً مَرَّتْ بِهِمْ، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا }^{٢٤}

فأثناء سيري لماذا لا أحرك اللسان بذكر الرحمن؟!

يكفيك أنك حين تذكره سيدكرك: ﴿ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (١٥٢ البقرة)

كيف يذكرك؟

- إذا ذكرته في حالة شدة سيدكرك ويفرج الشدة ...
- وإذا ذكرته في حالة فقر سيدكرك ويأتيك بالغي
- وإذا ذكرته وأنت في حالة مرض سيدكرك ويأتي لك بالشفاء، ويشفيك من هذا الوجع ..
- فيكون ذكر الله لك أن يقضي لك الحاجة التي على بالك وأنت تذكره ﷻ.

٢٣ جامع الترمذي وابن حبان عن جابر ﷺ
٢٤ معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل ﷺ

فالإِنسان المؤمن الحكيم يدخل ويُدخل نفسه في قول الله ﷻ: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (١٩١ آل عمران) :

وهذا خاصة أن الله جعل الذكر بلا شروط:

- فلو ذكرت وأنت على غير وضوء لا حرج في ذلك ..
- ولو ذكرت وأنت خارج المسجد لا مانع من ذلك ...
- لو ذكرت وأنت لست متجهاً إلى القبلة لا مانع من ذلك ...
- ولو ذكرت وأنت على جنابة لا مانع في كل ذلك ...، فالمانع من الجنابة يكون من مس المصحف، أو قراءة القرآن، أو الصلاة ..
- لذا ليس لمسلم حجة يعتذر بها إلى الله عن الأنفاس التي قطعها في الدنيا في غفلة عن ذكر الله ﷻ.

ما عذرك؟

وقد سمح لك بالذكر على كل الحالات!؟

وقد يسره الله لك: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بَلِيسًا لِّكَ ﴾ (٩٧ مريم).

فعندما تبدأ بذكر الله أول الأمر يكون الأمر ثقيلاً عليك، ثم تجد بعد ذلك الذكر قد خف عليك، وتتنعم به، وتتلذذ به، ويقضي الله ﷻ لك كل الحاجات به، إلى جانب أنك تبلغ أعلى مقام في مقامات المؤمنين.

فالمقامات التي ذكرها الله للمؤمنين في سورة الأحزاب عشر مقامات أولها:

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ (١٣٥ الأحزاب)

وأعلىها ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ (١٣٥ الأحزاب).

فالذي يريد أن يفوز بأعلى مقام عند الله:

كم يحتاج من أموال؟ وكم يحتاج من أعمال ينشئها؟

لا يحتاج لشيء سوى أن يحرك اللسان بذكر حضرة الرحمن ﷺ

قال النبي ﷺ:

{ قَالَ مُوسَى : يَا رَبِّ وَدَدْتُ أَنِّي أَعْلَمُ مَنْ تُحِبُّ مِنْ عِبَادِكَ فَأُحِبُّهُ ، قَالَ : إِذَا رَأَيْتَ عَبْدِي يُكْثِرُ ذِكْرِي فَأَنَا أَذِنْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ وَأَنَا أُحِبُّهُ ، وَإِذَا رَأَيْتَ عَبْدِي لَا يَذْكُرُنِي فَأَنَا حَبَبْتُهُ عَنْ ذَلِكَ وَأَنَا أَبْغَضُهُ }^{٢٥}

ما الدليل على حب الله للإنسان؟

دليل حب الله للعبد أن يلهمه ذكره على الدوام!

وربما يسأل سائل ويقول، قد يذكر الإنسان الله ويعصاه، فنقول له:

سيأتي يوم وينهاه الذكر عن المعصية:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾

هم مُّبْصِرُونَ ﴿ (٢٠١ الأعراف).

نسأل الله ﷻ أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا

وأن يزيدنا فقهاً في الدين ...

وأن يجعلنا من الصادقين في الاتباع لسيد الأنبياء والمرسلين، وأن يرزقنا الإخلاص لحضرتة في قلوبنا، والصدق في التعامل مع حضرتة في كل حركاتنا وسكناتنا، وأن يجعلنا من الذاكرين الشاكرين الفاكرين الحاضرين بين يديه ﷻ في كل وقت وحين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٢٥ جامع المسانيد والمراسيل، (قط) في الأفراد (كر) عن عمَرَ رضي الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿وَأْتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ
 رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ
 مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٧٧﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ
 مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ
 وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ
 عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا
 وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٧٨﴾
 وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿(الكهف)﴾

١١: طلاب الوجه العليّ

خطاب القرآن

القرآن فيه خطاب لكل الفئات

ولكل أهل الكمالات، وأهل الجمالات

والعوام ...

وأهل الوسطية من المسلمين والمسلمات ...

فالمسلم الفطن الذي يأخذ من القرآن ما يناسب المقام ...

والمقام الذي نحن فيه مقام الحديث عن رجلٍ ندّعي على الله ﷻ ونحن موقنون أنه يتشبه على قدره بسيد الأولين والآخرين، فكان خُلّقه القرآن وكان حاله القرآن^١.

وهذه فئة خاصة جعلهم الله ﷻ نماذج طيبة في آيات القرآن، وبين صحابة النبي العدنان ﷺ، ما أحوالهم؟ وما أعمالهم؟ وما وجهتهم؟ وما اتجاههم؟ ذاك ما ذكره الله ﷻ في بيانه في الآيات التي بين أيدينا اليوم.

ونحن نستأنس دوماً أن تكون مجالسنا مُطبّق عليها حديث النبي العدنان ﷺ في قوله:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ }^٣

فمجالسنا من مجالس القرآن التي بين أوصافها ومزايا أهلها النبي العدنان ﷺ، في بيت

١ بورسعيد - مسجد الغفران ١٢ من شوال ١٤٣٧ هـ ٢٠١٦/٧/٢١ م
٢ هذا الدرس كان احتفاءً بذكرى فضيلة الشيخ مُجد على سلامة مدير أوقاف بورسعيد الأسبق.
٣ سنن أبي داود عن أبي هريرة ؓ

الله، وتلاوة لكلام الله، ثم تدارس لما يُتلى من كتاب الله.

الآيات التي معنا اليوم تُبين الدرجة العظمى التي رفع الله إليها حبيبه ومصطفاه، والمصطفين الأخيار من أتباعه الأبرار والأطهار.

وقع القرآن

يقول له ربه: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ﴾ وخطاب الله للنبي في القرآن هو خطابٌ لنا معشر أمة النبي أجمعين، لأن الله يخاطبنا في شخص حضرة النبي ﷺ، فنحن لا نتحمّل الخطاب، لأنه قولٌ ثقيل، ولكن الله أهله وجهّزه لسماع كلام حضرة الكريم الوهاب ﷺ: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (٢١ الحشر).

فالجبال الصُّمُّ الرواسي الشامخات لا تتحمّل نزول كلام الله، فمن الذي يتحمّله؟
﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ﴾ (الشعراء) فقلب رسول الله تحمّل ما لا تتحمّله الجبال الراسيات الشوامخ، لأنه تحمّل نزول كلام الله جل في علاه.

ولذلك ورد أنه ﷺ عندما كان ينزل عليه أمين الوحي جبريل ببعض آيات من كتاب الله وهو راكبٌ على ناقته، لا تستطيع الناقة حمله ﷺ أثناءه فنخّ في مكانها، ولا تقوى على النهوض حتى ينفصم عنه الوحي فتقوم وتتحرك ...
لماذا؟ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل).

ويروي سيدنا أبي بن كعب أنه كان جالساً بجوار الحبيب المصطفى ﷺ متربعاً، وكانت فخذ الحبيب على فخذها، ونزل الوحي بالقرآن، فقال ﷺ: ((فكادت رجلي تنكسر من ثقل رجل رسول الله ﷺ لولا أن انفصم الوحي عنه))

هذا الكلام الإلهي، وهذا النور الرباني أمره الله ﷻ أن يسير على هُدهاه في كل أحواله، في حياته، وفي مشيه، وفي أكله، وفي شربه، وفي زواجه، وفي معيشته، وفي معاملته لكل من حوله، كما قال الله ﷻ له:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢ الأنعام).

وقته كله لله، وماله كله لله، وكل ما في حقائقه الظاهرة والباطنة لله، وكل حركاته وسكناته لله، ولا ينشغل عن مولاه طرفة عينٍ ولا أقل، حتى أنه كان ينام وقلبه لا ينام، مشغولٌ بذكر الله الذي لا يغفل سنةً عن الأنام لله سبحانه وتعالى.

وكان يمشي على ذكر، ويجلس على ذكر، ويقعد على ذكر، ويقوم على ذكر، ويخرج ويدخل على ذكر، لا يكفُّ عن ذكر الله ﷻ طرفة عينٍ ولا أقل.

حقيقة تلاوة القرآن

فقال الله تعالى له: ﴿وَأْتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ :

والتلاوة ليست فقط باللسان، ولكن ترتيلٌ باللسان واعتقادٌ بالقلب والجنان، وعملٌ بالجوارح والأركان لتلاوة حضرة النبي، وأتباع حضرة النبي الصادقين.

فلسانه يقرأ، والقلب يعتقد ويوقن، والجوارح تنفذ الإشارات الإلهية العالية التي يخاطبنا بها المولى ﷻ في الآيات القرآنية: ﴿كَيْتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ﴾ لماذا؟ ﴿لِيَذَّبَ بُرُوءَ آيَاتِهِمْ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص ٢٩) وبعد التدبر التنفيذ والعمل حتى نفوز ونجوز كما كان عليه ﷻ.

فمن أراد أن يكون من أهل القرب والوداد، وأن يسلك سبيل أهل الفضل والرشاد، وأن يكون في معية الحبيب ﷻ في الدنيا ويوم الميعاد، فعليه أن يعيش بالقرآن، ويجي بالقرآن، موتوا به، وعيشوا به، وناموا به، واحبوا به، وكلوا به، واشربوا به، واجعلوه في كل شئونكم فإنه كما قال منزله: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (٤٩ الكهف).

لا تجد شأنًا من شئون الدنيا من أولها إلا وذكره الله ﷻ وحكاه في القرآن، وما ينبغي للمؤمن أن يفعله إن كان من أهل الإيمان في هذا الأمر، لأن المؤمن لا يكون في الدنيا أبداً حيراناً، وإنما معه الهداية واصلة من حضرة الرحمن ﷻ.

وهذا كان حال حضرة النبي وأصحاب حضرة النبي، ولذلك لما سألوا السيدة عائشة عن خلق حضرة النبي، فقالت للسائل:

{ كَانَ خُلُقَ رَسُولِ اللَّهِ الْقُرْآنُ، فَقَرَأَتْ: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ " حَتَّى انْتَهَتْ:

" وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ " ثُمَّ قَالَتْ: هَكَذَا كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ { ٤

فهي أحوال يتجمل بها المرء في ظاهره ...

ويجمل الله بأسرارها وأنورها باطنه ...

إذا طبقها كما سمعها من الله، مقتدياً في ذلك بسيدنا ومولانا وإمامنا وزعيمنا سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك الإمام أبو العزائم رحمه الله الذي تنتسب إليه في الطريق إلى الله ﷻ قال:

((القرآن الكريم مورد آل العزائم الروي، وروضهم الجلي، وحوضهم المورود، وكوثرهم المشهود، يستأذنونه قبل العمل، فإن أمر سارعوا، وإن نهى استغفروا وتركوا، فهو الإمام الناطق لهم وإن صمت)).

الحياة القرآنية

إذاً من أراد هذا الفضل العظيم، فليجعل القرآن مُترجماً في سلوكه وحياته وحركاته وسكناته بين خلق الله ﷻ، كما يقول بعض الصالحين:

((لا تقرأ آية، ولكن كن أنت الآية التي يقرأها خلق الله))

جمل نفسك بجمال هذه الآية لكي تكون عندما يروك يرون منظراً جميلاً ظهرت فيه المعاني الجميلة التي يقصدها رب العزة في هذه الآية.

فالتلاوة ليست باللسان:

ولكن كما قلتُ تكون تلاوة بخشوع مع اللسان، مع استحضار عظمة وخشية حضرة الرحمن، وترجمة الأعضاء بعد ذلك بالتنفيذ بين بني الإنسان، حتى يظهر القرآن ومعاني القرآن الحسان، فتشد الناس إلى الله وإلى كتاب الله ﷻ.

المسلمون في شهر رمضان - ما شاء الله - لو جئنا بكمبيوتر يعد الختمات التي ختمها المسلمون فسيجد أعداداً كثيرة، وحتى لو قسنا من يقرأون في الحرمين فقط فكم يكون عددهم؟ ملايين، ولكن ما تأثير ذلك في غير المسلمين؟! هذا هو المهم.

رجل بأمة: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (١٢٠: النحل) إذا كان هو صورة جملة لما يقوله الرب العلي ﷺ في القرآن، وصورة مصغرة على قدره من أخلاق وأحوال وأفعال وأعمال النبي العدنان ﷺ، فهذه همتنا وهذه بغيتنا لنوال ما نرجوه من الله ﷻ:

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ :

إياك أن تسمح لهواك أو لغيرك من أهل البعد عن الله ﷻ أن يغير مبدءاً في حياتك تمشي فيه على هدي كتاب الله، فتتأسى فيه بسيدنا رسول الله، ولا بد أن يكون لك القدوة الكبرى في سيدنا رسول الله في الإعتداد بما جاءك من عند الله، وقل الحق ولو كان مُرّاً، وقل الحق ولو كان على نفسك.

﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً﴾ :

لن تجد بدون كتاب الله ﷻ أي شيء سديد، لأن كل شيء غيره فيه عوج وفيه هوى، لكن كتاب الله هو الحق: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ (١٠٥: الإسراء) هو حق نزل من الحق، على نبي اصطفاه الله ﷻ من بين الخلق، حتى يظهر الله الحق، ويميز الحق من الباطل.

رجال الله

ثم ضرب الله ﷻ لنا المثل لمن تابخوا حضرة النبي في ذلك، قد يقول البعض أن رسول الله معصومٌ ومؤيدٌ من الله، لكن هؤلاء رجال اختصهم الله بوصاله، ومن عليهم بعواطفه وإفضاله، وجعلهم أهلاً لكل كنوز فتحه وعطائه ونواله، وأمر الحبيب أن يجعلهم على باله، ولا يغفل عنهم والتردد عليهم في كل الأوقات:

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

حتى أن النبي ﷺ عندما كان يتردد على أكبر الكافرين ليدعوهم إلى الله، وهذا حدث أكثر من مرة، أحياناً في مكة وأحياناً في المدينة، فكان دائماً أهل الوجاهة في الدنيا يريدون أن تكون لهم خصوصية مع أهل الآخرة غير الفقراء والمساكين، وهذا لا يجوز، ونفى ذلك رب العزة عن حبيبه ومصطفاه.

ذهب إليه أهل مكة وزعماءها لأن أتباع النبي كانوا فقراء، كما قال زعيم الروم هرقل عندما تقابل مع أبي سفيان: من الذي يتبعه؟ قال: الفقراء، قال: هكذا نجد عندنا أن أتباعه الفقراء.

فطلبوا منه أن يجعل لهم مجلساً، ويجعل للفقراء من المؤمنين الصادقين مجلساً، فنهاه الله ﷺ عن ذلك وقال له: ﴿ وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ لا تطوع هؤلاء القوم.

وبعد عزّ الإسلام في المدينة ذهب إليه نفرٌ من وجهاء الجزيرة العربية، وحضرة النبي كان قد التّف حوله في المدينة قومٌ من الفقراء في مظاهر الحياة الدنيا، لكنهم أغنياء في قلوبهم من عطاء حضرة المولى ﷺ، والناس تغتزُّ بالمظاهر، والنبي ضرب لهم الأمثلة فلم يعتبروا، كان جالساً معهم فمرَّ رجلٌ ذو وجهة، فقال لمن معه:

{ مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟ قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ حَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشْفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟ قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ حَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشْفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا }^٥

يقول الحبيب ﷺ:

{ كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ }^٦

{ إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنَكُمُ } (١١٣ الحجرات) وهل يوجد من يطالع على التقوى؟

التقوى في القلب، فلا يظن أحد أنه أفضل من أحد في الدرجة عند الله، ولا في تقوى الله، ولا في القرب من حبيب الله ومصطفاه، فإذا كان لك درجات فهناك قومٌ قال الله في شأنهم: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ ﴾ (١١٣ آل عمران) هم أنفسهم درجات، وكتاب الله مليءٌ بذلك.

أهل الصفة

٥ صحيح البخاري وابن ماجه عن سهل بن سعد

٦ جامع الترمذي والحاكم عن أنس

والله ﷻ له حكمة أزلية، فالوجهاء مشغولون بتجاراتهم وبزراعاتهم وبأعمالهم، من الذي سيبلغ هذا الدين وهذا الكلام الإلهي المبين إلى من بعدهم وغيرهم من المسلمين؟ لا بد أن يكون هناك جماعة متفرغين، فأرسل الله ﷻ إلى حضرة النبي قوم متفرغين، لا زوجة ولا مال ولا ولد ولا مهنة، كل ما يريدونه هو أن يخدموا رسول الله ويعاونوه، ويستمعوا إلى ما ينزل على قلبه من كلمات الله، وعندما يجلسون مع بعضهم في حالة عدم تواجد رسول الله، فكانوا على الفور يعملون حلقة للذكر، وحلقة لتلاوة القرآن، وحلقة للفكر، وكان هذا شغلهم الشاغل في هذا الوقت والحين.

وحضرة النبي تولى بفضل الله ضيافتهم، كان يتولى إ طعامهم، وتحقيق كل طلباتهم مما يفى به الله ﷻ عليه، وجعل لهم مكاناً مخصصاً في مسجده المبارك، وجعل لهم عريشاً يجلسوا تحته في الظل، ويقبهم من المطر، ويناموا تحته، وكان هذا العريش يسمونه (الصفقة) ولذلك سموهم: أهل الصفقة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم.

كانوا لا يقلون في أي وقتٍ من الأوقات عن سبعين رجلاً، يعني سبعين طالب وأستاذ ومدرس، وجملةً جمعتهما بعض كتب السير حوالي سبعمائة رجل، عاشوا في هذا الموضع، وكان هُهم كله نشر كتاب الله.

وكانوا لا يبالون إذا مكث الرجل منهم يوماً أو يومين أو أكثر من ذلك بغير طعام:

لأنهم كانت وجهتهم كلها للحبيب المصطفى، لا يبحثون عن طعام، ويستطيعون أن يبحثوا، لكن الله فرغهم لهذه المهمة الإلهية، إلى أن يُرسل إليهم رسول الله وكان النبي قد جعل قائداً عليهم وهو سيدنا أبو هريرة الذي خلع عليه ﷺ صفة عريف أهل الصفقة.^٧ ويحكي سيدنا أبو هريرة يقول:

{ أَللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لِأَعْتَمِدُ بِكَ يَدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لِأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِئُشْبِعَنِي،

٧ عمدة القاريء وشرح النووي على صحيح مسلم

فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِى عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِى أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَى وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِى، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا هِرٍّ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْحَقُّ، وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبْنَا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبْنُ؟ قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ، قَالَ: أَبَا هِرٍّ: قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَادْعُهُمْ لِي قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلِ وَلَا مَالٍ، وَلَا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاعَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبْنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ؟! كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبْنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمْرِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبْنِ؟! وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَاتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ: يَا أَبَا هِرٍّ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: خُذْ فَأَعْطِهِمْ، قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَأَعْطِيهِ الرَّجُلَ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوَى الْقَوْمُ كُلَّهُمْ، فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَوَضَعْتُهُ عَلَى يَدِهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: أَبَا هِرٍّ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ، قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: اقْعُدْ فَاشْرَبْ، فَفَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: اشْرَبْ، فَشَرِبْتُ فَمَا زَالَ يَقُولُ اشْرَبْ حَتَّى قُلْتُ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: فَأَرِنِي، فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ {^٨

كانوا يسرون بهذه الآيات الإلهية، وهذه التأييدات والمعجزات النبوية، لأنهم فرغوا

٨ صحيح البخاري وجامع الترمذي

أنفسهم لله ﷻ.

وهؤلاء القوم كانوا يلبسون الصوف:

والصوف في طبيعته الأولية عندما تأتي به من الغنم ونغزله وننسجه فيكون له رائحة، وهذه الرائحة مع العرق تكون رائحة كريهة، فكانت هذه الملابس التي يلبسوها، على قدر حالهم، وليست كملايس المرفهين ولا المترفين، ولذلك جعلوا شعار الصوفية لبس الصوف، وإن كان الصوف في هذا الزمان غير الصوف الذي نتكلم عنه.

فلما دخل بعض الزعماء على النبي في مجلسه مع هؤلاء القوم وجدوا رائحة الملابس الصوفية التي يلبسونها ورائحة عرق أجسادهم، فقالوا: يا رسول الله إنا نجيبك، ونحن أعيان قومنا، ونريد أن ننصرك وننصر رسالتك، فاجعل لنا مجلساً وهؤلاء مجلساً.

فنهاه الله ﷻ عن ذلك، ليُعلمنا رب العزة أجمعين أن لا نُفرِّق بين الناس بميزانٍ إلا بميزان تقوى رب العالمين ﷻ.

إياك أن تُغرِّك الواجحة، وتغرِّك المناصب، أو يُغرِّك أصحاب المكاسب، لكن انظر إلى القلوب التي خلت من العيوب، وعانيت الغيوب، واخضع لديها تفرز بالمطلوب من حضرة علام الغيوب ﷻ، فقال له الله:

﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ متى؟

في كل أوقاتهم: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ في الصباح وفي المساء وفي كل

أحوالهم، ماذا يريدون من هذه العبادات؟

﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾.

هؤلاء صنف آخر غير العباد ...

- فالعباد يريدون الجنة ..

- والزهاد خائفون من جهنم ومن عذاب الآخرة ..

- لكن هؤلاء لا يطلبون إلا الله ﷻ، ولا يدعون خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته،

وإنما شوقاً إلى حضرته سبحانه وتعالى.

هناك قوم قال فيهم رب العزة: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (١١٦ السجدة):

فهؤلاء العباد والزهاد للخوف والطمع ...

لكن هؤلاء لا يريدون إلا وجه الله، ووجه الله يعني رضا الله، وفضل الله، وإكرام الله الخاص من الله لعباد الله الذين اصطفاهم الله جل في علاه.

فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا جلس معهم لا يقوم حتى يقولون له: يا رسول الله قد أذنا لك فاجرح، أدباً مع ربه، ومع كلام ربه ﷻ، وكان إذا مدَّ أحدهم يده إليه ليصافحه لم يسحب يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي يسحب يده من يد النبي ﷺ.

وإذا سأله أحدهم مسألة يصبر له، ولا يقطع عنه حديثه، ولا ينتهي معه حتى يكون الرجل هو الذي انتهى من أمره وأخذ ما يريد من الحبيب المصطفى ﷺ.

وهؤلاء الرجال كرجال الله، لهم ورثة في كل زمان ومكان، هناك أناس في كل زمان ومكان يُقيضهم الله ﷻ لنشر دين الله، وإعلاء كلمة الله، لا لدنيا يريدونها، ولا لمناصب يطمعون فيها، ولا لمكاسب دنيوية يرغبون فيها، وإنما يريدون بذلك وجه الله ﷻ.

ولو تصفحت صفحات الإسلام المشرقة تجد أن الذين نشروا في الأسواق والبقاع العالمية هم من هؤلاء القوم، لا يوجد واحد منهم ذهب لإعارة لكي يأتي بالدولارات، فلن يمشوا في طريق الله، ولا دين الله، ولا شرع الله، لأنه مشغول بماله وبنفسه.

لكن هؤلاء تفرغوا لله، والله ﷻ لم ينته واحد منهم من الدنيا إلا وجعله أميراً على بلدة من البلدان في المملكة الإسلامية، أو قائداً بارزاً في الجيوش الإسلامية، أو تاجراً فذاً يتاجر بأموال لا تُعد ولا تُحَد، وإن كان يرى نفسه كنزاً للأمة الإسلامية، فإذا احتاج المسلمون يُخرج كل ما عنده.

كل هؤلاء لو تتبعت سيرهم قديماً وحديثاً أخذوا نصيبهم من عزة الله ﷻ: ﴿فَإِنَّ أَلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (١٣٩ النساء) ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٨ المنافقون).

ونبه النبي ﷺ أعز صحابته المباركين إلى التخوف من الإساءة إلى واحد من هؤلاء،

فإياك يا أخي أن تسيء إلى من لا ظهر له إلا مولاه، ولا ملجأ ولا منجى له من الله إلا بالله، فمن يعتمد على عائلته أو على ماله أو على جاهه فهذه ليست مشكلة، فهذا يتخلى عنه ربه، لكن هذا لا.

دار بين سيدنا أبو بكر وبين بعضهم حديثٌ، سيدنا أبو بكر كان جالساً مع سيدنا صُهيب وبلال وسلمان الفارسي وهؤلاء ثلاثة من أهل الصُفة، سفيان بن حرب كان ذاهباً ليمد الهدنة مع رسول الله ﷺ، وكان لا يزال على شركه، فدخل على إبنته، وكانت متزوجة من حضرة النبي وهي السيدة أم حبيبه رضي الله عنها، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه، فقال: يا بُنيَّةُ، أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله، وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: يا بُنيَّةُ، لقد أصابك بعدي شرٌّ^٩.

وأثناء ذهابه لحضرة النبي مرَّ على سيدنا أبو بكر وكان جالساً مع سيدنا صُهيب وبلال وسلمان الفارسي وهؤلاء ثلاثة من أهل الصُفة، فقالوا: والله ما أخذتُ سُيوفُ الله من عنقِ عدوِّ الله مآخذها، فقال سيدنا أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ فريشٍ وسَيدهم؟ - هل في هذه الكلمة حرج؟ لا، ليس بها شيء - وبعد ذلك ذهب إلي حضرة النبي، وحكي له الموقف، لنعرف الدقة، فالمريد الصادق يعرض كل أموره حتى هذه على حضرة النبي ﷺ حتى يتبين جليلة أمره وحقيقة فعله، فقال له:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ: لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ، فَأَنَا هُمْ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا إِخْوَانَهُ أَغْضَبْتُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي }^{١٠}

ما هذا الأدب العالي الذي علمه حضرة النبي لصحبه الكرام، لا يتكبرون على الإعتذار، فمن تكبر عن الإعتذار فيكون الذنب قد وقع عليه حتى يجاسبه عليه الواحد القهار يوم القرار.

وعلمنا رسول الله أن هؤلاء القوم يجب أن يُجَلَّوا ويُكْرَموا لما في مواein قلوبهم من عطاء ربه ﷻ، ولذلك الصالحون الصادقون من عصر حضرة النبي إلى عصرنا هذا يمشون

٩ الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائذ بن عمرو رضي الله عنه
١٠ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن عائذ بن عمرو رضي الله عنه

على هذا النهج.

الإمام مالك رحمه الله انتشر عنه العلم وقيل فيه: ((لا يفتى ومالك في المدينة)) جاء هارون الرشيد حاجباً إلى بيت الله الحرام، ودخل المدينة، وأرسل إلى الإمام مالك وقال: أريد أن أقرأ عليك الموطأ، وهو الكتاب الذي جمعه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أريد مجلساً وحدي وليس فيه الناس الذين من حولك، فأرسل إليه وقال: يا أمير المؤمنين لا بارك الله في علم يُنتفع به الخواص دون العوام، فأرسل إليه أن اتني - يعني تعالى لي ومعك هؤلاء - فأرسل له ثانية وقال: يا أمير المؤمنين لا تكن من أذل العلماء فيؤذلك الله ويؤذل دولتك، أعزز العلماء بالذهاب إليهم، فراح وأجلسه بجواره على السرير، فقال له: أريد أن أقرأ عليك الموطأ، فقال له: تعلمنا من شيوخنا أن الطالب إذا أراد أن يتعلم من أستاذه لا بد وأن يجلس تحت قدميه، أنت جئت ملكاً ولكنك تريد أن تتعلم فلا بد من ذلك، فنزل هارون الرشيد وجلس بين يديه ليقرأ الموطأ.

ما هذا؟

هذه عزة العلماء العاملين الذين مشوا على هذا النهج الكريم إلى يوم الدين، فلا بد أن يكون التكريم لمن كرمه الكريم صلى الله عليه وسلم.

لكن إذا رأيت رجلاً يدعي أنه من الصالحين، ويخصُّ أهل الظهور في المناصب والمكاسب الدنيوية، ويمنع الفقراء، فاعلم علم اليقين أن هذا ليس على كتاب الله، ولا منهج رسول الله، ولا منهج الصالحين من عباد الله صلى الله عليه وسلم.

الإمام أبو العزائم رحمه الله وأرضاه كان في السودان، فأمر أهل بيته أن يجهزوا مائدةً للأعيان، فجهزوا مائدةً عظيمة، وخرج من صلاة الجمعة وأخذ بعض الفقراء والمساكين المنكسرين بين يدي رب العالمين صلى الله عليه وسلم للبيت، فتهامس أهل البيت فيما بينهم: أين هم الوجهاء والأعيان؟! كنا نظن أنهم وزراء أو محافظين أو غيره، ففطن صلى الله عليه وسلم إلى ما في قلوبهم، فأمسك برجلٍ من أتى بهم وقال: هذا عند الله وجيهاً، وعلى آخر وقال فيه: وهذا وجيهاً في الدنيا والآخرة.

فالوجهة التي ذكرها الله في كتاب الله هي التي حثَّ عليها حبيبه ومصطفاه، وأمر أن

يكون عليها منهج الدعاة الصادقين من أهل (لا إله إلا الله محمد رسول الله) إلى يوم القيامة.

الصبر في صحبة الصالحين

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ خذ هذا الخطاب لنفسك، فكل آية من كتاب الله أنت مخاطب بها عندما تقرأها أو تسمعها، أصبر مع من يارب؟ ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ اثبت مع هؤلاء القوم، لأن نيل المراد لا يتحصّل عليه الأفراد إلا بالصبر العظيم الذي يقول فيها الله في القرآن الكريم: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (النحل ١٢٧) ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يُدْعُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ (٢٤ السجدة).

من يذهب هؤلاء القوم الصالحين، ويريد أن يأخذ العطاء كما قرّر في نفسه، فهل ينفع هذا الأدب مع الله ﷻ؟! أنت تريد، وربك يريد، ولا يكون إلا ما يريد، لأنه هو أدرى وأعرف بمصالح العبيد.

وماذا أفعل؟

لا بد من التسليم: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَتُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٦٥ النساء) تسليماً تاماً.

فنصبر مع هؤلاء القوم الذين لا يريدون إلا وجه الله:

وأصحاب المصالح وأصحاب المنافع لا طاقة لهم بهذا الأمر:

فصاحب المصلحة والمنفعة إذا قضيت ولى مدبراً ولم تره بعد ذلك، لكن الصادقين الذين يريدون وجه الله يبذلون كل غالٍ ورخيص في سبيل نوال فضل الله وإكرام الله الذي وعد به الصالحين من عباد الله.

أريد أن آخذ المراد: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ :

إياك أن تشغل عنهم بالمصالح الدنيوية، لأن إرادة الله كما ورد في الأثر أنه قال للدنيا: ((من خدمني فإخدمه ومن خدمك فاستخدمه)).

الإمام أبو العزائم رحمته الله وأرضاه ضرب لنا مثلاً عظيماً فقال: إذا مشى الإنسان وظهره

للسمس كان ظله أمامه، وكلما مشى مشى ظله أمامه ولا يستطيع أن يمسك به، وإذا مشى وكان وجهه للشمس كان ظله خلفه فأينما مشى أو سار مشى ظله ورائه.

قال: هكذا الأمر، من كان ظهره لشمس الشريعة المحمدية، والحضرة النورانية المقدسة النبوية، فتكون الدنيا أمامه، فكلما يجري خلفها تجري الدنيا من أمامه، فمتى يلحق بالدنيا؟ لا يستطيع إلى أن تنتهي حياته ولا يحصل منها إلا ما كتب له.

وإذا وجّه كله نحو حبيب الله ومصطفاه، وعاهد نفسه على تنفيذ كتاب الله وشرع الله، مشت الدنيا ورائه، وكلما مشى في طريق مشت الدنيا خلفه، فيريحه الله من عناء الدنيا ومتاعها، لأن الله ﷻ وعد بذلك عباده الصالحين: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ هذه فئة مختصة: ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ (٥٥ النور).

فمن أراد أن يفتح الله عليه كما فتح على العارفين السابقين واللاحقين، فلا بد أن لا تغفل عنه عن الصادقين، ويعمل بقول الله: ﴿ يَتَّقِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١١٩ التوبة).

اجتباب أهل الغفلة والهوى

﴿ وَلَا تُطِيعَنَّ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾

دائماً في كل زمان ومكان أهل الدنيا وأهل المصالح يلومون أهل الإستقامة، ويلومون طلاب الكرامة، ويريدون أن يجزؤهم معهم إلى حيث الندامة يوم القيامة!! يقولون لهم على الدوام ..

لماذا أنت مشغولٌ وتساقر هنا وهنا؟

أو أنت لماذا تترك كذا وكذا ولا تسعى في كذا وكذا!..

هؤلاء جهلوا الحقيقة، ولم يعرفوا أسرار الله مع أولياء الله وأصفياء الله التي أشرنا إلى بعضها، لكن من ذاق عرف !!!

والقدوة موجودة في كل زمان ومكان حُجَّة لأهل هذا الزمان!!

كما قلنا:

في كل زمان ومكان يُقيم الله رجالاً يُقيم بهم الحُجَّة وتتضح بهم المحجة، يمشون على هذا المنهاج، ويوصلهم الله إلى أعلى الرتب الدنيوية، ويُيسر لهم كل الأمور المعيشية بطريقة يتعجب منها كل أهل الدنيا الدنية، لماذا؟

لأنهم مع الله، والله ﷻ يتولَّى بذاته رعاية أحوالهم وأولادهم وأموالهم وحبذا برعاية الله جل في علاه.

هؤلاء القوم كما قال سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ عندما سألوه عن سبب صلاح أولاده في الدين وسعادتهم في الدنيا، فقال:

((أقبلنا على الله، ورفعنا الأمر إلى الله، فتولَّى أمر أولادنا وكفانا كل هذه الأمور))

إذا سيدنا رسول الله ﷺ :

جعل الله ﷻ أنفاسه وأعماله، وكل شيء ملكه له الله ﷻ، فحياته كلها لله.

والصادقون الذين مشوا على هديه، ونصبهم الله ﷻ ورثةً لحبيبه، وأمرنا الله ﷻ في هذه الآيات أن نُصبر أنفسنا في مصابحتهم حتى نفوز كفوزهم:

أيضاً هؤلاء علامتهم:

- أن حياتهم كلها لله.

- وأموالهم كلها لله.

- وأوقاتهم كلها لله.

لا يرجون من وراء ذلك شيئاً من خلق الله، فلا يبيغون شهرة، ولا سُمعة، ولا رياءً، ولا مناصب ولا مكاسب فانية، وإنما كل ما يطلبوه هو وجه الله جل في علاه.

هؤلاء القوم إذا ظفرت بواحدٍ منهم فغض عليه بالنواجذ، لأنهم كما قال فيهم الإمام

علي: ((اللهم لا تُخلي الأرض من قائم لك بـحُجة، إما ظاهراً مشهوراً وإما باطناً مستوراً، ثم قال: هيهات هيهات، وأين هؤلاء هم الأقلون عدداً الأكثرون مدداً)).

هؤلاء القليل الذين مدحهم الله في كتاب الله، ومعهم عطاء لا يُعد ولا يُجد، وديعة عندهم لمن يصلح في تربيته في فصولهم، يُعطون له من مواهب الحق ﷻ التي أفاء بها عليهم: ﴿فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٨ الحجرات).

هؤلاء القوم إذا أراد الله ﷻ بأهل الأرض عذاباً، نظر إليهم فصرف العذاب عنهم، هم أعين الله في أرضه، وهم أوتاد الله ﷻ التي يثبت بها قلوب العباد عند الفتن، وعند المشاكل، وعند ما لا تتحمله الأبدان والأجسام من عواصف الحياة الدنيا وأهوائها.

هؤلاء القوم عندما يذهب الإنسان إليهم يرى الثبات: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ (٢٧ إبراهيم) من أين؟ من رجلٍ تلقى من الحبيب ﷺ، ومن الله ﷻ ما يُثبت به القلوب عند الزلازل والفتن، هؤلاء الرجال نريد أن نفوز بما معهم فيكون:

﴿وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ :

إياك أن تنشغل نفسك بالدنيا الدنية طرفة عين ولا أقل؛ عن متابعتهم، والسير خلفهم على منهج الحبيب الأعظم ﷺ.

وكل ما تريده من دنياك فإن الله ﷻ لا بد أن تثق ثقةً يقينية سيأتيك به، إن كان فيه خيرٌ لك، وسيحجبه عنك إن كان فيه شرٌّ أو ضرٌّ لك، فإن الإنسان لا يعلم الخير الحقيقي من الشر الحقيقي، لكن عالم الأسرار، ومدبر الأمور ﷻ يعلم ما ينفعني وما يرفعي.

فمن يُرد أن يمشي معهم فلا بد أن يصبر معهم، ولا يجالس أهل الأهواء، الذين يفسروا الدين بآرائهم، والذين يحاولوا أن يُسيروا الدنيا بنفوسهم، فليس لنا شأنٌ بهؤلاء:

﴿وَلَا تُطِيعَنَّ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ :

مشى على هواه، وكان أمره فيه تفريطاً، وبعد عن الله.

اتباع الحق

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ :

دائماً عود نفسك على كلمة الحق، إن كان للقريب، أو للبعيد، وإن كان للفقير أو للغني، قل الحق كما قال سيد الخلق:

{ قُلِ الْحَقُّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا } ١١ ، وورد: { وَقُلِ الْحَقُّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ } ١٢

فلأن تخرج من الدنيا والله ﷻ لا يدينك بشيء: خيرٌ من أن تخرج من الدنيا وقد كسبت رضا فلان وفلان !!! وخسرت رضا الرحمن ﷻ.

ومن يُرد رضا الله :

فلا بد أن يقول الحق على الدوام!

أى حق؟

الحق الذي عليه سيد الخلق.

فلا بد أن أزن الحق:

فقد يظن الإنسان أنه على الحق وهو على الباطل.

لكن معنا ميزان الشريعة الإلهية، وميزان السنة المحمدية، والرجال الذين جعلهم الله موازين في هذه القضايا القرآنية والنبوية.

نسأل الله ﷻ أن نكون من هؤلاء الرجال، وأن يُصلح أحوالنا، وأن يُذهب فساد قلوبنا، وأن يوهلنا لمراتب الرضوان، وأن يجعلنا من أهل النظر إلى حضرة الرحمن، وأن يُبلغنا في الجنة جوار النبي العدنان، ويجعلنا دائماً وأبداً من أهل الروح والريحان، والذكر الدائم لحضرة الرحمن

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

١١ صحيح ابن حبان ومسند الشهاب عن أبي ذر
١٢ الجزء الرابع من المشيخة البغدادية عن علي بن أبي طالب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٨﴾
قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي
لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا
أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ
إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ
فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ
رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف)

١٢: طلاب الجنة وطلاب الجنة

فضل قراءة سورة الكهف

حثنا الحبيب ﷺ على أعمالٍ مخصوصة في يوم الجمعة الكريم ...

ومن أهمها وأعظمها قراءة سورة الكهف، وقال لنا ﷺ حاثاً لنا على ذلك:

{ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، غُفِرَ لَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَأُعْطِيَ نُورًا يَبْلُغُ إِلَى السَّمَاءِ وَوَقِي فِتْنَةَ الدَّجَالِ. وَمَنْ قَرَأَ حَمْسَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْكَهْفِ حِينَ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ مِنْ فِرَاشِهِ تَحْفَظُهُ وَيَبْعَثُهُ اللَّهُ ﷻ أَيَّ اللَّيْلِ شَاءَ }^١
أي يغفر الله له عشرة أيام.

ومن لم يستطع أن يقرأ فليسمع لقوله ﷺ:

{ الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْأَجْرِ }^٢

أي أن القارئ والسامع في الأجر شريكان ...

وهذا الذي حدا بأئمة الدين منذ عصور السلف الصالح إلى قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة في المسجد الجامع قبل الصلاة .. فكان من يقرأ ... يقرأ الكهف أولاً ..

وظلوا على هذه السنَّة إلى أن اختلطت الأمور، وأخذ القراء في التنويع!

لكن القدامى كانوا محافظون على هذه السنَّة لأنه كان كثيرٌ من الناس غير قارئين، وكان القارئ لكتاب الله قليلٌ، فكان القارئ يقرأ سورة الكهف والحاضرون يسمعون، حتى يأخذوا الأجر ...

١ الأ قصر - الكرنك - مسجد الحولات ٢٣ من ي القعدة ١٤٣٧ هـ ٢٦/٨/٢٠١٦ م

٢ الأما لي الخميسية للشجري عن عمرو بن سعيد الأموي ﷺ

٣ سنن ابن ماجه والطبراني عن أبي إمامة ﷺ

ولذلك يا ليت . وأنا أطلب المسلمين والأحباب في كل مكان لو نَقَدْنَا هذا فعلياً في يوم الجمعة فَنَأْتِي بتسجيل مُرْتَل بسورة الكهف لأحد مشايخنا العظام، كالشيخ عبد الباسط، أو الحصري، أو مُحَمَّد صديق المنشاوي، أو مصطفى إسماعيل، أو محمود علي البنا، وهؤلاء العظام الذين ظهرُوا على بسطة مصر ...

والتسجيل يكون حوالي من ثلث ساعة إلى نصف ساعة، يُشغَل في المسجد، ولو حتى في السماعِ الداخلية بحيث تنتهي قراءة السورة قبل الآذان حتى لا يضطر إلى قطعها.

آخر آيتان في سورة الكهف كانتا منبه (موقظ) الصالحين والمتقين والمؤمنين في جوف الليل قبل اكتشاف المنبهات، وقبل اكتشاف الموبايلات ... فعن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه، أنه قال له رجل إني أضمر أن أقوم ساعة من الليل فيغلبني النوم، فقال:

{ إذا أردت أن تقوم أي ساعة شئت من الليل فاقرا إذا أخذت مضجعتك :
﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي ﴾ إلى آخر السورة فإن الله تعالى يوقظك متى شئت من الليل }^٤ ، وقد جربناها كثيراً إلى الآن فإنها أسرارٌ إلهية في هذه الآيات القرآنية.

الإيمان والعمل الصالح

هذه الآيات التي في سورة الكهف والتي تبدأ بقوله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾:

أي الذي آمن وقرن الإيمان بالعمل.

ذلك لأن كل الآيات التي تتحدث عن الإيمان في كتاب الله لا بد وأن يكون معها "وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ".

والنبي ﷺ حذّر من الإيمان مع الكسل وترك العمل فقال:

{ لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالْتَّمَنِّي وَلَا بِالْتَّحَلِّي ، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَقَهُ الْعَمَلُ }^٥

٤ ذكرها النعلبي، وتفسير القرطبي
٥ دليل تاريخ بغداد لابن النجار عن أنس رضي الله عنه

ويقول الحسن البصري رضي الله عنه:

((ليس الإيمان بالتمني ولكن ما قر في القلب وصدقه العمل، إن قوماً ألهتهم
أمانئ المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا: نُحَسِنُ الظنَّ بالله
وكذبوا لو أحسنوا الظنَّ به لأحسنوا العمل))^٦

الإيمان دعوة أنني مؤمن!

وهي قضية ننتسب فيها تحتاج إلى دليل!

وتحتاج إلى برهان على صدق الإيمان!

وما الدليل؟ العمل.

ويعتضى هذا الإيمان من الذي يُحدِّد هذا العمل؟

الرحمن سبحانك في كتابه، ويزيده أيضاً وبيانا النبي صلى الله عليه وسلم في سنته، وهو العمل الذي
يطالبنا به الله، ومعه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- أن يؤمن بالله... ويعمل الأعمال الصالحة ...

- وتركها الله سبحانك مفتوحة، لأن الأعمال الصالحة الثابتة في كتاب الله هي الفرائض
التي فرضها علينا الله:

{ فقد جاء رجلٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وسلمَ فإذا هو يسأله عن الإسلام، فقال
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: حَمَسُ صَلَوَاتِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لا،
إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ:
لا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الزُّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ:
لا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ، فَأَذْبَرَ الرَّجُلُ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أُرِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ، قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَفَلَحَ إِنْ صَدَقَ }^٧

٦ تفسير أبي السعود وغيره.

٧ البخاري ومسلم عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

يس العبادات في الإسلام

لم يكلفنا الله شططاً، ولم يُرهقنا من أمرنا عُسراً، بل جعل شرط التكليف في كتاب الله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة ٢٨٦) على حسب طاقة الإنسان، ولذلك الرءوف الرحيم ﷺ قال لنا: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (١٦٦ التغابن) على قدر استطاعتك فلا تُحمِل نفسك فوق طاقتك، بشرط أن تحافظ على الفرائض التي فرضها عليك الله.

وإياك أن تتهاون في شأنها أو تتكاسل في أدائها، لأن من يتكاسل في أدائها وصفه الله في القرآن بوصفٍ ذميم، ولا نجبه لأنفسنا أبداً: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا﴾ (١٤٢ النساء) وهؤلاء هم المنافقون.

ولذلك أنا أعجب عندما يسمع بعض إخواننا المسلمين (قد قامت الصلاة) وهو يُجْرُ في رجليه!!، والصف يستقيم والإمام ينوي الصلاة وهو لا يزال يُجْرُ رجليه!!، لكن عندما يقول المؤذن: (قد قامت الصلاة) يجب أن تكون واقفاً بين يدي الله، وجاهزاً للدخول في المناجاة مع من يقول للشيء كن فيكون.

فهذا حال الأتقياء الأتقياء الذين علمهم سيد الرسل والأنبياء ﷺ، فعندما جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال:

{ إِنَّ شَرَاعِ الإسلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأُنَبِّئُنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، فَقَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانَكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ }^٨

وعن سيدنا سفيان الثقيفي رحمه الله قال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: { قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِم }^٩

وعلى أي شيء نستقم؟ نستقم على حق الربوبية وهي الفرائض التي فرضها علينا رب البرية ﷺ، والفرائض عندما ننظر إليها فنجد أن الحج لمن استطاع، والذي لا يملك

٨ جامع الترمذي والحاكم عن عبد الله بن بسر
٩ مسند أحمد وابن حبان ومسلم

الإستطاعة غير مكلف بأداء الحج!!

فلم يكلفه الله أن يذهب في رمضان ويتخبأ ويتعرض للسلطات حتى يؤدي فريضة الحج!! فهو غير مكلف بذلك، ... فلماذا تشقُّ على نفسك وتفعل ذلك ولم يكلفك الله بذلك!!؟

والصيام: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (١٨٤ البقرة).

والزكاة واجبة على من يملك النصاب:

سيدنا الإمام عليٌّ ؑ وكرم الله وجهه حبيب الله وحبیب رسول الله قال: ((لم تجب عليّ الزكاة في يومٍ قط)) لماذا؟ لأنه لم يكن في يومٍ من الأيام عنده نصاب المال أو الزرع، لأنه كان ليس عنده أرض، ولا متجر، ولا وظيفة، ولكن كان يعمل بالأجر يوماً بيوم، وما يعمل به يأكل بعضه، والباقي يتصدق به على الفقراء والمساكين، فليس عنده نصاب الزكاة، ومثله الكثير في زماننا هذا الذي ليس عليه زكاة.

فالفرائض مع معظم الناس هما الصلاة والصيام، ولا شيء غير ذلك ..

وكلا الأمرين مُيسر:

فإن لم يستطع الإنسان أن يصلي قائماً يُصلي قاعداً، وإن لم يستطع أن يُصلي قاعداً يُصلي راقداً، وإن لم يستطع أن يُصلي وهو راقد يُصلي بحركات عينيه، وهذا تيسير عظيم يسره الله ﷻ للمؤمنين.

فبعد ذلك من يُقصر في هذه الحقوق فهل يكون له عُذر عند رب البرية ﷻ!!؟

ماذا يقول الله إذا ساء له فيما كلفه به!!؟

ومن حافظ على هذه الحقوق ففيها سعادة الدنيا، وفيها سعادة الآخرة، وفيها البركة في الأرزاق، وفيها سعة الصدر في الأخلاق، وفيها الوفاق بين الرجل وزوجه، والبر بين الأبناء وأبيهم، وفيها البركات تنزل في الأرزاق وفي الأقوات وفي الأجسام وفي الفهوم، وفيها حفظ الله ورعاية الله، وفيها ما لا نستطيع أن نعدّه من نعم الله التي ينزلها لمن يقوم بهذه الأعمال لله جل في علاه.

حقيقة الحياة الباطنة

وبكفي فيها قول الله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾ (النحل ٩٧) وحياة طيبة ليس معناها أموالاً كثيرة، ولا سيارات، ولا عقارات، لأنه من الجائز أن من عنده هذه الأشياء يعيش في الهم والنكد، لكن الحياة الطيبة ليس فيها هم ولا غم ولا نكد ولا تعب ولا ألم، فيبيت كل ليلة وهو مستريح البال لأنه أرضى الواحد المتعال ﷻ، وهي النعمة العظمى التي يحتاجها المؤمنون والمؤمنات: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾ (النحل ٩٧) وعرفني أن الذي يحبيه هو الله ﷻ، فلو ملكك الأدوات وتخلت عنك العناية، فهل تُسعدك هذه الأدوات والأموال والثروات؟ أبداً، فالسعادة بيد من بيده الحسنى والزيادة وهو رب العزة تبارك وتعالى.

الجزء الأوفى

وفي الآخرة؟ ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل ٩٧).

الكريم ﷻ يتقبل منا الحسن، ويتغاضى عن السيئ، ما هذه المعاملة العظيمة؟! فالشيء الحسن الذي عملناه يأخذه ويضاعفه أضعافاً كثيرة، والسيئات والذنوب والعيوب إذا تُبنا منها وندمنا عليها غفرها وسترها، وربما يجعل مكان السيئة حسنة: ﴿ فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٧٠ الفرقان) وهذا من فضل الله علينا.

فالله ﷻ يحاسب الأمم السابقة كلها بالعدل وبالقسطاس المستقيم:

فكل ما عمله أحدهم في حياته يحاسبه عليه حساباً دقيقاً: ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ (٤٩ الكهف).

لكن عندما يأتي الحساب على أمة النبي الرؤف الرحيم والتي نحن منها والحمد لله، يكون الحساب بالفضل ... وكيف يكون هذا الفضل يا رب؟

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ

الْحَبَّةِ وَعَدَّ الْصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (١١٦ الأحقاف).

وهذه نعمة لو أعطانا الله عمراً ومكثنا نشكر الله عليها إلى قيام الساعة، فلن نوفي حق هذه النعمة فقط:

فيأمر الله الملائكة بتقبل العمل الصالح، وستر المذنب ما دام ستر نفسه، ولم يفضحها، لأن من يفضح نفسه يكون هو السبب في فضح ذنبه، ولذلك النبي قال لنا:

{ كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ }^{١٠}

فالمجاهر هو الذي يفضح نفسه، إذا كان الله قد سترك فهل تفضح أنت نفسك؟! لا يجب ذلك، ولكن تسأل الله ﷻ دوام ستره وغطائه سبحانه وتعالى عليك.

جنات الفردوس

والمؤمنون الذين يعملون الأعمال الصالحة أين يكونون يوم القيامة؟ وأين يسكنون؟ وفنادقهم التي يسكنون فيها في أي درجة تكون من درجات الجنة؟

﴿ كَأَنَّ هُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾:

نُزُلًا يعني محل الإقامة، فالفندق أو اللوكاندة إسمه في اللغة العربية النُزل، يعني مكان الإقامة ... فإقامة هؤلاء القوم في الفردوس الأعلى، والنبي ﷺ بين درجات الجنة - نسأل الله ﷻ أن نكون في الدرجات العلى منها أجمعين، وأن نكون سويًا في جوار سيد الأولين والآخرين إن شاء - فقال:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }^{١١}

وهذا لتقريب الحقيقة ...

لكن في الآخرة لا يوجد مسافات، ولا شرق، ولا غرب، ولا شمس، ولا قمر، ولا ليل، ولا نهار، فليس فيها إلا ضوء الحبيب المختار، فهو الذي ينير الجنان والأنهار، وضوء نور العمل الصالح الذي ينير لنا في يوم القرار إن شاء الله: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا

١٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
١١ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

فالحبيب ﷺ كان حريصاً علينا، فيطالبنا دائماً أن نُعلي هممتنا في الدنيا، فكل واحد منا في الدنيا - وخاصة شبابنا الآن - عندما يريد أن يتزوج، لا يُتمم الزواج قبل أن يجَهِّز شقته لتكون أجمل شقة في الوجود، فيبحث عن الكتالوجات هنا وهناك، ويريد أن يعمل نظاماً لأحدث شيء، أفلا تعمل أيضاً لنفسك في الجنة؟! فتحجز لنفسك درجة عالية في الجنة عند الله ﷻ، فالرسول قال لنا:

{ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ } ١٢

أعلى منازل الجنة الفردوس ...

هذا الفردوس ظلَّ سيدنا رسول الله ﷺ يدعو الله إلى أن خصَّصه الله لنا أمة حبيب الله ومصطفاه

أقرأتم قرار التخصيص في أول سورة المؤمنين؟

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْجَاهِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ آتَبَعْنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (المؤمنون)

ماذا لهم؟

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿٩﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

فهذا الفردوس خصوصية لأمة الحبيب ﷺ!

لذلك أوصانا الحبيب إذا أردنا أن نكون بجواره في الدرجات العلى أن نسأل الله الفردوس الأعلى.

ولذلك كان ﷺ في غزوة بدر، واستشهد رجل من أصحابه وكان اسمه حارثة، فجاءت أمه إلى رسول الله وقالت له:

{ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ - وانظر كيف أنهنَّ كنَّ نساءً فقهاء تعلمن في مدرسة سيد الرُّسل والأنبياء - فَقَالَ ﷺ: يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى }^{١٣}

يعني نحن نحزن على من لا يدخل الجنة، لكن من يدخل الجنة فلماذا نحزن عليه؟! ولماذا نبكي عليه؟! إنه ذاهبٌ لله، فلماذا نفعل ما نهى عنه دين الله؟! فمن يذهب لبيت الله في أيام الحج نصنع له فرحاً ونذهب لثهنته، لماذا؟ لأنه ذاهب لبيت الله، فما بالناس يذهب لله؟! فهذا أحلى وأرقى، فهل نفعل ما نهى عنه سيدنا رسول الله وما يخالف كتاب الله وهو ذاهب للجنة؟! فالمؤمنون يجتاجون لفهم هذا الكلام.

فالفردوس جنتنا المخصوصة للمؤمنين الصالحين، الذين أصلحوا أحوالهم ليكونوا مع رسول الله ومع المؤمنين من عصره إلى يوم الدين، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

من أوصاف الجنة

لو عرفنا الجنة وأوصاف الجنة قد تتقطع قلوبنا شوقاً إلى الجنة، ولن نتمتع بشيء في الدنيا لأننا طامعين في دخول الجنة، ولذلك قال لنا النبي ﷺ:

{ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعُ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَنبَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَمَا تَلَدَّدْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَيَّ

١٣ صحيح البخاري والبيهقي عن أنس

الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجْرَةً تُعْضَدُ^{١٤}

والصعدات يعني الصحراء، وتجأرون يعني تنادون الله، يعني تذكرون الله جل في علاه، لأن الجنة أنت من بينها، وأنت الذي تصنع أو تزرع الحدائق والبساتين فيها، بأي شيء تبنيها؟ بالطاعات، وحدائقها وأشجارها من أين تأتي؟ من التسيبحات والتهليلات والتكبيرات والتحميدات لله ﷻ.

سيدنا رسول الله ﷺ عندما كان في رحلة المعراج وعُرج به إلى السماوات العلى وجد سيدنا إبراهيم بعد السماء السابعة سائداً ظهره على البيت المعمور، والبيت المعمور هذا بيت من النور فوق السماء السابعة يحجُّ إليه الملائكة، وكل ملك له حجة واحدة فقط ليس لهم غيرها إلى يوم القيامة، مع أنهم من أول الخلق إلى يوم القيامة لا أحد منهم يموت، لكننا بفضل الله فتح لنا سيدنا رسول الله رحمة الله العظمى للأنام الباب، فباب الحج مفتوح، ومن لم يستطع أن يحجَّ يسَّرَ الله لنا الأمور ونستطيع أن نعمل أعمالاً نأخذ بها أجر الحج إلى بيت الله الحرام، حتى لا يُحرم أحدٌ من الأمة كلها فريضة الحج وثوابها وفضلها وإكرامها عند الله ﷻ.

فسلم رسول الله على سيدنا إبراهيم، وردَّ عليه السلام وبعث لنا برسالة صغيرة قصيرة وقال له:

{ يَا مُحَمَّدُ، أَقْرَى أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ الثَّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ، وَغِرَاسُهَا قَوْلُ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ }^{١٥}

فهذه هي أشجار الجنة، ولذلك قال ﷻ:

{ مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَيَحْمَدُهُ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ }^{١٦}

هذه النخلة بعد كم سنة ستثمر؟ النخل عندنا يُثمر بعد خمس سنوات، ولكن نخلة

١٤ جامع الترمذي ومسنده أحمد عن أبي ذر

١٥ معجم الطبراني والترمذي عن عبد الله بن مسعود

١٦ جامع الترمذي وابن حبان عن جابر

الجنة: ﴿ تَوَقَّى أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ (٢٥٠ إبراهيم) الثمر يخرج في الحال، فكلما حصده الملائكة يُثمر مرةً أخرى في الحال، والنبى رأى هذه الأحوال في الجنة، فوجد الملائكة الذين يعملون في مزارعنا كلما حصدوا زرعنا يرجع كما كان، وكلما حصدوا يرجع مرةً ثانية كما كان، فقال: ما هذا يا أخى يا جبريل؟ قال:

{ يَا جَبْرِيْلُ، مَا هَذَا؟، قَالَ: هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِسَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلَفُهُ }^{١٧}

قد يتصدق الإنسان بربع جنيه لا يشتري شيئاً ذا قيمة، فيأتى يوم القيامة كما قال حضرة النبي:

{ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ ثَمَرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا يَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيْهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّيْ أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تُكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ }^{١٨}

يقال له: خذ ثوابك هذا، فيقول العبد: من أين لي هذا ولم أعمله، فيقال له: هذه صدقتك التي تصدقت بها في يوم كذا أخذناها وربيناها لك فصارت كما ترى.

فأنت الذي تصنع لنفسك القصور، وأنت الذي تُملِكُ نفسك الحور، وأنت الذي تعمل لنفسك البساتين، لأن هذا كله تركه لك الله ﷻ، وبينه لك سيد الأولين والآخريين رسول الله ﷺ، وكيف اشتري الحور؟ قال:

{ ابْنُوا الْمَسَاجِدَ وَأَخْرِجُوا الْقِمَامَةَ مِنْهَا، فَمَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَذِهِ الْمَسَاجِدُ الَّتِي تُبْنَى فِي الطَّرِيقِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِخْرَاجُ الْقِمَامَةِ مِنْهَا مُهُورٌ حُورٍ الْعَيْنِ }^{١٩}

من ينظف مسجداً فتكون أجرته حورية تُحجز له في الجنة، ومن يسعى في تجميل مسجد أيضاً يكون له نفس الأمر، وكما قال الإمام عليّ ؑ وكرم الله وجهه:

١٧ تحذيب الآثار للطبري وكشف الأستار للهيتمي عن أبي هريرة ؓ

١٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

١٩ معجم الطبراني وابن عساکر عن أبي قرصافة ؓ

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خاب بانيها

فنحن من يبني لأنفسنا هذه الجنان العالية، والتي هي الفردوس الأعلى؛ الذي هو مقام المؤمنين الصادقين، والذي نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

دار الخلود

لو عرفنا أننا سنمكث هناك شهراً أو سنة أو حتى خمس سنين ونقضي هناك مدة ونخرج فلن نتمتع بالأجر، سندخل الجنة ونرى هذه المتع العظيمة والبهيجة، لكننا لن نتهني بها عندما نعرف أننا سنتركها في يومٍ من الأيام، لكن الجنة ليس فيها عقد إيجار مؤقت، فماذا فيها؟ ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ من يدخل الجنة سيظل إلى ما شاء الله، ولن يخرج منها أبداً، فليس هناك زمان.

وسيدخل في سن الشباب؛ سن الثلاثة والثلاثين، ويظل طالما هو في الجنة في سن الثلاثة والثلاثين، فلا ينتقل إلى الأربعة والثلاثين، ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يجزنون، كما أخبر حضرة النبي ﷺ، ولا يهرمون، ولا يشيخون، فلا يأتي يومٌ وينحني ظهره، أو عيناه تضعفان، أو تنخلع أسنانه، بل يظل على الدوام في شباب لا يبلى.

وبالطبع عندما يروا هذه النعم العظيمة، وهذه الإكرامات الكريمة، لا يريدون أن يتركوا هذا المكان:

﴿ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ :

حولا يعني الانتقال، فلا يوجد أحد منهم يرغب أن ينتقل لمكان آخر، إلا إذا انتقل للأرقى وللأعلى، ولكن كل هذا في دائرة الجنة.

وهذه الجنة كما قال الله لنا فيها، وسراها هناك، وسنسمع كلنا عندما ندخلها: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٧٢ الزخرف) هذا جزاؤكم، وهذا عملكم، وهذا سعيكم، وهذا أجركم، والله ﷻ كريمٌ في العطاء، واسعٌ في الفضل والنعماء، يُعطي بغير حساب، لأنه واسع الفضل والكرم والجود تبارك وتعالى.

مراثة الفردوس

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ وهنا جزئية

تُفرحنا بفضل الله، فلم يقل الله (ستكون لهم جنات الفردوس) بالفعل المضارع، مع أنها لا زالت في المستقبل، لكن أتى بها بالفعل الماضي (كانت) فهي منذ خُلقت، ومنذ أنشئت مخصّصة لكم، حتى نعرف عناية الله بنا، ورحمة الله لنا، وإكرام الله لورثة الحبيب ﷺ.

﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ كانت من قبل الخلق، لأن الحبيب وضح هذا الأمر، فقال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ ﷺ قَبَضَ مِنْ طِينَتِهِ قَبْضَتَيْنِ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِيَدِهِ الْأُخْرَى، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ: هُوَ لِجَنَّةٍ وَلَا أَبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي بِيَدِهِ الْأُخْرَى: هُوَ لِالنَّارِ وَلَا أَبَالِي، ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ فَهُمْ يَتَنَاسَلُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْآنَ }^{٢٠}

ويمينه ليس معناها أن له يمينٌ مثلنا - حاشا لله ﷻ - فنزه الله عن الحركات والحواس والملموسات، وكل ما خطر ببالك فهو هالك والله تعالى بخلاف ذلك، لكن تقريباً للحقيقة.

ولذلك قال الله في القرآن: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٦ الصافات) فهل يوجد أحدٌ منا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا بتوفيق الله، أو معونة الله أو برعاية الله جل في علاه؟! لا أحدٌ منا يستطيع أن يفعل شيئاً أبداً إلا إذا كان الله يرعاه برعايته، ويوفقه بتوفيقه من بدايته إلى نهايته، ويأخذ بيده عند عثرته، ويفتح له أبواب فضله وكرمه وجوده ورحمته، ولذلك أمرنا في كل ركعة أن نطلب المعونة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة) يعني أعنا، لأننا بدون المعونة لا نقدر أن نفعل شيئاً أبداً.

فأراد الله ﷻ أن يبين لنا أن دخول الجنة بفضل الله، ولذلك قال ﷺ لصحبه الكرام:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا،

٢٠ مسند البزار والطبراني عن أبي موسى ﷺ

إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ {^{٢١}

وفي رواية أخرى:

{ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلٍ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلِ {^{٢٢}

فدخول الجنة بفضل الله، لكن الدرجات فيها بحسب الأعمال الخالصة الموافقة لشرع الله، فمن يدخلها من البداية فهذا من فضل الله وإكرام الله وعطاء الله جل في علاه؛ الذي يتفضل به على عباده الملقين والصادقين وعامة المؤمنين فضلاً من الله ونعمة والله ﷻ عزيز حكيم.

قبول الأعمال

فلا بد أن نعرف هذا الأمر حتى لا يقع أحدنا فيما يقع فيه بعض الجاهلين، وهذا ما يحدث كثيراً، فيجتهد في طاعة الله إن كان في قيام الليل، أو في صيام النهار، أو في تلاوة القرآن، أو في قربات الأذكار، وبعدها يحقُّه بلاء من الله ﷻ فتجده كأنه يتعارك مع ربه، ويشكو الله ﷻ إلى خلقه، فيقول: لماذا أنا تفعل معي كذا؟! فأنا أعمل كذا وكذا، ويبدأ في عدِّ ما يعملُه والعياذ بالله، ولم لا تعدُّ ما عمله لك؟! وتقابل هذه بتلك لتعرف فضل الله ﷻ عليك، هل تعدُّ ما قدمته لله ولا تعرف هل نلت به القبول أم رُدَّ في وجهك، فهناك أناس كثيرون يعملون أعمالاً أمثال الجبال، فتضرب الملائكة بهذا العمل وجه صاحبه، لأنه لم يُرد بذلك وجه الله ﷻ.

ولكي ننال قبول الأعمال عند الله لا بد من شرطين:

الشرط الأول: أن يكون العمل خالصاً لله، فلا يكون فيه مطامع دنيوية، ولا أهواء نفسانية، ولا دنيا دنية.

الشرط الثاني: أن يكون العمل موافق لشرع الله الذي أنزله على حبيبه ومصطفاه، فلا

٢١ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
 ٢٢ معجم الطبراني عن طارق بن شريك ﷺ

بد أن أعرف ما هذا العمل؟ وبعد ذلك القبول على الله: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٧ المائدة) القبول بيد من يقول للشيء كن فيكون سبحانه وتعالى.

والله ﷻ يمتحننا، وامتحان الله لنا جماعة المؤمنين يكون مسأً خفيفاً، وليس بلاءً شديداً، فالرجل المؤدب بأدب الله ناجى الله، فماذا قال له؟ ﴿ أَنِّي مَسْنِيَ الضَّرَّ ﴾ (١٨٣ الأنبياء) لم يُقَل: أصابني الضَّرُّ مع أنه ظلَّ ثمان عشرة سنة مريضاً، واحترار فيه الأطباء، وجفاه الأهل والأقارب أجمعين، ومع ذلك لم يُقَل: ربي إني نزل بي الضَّرُّ، ولكن قال: ﴿ أَنِّي مَسْنِيَ الضَّرَّ ﴾ ولم يُقَل: فاشفني، ولكن قال: ﴿ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١٨٣ الأنبياء) فوَض الأمر لمولاه، لأن هذا هو الأدب الذي ينبغي أن يكون عليه العبد الصادق مع مولاه ﷻ.

فلا يوجد أحدٌ منا يأتي في يومٍ من الأيام أنه بسبب عمله يريد كذا وكذا من الله، فهو يعطيك بلا علة ولا عمل، فقد رزقك الإيمان قبل أن تُوجد في الأكوان، فما الذي عملته أنت حتى تستحق هذا الإيمان؟ لا شيء، فهذا فضلٌ من الله ﷻ.

حَبَّب إليك الطاعات من غير أن تُقدِّم شيئاً لحضرتة، فهذه أمورٌ ينبغي أن ينتبه إليها جموع المؤمنين فينظرون إلى الخير والفضل الواصل لهم من رب العالمين، وينظرون إلى العيوب التي تكتنفهم عند أي عملٍ يعملوه إلى الله.

تعالوا نحاسب أنفسنا على الصلاة، من منا يُصلي الصلاة ولا يخرج فيها من بدايتها إلى نهايتها عن وجه مولاه؟ لا أحد، فالشواغل كلها لا تحضر إلا في الصلاة، ولكنه من رحمته يجاسبنا بالفضل، إذا حضرت في سجدة يقبلها، أو إذا حضرت في الفاتحة يقبلها، المهم أن يحضر في تكبيرة الإحرام وأنت تُعظِّم المولى على التمام، وبعد ذلك يتجاوز عن المؤمنين، ولذلك كان أصحاب حضرة النبي المهديين المؤدبين عندما ينتهون من الصلاة، وينتهون من التهجد في الليل بين يدي الله يسارعون إلى الإستغفار: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (١٧) وبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿ (النداريات) من أي شيء يستغفرون؟ يستغفرون من رؤية التقصير في طاعة العلي الكبير ﷻ، يروا أنفسهم أنهم لم يعبدوا الله حق عبادته، ولم يؤدوا العبادات كما ينبغي أن تليق بجلاله وكبريائه ومقام عزته.

وأيضاً علمنا رسول الله أننا بعد كل صلاة أن نستغفر الله، لماذا؟ أين الصلاة التي ليس

فيها قصورٌ ولا تقصير؟! فنتدارك هذا بعد الصلاة فنستغفر الله من قصورنا وتقصيرنا في أداة هذه الصلاة لله جل في علاه.

فالمؤمن دائماً لا يباهي المؤمنين بعمله، ولا يُدِل على مولاه ﷺ بعمله، وإنما يتعرض دائماً لفضل الله، ويجعل قلبه دائماً جاهزاً صالحاً لنزول عطاء الله وفضل الله: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨ يونس).

كلمات الله

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَتْ فُرَيْشٌ لِيَهُودَ: أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ هَذَا الرَّجُلَ، فَقِيلَ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، قَالَ: فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَنَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٨٥ الإسراء)، قَالُوا: أَوْتِينَا عَلِمًا كَثِيرًا، أَوْتِينَا التَّوْرَةَ وَمَنْ أَوْتِيَ التَّوْرَةَ فَقَدْ أُوْتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، فَأَنْزِلَتْ: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ۚ ﴾.

والبحر يعني كل مياه الدنيا في المحيطات وفي البحار وفي الأنهار وفي البحيرات وفي جوف الأرض، فلو كانت كلها مداداً أي حبراً تكتب ليس كلام الله الذي نقرأه في سطور المصحف ولكن معاني هذا الكلام:

فإن معاني هذا الكلام لا عد لها ولا حد لها ولا مُنتهى لها.

وقد أكرم الله ﷺ هذه الأمة بأن جعل هذه المعاني تنزل في كل الأزمنة ومختلف الأمكنة بحسب حالة الزمان وأهل المكان من آيات كتاب الرحمن ﷻ.

ولذلك لم يُبينه النبي ﷺ بياناً شافياً، وإلا لم يكن لأحدٍ من بعده أن يُبين بعد بيان رسول الله، ورسول الله ﷺ وهو الذي علمه الله: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ (١١٣ النساء) كان يحدث أهل زمانه على قدر ما تستوعبه عقولهم، وترك الأمر بعد ذلك لقول ربه: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (١٩ القيامة).

كيف؟ على السنة العلماء والعرفاء والحكماء الذين يتنزل على قلوبهم مدد العلم

الإلهي والمعاني القرآنية من باب: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

فالتفاسير كلها تنزلاتٍ على أهلها من العلي الكبير ﷺ بحسب ما يحتاجه الزمن الذي هو فيه، وبرجاله الذين يعيشون بينهم، ولذلك أعجب من عصبية البعض عندما يسمع تفسيراً لكتاب الله، وشرط التفسير أن لا يتعارض مع شريعة الله، فيقول له: من أين أتيت به؟ ومن أي كتاب؟ لا يصح إلا تفسير ابن كثير، ومن كان يُفسّر قبل ابن كثير؟ وهل تفسير ابن كثير صالح لكل زمان ومكان؟! كل زمان له رجاله، وكل زمان له علماءؤه، وكل زمان له ورثته الذين يقول فيهم الله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ أي علم الكتاب: ﴿الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (٣٢ فاطر).

فمعاني القرآن لا يستطيع أحدٌ من الأولين ولا الآخرين حصرها في بيانٍ باللسان، أو بقلمٍ في قرطاسٍ أو في كتاب، وإنما الكل يقول على قدره بما يشرح الله به صدره.

ورؤي في هذا المجال أن سيدي أحمد بن إدريس رضى الله عنه، وهو أصلاً من المغرب وإن كان من آل البيت، لأن آل البيت أيام الدولة الأموية والدولة العباسية هربوا إلى الأطراف، للإجحاف الذي حصل لهم، فكثيرٌ منهم هرب إلى المغرب بعيداً عن الخلفاء وشأنهم، وجاء بعد ذلك إلى مصر، وذهب بعد ذلك إلى مكة والمدينة واستقرَّ فيهما فترة، ثم عاد في جولة إلى بلاد السودان ومصر، ثم عاد إلى مكة والمدينة، ثم أمر أن يتوجّه إلى اليمن وأن يبقى فيها حتى يلقي الله، فمات في مدينة زُبيد، وضريحه الزاهر في ربوعها قائمٌ إلى الآن.

هذا الرجل العظيم الذي قال: رأيتُ النبي ﷺ وقلتُ يا رسول الله بم أتقربُ إلى الله؟ قال: بالقرآن، فردّدتها ثلاثاً وردّ عليّ ثلاثاً: بالقرآن.

فالقرآن هو الورد الأساسي للصالحين والأكابر والعارفين الأماجد في كل زمانٍ ومكان، سر قوله ﷺ:

{ أَفْضَلُ عِبَادَةٍ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ } ٢٤

هذا الرجل صلّى بأصحابه الفجر يوماً وجلس يشرح لهم على ما أذكر آيات سورة

الضحى، وظلَّ إلى أن حان وقت الظهر، فصلوا الظهر ثم عاود الشرح والتفسير إلى وقت العصر، ثم إلى المغرب، ومن المغرب إلى العشاء، واليوم الثاني كذلك واليوم الثالث كذلك، ولا يُعيد كلاماً قاله، ولا يأتي بحرفٍ يعيده، ولكن كلما تحدّث أتى بجديد لم يسمعه من قبل، وبعد اليوم الثالث قال لهم: والله لو أطال الله في عمري وأعماركم وبقينا في موضعنا هذا إلى قيام الساعة وأنا أفسّر هذه الآيات ما أعدتُ كلاماً قلته قط!!.

من أين يعترف هؤلاء؟ من البحور، وهي قوله تعالى: ﴿لِنَفِثَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفِثَ كَلِمَتُ رَبِّي﴾ أي معاني هذه الكلمات: ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ومرةً أخرى يقول الله في آيةٍ أخرى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ (٢٧ لقمان) يعني لو أن شجر الأرض كله صنعنا منه أقلاماً: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَنْهَارٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ (٢٧ لقمان) معاني كلمات الله لا تنفذ أبداً، وكل ما في الأمر أن يناسب الكلام المقام ولا يخالف الشرع الشريف الذي جاء به الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

تيسير معاني القرآن وتلاوته

وهذا متاح لكل مؤمن، بل أن كل مؤمنٍ خصّه الله ﷻ بشرح لمعاني القرآن على قدره، صحيح أن الرجل العادي لا يكون كالرجل العالم الجليل، فكلّ له شرح يفهمه، وكلّ له فهم في كتاب الله، سر قول الله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ لم يقل للتلاوة، ولكن قال: " لِلذِّكْرِ " للتذكّر والإعطاء والإعتبار: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (١١٧ القمر) لم يقل: فهل من تالي، لأنه يريد لمن يتلو أن يفقه ويتدبّر معاني هذا الكلام، فأى مسلم يحضر في أي مكانٍ أو موضعٍ يقرأ فيه القرآن تجد له فهماً في آيات الرحمن يأتيه من منزل القرآن ﷻ فضلاً من الله، وتتفاوت الأفهام، وهذا يدل على دقة صنعة الملك العلام ﷻ:

وفي كل شيء له آيةٌ تدل على أنه الواحدُ

فكلنا لسنا بصمة واحدة، فلا يوجد مصنعٌ في الوجود يُخرج كل بضاعة جديدة لها بصمة فريدة إلا مصنع واحد الوجود ﷻ، مصنع السيارات لا يغير الموديل إلا بعد سنة، والتليفزيونات تتغير بعد عدّة سنوات ليُغير خط الإنتاج، لكن كم مصنع الآن لإنتاج الإنسان في الوجود؟ أربعة مليارات تقريباً، وكل مصنع منهم حتى لو أنتج اثنين معاً في وقت واحد لا

يكونا مثل بعضهما، فكل واحد له بصمة فريدة في كل أحواله وفي كل أطواره، فما هذا؟

﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (١٨٨ النمل) إتقان الله ﷻ.

فكل إنسان له فهمٌ في كتاب الله، وتذوق في معاني هذا الكلام الذي نزل به الأمين جبريل على سيدنا رسول الله، حتى أننا في الحج نرى عجباً، نرى أناس جاءوا من أفريقيا وآسيا ولا يتكلم أحدهم حرفاً واحداً عربياً، ويمسك بالمصحف فنراه يقرأ ويبكي والدموع منهمة من عينيه، دليل على أنه يفهم!!، وهذا من تيسير العلي الكبير، حتى لغير الناطق بالعربية يُيسر الله له نطق كلماته، عناية من الله ﷻ بالمؤمنين إلى يوم الدين.

ولذلك لا ينبغي لمسلم أن يُحجّر واسع معاني كلام الله على كلام أحد المفسرين، فنحن في عصرنا هذا هناك أكثر من خمسين أو ستين تفسيراً للقرآن، ولما سألوا الشيخ الشعراوي: هل هذا تفسيرك؟ قال: هذا ليس بتفسير إنه خواطري عن القرآن، لكن لو قلت تفسير فمعنى هذا لا يوجد تفسير غيره، لكن هذه خواطر منحها الله لي، ويُعطي لكل إنسان خواطر في كتاب الله، لنعرف سعة الله ﷻ وسعة كلمات الله ﷻ:

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ

جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾.

خصوصيته ﷻ

ثم حدّث الله ﷻ عن المقربين والمحبوبين والمرادين والمخلصين الذين نرجو أن نكون منهم أجمعين:

فالأولون طلابٌ للجنة!

والآخرون طلابٌ لوجه الله ﷻ ..

وفرّق كبيرٌ بين طلاب الجنة وطلاب المنة، والمنة العظمى هي النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى، وهؤلاء أمر الله النبي أن يقول لهم:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ :

أنا بشرٌ واحد، لكن أنا بقدركم كلكم من بدء البدء إلى نهاية النهايات!!

من الذي قال هذا؟

هو الذي قال ذلك عندما كان عند مرضعته السيدة حليلة السعيدية رضي الله عنها، وكان عمره أربع سنوات، وهبطت الملائكة عليه وهو مع إخوته في رعي الغنم، وأضجعوه وشقوا صدره إلى عانته، وأخرجوا قلبه ووضعوه في طستٍ وغسلوه بماء زمزم، وختموه بخاتم تحار فيه الأبصار، ثم ردّوه إلى حالته، والحديث ماذا يقول؟ وانتبهوا:

{ ثُمَّ قَالَ لِلأَوَّلِ ، الَّذِي شَقَّ بَطْنِي زِنَهُ بِعَشْرَةِ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَّنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنَهُ بِمِائَةِ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَّنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنَهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَّنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، فَقَالَ : دَعُوهُ ، فَلَوْ وَزَّنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَرَجَحْتُمُ }^{٢٥}

فماذا يساوي؟

الأمة كلها!

وهذا المعنى الواضح في الآية، وليس كما يقول بعض الجهّال: أن له عينين مثلكم، وأذنين مثلكم ... هو ليس مثلنا في هذه الحواس، لأنه كانت له خصوصية خصّه بها رب البرية ﷺ، فظاهره كان نور، وباطنه كان نور، ولذلك كان إذا مشى لا يرى له ظلّ، هل يوجد أحدٌ منا ليس له ظل؟ لا، والذي ليس له ظل هو النور.

وكان ﷺ كما يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((ما مشينا مع رسول الله ﷺ إلا كان أطولنا مهما كان طولنا، ولا جلسنا بين يدي حضرته إلا وكان أعلانا كتفاً مع علوننا))، وكان ﷺ وهو في الدنيا فيه أوصاف الجنة التي سنكون فيها، فأهل الجنة ليس لهم فضلات وإنما كما قال ﷺ:

{ إِمَّا يَكُونُ ذَلِكَ جُشَاءً ، وَرَشْحًا كَرَشْحِ الْمَسْكِ }^{٢٦}

وهذا كان حاله ﷺ، فكان عندما يمشي في شارعٍ ويأتي من يبحث عنه فيمشي على

٢٥ تاريخ الطبري والشريعة للأجري عن شداد بن أوس رضي الله عنه

٢٦ مسند أحمد والطبراني عن جابر رضي الله عنه

إثر رائحته، فيعرف أنه مشى في هذا الموضع.

وكان يقيل عند السيدة أم سليم رضي الله عنها، وكان إذا نام اشتدَّ عرقه، فاستيقظ ذات مرة وإذا بها تأخذ عرقه بمناديل، فقال لها:

{ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تُصْنَعِينَ؟، قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ، نَجَعَلُهُ فِي طَيِّبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطَّيِّبِ }^{٢٧}

يعني الطيب الذي رائحته غير نفاذة نضع عليه قطرات من هذا العرق فيصير طيباً نفاذاً، وجاءه رجل أنصاري فقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي زَوَّجْتُ ابْنَتِي وَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ تُعِينَنِي بِشَيْءٍ، فَقَالَ ﷺ: مَا عِنْدِي مِنْ شَيْءٍ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ غَدًا فَتَعَالَ فَجِئْنِي بِقَارُورَةٍ وَاسِعَةِ الرَّأْسِ وَعُودِ شَجَرٍ، وَأَيَّةُ بَيْتِي وَبَيْنَكَ أَنْ أُجِيفَ نَاحِيَةَ الْبَابِ، قَالَ: فَأَتَاهُ بِقَارُورَةٍ وَاسِعَةِ الرَّأْسِ وَعُودِ شَجَرٍ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الْعِرْقَ مِنْ ذِرَاعَيْهِ حَتَّى امْتَلَأَتِ الْقَارُورَةُ، فَقَالَ: خُذْ، وَأْمُرْ بِنَتِكَ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تُطَيَّبَ أَنْ تُعْمَسَ هَذَا الْعُودَ فِي الْقَارُورَةِ وَتَطَيَّبَ بِهِ، قَالَ: فَكَانَتْ إِذَا تُطَيَّبَتْ شَمُّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ رَائِحَةَ ذَلِكَ الطَّيِّبِ، فَسُمُّوا بَيْتَ الْمُطَيَّبِينَ }^{٢٨}

وإذا كان ﷺ يقول في أحد أتباعه:

{ لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ مَعَ إِيمَانِ النَّاسِ لَرَجَحَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ }^{٢٩}

فما بالكم برسول الله؟! إذا **﴿مَثَلِكُمْ﴾** ليس في البشرية، لكن بمفرده يساويها جميعاً بما معه من العطاءات الإلهية والتفضلات الربانية والنفحات القدسية التي أمده بها الله ﷻ.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ فالوحي هو الفاصل بين سيدنا رسول الله وغيره من عباد الله: **﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُهُ وَاحِدٌ﴾**.

٢٧ البيهقي والطبراني عن أنس رضي الله عنه

٢٨ معجم الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

٢٩ الفوائد المجموعة للشوكاني

لقاء الله

ثم قال لنا: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ وهذا غير الذي يرجو الجنة، فالجنة للذين آمنوا وعملوا الصالحات، أما طَلَّابُ الوجه وهو لقاء الله، أو وجه الله، أو مقابلة الله والنظر إليه يوم يجمع الخلق ليوم لا ريب فيه، فمن كان يُرد أن يحظى بـ: ﴿وَجُوهَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةً ۗ ﴿٣٠﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةً﴾ (القيامة) فعليه بـ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ جهادٌ أساسي في التطهر من الشرك الخفي.

الخلاص بالإخلاص

فالشرك الظاهر كلنا - والحمد لله - خرجنا منه بفضل الله وبإكرام الله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة ٢٥٧) فهو الذي أخرجنا منه بفضلِهِ ومِنِّهِ وجوده وكرمه، أخرجنا من ظلمات الشرك الكثيرة إلى نور التوحيد والإيمان والقرآن.

لكن الذي يرجو وجه الله لا بد أن يلاحظ ملاحظة طيبة، وهي مداومة الإخلاص في عمله لوجه الله، يعني لا يبغى بعمله إلا رضاه، فلا يطلب شهرة ولا رياء ولا شمعة ولا أجرًا عاجلاً دنيوياً من هذا أو ذاك، لأن الله يقول في الحديث القدسي:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ }^{٣٠}
ولذلك قال ﷺ في أهل هذا المقام وفي جميع أهل الإسلام:

{ إِنَّ أَوْخَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ }^{٣١}

حب الظهور والشهرة والشمعة وأن يكون له منزلة عند الخلق أو وجاهة بين الناس، لأن المؤمن النقي النقي لا يبغى بعمله إلا وجه مولاه جلَّ في علاه.

إذاً من يُرد أن يحظى بمواجهات الله، وملاطفات الله، وموانسات الله، وتجليات الله جل

٣٠ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه
٣١ معجم الطبراني عن رافع بن خديج الأنصاري رضي الله عنه

في علاه، وأن يحظى بمنح الله الإلهية التي يُعطيها ويُفيضها على أهل الخصوصية؛ يقف دائماً عند أعتاب العبودية، ولا يعمل عملاً إلا وقصده وجه الله في هذا العمل.

فأهل مقام العمل لله قال فيهم الله في القرآن: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (٢٨ الكهف) وهذا للخاصة، وهم كانوا أهل الصفة وهم خاصة الخاصة مع رسول الله، وكان كل عملهم طلباً لا ابتغاء وجه الله ﷻ.

والآخريين الأقل في المقام: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (١١٦ السجدة):

خوفاً من النار وطمعاً في الجنة!!

فهذا مقام وهذا مقام، وهذه منزلة وهذه منزلة!

- فالمنزلة الأولى لكل المؤمنين، ولعوام المسلمين، فلا بد أن يخاف من النار ويطلب ويُلح في الطلب بالعمل للحصول على جنة العزيز الغفار.

- لكن من يُرد أن يكون من المقربين ويُرد أن يكون من أهل الدرجات العلى عند رب العالمين فهذه رتبة الإحسان:

{ الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ }^{٣٢}

فيكون عمله خالصاً لوجه الله: ﷻ

- لا يريد به شيئاً من البشر!

- ولا من الحجر!

- ولا من الإنس ولا من الجن!

ولكن كما قال الله تعالى في الإمام عليّ:

﴿إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (١١٠:١٠٧) (الإنسان).

يعني لو أن الإنسان يبغي من الناس أن يعظموه ويكرموه من أجل هذا العمل، فيكون هذا العمل فيه شائبة من الشرك، ولو يبغي من الناس أن تُقدمه وتلتمس منه الدعاء، وتُحسن

٣٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

له الشاء على الأداء ويقولون له: أنت اليوم فتح الله عليك وقلت كذا وكذا، فيفرح بذلك، فلا تزال عنده شائبة من الشرك الخفي، وهؤلاء الذين يقول فيهم الله مُحذراً: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (١٠٦ يوسف) الأكثرية عندهم هذه الحالة لأنه يبغى الناس.

{ جاء رجلٌ إلى رسول الله وقال له: يا رسول الله إنني أقفُ الموقِفُ أريدُ وجَهَ الله، وأريدُ أن يُرَى موطنِي، فلم يردَّ عليه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَتْ: " فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " ٣٣ }

فالعمل الصالح شرطه الإخلاص، ومتابعة الشرع الشريف لينال القبول، فيكون الإخلاص لله لينال القبول، ومع الإخلاص لا بد من متابعة الشريعة المطهرة، فلا يتبع حظه ولا هواه: ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ فتكون النية كلها لله ﷻ.

نسأل الله ﷻ أن نكون من أهل هذه الآية

وأن يجعلنا بهذه العناية، وأن يجعلنا ممن يُمتنعون بالنظر إلى وجهه الكريم

وأن يجعل وجه الله ﷻ مقصدنا ...

ورضاه سبحانه وتعالى مطلبنا ...

ولا يجعل لغيره سبحانه وتعالى في قلوبنا نَفْسًا ولا أقل ...

ونسأله سبحانه وتعالى أن يرزقنا رُفْقَةً حبيبه ومصطفاه ...

وأن يُدخلنا في الصالحين الذين وصلوا إلى هذه الكمالات

إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٣٣ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ
وَدًّا ﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ
لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ
قَوْمًا لُدًّا ﴿ ١٧ ﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحْسِبُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ
تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا ﴿ (مريم)

١٣: أهل الود-

آية من كتاب الله فرّحت القلوب، وأبهجت الأفئدة وسرّت الأرواح بما فيها من عطاء
حضرة الكريم المنعم الفتح ﷺ.

طلب الله ﷻ منا فيها شيئاً قليلاً، وأعاننا عليه ووفقنا للقيام به لنيل الرضا والزُلفى
والقربى لديه، وجعل جزاء ذلك عطاء لا يستطيع أحدٌ عدّه ولا إحصاءه؛ ولو جلس في
مجلس وأعطاه الله العمر إلى يوم العرض والجزاء.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ :

وكما ترؤن قرن الله ﷻ الإيمان بعمل الصالحات في كل الآيات القرآنية، لنعلم حكمة
حديث خير البرية ﷺ:

{ ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن هو ما قر في القلب ، فأما علم القلب
فالعلم النافع ، وعلم اللسان حجة على بني آدم }^٢

ويقول الحسن البصري رضي الله عنه: (ليس الإيمان بالتمني ولكن ما قر في القلب
وصدقه العمل ، إن قوماً ألتهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة
لهم ، وقالوا : فحسن الظن بالله تعالى وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل)^٣ .
وقال بعضهم: (الرجاء ما قارنه عمل ، والا فهو أمنيّة والأمنيّة منيّة) ،
أى موت! إذ هي موجبة لتعطيل فوائد الحياة، لأن لا فائدة ترجى في الحياة بدون يعمل!

وهذه المسألة تحتاج إلى إيضاح كثير، ولكن ونحن في رحاب أحباب الصالحين نقف
وقفَةً يسيرة عند الطالبين والمريدين والسالكين والراغبين في فضل رب العالمين ﷻ، فإن الله
ﷻ تبارك اسمه وتعالى شأنه ولا إله غيره؛ من أقبل عليه بصدق فوراً لبّاه، وفتح له كل كنوز

١ سوهاج - ساقلته - الجزيرة البيضاء ٢٠ من ذي الحجة ١٤٣٧ هـ ٢٢/٩/٢٠١٦ م
٢ البخارى في تاريخه عن أنس رضي الله عنه موقوفاً.
٣ أخرجه ابن أبي شيبه عن الحسن مرفوعاً.

فضله وجوده وخيره وعطاياه، لأنه سبحانه وتعالى وعدّ ولا يُخلف الميعاد.

لكن آفة هذا العصر، وربما تكون آفة كل عصر - فكما نشتكي منها الآن اشتكى منها سلفنا الصالح، كالشيخ الشعراي وغيره من أئمة وفضلاء القوم - المدّعين الذين يدعون مع الله ﷻ حالاً، ويحفظون عن القوم قالاً، ويزعمون لمن حولهم أنهم معهم عطاءً واجتباءً، بينما هم قلوبهم في الحقيقة من فضل الله خواء، وهذه هي المصيبة التي تحلّ في كل زمان ومكان باتباع الصوفية.

وإن شئت أترجمها بعبارة أخرى:

قلّ في هذا الزمان المريدون الصادقون، وكثُر المشايخ ومدّعي المشيخة من المنتسبين للطرق الصوفية، وكل واحد يريد أن يُبرهن على مشيخته، ويثبت إمامته لمن حوله، قد يكون برويات منامية يؤلفها، ونسي قول الحبيب ﷺ:

{ أَفْرَى الْفَرَى مَنْ أَرَى عَيْنِيهِ فِي النَّوْمِ مَا لَمْ تَرِيَا }^٤

وفي رواية أخرى:

{ مَنْ تَحَلَّمَ يَحْلُمَ لَمْ يَرَهُ كَلَّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ }^٥

أو يظن أنه معه بعض الإكرامات وهو يعيش في عالم الوهم والخيالات، والصادقون معهم برهاناً من الله ﷻ في قلوبهم يكشف لهم حقائق القرب وأوهام النفس، ودسائس الشيطان حتى لا يقع في ورطة تجعله كما قال القرآن: ﴿ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَتَيْنَا ﴾ (٧١ الأنعام).

وإذا توطّد في القلب حب التمشيخ سُدَّت الآذان عن سماع النصائح والمواعظ من عباد الرحمن، فأصبح غير مستعد أن يسمع لأنه أصبح شيخاً!!! ... فلا يسمع إلا نفسه، ولا يتلقّى أوامر إلا من نفسه، وهي مصيبة كبرى نجدها في هذا الزمان، وقد تفتشت وزادت عن الحد.

٤ مسند أحمد والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

٥ صحيح البخاري والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما

وهذا لا يعني عدم وجود الصادقين، فالصادقون والحمد لله موجودون وقائمون بأمر من يقول للشيء كن فيكون، قال ﷺ:

{ لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك }^٦

لا يريدون إلا وجه الله، ولا يعملون إلا لذاته، ولا يتوجهون إلا لحضرته، ولا يطلبون منه سواه، ولا يرغبون في شيء إلا وجه الله، لأن الله ﷻ نعت هؤلاء وأوصافهم بأنهم الموسومون بالمقام العظيم الذي أمر الحبيب الرؤوف الرحيم أن يُصبر نفسه مع هؤلاء القوم: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٢٨ الكهف).

وصايا كثيرة من الحق ﷻ لذات الحبيب المنيرة، لأهل صفوته من بريته، ولخيرته ﷻ من أحبته، طهروا أنفسهم من الرياء، وعالجوا الكبر والعجب حتى تخلصوا من هذه الأدوية فصاروا عبيداً لا يرجون من الله إلا وجهه الله جل وعلا.

أنا ما قلتُ هذا الكلام إلا تحذيراً للأحبة من المدّعين، وهم كثر في هذا الزمان، لا تخدعك المظاهر ولا تغترّ بزُخرف القول، ولكن طهر قلبك لله، وأملاه بنور الإيمان بالإكثار من ذكر الله، يظهر لك نورٌ في فؤادك يكشف لك كل شيء تراه: ﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (٢٩ الأنفال).

وفرقان يعني النور الذي في القلب، والذي يفرق به المرء بين الحق والباطل، ويميّز به بين الطيب والخبث، وينتقي به الأحسن من الحسن، هذا النور يقول فيه ﷻ:

{ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله }^٧

لذلك أنا أدعو أحبائي أجمعين أن لا تقف لهم همّة، ولا تسكن لهم إرادة، ولا تحمد لهم جزوة حبٍ وإيمان، حتى يتلعلع في قلوبهم نور الإيمان، فيكون معه النور الفارق الذي أشار

٦ البخاري عن معاذ بن جبل ومسلم عن ثوبان
٧ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري

إليه الرحمن، والذي كان عليه أصحاب النبي العدنان ﷺ في عصره وفي كل زمان إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

لأن الله ﷻ حدّد الوجهة، مع من نمشي يا رب؟ ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩ التوبة) كيف أعرفهم؟

بنور الصدق واليقين الذي يتفضل عليّ به في فؤادي وفي قلبي رب العالمين ﷻ تلبيةً لدعاء ومناجاة سيد الأولين والآخرين ﷻ ... إياك أن تقف إلا إذا وصلت لهذا النور ...

وإلا تكون هذه الوقفة كلها في غرور، لأنك لا تعلم هذا من ذاك، وكل مؤمن جعل الله ﷻ له هذه الآلة الإلهية في قلبه موجودة، قال ﷻ:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَتَزَعَّ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: "كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" }^٨

ولم يقل نقطة ولكن قال: نكتة: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ كَلَّا إِيَّاهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَاحْجُوبُونَ ﴿ (المطففين) فيأتي الحجاب، وإذا جاء الحجاب فكيف يعرف الأحباب الذين نصّ عليهم الكتاب، والذين أشار إليهم النبي الأواب؟!.

فلا بد أن أزيل هذا الحجاب، وأرفع النقاب، وأرفع الأستار لتشرق الأنوار على قلبي من حضرة النبي المختار، فأرى بعين من الله الأخيار والأبرار والأطهار، ولا أرى الفجار ولا الكفار إلا على هيئتهم السافلة والدنية التي بيّنها لنا الله ﷻ في صريح الفرقان.

وهذا حال الصالحين، وبهذا لو ظهر هذا النور فأكون قد بدأت السلوك الصحيح إلى رب العالمين، وأصبح لي قدم صدق: ﴿لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (٢ يونس) فأبدأ أمشي في الطريق.

لأنه لا يصلح أن يمشي الإنسان في الطريق وهو أعمى؟! لا، لكن لا بد أن يرى، وبأي شيء يرى؟

٨ سنن ابن ماجه والترمذي عن أبي هريرة

يرى بنور الله، وهل هذا أمرٌ عزيز؟ حاشا لله، فلا حرج على فضل الله، وعطاء الله واسع يسع المؤمنين أجمعين من بدء بدء إلى نهاية النهايات إكراماً لسيدنا رسول الله ﷺ.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾:

اقتدوا في هذه الأعمال الصالحات بسيد السادات ﷺ، لأنه ميزان الأعمال ومصدر الأحوال الذي يزن الله ﷻ به أعمالنا ويُرَقِّق به أحوالنا، فكل عملٍ يخالف ما جاء عن رسول الله، حتى ولو كان كشفاً، قال سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ:

((لو تعارض كشفك مع القرآن والسنة فاضرب به عرض الحائط وقل: إن الله ضمن لي العصمة في اتباع القرآن والسنة ولم يضمنها لي في الكشف)) .

شروط العمل أن يكون خلف سيد الأولين والآخرين ﷺ، وهذا ميزانٌ آخر تستطيع أن تزن به أحوال الأدعياء:

فمن يدَّعي مع الله حالاً ولا يتابع الحبيب ﷺ في سنته فكيف يمشي ويصل إلى هذا الحال؟! وكيف يُجَمَّل بهذا الجمال؟! وكيف يُكَمَّل بهذا الكمال!؟

مستحيل، لأن الله جعل الجمال كله والخير كله في اتباع السنة.

قال سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ:

((جعل الله الخير كله في بيت وجعل مفتاح هذا البيت متابعة رسول الله))

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ (آل عمران) فمن خرج عن المتابعة فقد

استهواه إبليس، وأوقعته نفسه في التدليس، ويكون إذا ادَّعى أنه إمام فيكون إماماً في دائرة إبليس والعياذ بالله ﷻ، لأنه يصد الناس عن الحق، وعن اتباع سنة سيد الخلق ﷺ، والناس يفترون بهؤلاء لأنهم جعلوا أنفسهم مشايخ.

لكن شرط الشيخ واتباع الشيخ أن لا يترك السنة طرفة عينٍ ولا أقل، يقول إمامنا أبو

العزائم ﷺ:

((حافظ على السنة ولو بُشرت بالجنة))

إياك أن تقول أنا بُشِرتُ بالجنة فأترك السنة، لأن سيدنا أبو بكر قال:

((لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي في الجنة)).

وجاء أبو العزائم فقال:

((لا آمن مكر الله حتى ولو دخلت الجنة))

فلو قال الله لي: اخرج منها، فماذا أقول له؟ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾

(٢٣ الأنبياء)، فالسلامة في اتباع سنة رسول الله ﷺ.

الإمام الشبلي رحمه الله:

كان من المجاذيب، وشرط أصحاب الجذب الصحيح عندنا أن لا يترك فريضة من الفرائض، لأن الله ﷻ عند الصلاة ينبهه لأداء الصلاة، وفي شهر رمضان ينبهه لحرمه الشهر ليحافظ على الصيام صوناً للمؤمنين، لكن لا يجوز لمن يدعي معرفة وولاية الله أن يفطر علناً بغير عذرٍ أمام المسلمين، فكيف تكون هذه؟ هي ولاية الشيطان، وليس ولاية الرحمن، حاشا لله ﷻ.

فجاء الموت للإمام الشبلي، وفي الرمق الأخير طلب أن يوضئوه لأنه لا يستطيع الحركة، والذي يوضئه نسي أن يُحِلِّلَ له لحيته، لأن من يربي لحية لا بد للماء أن يتخلل اللحية حتى تصل إلى منبت الشعر، فأمسك بيده بعد أن كَفَّ لسانه عن الكلام ليُخلل لحيته، فقالوا: سبحان الله حتى في هذه الساعة لا ينسى سنة من سنن رسول الله ﷺ، هؤلاء هم الرجال:

لسنته فاخضع وكن متأديباً
على الجمر قف إن أوقفك تواضعاً
وحاذر فحصى الشرع باب السلامة
يكن لك برداً بل سلاماً برحمة

هذا هو حال الصالحين، الشيخ خير الدين النساج رحمه الله:

وكان من أرباب الكشف، أذن المغرب وجاءه ملك الموت ورآه، وإذا به يقول له: ((قف عافاك الله فما أمرت به لن يفوتك، وما أمرت به يفوتني، فانتظر حتى أصلي المغرب لله ﷻ)) لا يريد أن يموت وعليه صلاة مغرب لله، فتركه حتى صلى صلاة المغرب لله ثم قبضت روحه لله جل في علاه.

والقصص في هذا المجال لا تُعد ولا تُحَد.

الإمام أبو العزائم رحمته الله:

في آخر حياته أُصيب بشلل نصفي، فكانوا يحملونه ليدخلوه الحَمَّام، وذات مرة حملوه فأدخلوا رجله اليمنى أولاً، فإذا به ينتفض ويكاد يقع منهم ويقول: خالفتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، لماذا تركتوني أخالف رسول الله وأدخل باليمين؟! فهذه هي سُنَّة المريرين السالكين الصادقين إن أرادوا الفتح والنور من رب العالمين صلى الله عليه وسلم.

وإياك أن تستصغر سُنَّة فرمما تكون فيها المُنَّة، فلا يتركون سُنَّة من سنن الحبيب إلا ويؤدونها بالكيفية التي وردت لهم عن الحبيب صلى الله عليه وسلم.

المهم المداومة:

فما نال الصالحون ما نالوه إلا بالمداومة، لأن أغلب المسلمين والحمد لله في شهر رمضان وفي المواسم وفي أماكن النفحات مجديين ومجتهدين، لكن بعد ذلك تفتُر العزيمة وترقد الهمة، لكن ما الفرق بين الصالحين وغيرهم؟ عندهم رمضان كغير رمضان في الإقبال على الواحد الأحد صلى الله عليه وسلم في أي زمان ومكان، لأنهم يقبلون على الله، والله صلى الله عليه وسلم خالق الزمان والمكان لا يجُرُون إليه زمان ولا يقربون إليه مكان، وإنما نرى القرب من حضرته في كل زمان ومكان... فحالمهم الدوام مع الله صلى الله عليه وسلم.

ومن أدام مع الله في عمل الصالحات أكرمه الله صلى الله عليه وسلم بهذه العطاءات وهذه النفحات، ولا يتعبدون لله صلى الله عليه وسلم ولا يعملون الأعمال الصالحة رغبةً في الفتح، أو طلباً لعلوم إلهية، أو لرؤيات منامية، لأن هذه كلها عللٌ نفسية في طريق القوم.

سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمته الله :

كان يتعبّد في شاذلة في تونس ومعه رجل، وإذا بهما يدخل عليهم رجل آخر، فقال له : من أنت؟ قال: أنا عبد الملك، قال: ما حالك مع الله؟ قال: أقول: اليوم يأتي الفتح، غداً يأتي الفتح، بعد غدٍ يأتي الفتح، قال سيدي أبو الحسن: فعلمنا من أين أتينا.

لأنه كان يعبد الله من أجل الفتح، فيقولون: الفتح يأتي اليوم، أو يأتي غداً، أو يأتي بعد غد، وهل تنفع هذه العبادة؟! لا، لأنها عبادة للفتح وليست للفتح صلى الله عليه وسلم.

فدع الأمور للفتح ولا تطلب منه شيئاً قليلاً أو كثيراً، صغيراً أو كبيراً، وهو ﷻ يعطي عطاءً لا يستطيع أحدٌ من الأولين ولا الآخرين حصره، لمن دخل على حضرته بهذا الصفاء وهذا النقاء، قال: فعبدنا الله ﷻ لذاته فجاءنا الفتح الإلهي من الله ﷻ:

لا تقف عن العلوم وسرها	واطلب المعلوم منه به أحي
لا تقف عند المحبة إنها	حجة العشاق عن غيب بهي
واعبد الله العلي لذاته	ثمن الفتح والكشف الجلي

تعبده لذاته، إذا كانت بدايات الطريق يقولونها أهل التحقيق للمبتدئين في الطريق: إياك أن تعبده خوفاً من ناره أو طمعاً في جنته، ولأي شيء أعبدته؟ لذاته، لأنه قال عز شأنه في تنزله لأحد الصالحين: ((لو لم أخلق جنة أو ناراً أفلم أستحق العبادة لذاتي؟)) أنعبده خوفاً من نار أو طمعاً في جنة؟! نفرض أنه لا نار ولا جنة أفلا يستحق العبادة لذاته ولصنعتة ولدقته ومكروماته التي لا عد لها معنا وفينا وحوولنا!.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ :

والسين للمستقبل، يعني جزاؤهم ومكافأهم وتكرمهم ومنحهم الود، فأكبر منحة يمنحها الله لأوليائه وأحابه هي الود: ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ يجعل الله ﷻ لهم وداً عند حضرته، وهذا لا نستطيع إبراز ما فيه من معانٍ حسان، ومن كلام لا يدركه إلا أهل الكشف والعيان، ويجعل الله ﷻ لهم وداً عند أحابه وأوليائه، فقد قال ﷻ:

{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فَلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَنَادِي فِي السَّمَاءِ ثُمَّ تُنَزَّلُ لَهُ الْمَحَبَّةُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا " }

سيجعل لهم وداً في قلوب عباده المؤمنين يحبونهم ويرغبون في مجالستهم ويطلبون مواددتهم، ويتمنون أن يصحبونهم، ويشتاقون دوماً إلى سماع حديثهم، ويتلهفون على الدوام إلى سماع الإشارات والحكم العلية التي تخرج من قلوبهم على ألسنتهم!

كل هذا من الرحمن: ﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي ﴾ (٣٩ طه).

فيجعل لهم وداً في قلوب هؤلاء القوم، ويهب المرء إذا جعل الله له وداً في قلوب الصالحين، لأن هذا يكون معناه أن الله ﷻ قد أذن له في القرب من حضرته، وجعل له مكاناً على بساط منادمته، لأن الصالحين لهم ما يشاءون عند ربهم ولا يُردُّ لهم طلباً، ويحقق الله كل دعاء ويستجيب لهم في كل رجاء.

فإذا طلبوا من الله ﷻ أن يقرب عبداً، حتى ولو كان من رأسه إلى إخمص قدميه في قمة المعاصي والرديلة، فإن الله إجابةً لهم يطهره ويصفيه وينقيه ويمنحه القرب ويجعله مع أحبته على الدوام، لماذا؟ إكراماً من الله ﷻ لعباده الصالحين.

إذا كان كلب أهل الكهف مشى خلفهم فأجرى الله ﷻ عليه حكمهم، مشى وراءهم ودخلوا الكهف فوقف على الباب باسطاً ذراعيه، وألقى عليهم الله النوم فألقى الله عليه النوم، وسيدخلهم الله ﷻ الجنة، ويدخل هذا الكلب الذي تبعهم أيضاً الجنة..

وقد قال قائل:

لقد فاز كلبٌ بحب آل كهفٍ فكيف لا أفوز بحب آل النبي؟

من يسير مع الصالحين فلا بد وأن يكرم، ومن جاور السعيد يسعد، لا بد من ذلك، فمن جاور هؤلاء السعداء ستنزّل عليه الرحمة والسعادة من صاحب الفضل الإلهي والجلود الرباني وهو الله، سيسألون الحبيب ﷺ له نظرة، ومن نظر إليه الحبيب نظرةً يقول فيها الصالحون: ((قطرة من بحر جودك تجعل الكافر ولياً والشقي تقياً)).

عمر بن الخطاب ؓ عندما ذهب إلى حضرة النبي وأمسك بالسيف ليقتل حضرة النبي، نظر الرسول له نظرة وقال:

{ اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ يَا بِي جَهْلٍ، أَوْ بِعَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ } ١٠

فذهبت النظرة لعمر، وبمجرد أن أسلم قال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ إِنْ مَثْنَا وَإِنْ حَيِينَا؟ قَالَ: بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى الْحَقِّ إِنْ مَثْتُمْ وَإِنْ حَيَيْتُمْ، قَالَ: فَقُلْتُ: ففِيمَ الْاِخْتِفَاءِ؟ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ

١٠ جامع الترمذي ومسنّد أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما

لَتَخْرُجَنَّ، فَأَخْرَجْنَاهُ فِي صَفَيْنِ، حَمْزَةٌ فِي أَحَدِهِمَا وَأَنَا فِي الْآخِرِ لَهُ كَدِيدٌ كَكَدِيدِ
الطَّحِينِ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيَّ قُرَيْشٌ وَإِلَى حَمْزَةٍ فَأَصَابَتْهُمْ كَأَبَةٌ
لَمْ يُصِبْنَهُمْ مِثْلَهَا { ١١

فبعد أن كان ذاهباً لهدم الدين، أصبح هو الذي يعز الدين!

وكل ذلك بسبب نظرة من رسول الله ﷺ.

ولذلك يُروى لنا في الإسراء والمعراج أن الخلائق كانوا واقفين لرسول الله على الطريق،

ويطلبون النظرة، ويقولون له: انظرنا انظرنا، فيقول: ما هذا يا أخي يا جبريل؟

- فمرة يقول له: هذا داعي اليهود، ولو أجبته لتهودت أمتك!

- ومرة يقول له: هذا داعي النصارى ولو أجبته لتنصرت أمتك!

- ، وذات مرة يقول: هذا إبليس ولو أجبته لغوت أمتك!

- فحتى إبليس كان يطلب النظرة.

- فالكل كان يطلب النظرة!

- والنبي ﷺ لكي يعرفنا الله قدره قال لنا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا

﴿ وَمَاذَا نَقُولُ يَا رَبِّ؟ ﴾ وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَاسْمَعُوا ﴿ (١٠٤ البقرة)!!

من الذي أمرنا أن نقول: نظرة يا رب؟ الله، لماذا؟

لأن الله يعرف أن هذه النظرة لها تأثيرها ولها دورها.

إذا كانت نظرة من قلبٍ مملوءٍ بالحق قد تؤثر في الإنسان وتجعله يرقد في الفراش أو

يفارق الحياة، وهي نظرة الحسد!!!

كذلك إذا كان القلب مملوءاً بالنور، ومملوءاً بفضل الله وإكرام الله، فنظرته أيضاً

ستؤثر وستؤثر أكثر...

١١ دلائل النبوة لأبي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما

ولذلك سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمه الله يقول: ((نحن نربي مريدنا بالنظرة، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: النعمة تضع بيضها ولا ترقد عليه، ولكي يفقس يحتاج إلى حرارة، فتنظر إليه من بعيد فيُخرج الله من بصرها سيالاً حراري يُطيب البيض ويجعله يفقس بأمر من يقول للشيء كن فيكون، وكذا السُلحفاء أيضاً تربي أولادها بالنظرة))

- فأهل بيت النبوة وطلّاب الفتوة وأهل ميراث الحبيب الأكرم يربُّون بالنظرة:
- وهذه النظرة تحتاج إلى المحبة والمودة والرضا.

فإذا تقرب إليهم الإنسان ورضوا عنه وارتضوا عنه، دعوا الله تعالى له، وطلبوا من الحبيب تعالى نظرةً له ليفوز من الله بما لديه، ويجعله الله تعالى من خيار العباد المقربين إليه:

- لدعوة الحبيب !
- أو لدعوة الرجل الصالح!
- أو لحب الأخيار والأطهار له في هذه الحياة الدنيا وهي المودة من الصالحين، فهذه أعظم وأكرم.

أما المودة من رب العالمين:

فتارةً تكون بالرؤيا المنامية، وتارةً تكون من الهواتف القدسية، وتارةً تكون بعيون الكشف، وتارةً تكون بعيون الفؤاد، وتارةً تكون بعيون القلب، وتارةً تكون بعيون السرِّ، وتارةً تكون بعيون الروح، وهذه فتوحات لا يستطيع أحدٌ وصفها ولا حذرها، وإنما كما قال فيها الإمام الغزالي في شأنها:

فكان ماكان مما لستُ أذكره فظنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

نسأل الله تعالى أن يودنا وُدّاً ذاتياً من عنده حتى نصير من خيار أحبائه المقبلين عليه، وأن يحفظنا بحفظه وصيانته من دسائس النفس ووساوس الشيطان، وأن يجعلنا دائماً وأبداً من عباد الرحمن الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، وأن يجمعنا دائماً وأبداً على الصادقين، ويحفظنا من الأعداء والبطالين، ويجعلنا دائماً وأبداً في علوّ وازدهارٍ في حضرته، حتى نتمتع ظاهراً بنوره تعالى الظاهر في الخافقين ...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ
بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ
بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ وَهُمْ مِنْ
خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (الأنبياء)

١٤: عباد مكرمون

دين الإسلام جاء ليُطَهِّر العقائد كلها في عصر النبي وما بعده من العصور إلى يومنا هذا، مما يتنافى مع حقيقة التوحيد والتنزيه لحضرة الله جل في علاه.

ومع أننا في عصر العلم وعصر التكنولوجيا وعصر الثقافة: إلا أننا نرى فيما حولنا في كل طرفة عين أناس بلغوا الدرجات العلمية العالية، لكن يزلوا في معرفة حضرة الألوهية، ويُخطئوا في وصف الذات العلية، لأن الناس لا يستطيعون معرفة هذه الحقيقة إلا برسول يُرسله الله، فالناس يريدون معرفة حقيقة الألوهية بالعقل وبالهمى وبالنفس، وهل يجوز ذلك؟! لا.

حكمة النبوة

إذا كان الإنسان بما بلغ من العلوم إلى وقتنا هذا لا يدري شيئاً عن العقل: فالعقل الذي نفكر به، والذي نتصوّر به الأمور، ونتخيّل فيه ما نريد العمل به، ونضع فيه ما اكتسبناه من المعلومات لتتذكّرنا عند الضرورات، أين هو في جسم الإنسان على الحقيقة؟! لا يعرف أحداً! فما نعرف مكانه هو قطعة اللحم بالجمجمة وقال العلماء أنه بما مواضع للبصر والشم والتعلم وكذا ولكن أين يقع التفكير والتصور وكذا ..

فإذا كان الإنسان قد عجز عن معرفة العقل فهل يستطيع معرفة خالق العقل ﷻ بذاته؟! حاشا لله ﷻ، لذلك لا بد من رسول يُرسله الكريم، ويُعلمه التعليم الحكيم، ويؤاليه دائماً أبداً بمزيد من الحكمة والتعليم، ليُعلّم الناس هذه الحقيقة الغيبية التي لا تدركها الأبصار، ولا تُحيط بها العقول، ولا تثبتها النقول، ولا يتخيّلها متخيّل، ولا يتصورها متصوّر، فكل ما خطر ببالك فهو هالك والله تعالى بخلاف ذلك.

إذاً لا بد من النبوة! وهذا سرٌّ من أسرار إرسال النبوة والأنبياء والمرسلين، فالناس في عصر النبي ﷺ كانوا متخبطين في هذا الأمر، وأيضاً في العصر الذي نحن فيه الآن مع اختلاف الصور والأشكال.

فمنهم من كان يعمل حجراً يعبده كإله، ومنهم من صنعه من الخشب، ومنهم من كان يعبد نجم من النجوم، ومنهم من كان يتوجّه للشمس أو للقمر، ومنهم من كان يعبد الأفراد الملوك، وكانوا يتقولون على الله ﷻ بأهوائهم بغير علم، فقالوا: إن الإله أنجب وعنده أولاد، وأنجب بنات فقط، وهم الملائكة: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْتًا ﴾ فماذا قال لهم الله؟ ﴿ أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ ﴾ (١١٩ الزخرف).

فهم يقولون رجماً بالغيب، فأنت لم تر ولم تطلع، وهؤلاء كانوا عدّة قبائل من القبائل العربية المحيطة بمكة، وكانت عقيدتهم أن الملائكة بنات الله، في حين إذا بُشِّرَ أحدهم بأنه أنجب بنتا كان وجهه يسوّد ويتحيرّ ويتخفّى، وبعد ولادة البنت يأخذها ويجفر لها حفرة ويدفنها وهي حيّة.

فكيف تتأذون من البنات وتجعلون خليفة الله ﷻ بنات؟! ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (٥٨ النحل) يكظم غيظه كيف أنجبت بنتاً؟ وبعدها: ﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ ﴾ يتخفّى في مكان أو يجلس في البيت فلا يراه أحد: ﴿ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِمَةِ ﴾ (٥٩ النحل) يعني يعتبر أن هذه بشرى غير طيبة، فإذا كان بالنسبة لكم أنتم، فكيف ترضونها لمن يقول للشيء كن فيكون؟!.

فالله ﷻ يرد على هؤلاء القوم أجمعين:

﴿ وَقَالُوا آتِنَا آيَاتِنَا وَإِنَّا لَنَعْلَمُ بِمَا نَدْعُونَ ﴾ سبحانه: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ ﴿ وَمَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص) ليس له زوجة، ولا ولد، ولا نظير، ولا وزير، ولا مثيل، ولا مشير، لأنه ﷻ جلّ عن النظر، وغير محتاج إلى الوزير، وتعالى في سموه وقدرته وإرادته عن المشير، فهو سبحانه وتعالى كيف وصف ذاته وهو على كل شيء قدير.

ومن هم الملائكة؟

﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ ولما ننظر إلى الملائكة ونفكر ونتدبر في قدرة صنع الله لهم نعرف قيمتنا عند الله، ومنزلتنا التي اختارها لنا الله ﷻ، لأن الملائكة على اختلاف أصنافهم وأشكالهم وأنواعهم وتنوع قدراتهم، كلهم مخلوقين لخدمة الإنسان، إن كان في الدنيا أو في الآخرة، أو في العذاب لمن جعل الله له حظاً من العذاب.

فكل القوى المملوكة لخدمة الإنسان، ونحن لا أحد منا يستطيع أن يذكر أصناف الملائكة ولا أن يعدُّهم، ولا حتى أن يُصنِّف قدراتهم ويجمع الأعمال التي كلفهم بها الله.

أريد أن نأخذ مثلاً لنا أجمعين لنعرف عناية الله تبارك وتعالى بنا لأننا أمة التكريم التي قال فيها الله في القرآن الكريم:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (١٧٠ الإسراء) ومن ضمن التكريم أن من يخدمنا ملائكة، مع أن الملائكة: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٦ التحريم).

فالإنسان من البداية إلى النهاية في عناية الرحمن، لكن الله ﷻ قدَّر الأسباب، وجعل لكل شيء سبباً، ومن جملة هذه الأسباب تسخير الملائكة وتخدمهم لعباد الله ﷻ في الدنيا والآخرة، فمن البداية الأولى عندما يلتقي الرجل بزوجته وتنزل النطفة يأمر الله تعالى ملكاً أن ينزل فيقسمها إلى ثلاثة أقسام:

- قسم يُوضع في الرحم ومنه ينشأ الإنسان.

- وقسم يُوضع في الموضع الذي سيُدفن فيه لكي يناديه إذا جاء أجله.

ولذلك مرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِجِنَازَةٍ عِنْدَ قَبْرِ فَقَالَ:

{ قَبْرُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: فَلَانَ الْحَبَشِيِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَيِّقَ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى ثُرْبَتِهِ الَّتِي مِنْهَا خُلِقَ }^٢

ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرضٍ سواها

وكيف يذهب إلى الأرض التي يُدفن فيها؟ قال ﷺ:

{ إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ، جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً }^٣

يجعل للإنسان سبباً ليذهب إلى هذا المكان، كأن يدعى إلى فرح فيذهب إليه ليموت ويُدفن في المكان الذي فيه من نطفته، أو يذهب ليزور أخاً له، أو يذهب ليجتمع وموضعه في مكة أو في المدينة، وهكذا قس على ذلك بقية هذه الأمور، يجعل الله له إليه حاجة.

٢ الحاكم في المستدرک وكشف الأستار عن أبي سعيد الخدري

٣ جامع الترمذي ومسند أحمد عن مطر بن عكاس

- والقسم الثالث يُوضع في سحائب المزن في عالم الملكوت الأعلى لكي يُعيد الله عزوجل منه خلق الإنسان: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٢٩ الأعراف).

النشأة الثانية

فعندما يُعيد الله الإنسان مرةً ثانية بعد فناء الأكوان ...

وبعد أن ينفخ إسرافيل النفخة الأولى ...

وتُصعق كل الأرواح الموجودة في حينها ووقتها ...

ويُنفخ النفخة الثانية فيموت كل من على الأرض

ويتحقق قول رب العزة: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٧﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن).

ثم يُسلط الله ﷻ على الأرض رياحاً تُهبُّ عليها من جهاتها الأربع بشدة ..

وهذه الرياح تشتد إلى أن تُحوّل الجبال إلى كتيبان من الرمال أي أكوام: ﴿ وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾ (١٤ الزمل) يعني رمل متهايل، وتشتد إلى أن تجعل عاليها سافلها فيكون الكل مثل بعضه

وفي هذه اللحظات تتجمع كل ذرات الإنسان الأصلية التي خُلق منها، ثم يأمر الله الهواء أن يتوقف، ويريد الله أن يعيد الإنسان مرةً أخرى ...

فيأمر الله ﷻ كما قال ﷺ في حديثه الصحيح:

{ ثُمَّ يَنْزِلُ مَاءٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ كَمَنِيِّ الرَّجَالِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمَطِّرَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَيَأْمُرُ الْأَجْسَادَ أَنْ تُنْبِتَ كَنْبَاتِ الْبَقْلِ } ٤

فينزل الجزء الباقي من النطفة لينشأ منه الإنسان مرةً أخرى

فيتكون منها جسم الإنسان والذي يكون صالحاً إما - والعياذ بالله - لعذاب النار، أو للنعيم في الجنة مع الأبرار والأخيار والأطهار.

٤ شعب الإيمان للبيهقي عن أبي هريرة ؓ

لن يكون بالحجم الذي كان في الدنيا:

- سيكون شكله معروفاً وهو نفس الشكل الذي كان في الدنيا ...
- ولكن طوله سبع وستون ذراعاً كخلقة آدم ...
- وعلى حسب حال الجنة، فالجنة ليس بها بول ولا غائط ولا مرض ولا سخونة ولا رشح، كما قال ﷺ:

{ وَلَا يَبُولُونَ فِيهَا وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتَنَحَّمُونَ، إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ جُشَاءً، وَرَشْحًا
كَرَشْحِ الْمَسْنِكِ }^٥

﴿ لَا يَمَسُّهُمْ أَلْسُوءٌ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦١ الزمر) والجو هناك كله مكيف:
﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ (١١٣ الإنسان).

فيأمر الله السماء أن تنزل الجزء المتبقي من الثلاثة أقسام ...

وبعد ذلك يحيي الله اسرافيل ويأمره أن ينفخ: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ
يَنْظُرُونَ ﴾ (٦٨ الزمر) فتخرج الأرواح من مستقرها، وكل روح تعرف البيت الذي كانت تسكن
فيه ولا تُخطئه! ويكون شكلهم كالجراد المنتشر، كسرب الجراد الذي يراه أهل السودان وهو
قادم من الصحراء، فيحجب عين الشمس وهكذا تكون النشأة الثانية

ونعود مرة أخرى ... للقسم الأول .. والذي سيخلق منه الإنسان والذي يضعه
الملك المكلف بذلك في الرحم ... فهذا أول ملك يتولى الإنسان، ثم بعد إثنتين وأربعين يوماً
في بطن الأم ينزل ملكٌ آخر ومعه كتاب من القدير ﷻ من اللوح المحفوظ قال فيه حضرة
النبي:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ وَكُلٌّ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا
أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ، قَالَ: أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ وَالْأَجَلُ،
فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ }^٦

٥ مسند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ
٦ صحيح البخاري والطبراني عن أنس ﷺ

ملائكة الحفظ

وتتوالى الملائكة الذين في خدمة الإنسان، ولا يستطيع حصرهم أحدٌ من بني الإنسان مهما أوتي من علم، ومن فصاحة لسان وبلاغة بيان، فعندما ينزل المولود على الفور يصدر القرار الإلهي، هذا المولود:

﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ تَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (١١ الرعد) وقراءة سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام: (يحفظونه بأمر الله) فكل قراءة لها معنى:

الملائكة الذين يحفظون الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعند النوم وعند اليقظة وعند المشي لا أحد يستطيع عدّهم ولا حصرهم، ذكروا منهم سبعة يحفظون العين حتى لا يصيبها سوء أثناء نوم الإنسان فلا يدخل فيها حشرة ولا أحد يصيبها بضرر، والذي يحفظ الأذن، والذي يحفظ الفم، فالذي يحفظ هذه الأعضاء كلها هم ملائكة مسخرين بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

فأنت لو اتفقت مع شركة من شركات الدنيا كشركة أمن، وعيّنت لك واحداً فقط لحراستك، فكم تدفع له؟! كثير، لكن ما قدر حراستك الإلهية!!

ذو النون المصري

الشيخ ذو النون المصري عليه السلام وأرضاه، وهو أول رجل تكلم في علوم الولاية في مصر، وكان في القرن الثالث الهجري، وكان في بلدة أحميم التابعة لسوهاج بمصر، وكان من كُمل الصالحين، هذا الرجل عندما مات كان في هذا الوقت في الجزيرة، ولم يكن هناك وسائل إتصال، فكيف يبلغون الناس؟! كان من يُبلغ الناس في البلاد الصالحون عن طريق الرؤيات المنامية التي يُلقونها عليهم رب العالمين، حتى في هلال رمضان الناس البعيدين عن العاصمة كيف كانوا يعرفون أن غداً رمضان؟ كان الصالحون يرون الهلال ويقولوا: غداً رمضان، وكانت لا تخلوا البلاد من عباد على هذه الشاكلة.

وفي ليلة موت سيدي ذي النون جاء رسول الله ﷺ إلى سبعين رجل من الصالحين في منامهم، وقال لهم: إن حبيب الله ذا النون يزمع المجيء إلينا وقد جئت لاستقباله، وعندما

يعرف الرجل الصالح أن سيدنا رسول الله جاء لحضور جنازة فلان فيأتي هو وأتباعه.

ولذلك يُروى أن جنازته كانت حوالي مليون واحد - مع أن عدد سكان مصر في هذا الوقت كان قليلاً - وكان يوماً شديداً الحرارة، والدفن كان بعد صلاة الظهر، وقد أوصى أن يُدفن في المقطم، ومدافن القاهرة حالياً، ولم تُجدت مدافن القاهرة في المقطم؟ لأن سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه لما فتح مصر قال له المقوقس عظيم القبط: اكتب لي عقداً أننا نأخذ المقطم، فقال له: حتى أستشير، فأرسل إلى سيدنا عمر، فقال له: أسأله ما السبب؟ فقال له: لماذا تريد المقطم؟ قال له: عندنا في كتبنا أن من مات ودفن في المقطم وقع في الجنة، فقال له: سيدنا عمرو: نحن أولى بذلك، فاجعلها مقابر المسلمين.

فعندما أرادوا دفن سيدي ذا النون فيها، وكان العدد المشيع كبير، والحرارة شديدة، قالوا: أرسل الله صلى الله عليه وسلم طيوراً سدّت الآفاق أظلمتهم بأجسادها وأخذت ترفرف بأجنحتها فلطفت الجو للمشيعين.

ما أريد أن أقوله: أن هذا الرجل يقولون له: ما سر رجوعك إلى الله؟ وما الذي جعلك تسلك طريق الله جل في علاه؟ قال: كنت في إحدى الأيام على شاطئ النيل عند أحميم فرأيت عقرباً تقف على شاطئ النهر، وجاءت ضفدعة وقفزت العقرب فوق ظهرها وجرت الضفدعة على الماء بسرعة شديدة حتى وصلت إلى الجانب الآخر من نهر النيل، وأنا أتبعها، فدخلت بيتنا فوجدت رجلاً نائماً، وينزل من فمه أثر الخمر، ووجدت حية تقترب منه لتلدغه، فأسرعت العقرب ولدغت الحية فقتلتها في الحال وأنقذ الله هذا الرجل من هذه الميته وهي ميتة سوء، لأنه كان شارباً للخمر.

قال: فأيقظته وغسلت له فمه وقلت له: أنت تصنع كذا، والله يصنع معك كذا؟! هو في المعاصي ومع ذلك يحفظه الحفيظ صلى الله عليه وسلم حتى لا يموت الميته السوء فيدخل جهنم والعياذ بالله صلى الله عليه وسلم.

هؤلاء الحفظة الكرام البررة الذين يحفظوننا من أمر الله، هم معنا على الدوام، ولذلك تسمع من بعض الناس: كان سيحدث لي حادث كذا ولكن لا أعلم ما الذي أنقذني؟! هؤلاء الذين معك.

أو كنت في الحرم ووقعت على الأرض، ولا أعلم من الذي رفعني من تحت الأقدام؟! هم هؤلاء الملائكة، لأنهم معك يحفظونك من أمر الله، أي يأخذوا الأمر من الله أن يحفظوه، فإذا لم يتلقوا الأمر من الله تخلوا عنه، وهؤلاء غير الملائكة الآخرين الذين يسجلون الأعمال.

وقول الله: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨ق) بعض العلماء يقولون: رقيب ملك اليمين، وعتيد ملك الشمال، فمن أين أتوا بهذا الكلام؟! فلو كان رقيب اليمين وعتيد الشمال كان بينهم واؤٌ يعني رقيب وعتيد، لكن رقيب هذا إسم من أسماء الله، فالرقيب هنا هو الله ﷻ، وما صفة الرقيب؟ عتيد شديد: ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ (٤٩ الكهف).

الكرام الكاتين

وما اسم الذين يسجلون الأعمال؟ ﴿ كِرَامًا كَتِيبِينَ ﴾ (١١) يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (الإنفطار) كرام لأنه عندما تفعل الحسنة من كان على اليمين يجر بسرعة شيك بأجر هذا العمل ويحوله إلى رصيدك عند الله ﷻ، فإذا وقعت في خطيئة أو ألمت بذنب فصاحب الشمال يهّم بالكتابة فرئيسه صاحب اليمين يقول له: انتظر لعله يتوب، لعله يستغفر، لعله يرجع، ولذلك سمّاهم الله: كرام، أي يسارعوا للخير قبل أن يندم الإنسان عليه أو يرجع فيه، وينتظروا عند الذنب فقد يرجع إلى الله ويتوب إلى الله، ولذلك قال حبيبي وقرّة عيني سيدنا رسول الله ﷺ:

{ مَا قَالَ عَبْدٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا طُمَسَتْ مَا فِي صَحِيفَتِهِ مِنْ السَّيِّئَاتِ حَتَّى يَسْكُنَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ }^٧

المحاة التي تمحو الذنوب هي:

(لا إله إلا الله) فعندما تكتب لا بد أن تسمح الذنوب التي في طريقها إلى أن تجد حسنة فتكتب بجوارها فضلاً وإكراماً من الله جل في علاه.

٧ مسند أبي يعلى الموصلي واتحاف الخير المهرة للبوصيري عن أنس ؓ

هؤلاء الملائكة كما قال حضرة النبي ﷺ:

{ يَتَعَابُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ
وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَغرُجُ الَّذِينَ بَآثُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ، كَيْفَ تَرَكْتُمْ
عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ }^٨

والملائكة - كما نعلم - لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزوجون ولا يموتون
إلا قبل القيامة، فإذا أنهى الإنسان مهمته وتكليفه ومات، أين يذهبون؟ كما أخبر حضرة
النبي ﷺ:

{ وَكَلَّ اللَّهُ بَعْدَهُ الْمُؤْمِنِ مَلَائِكِينَ يَكْتُبَانِ عَمَلَهُ ، فَإِذَا مَاتَ قَالَ الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ وَكَلَّا
بِهِ يَكْتُبَانِ عَمَلَهُ: قَدْ مَاتَ ، فَتَأْذَنُ لَنَا فَنَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ ، ﷻ: سَمَائِي
مَمْلُوءَةٌ مِنْ مَلَائِكَتِي يُسَبِّحُونِي ، فَيَقُولَانِ: أُنْقِصِمْ فِي الْأَرْضِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ: أَرْضِي
مَمْلُوءَةٌ مِنْ خَلْقِي يُسَبِّحُونِي ، فَيَقُولَانِ: فَأَيْنَ؟ فَيَقُولُ: قَوْمًا عَلَى قَبْرِ عَبْدِي
فَسَبَّحَانِي ، وَاحْمَدَانِي ، وَكَبَّرَانِي ، وَهَلَّلَانِي ، وَكَتَبَا هَذِهِ لِعَبْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ }^٩

الملائكة السياحون

اللهم ﷻ يُسَخِّرْ لِكَ مِنْ يَكْبُرُ وَيُسَبِّحُ وَيَهْلِلُ وَيَعْبُدُ اللَّهَ ، وَأَنْتَ قَدْ خَرَجْتَ مِنَ الدُّنْيَا ،
وهؤلاء يعبدون الله عبادة لا فيها مشاغل كونية، ولا فيها شهوات دنية، ولا فيها إعجاب
بالنفس، ولا فيها رغبة في الشهرة، لأنهم لا يعبدون الله إلا عبادة خالصة لله ﷻ.

فهؤلاء الكرام الكاتبين الذين معنا، وغيرهم جماعات أخرى يحضرون الدروس معنا في
المساجد، وهؤلاء وظيفتهم كما قال حضرة النبي:

{ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ فَضَّلَا عَنْ كِتَابِ النَّاسِ ، فَإِذَا وَجَدُوا
أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيْنَا بُغْيَتِكُمْ ، فَيَجِيئُونَ فَيُحْفُونَ بِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ

٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة

٩ شعب الإيمان للبيهقي والمطالب العالية لابن حجر عن أنس

الدُّنْيَا، فَيَقُولُ اللَّهُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ، وَيُحْمَدُونَكَ، وَيَذْكُرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَهَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْنَا أَشَدَّ تَحْمِيدًا، وَأَشَدَّ تَمْجِيدًا، وَأَشَدَّ لَكَ ذِكْرًا، قَالَ: فَيَقُولُ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَطْلُبُونَ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْنَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْنَا كَانُوا لَهَا أَشَدَّ طَلَبًا، وَأَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَعَوَّدُونَ؟ قَالُوا: يَتَعَوَّدُونَ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنَا؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْنَا كَانُوا مِنْهَا أَشَدَّ هَرْبًا، وَأَشَدَّ مِنْهَا خَوْفًا، وَأَشَدَّ مِنْهَا تَعَوُّدًا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ فِيهِمْ فَلَانًا الْخَطَاءَ لَمْ يُرِدْهُمْ إِثْمًا جَاءَهُمْ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُ: هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْتَقِي لَهُمْ جَلِيسٌ {^{١٠}

كل من يجلس معهم أياً كان، ينال المغفرة من الله ﷻ، نفرض أني جالس في البيت، أو في المسجد وأقرأ القرآن، أيضاً يأتيني جماعة من هؤلاء السياحين يحضرون قراءتي للقرآن، وكان أصحاب حضرة النبي يروا ما يدل على حضورهم، يرون بعض السرج المنيرة أو الثريات المتألأة، فيحكون لحضرة النبي: فيقول ﷻ:

{ تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ }^{١١}

فمن كان يقرأ القرآن يدورون حوله ليستمعوا إليه، ومن يحارب من المؤمنين يحاربون معه، ويلقون الرعب في قلوب الكافرين.

وهذا غير من يأتي لك بالأرزاق، ومن يأتي لك بالضياء، ومن يأتي لك بالأنفاس والهواء، ملائكة لا عد لهم ولا حد لهم، كلهم ملائكة في خدمة الإنسان، لأن الإنسان له فضلٌ وتكريمٌ عند حضرة الرحمن ﷻ.

١٠ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن أبي سعيد الخدري
١١ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أبي سعيد الخدري

من الذي يستطيع عدّ الملائكة الذين جاءوا معك وأنت ذاهب لزيارة أخ لك في الله،
حضرة النبي قال فيهم:

{ إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا زَارَ أَخَاهُ فِي اللَّهِ، شِيعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، يَقُولُونَ:
اللَّهُمَّ إِنَّهُ وَصَلَّهُ فِيكَ، فَصَلِّهِ }^{١٢}

حملة العرش

فكل هؤلاء الملائكة كما قال الله: ﴿بَلَّ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾:

ما أوصافهم؟

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾  يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ أَرْتَضَى﴾ شفاعتهم لنا نحن أيضاً، فكيف يشفعوا لنا؟ إذا كان

حملة العرش وهم من أعظم المقربين من الملائكة ما وظيفتهم؟

﴿الَّذِينَ تَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ وبعد
ذلك: ﴿وَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهل يستغفرون فقط؟ لا، بل يدعون لنا أيضاً:

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ
عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾  رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ
وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾  وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ
فَقَدْ رَجِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (غافر).

يا الله حملة العرش يدعون لنا ... ونحن مشغولون، ربما غافلون أو ساهون أو عاصون
أو مذنبون!! فهم يدعون ولكن للمؤمنين فقط، فكل الملائكة من كانوا فوق أو تحت في
خدمة الإنسان.

وفي الجنة من الذي يستقبلنا؟ هم: ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الَّذِينَ﴾
(٢٤ الرعد) وكثير يدخلون عليهم يهنئوهم بالسلامة وكلهم في خدمة الإنسان.

فالملائكة مع علو قدرهم ومع رفعة شأنهم إلا أنهم في خدمة بني الإنسان:

ولذلك القضية التي يثيرها بعض الجهلاء ويقولون: إن جبريل وميكائيل وإسرافيل

أعلى في الدرجة - حاشا لله - من سيدنا رسول الله!!

من الذي قال هذا الكلام!!؟ حضرة النبي بنفسه قال:

{ إِنَّ لِي وَزِيرِينَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ، وَوَزِيرِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ: فَجِبْرَائِيلُ، وَمِيكَائِيلُ، وَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ: فَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ }^{١٣}

فسيدنا رسول الله أعلى الخلق كافة، ملائكة وجناً وإنساً وغيرهم قدراً عند الله، والملائكة كما نرى خلقهم الله ... تكريماً للإنسان ... وجعلهم مسخرين لخدمة الإنسان ... وهم من يأتون بالبشائر من الله لمن يستقيم من بني الإنسان:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ (٣٠ فصلت)

فلا تنزل مرة واحدة ولكن تنزل أي يكون نزلهم باستمرار:

﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٣٠ فصلت)

ونحن في خدمتكم ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (٣١ فصلت)

نحن رهن إشارتكم في الخدمة هنا وهناك ... فهؤلاء الملائكة، وهم كما وصفهم ربنا في القرآن: ﴿ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ :

عندهم خشية بالغة من الله ﷻ، حتى أن سيدنا رسول الله ﷺ عندما كان في ليلة القرب من الله، وسيدنا جبريل زجَّ به في عالم الأنوار قال: يا جبريل ألك حاجة؟ قال: أخشى العاقبة، فنزل قول الله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ (١٩٣ الشعراء) أعطاه الأمان، فقال: يا رسول الله كنت أخشى العاقبة فأمنت منذ قال لك ربك: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ فأخذ الأمان بسبب رسول الله ﷺ. ...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

١٣ الحاكم في المستدرک والترمذی عن أبي سعید الخدری

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ
الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ
كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ
أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ
وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿﴾ (الأنبياء)

١٥: ضياء الفرقان

يوم القيامة

أنزل الله ﷻ في قرآنه الكريم بياناً تفصيلاً لما سيحدث لنا أجمعين بل للخلق كلهم من بدء الدنيا إلى يوم الدين، اليوم الذي يقول فيه ربنا تبارك وتعالى: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ دُخْمَسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (المعارج) تقديره بحسب إِمَّا سنواتنا نحن، وإِمَّا سنين الله: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (الحج ٤٧) ولذلك هذا أمرٌ يختار فيه اللبيب الفصيح، لو حسبناه بأيام الله وهو مقداره خمسين ألف سنة، فما مقدار طولها؟ وكلنا سنكون فيه ونُحشر فيه أجمعين!!

هذا اليوم فيه أحوال، وفيه عرض الأعمال، وفيه الحساب، وفيه الميزان، وفيه تطاير الصُحف، وفيه الصراط، وفيه كل العرض الكامل لحياة الإنسان بجلوها ومُرُها، بحسبها وسوئها، أمام أكرم الأكرمين ﷻ.

والآية التي معنا اليوم تتكلم عن موقف من مواقف القيامة، فلا نسميها أيام ولكن نسميها مواقف، وأول موقف من مواقف القيامة: ﴿ ثُمَّ نُفِخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (الزمر ٦٨) الحياة الثانية أو كما ذكرها ربنا في القرآن، النشأة الثانية: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (الأعراف).

وبعد النشأة الثانية:

وقد تحدثنا عنها بالفصل السابق منهم من يستقبله فريق من الحرس الإلهي الجناني، ومعهم له ثياب من ثياب الجنة، وعطر من عطر الجنة، وشراب من حوض الكوثر الذي حُصَّ به النبي وأُمَّته، ويستقبلوه بعد نشأته الثانية عند الله ﷻ: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ (الواقعة).

أصناف الخلق يوم القيامة

والناس في هذا اليوم أربعة أصناف:

نسأل الله ﷻ أن نكون من خيرهم عند الله، ومن أهل القربى والزلفى في جوار حبيب الله ومصطفاه:

- الصنف الأول:

أناسٌ يقومون من القبور إلى القصور، فليس لهم شأنٌ بالميزان ولا بالصراط ولا بالحساب: ﴿ إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الرمر ١٠) ليس لهم شأنٌ بكل أنواع هذا الحساب ولا ميزان ولا أي شيء.

- الصنف الثاني:

أناس يقومون من القبور إلى جهنم وبئس القرار، وهؤلاء يقول فيهم الواحد القهار: ﴿ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ (الكهف ١٠٥) لأنهم ليس لهم وزن عند الله ﷻ، ولا أعمالهم التي عملوها تستحق الوزن، فمن القبور إلى جهنم وبئس القرار.

- والصنفان الآخريان:

منهم من يُحاسب الحساب اليسير، ومنهم من يُحاسب الحساب العسير.

الحساب بالفضل وبالعدل

فالخلق جميعاً من آدم إلى نبينا صلوات ربي وتسليماته عليه:

يكون لهم قانونان للحساب: قانون العدل الرباني، وقانون الفضل الإلهي.

قانون العدل الإلهي:

يُطبق على كل الأمم ما عدا نحن أمة محمد والحمد لله.

وقانون الفضل الإلهي يُطبق على أمة النبي الأمي، وهم نحن بفضل الله وبكرم الله

وبركة سيدنا رسول الله ﷺ.

كل الأمم تُحاسب بالعدل، والعدل يعني الحساب أمام الجميع، والكل يشهد، والكل يرى ويُحاسب، ويُحاسب على القليل والكثير والنقيير والقطمير، فلا يترك الله ﷻ له شاردة أو واردة في أعماله إلا ويُحاسبه عليها.

لكننا أمة سيدنا محمد ﷺ تُحاسب بحساب الفضل الإلهي:

قانون جعله ملك الملوك خاصاً بنا، وذكره في قرآنه حتى يكون فرحة لقلوبنا وسروراً لأرواحنا: ﴿الَّذِينَ تَتَّقِبَلْ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ يقبل العمل الطيب الذي عملناه، ويتغاضى عن السوء الذي ارتكبناه ما يضمننا ندمنا ورجعنا إلى الله جل في علاه، وبعد ذلك: ﴿وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (١١٦ الأحقاف) وهذا وعد أخذناه من أكرم الأكرمين ﷻ.

ولذلك كان سادتنا يعلموننا ويقولون لنا دائماً: قولوا ((اللهم حاسبنا بفضلك ولا تحاسبنا بعدلك، فإنك إن حاسبتنا بعدلك على أرجى عملٍ عملناه هلكننا جميعاً)) فليس أرجى من الصلاة التي نؤديها بمعونة الله وتوفيق الله، فلو وضعها في كفة الميزان ووضع في الكفة الأخرى الإخلاص، فمن منا يجوزها؟! إلا الذي يمرره الله بفضله وبكرمه ﷻ.

لأننا عندما يبدأ الواحد منا في الصلاة فكل تائهة وكل غادية ورائحة تأتيه في الصلاة، فأين الإخلاص فيها من بدأها إلى منتهاها؟! أمرٌ لا نستطيع فعله ولا نستطيع التحقق به إلا إذا ملك الملوك وهب، وملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب.

الموازين القسط

فيحاسبنا الله ﷻ بالفضل، لكن الموازين موجودة لكل:

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ :

والقسط هي العدالة المطلقة، وماذا تزن؟

تزن الأعمال والأقوال والأفعال والأحوال التي عملناها في الدنيا كلها، إياك أن تقول كيف؟ لأنه أمرٌ غيبي لم يُطلع الله ﷻ عليه إلا حضرة النبي، فلا يصح لأحد منا الكلام فيه من نفسه، ولا يشرحه من عقله، لأنها أمورٌ غيبية: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ﴾

أحدًا ﴿٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴿الجن﴾ ...

الرسول ﷺ الذي كاشفه الله ﷻ بهذه الغيوب، وهو كشف لنا منها ما تتحمله العقول والقلوب، لكن الأمور التي لا تتحملها عقولنا ولا قلوبنا لم يذكرها لنا حرصاً علينا، لأنه حريصٌ علينا صلوات ربي وتسليماته عليه، ولذلك يقول لنا:

﴿ وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَدَّدْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُغْضَدُ ۚ ۲﴾

لا يوجد شيء تتلذذون به في الدنيا لو عرفتم ما أعرفه، ولكنني تركتكم رحمةً بكم، صلوات ربي وتسليماته عليه.

هذا الميزان يكون بعد الحساب:

فكما قلنا أولاً يكون تطاير الصحف عندما يدخلون الموقف، فمنهم من يأخذ صحيفته بيمينه، ومنهم من يأخذ صحيفته بالشمال، ومنهم من تكون يده اليمين والشمال مُقيدتين فتأتي الصحيفة في رقبته وظهره وعنقه، وكلٌّ على حسب وضعه.

لكننا نسأل الله ﷻ أن لا يكون لنا شأنٌ بهذه الأمور كلها، فنخرج من القبور إلى القصور إن شاء الله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ (١٧ الإنشقاق) هذا أخذه بيمينه: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ (١٠ الإنشقاق) وهذا أخذه بالشمال، والثالث كتابه في عنقه مثل الكافر والمشرك لعنة الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

بعد ذلك الحساب، وبعد الحساب يأتي الميزان الذي تكلم فيه الله:

﴿ فَلَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾

﴿ وَإِنْ كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۚ ﴾

ومثقال يعني بعض، والخردل نوع من النباتات الزيتية وحبوبه متساوية وصغيرة وثابتة الوزن فلا تزيد ولا تقل.

﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ :

فالذي يحسب هو رب العباد ﷻ، وأنتم تعرفون أن رب العزة ﷻ يُسجّل الأعمال التي يعملها الإنسان في أكثر من دائرة تسجيل ربانية.

ما تفعله الأعضاء والجوارح يُسجّل عليه، ونحن لا نرى هذا التسجيل، ولكن الله يطلع عليه ويراه، وانظر إلى هذا الإصبع الذي تكتب به، هل يعرف أحدكم كلمة كتبها من أول ما كتب؟! وماذا كتب؟! لكن هذا كله موجود عند عالم الغيب والشهادة، وسيأتي هذا الإصبع هناك ويتكلم على كل ما فعله وكتبه لأن الله ﷻ سيأمره أن يفعل ذلك.

هذه الأعضاء الآن كلفها الله أن تكون في طاعتك، فينفذون مرادي وإرادتي، يقول لها: اكتبي فتكتب، والعين يقول لها: انظري هنا فتنظر، والرجل تحركي فتتحرك، والظهر والرجلين يقول لهما: اركعوا فيركعوا، واسجدوا فيسجدوا، الكل تحت أمرك.

لكن يوم القيامة يجعل الله أمر هذه الجوارح لحضرتة، فتصبح في طاعة حضرة الأول ﷻ، ولذلك عندما يجتمع الخلائق كلهم فإن أول شيء في القيامة يُدعون إلى الصلاة لله ﷻ، ويصلي بأهل الموقف سيدنا رسول الله ﷺ، فمن كان يحافظ على الصلاة في الدنيا فإن الأعضاء ستطاعوه هناك، ومن كان يتظاهر أمام الخلق بالصلاة ويتركها في الخلاء إذا كان بمفرده فيحاول أن يركع ويسجد فلا تطيعه أعضاؤه: ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتِطِيعُونَ ﴾ (٢٤٢ القلم).

الصف كله ساجد وهو واقف، فينكشف ويفتضح ويظهر، فماذا يفعل؟! وأين يختفي؟! لا يوجد هناك مكان يختفي فيه إلا ظل العرش، وظل العرش محجوز من هنا، فمن لا يحجز من هنا فليس له مكان هناك، فأين يذهب وظل العرش ليس له مكان فيه؟! فيفتضح أمره، وتنكشف حقيقته، لأنه كان في الدنيا ينافق الخلق ويظن أنه بهذا النفاق - حاشا لله ﷻ - يضحك على الخلق وأيضاً على الحق، والله ﷻ لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء.

الإنسان كما وصفه الله ﷻ في القرآن وقال فيه: ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ (٥٤ الكهف) طبيعته يجب الجدل بالحق وبالباطل، يعرف أنه على باطل ويجادل ليثبت لغيره أنه

على الحق، ويوم القيامة يشهد على الإنسان الكرام الكاتبين والأرض التي يمشي عليها، فكل موضع من مواضع الأرض فيه كاميرات ربانية تسجل أعمال العباد التي تجري على ظهرها، فهنا في المسجد كاميرات تُسجل هذه الجلسة التي نحن جميعاً فيها كلها، وسنراها كلنا يوم لقاء الله، فكل ما يحدث على ظهر الأرض يسجل بكاميرات ربانية نورانية ذكية لا تستطيع الأعين البشرية أن تراها، لكن هناك سنراها.

فيرفض الإنسان هؤلاء الشهود ويقول: يا رب أنت حكمٌ عدل وأنا لا أرضى إلا بشاهدٍ من نفسي، فيشير الله ﷻ إلى اللسان فيصمت، ثم يأمر الجوارح فتنتطق وتتكلم: ﴿الْيَوْمَ نَحْتِمُّ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٦٥يس).

ماذا يقول الإنسان بعد ذلك؟! من الذي يشهد عليك؟! الذين معك: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ (٢١فصلت) كأن يكون راكباً مواصلة أو شيء من هذا القبيل ومد ولمس امرأة، فتأتي الجلود وتقول لقد لمس فلانة في اليوم الفلاني في ساعة كذا: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٢١فصلت).

الكل سيتكلم، العين ستتكلم، والأذن ستتكلم، والأنف سيتكلم، والأصابع ستتكلم، وكل عضو من الأعضاء يتكلم، فماذا يقول الإنسان بعد ذلك!؟!!

محبة الله للنائبين

لكن انظر إلى الرحمن الرحيم ﷻ، مع هذه الأمور كلها فمن رحمته ومن شفقتة ومن عطفه وحنانته، يعطينا الفرصة تلو الفرصة، فيقول حضرة النبي ﷺ:

(إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه، وأنسى ذلك معاملة من الأرض حتى يلقي الله وليس عليه شاهدٌ بذنب).

ما هذه الرحمة العظيمة؟ لذلك يجب أن نسارع دائماً ونقول: تبنا إلى الله، ورجعنا إلى الله، وندمنا على ما فعلنا، وعلى ما قلنا، وعزمنا على أننا لا نعود إلى ذنب أبداً، وبرئنا من شرور أنفسنا، وسيئات أقوالنا، وقبائح أعمالنا، وكل شيء يخالف دين الإسلام.

بهذه التوبة يصدر فوراً أمر من ذي الجلال والإكرام للجوارح بنسيان ما فعله الإنسان

وَيُحَى ذلك، وكذلك الكرام الكاتبين، وكذلك الأرض، الكل ينسى ما فعله العبد ويتم محوه!! هل يوجد رحمة أكبر من ذلك؟! أو أكرم من ذلك؟! فهذه رحمة أرحم الراحمين لهذه الأمة المرحومة؛ أمة رسول الله ﷺ.

فالله ﷻ اختار هذه الأمة على سائر الأمم، وهذا كان قبل خلق الخلق، وقبل خلق الأكوان، فقد روى في الأثر: أن الله لما خلق الأمم وهى أرواح قبل الأجسام والأشباح، وخلق القلم ليكتب أقدار الأمم، وأملاه الله ﷻ: اكتب يا قلم:

أمة آدم، من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى دخل النار، فكتب القلم، فقال الله: اكتب يا قلم: أمة نوح، من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى دخل النار، واستمر حتى قال أمة محمد، فهم القلم أن يكتب ما كتبه لكل الأمم، فناداه رب العزة ﷻ: اسكت يا قلم، فانشقَّ القلم من هيبة الله ﷻ، ثم قال له الله متفضلاً على هذه الأمة وعلينا أجمعين: اكتب يا قلم: أمة محمد؛ أمة مذنبَةٌ وربُّ غفور ((.

المجاهرون

وماذا عن الحساب الشديد والميزان العتيد؟

هذا للمجاهرين والعاصين في الدنيا، الذي يتباهى أنه عمل كذا وكذا من المعاصي، ويفضح نفسه وقد ستره ربه!! ويفضح نفسه بين خلق الله ويقول: أنا فعلت بالأمس كذا، وأنا فعلت في فلان كذا، وأنا فعلتُ في فلانة كذا، ويتباهى بذلك، مع أنها مخازي يجب أن يستر نفسه منها، ويتوب إلى الله ﷻ فوراً من فعلها وارتكابها!!.

أو من يظل على المعاصي والمخالفات ويسوّف في التوبة، ويقول: مازال الوقت طويلاً، والعمر طويل، وهل تعرف أنك ستعيش إلى أجل معين؟! فلو كان معك الميعاد والتاريخ المحدد فلا بأس!!، لكن كما قال رب العزة ﷻ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (٣٤ لقمان) .. فمن الذي يعرف أين يموت؟ أو متى يموت؟ وفي أي ساعة؟ وفي أي يوم؟ فالؤمن يجب أن يكون كما كان يقول سيدنا رسول الله لأصحابه الكرام، قال لسيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مثلاً:

{ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَأَعِدْذُ نَفْسِكَ فِي الْمَوْتِ }^٣
فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ:

{ إِذَا أَصْبَحْتَ، فَلَا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ }^٤

كن جاهزاً للقاء الله ﷻ، فالمؤمن دائماً جاهزاً للقاء الله سبحانه وتعالى.

وماذا يعني أنه جاهز للقاء الله؟

يعني مجهزاً بحقيته التي ستعبر الجمارك البرزخية، وتذهب للحياة الآخوية، وهي غير مسموح بها إلا إذا كانت كما يقول رب البرية ﷻ: ﴿ وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (٦٤٦ الكهف) لا يُسمح بغير ذلك هناك.

هل يُسمح لأحدٍ أن يأخذ معه هناك ألف جنيه؟ أو دفتر شيكات أو كيلوا ذهب؟!
أين يذهب بهذه الأشياء؟ يسلم هذه الأمانات للورثة! وما المسموح به؟

الباقيات الصالحات، وهذه حضرة النبي ﷺ قال فيها:

{ اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ، قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: التَّكْبِيرُ،

وَالْتَهْلِيلُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ }^٥

وأراجع حساباتي وملفاتي

المؤمن دائماً لا تمر عليه ليلة إلا ويراجع حساباته:

لا بد له من وقفة مع نفسه، مثلاً:

ماذا قلت؟ قلت كذا وكذا وكذا ...

وهذا الحساب جعلهم لا يكثرون من الكلام، لأنه يجاسب نفسه على الكلام ..

وكل كلمة لها حساب.

٣ مسند أحمد والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

٤ صحيح البخاري وابن حبان عن ابن عمر رضي الله عنهما

٥ صحيح ابن حبان ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري

حقوق العباد

الكلام إذا كان يؤلم الآخرين فلن تنفع فيه التوبة النصوح إلى رب العالمين فقط!

بل لا بد أن تذهب لمن تكلمت في حقه وتطلب منه السماح ليسامحك ،

لماذا؟ .. لأن هذا فيه حق من حقوق العباد!!

غششته في كيل أو في وزن، أو غششته في الصنف، أو غششته في الكلام!!

أو أخذت منه قطعة من الأرض .. أو نقلت الحد!!

أو أي شيء يتعلق بحقوق العباد

فلا بد أن أرجع لهؤلاء العباد وآخذ مخالصات منهم، ومحاضر صلح بيني وبينهم، لكي أنتهي من هذه المواقف! .. لا بد للإنسان أن يكون له كل ليلة على الأقل حساب ومراجعة لصفحاته التي تسجلها الجوارح والملائكة والأرض!! وهذه التوبة التي ذكرناها .. ربنا يوم القيامة سيقول هذا كما ورد بالحديث الشريف:

{ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، وَبَقِيَ الَّذِينَ عَلَيْهِمُ الْمَظَالِمُ، نَادَى مُنَادٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، يَا أَهْلَ الْجَمْعِ : تَتَّارَكُوا الْمَظَالِمَ وَتَوَابُكُمْ عَلَيَّ }^٦ وبالأثر: { يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ أَمَا مَا كَانَ لِي قَبْلَكُمْ فَقَدْ وَهَبْتُهُ لَكُمْ وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ فَتَوَاهَبُوهَا وَادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي }^٧

ولذلك كان سيدنا رسول الله ﷺ أهم وصية يُوصي بها أصحابه المباركين أن يخلصوا أنفسهم أولاً بأول من حقوق العباد المطالبين، فإياك أن يأتي أحدٌ يطالبك بحقه يوم القيامة.

وما أكثر المظالم في هذا الزمان، لأن الناس معظمهم يمشي على هوى نفسه، وجاهل بشرع الواحد الأحد، ويظن أن الدنيا لنفسه فقط، ونسي القوانين الإلهية التي سيحاكم ربنا سبحانه وتعالى بها العباد يوم التناد إن شاء الله.

٦ ابن أبي الدنيا (ق) وابن النجار عن أنس رضي الله عنه. جامع المسانيد والمراسيل
٧ ورد في إحياء علوم الدين والتذكرة في أحوال الآخرة على أنه حديث ولم أقع له على تخرج

بعد أن ينتهي الإنسان من الحساب وسيدخل الجنة والملائكة أخذته إلى الجنة ويشم رائحة الجنة ويرى قصوره وحوره في الجنة ينادي مناد الله ﷻ: من كان له مظلمة عند فلانٍ فليخرج، فتأتي المظالم، والمظالم تأتي في صورة معنوية، مثلاً: أنا رجل غافل ومفترط في حقوق ذوي رحمي وأعتقد أن لي عندهم حق، لكن كما قال حضرة النبي:

{ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخُلُقَ حَتَّى إِذَا فَرَعَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ: الرَّحْمُ هَذَا مَقَامُ الْعَاذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تُرَضِينَ أَنْ أُصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ فَهُوَ لَكَ }^٨

هذا الرجل كان قاطع لعمه فلان، وقاطع لابن عمه فلان، وقاطع لخاله فلان، وقاطع لابن خاله فلان بلا سبب، فيُستدعي لهذا الأمر، ولا توجد أسباب للقطيعة، فكلها واهية لأنها أسباب نفسية، يقول الله تعالى:

{ أَنَا الرَّحْمَنُ، وَهِيَ الرَّحْمُ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ }^٩

هل يوجد أحدٌ منا يحاسب نفسه على هذا الأمر؟! ننساه دائماً، والرحم هي التي تطالب كما أخبر حضرة النبي ﷺ.

أمر آخر يحاسب عليه ملك الملوك ﷻ، يقول فيه الله:

{ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطَعْمَتْكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ يَا رَبِّ: وَكَيْفَ أَطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعْمَكَ عَبْدِي فَلَانَ؟ فَلَمْ تُطْعِمَهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ }^{١٠}

وهل أنا مسئول عن ذلك؟ نعم، قال حضرة النبي ﷺ:

{ لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي يَبِيتُ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ }^{١١}

٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
٩ الحاكم في المستدرک وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٠ صحيح مسلم وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه
١١ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

أي لا يؤمن يعني إيماناً كاملاً، فنحن حتى يكون إيماننا كاملاً يجب أن نتحسس ظروف أهل كل شارع، وأهل كل محلة، وأهل كل بلد، وظروف إخواننا ...، حتى لا يلجأوا إلى أن يبيتوا جيع طاوئين ونحن آكلين هانتين.

ولذلك رجل من أصحاب حضرة النبي ﷺ :

ذهب إليه أخوه في الله ليطلب منه قرضاً لظروف أَلَمَّتْ به، فأعطاه القرض، ثم أخذ ينتحب ويبكي، فقالت له زوجته: لم تبكي وقد فَرَّجَتْ عنه؟!

فقال لها: لأني انتظرت حتى جاءني يطلب مني ولم أشعر به!!.

المفروض أنني لا أجعله يطلب، ولكن أشعر به، وأنظر ما يحتاجه، لأن هذا هو حال أهل الإيمان الصادق في عهد النبي ﷺ.

كذلك يعاتبني الله ﷻ إذا مرض أحد جيراني ولم أعدهِ:

فيجب أن أعوده وأزوره، وما مدي مسافة الجار؟ قال فيها حضرة النبي:

{ امشِ ميلاً عُدَّ مَرِيضًا }^{١٢}

الميل يعني اثنين كيلومتر إلا ربع، ميلٌ أمام بيتك، وميلٌ خلف بيتك، وميلٌ عن اليمين، وميلٌ عن الشمال!!

يعني أهل البلد تقريباً كلها، فإذا لم أزره يحاسبني رب العزة على ذلك:

{ يَا ابْنَ آدَمَ، مَرَضْتُ فَلَمْ تُعِدْنِي، قَالَ يَا رَبُّ: كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟

قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضٌ فَلَمْ تُعِدَّهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي

عِنْدَهُ؟ }^{١٣}

نحن جماعة المسلمين أهتنا الدنيا والمصالح والمشاكل عن القيام بهذه الواجبات نحو إخواننا المسلمين، وهي التي حذَّرَ حضرة النبي ﷺ من تركها:

١٢ الاخوان لابن أبي الدنيا

١٣ صحيح مسلم وابن حبان عن أبي هريرة

لماذا؟؟؟؟

لأنها حقوق !!!

والحقوق سيُحاسب عليها أهلها!!

وسيحاسب عليها رب العباد ﷺ ولا مفرّ منها.

وهي التي كانت تجعل الناس بينهم مودة وعطف ورحمة وأخوة، وكان الناس يتعاونون مع بعضهم.

لكننا تخلينا عنها في هذا الزمان!

ولذلك يريدنا الله ﷻ أن نرجع مرة ثانية لأصحاب حضرة النبي العدنان ﷺ ويقول لنا: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ :

المتقون دائماً يذكرون فيما جاء به المرسلون السابقون مثل سيدنا موسى من الكلام الإلهي الذي لم يُحرّف، ومع الكتاب المنزل الأخير الذي جمع الله ﷻ فيه كل ما أنزله على الأنبياء والمرسلين وهو القرآن الكريم.

فعلاج هذه الأحوال:

أن المؤمن يكون له ورد من القرآن الكريم يقرأه كل يوم ويتدبره ويتمعن ويفهم، ويقرأه بقلب فيه خشية لله ﷻ، فيتذكر الأعمال التي يُقبل عليها، والأعمال والأحوال التي يتجنبها حتى يخرج يوم القيامة كما قال الله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (١٠١ الأنبياء).

نسأل الله ﷻ أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، وجلاء حزننا، وذهاب همنا وغمنا، وأن يجعله أنيساً لنا في قبورنا، وشفيعاً لنا في حشرنا، ودرجات لنا في الجنة عند ربنا، وأن يُفقهنا القرآن والبيان....

وأن يجعلنا من أهل العلم والعمل، ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ
 عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا
 وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٢﴾ لَا
 حَزَنٌ لَهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
 هَٰذَا يَوْمَئِذٍ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٣﴾
 يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ
 كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا
 كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ
 بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
 الصَّالِحُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ
 عَابِدِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
 لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ (الأنبياء)

١٦: أهل سابقة الحسنى

اللوحة التي عندنا اليوم:

أنزلها لنا الحق ﷻ من كنوز اللوح المحفوظ على النبي ﷺ ليفك لنا ما فيها من ألغاز ورموز، تبين مقاماً تشتاق إليه القلوب الهائمة في الله، وتهفو إليه الأرواح السرمدية المتعلقة دوماً بحضرة الله، ونسأل الله ﷻ أن يُحققنا أجمعين بهذا المقام.

هؤلاء طائفة من الأمة، وهذا الصنف من الوجهاء عند الله، ومن العظماء في يوم الفرع الأكبر، ومن المقربين من حضرة رب العالمين، ومن أصحاب السعادة العظمى في جنة النعيم في جوار سيدنا محمد الرؤوف الرحيم ﷺ.

من هم؟ وما أوصافهم؟ وما بشرياتهم؟

علنا تُصيبننا نفحة من نفحات القدس الأعلى، فنمشي على هيئاتهم، ونقتدي بسيرتهم، فيلحقنا الله ﷻ بصحبتهم أجمعين:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾

الدرجات الوهية لأهل الخصوصية التي يجهزها لهم الله جل في علاه!

وهؤلاء أخذوها بفضل الله وياكرام الله وبتوفيق الله

لأنهم من البدء كانت لهم عناية أزلية من حضرة الله ﷻ سبقت لهم!!

يعني كان لهم سابقة، سابقة حسنى عند الله!

لنعرفنا الله ﷻ أن المقربين لا يقفون عند أعمالهم، ولا يتشبهون بأحوالهم، وإنما ينسبون كل فضلٍ نزل بهم أو حَفَّ بهم إلى صاحب الفضل وهو الله ﷻ:

﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (النحل: ٥٣)

السابقة حاکمة

فهؤلاء من الأزل القديم اختارهم الله ﷻ من يوم الميثاق الأول، كما قال ﷻ:

{ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ ﷻ قَبَضَ مِنْ طِينَتِهِ قَبْضَتَيْنِ قَبْضَةً يَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِيَدِهِ الْأُخْرَى ، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ : هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي ، وَقَالَ لِلَّذِي بِيَدِهِ الْأُخْرَى : هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَلَا أَبَالِي }^٢

ونحن والحمد لله كلنا من قبضة اليمين إن شاء الله، وليس يمين وشمال الله مثلنا، فكل ما خطر ببالك فهو هالك، فنزه الله تعالى عما خطر ببالك.

فكما قالوا: السابقة حاکمة، فلو أن واحداً من أهل الشمال جمعنا له كل العرفاء والحكماء والعلماء، وكتب كل الرسل والأنبياء، ومواعظ الواعظين، هل يُرحزحه ذلك عن الكفر طرفة عين؟! لا.

الأمر كله يحتاج إلى هذه السابقة، فنحمد الله على سابقة الحسنى التي كتبها لنا الله، وبعض الناس الذين يُضَيِّقُونَ فضل الله يقولون: هؤلاء أناسٌ مخصوصون، تسألهم: من هم؟ فيذكرون نوعاً معينة، وبعضهم يقول: هم الأولياء والصالحون، أفما نحن أولياء وصالحون!؟.

وبعضهم يقول: آل بيت النبي، ونحن كلنا آل بيت النبي، لأنه عندما سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ آلِ مُحَمَّدٍ، قَالَ:

{ كُلُّ نَفْسٍ }^٣

سيدنا الإمام علي عليه السلام وكرم الله وجهه وضَّح الأمر عندما نزلت هذه الآية قال: أنا منهم، وأبو بكر وعمر وعثمان وسعد بن أبي وقاص وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح كلنا من أهل هذه الآية.

وماذا يعني ذلك؟ قال العلماء: يعني كل المسلمين المسلميين داخلين في هذه الآية،

٢ مسند البزار والطبراني عن أبي موسى عليه السلام
٣ سنن البيهقي والطبراني عن انس رضي الله عنه

فضلاً من الله ﷻ، لأن الإيمان كله فضل، فالإيمان كيف أخذناه؟ وكم دفعنا فيه؟ وكم شهر سافرنا للحصول عليه؟! أو كم يوم!؟

أبدأً، ولكنه كما قال الله: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (١٧ الحجرات) هو الذي حبب إلينا الإيمان، وهو الذي زين به في قلوبنا.

وهو الذي كتبه أيضاً: ﴿ أَوْلَيْتِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ (٢٢ المجادلة) :

الذي كتبه هو الله ﷻ، والذي لم يكتب له رب العزة الإيمان في قلبه هل يستطيع أحد أن يُقرِّبه أو يجعله يُسلم أو يؤمن بالله؟! يقول الله لنبيه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٥٦ القصص).

هؤلاء القوم الذين سبقت لهم هذه الحسنى - وهي المنزلة الكريمة والدرجة العظيمة في التقى والإيمان - سيكونوا أصحاب الدرجة العظيمة في الدار الآخرة في المنازل العليا يوم لقاء حضرة الرحمن، وفي المنازل العليا في الجنان في جوار النبي العدنان ﷺ.

منح أهل السابقتي

هؤلاء القوم ماذا لهم في الآخرة؟

حدّد لنا الله بعض ما تتحمّله عقولنا وقلوبنا من المزايا التي خصّهم الله ﷻ بها: وأول مزية: ﴿ أَوْلَيْتِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ :

مبعدون عن نار جهنم وعذابها فليس لهم شأنٌ بها، ولكي يعطينا مؤشر أن هذا من فضل الله لم يقل: (أولئك عنها بعيدون) ولكن قال: ﴿ مُبْعَدُونَ ﴾ يعني هناك من أبعدهم عنها، وهو رب العزة ﷻ، وكيف يُبعدنا؟

﴿ وَكَرِهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ (١٧ الحجرات) يُبغض لنا الأعمال التي تُؤدي إلى هذا الطريق في دار الدنيا.

فأول فضل من المتفضل لهم أنهم يدخلون في إيواء الأمن الإلهي: ﴿ أَوْلَيْتِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (١٨٢ الأنعام) هؤلاء آمنين من هذه الأمور، وحضرة النبي يحكي لنا فيقول:

{ يُؤْتَىٰ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّوْنَهَا } ٤

جهنم تأتي يوم القيامة وتحدث فرعاً واهلاً لأهل الموقف وتزجر بصوتها فيجتو كل من في الموقف على ركبتيه من شدة الفزع، مم؟ من صيحتها . عندما يسمعون هذه الصيحة الكل يجثو على ركبتيه، وأين يكونوا هؤلاء القوم؟

﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ وهذه الميزة الثانية:

لا يشعرون بصوت جهنم، ولا فرع جهنم، ولا ينظرون إلى الشر الذي تكون الواحدة منه كالقصر، والتي تنطلق من جهنم، ولا الدخان الذي يخرج فيصيب أهل الموقف كلهم بزكمة، يخرج منها دخان يزكم أهل الموقف الجالسين في الموقف .

فهؤلاء بعيدون عن هذه الأمور، لأنهم في المنزلة العظمية والدرجة الكبرى عند الله ﷻ، أين يكونوا؟ ﴿ وَهُمْ فِي مَا آسْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ وهذه الميزة الثالثة، ولماذا جاء بها عامة؟ لأن كل واحد منهم له ما تشتهي نفسه، فمنهم من يشتهي القصور فيكون في قصور الجنة، ومنهم من يشتهي الحور فتكون حوله الحور، ومنهم من يشتهي الطعام والشراب، فيكون له الطعام والشراب، ومن يشتهي النظر إلى وجه الله فيحقق له الله مناه.

شهوات الحقائق الإنسانية

فالأجسام لها شهوة، والقلوب لها شهوة، والأرواح لها شهوة، فمن وقف عند الأجسام ستكون شهواته كلها حسيّة؛ نساء أو حور أو طعام أو شراب أو مساكن أو قصور أو بُسْطٌ أو نمارق أو ذرايى مبثوثة، فيكون كلٌ حسب شهواته فيكون فيها.

ومن كانت همته عالية، وجعل القلب هو الذي يتمنى، والجسم من ورائه يتعنى، حتى ينال ما يتمنى، فيتهدى.

ما شهوة القلب؟

أن يكون مع رسول الله: ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ

٤ صحیح مسلم والترمذی عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

وَأَلْشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩ النساء﴾ فيكون مع الأخيار والأطهار والأبرار.

وما شهوة الروح؟

النظر إلى وجه المنعم الفتح ﷺ، لأنها منه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (٢٩ الحجر) كل مناه أن يحظى بنظرة من مولاه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٣١﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة) ... فهّمه كله أن يحظى بوجه مولاه، أو يكون في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، أو يكون على منابر من نور قدام عرش الرحمن، أو يكون ممن يُعطيهم الله ﷻ على يد حبيبه ومصطفاه قدرًا من الشفاعة فيشفعه فيما سواه.

وكل واحد على قدر مناه وعلى قدر تقواه يكون تصريح شفاعته من الله على يد سيدنا رسول الله ﷺ، فمن يشفع في عشرة، ومن يشفع في سبعين، ومن يشفع في سبعمائة، ومن يشفع في سبعمائة ألف، ومن يشفع في اثنين مليون، وكل على حسب مقامه وتقواه وقدره عند مولاه ﷻ.

عطاءات المقرّبين

﴿وَهُمْ فِي مَا آسَأْتَهُتْ أَنْفُسُهُمْ خَلِيدُونَ﴾ :

آية جامعة، جمعت كل المنازل والدرجات، وكل العطاءات على حسب ما يتمناه المرء في هذه الحياة، ولذلك أمرنا الله بأن نصحب الصالحين وأصحاب الدرجات العُلا من العارفين، لماذا؟ ليُعلي همنا فلا يكون مقصدنا مقصد داني، ولكن مقصد عالي.

والله سبحانه وتعالى آلى على نفسه أن يُعطي لكل قاصدٍ قصده، ما دُمت أنت الذي قصدته فيعطيك، فتقول: لا أعرف غير ذلك، فلماذا لم تسأل؟ ... ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣ الحل) حتى عندما ندخل الجنة نحتاج إلى العلماء، قال ﷺ:

{ إِنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ لِيَحْتَاجُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَزُورُونَ اللَّهَ ﷻ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، فَيَقُولُ لَهُمْ: تَمَنُّوا عَلَيَّ مَا شِئْتُمْ، فَيَلْتَفِتُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ فَيَقُولُونَ: مَاذَا تَمَنَّى؟ فَيَقُولُونَ: تَمَنُّوا عَلَيْهِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا

يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا { °

أعظم منة ... وأعظم جزاءً ... وأعظم أجراً زرزز أن يدعو الله ﷻ أهل الجنة لزيارته، والنظر في جميل طلعه:

فمنهم من يذهب إليه بدعوة قدر كل سنة مرة من سنوات الدنيا، ومنهم من يذهب إليه بدعوة مرة كل أسبوع، ومنهم من يذهب إليه بدعوة مرة كل يوم، والدعوة تتوجه إلى صاحبها وحضرة النبي قرأها لنا، فقد وروي أن الملائكة إذا أتوا إلى المؤمن وهو في قصره يقولون لغلمانہ: نحن رسل الله فاستأذنوا لنا على ولي الله، فيدخلون ويسلمون ويناولونه كتابا فيه: من الحي الذي لا يموت الى الحي الذي لا يموت، عبدي قد اشتقت إليك فرزي.

دعوة من الله ﷻ:

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ (٢٥ يونس) فهي دار السلام التي فيها: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ (٤٤ الأحزاب) يتلقوا فيها السلام من السلام ﷻ، وهذا سبب تسميتها بذلك، لأن من فيها يتجلى الله ﷻ عليه بالسلام والتحية والتجلة والإكرام؛ لمن يُريد أن يخصهم بهذا الإنعام سبحانه وتعالى على حسب درجاتهم.

فعندما يذهب الواحد منا ليتلقى السلام، يقول له رب العزة: تمتى، أي ماذا تحب؟ وهو لم ير شيئاً في الجنة غير ما رآه، فيرجعون إلى العلماء فيقولون لهم: ماذا تمتى؟ فيخبرونهم ... فيحتاجون كذلك - حتى في الجنة - إلى العلماء وإلى العرفاء ليعرفونهم بالشيء الذي يليق أن يطلبوه من ملك الملوك ﷻ، فعندما يذهب الواحد منا إلى ملك الملوك سبحانه وتعالى ويقول له تمتى، فهل يقول له: أتمتى لحم طيرٍ مما يشتهون؟! لا يليق هذا الطلب بملك الملوك ﷻ، أو هل يطلب حورية؟! فهي عنده، وماذا يطلب؟

هناك طلبات أخرى روحانية نورانية قدسية معنوية لا نستطيع أن نبيح بها في هذه الحياة الدنيوية، ففيها ما لا عين رأت، ولا أُذُن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فهذه الأمور من نفس هذه الحالات، لا الأُذن تعقلها، ولا النظر يراها، ولا القلب يعقلها، ولا العقل يستطيع أن يقف عندها لأنها أشياء فوق العقول، وفوق طاقة القلوب، لأنها

٥ تاريخ دمشق لابن عساكر عن جابر بن عبد الله

خصوصيات من حضرة علام الغيوب ﷺ.

ففتحناج للعارفين هناك كما نحتاجهم هنا، ولماذا نحتاجهم هنا؟ ليعلوا عزائمننا ويرفعوا هممننا، تسأل أحد الناس ماذا تفعل؟ يقول لك: أفعل كذا وكذا وكذا، لأدخل الجنة، فهل تعبك هذا كله وعبادتك هذه كلها، وإخلاصك هذا كله لندخل الجنة؟! الدنيا كون، والجنة كون، فلماذا لا تكون همتك أعلى وتطلب ما عند المكُونِ ﷻ؟!

﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ (آل عمران) هذا غير الجنة، فنعيم الجنة للجميع، لكن ما عند الله للأبرار، فلماذا لا تجعل نظرك وهمتك على ما عند الله من النعم المعنوية النورانية القدسية الإلهية؟!

من الذي يعلمنا علُوُّ المهمة في هذا الشأن؟

الصالحون والعارفون الذين ورثوا هذا المقام من سيد الأولين والآخريين سيدنا رسول

الله ﷺ.

ولكي يُطمئنهم الله ﷻ ويطمئننا قال ﴿ وَهُمْ فِي مَا آسَأْتَهُتْ أَنْفُسُهُمْ خَلِدُونَ ﴾ :

يعني هذا النعيم لن ينتهي، لأنه لو لم يقل خالدون لقلنا من الجائز أن نتمتع سنتين أو ثلاثة أو أربعة ونخرج، لكن قال: ﴿ خَلِدُونَ ﴾ لتستريح النفوس وتقرُّ القلوب وتعلم أن هذا نعيمٌ دائمٌ فضلاً من حضرة علام الغيوب ﷻ.

الميزة الرابعة: ﴿ لَا تَحْزَنُ لَهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ ﴾ :

والفرع يوم القيامة سيكون كما وصفه الله وقال: ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج) الناس كلهم كأنهم سكارى من شدة الخوف والرهبة من رب العالمين ﷻ.

أما هؤلاء القوم فليس لهم شأن بهذا الفرع، ولا هذا الخوف، ولا حتى الفرع الأكبر في يوم القيامة، لماذا؟

لأن الملائكة تنزل لهم تستقبلهم وهم خارجين من القبور بعد النشأة الثانية فيستقبلوهم بالترحاب: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾

(النحل ٣٢) وسلام هنا يعني أمن، يعني أنتم لكم الأمن: ﴿ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل ٣٢).

عندما يرون أهوال القيامة وهم جالسون في ظل وارف الجنة، إن كان تحت ظل عرش الرحمن في الموقف، أو في شرفات القصور ينظرون: ﴿ عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ ﴾ (٣٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٣٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٣٥) خِتْمُهُمْ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (المطففين).

والفرع الأكبر عندما يدخل فريق النار وفريق الجنة، ويؤتى بالموت في صورة كبش ويذبح، قال ﷺ:

{ إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٌ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ بِلا مَوْتٍ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ بِلا مَوْتٍ، فَيَزِدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزِدَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا عَلَى حُزْنِهِمْ }^٦

عندما يسمع أهل النار (خلود بلا موت) يعني معناها أنهم لن يخرجوا منها: ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ (٤٨ الحجر) يقولون: يا ليتنا قلنا كلمة (لا إله إلا الله) ولو مرة واحدة: ﴿ رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ (١٢ الحجر) يعني لو قالوا: كلمة (لا إله إلا الله) ولو مرة واحدة.

الفرع الأكبر عند تطاير الصحف، وعند الميزان، وعند كل هذه الأمور، لكن هؤلاء القوم في أمانٍ منها لأن الله ﷻ أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف:

الميزة الخامسة: ﴿ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ وهي طمأننة الملائكة لهم، لأن الأمر العظيم أنهم يفرحون بفضل الله، ويذهبون إلى ما تشتهيبه الأنفس بفضل الله، وتتحقق آمالهم كلها بفضل الله ﷻ.

ومتى يكون هذا الكلام الذي ذكره الله؟

٦ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾:

في اليوم الذي سنطوي فيه السماء كطَيِّ السِّجْلِ للكتب، وهناك قراءة أخرى: "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ" السجل هو الكتاب، فعندما يفتح الإنسان الكتاب ويغلقه فهل هذا شيءٌ صعب أم سهل؟ سهلٌ جداً، فالله ﷻ يقرب لنا العملية ويقول لنا أن السماوات التي ترونها ذات القوة الجبارة والطاقة الهائلة والعوالم التي لا تُعد ولا تُحَد سيطوبها الله كما تطوي أنت صفحات الكتاب كلها.

وفي هذا اليوم: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ^ط وَرَزَوُا لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ﴾ (٤٨ إبراهيم) ما الذي يحفظ الأرض؟ الصالحون الذين يمشون عليها، ومن الذي يحفظ السماء؟ الصالحون الذين يستظلون بظلها، ولذلك إذا انتهى الصالحون فستقوم القيامة على الفور، فتبدل الأرض غير الأرض والسماوات، وتنتهي هذه وتنتهي تلك، قال ﷻ:

{ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ }^٧

يعني عندما تقوم القيامة فلن يكون هناك أحدٌ يقول الله!

وقبلها بقليل سيرفع الله العلم من صدور العلماء، ثم يُرفع القرآن من صدور القراء، وماذا بعد ذلك يا رسول الله؟ فقال:

{ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكُونَ الدُّنْيَا عِنْدَ لُكَعِ ابْنِ لُكَعِ }^٨

يعني كافر بن كافر، وهذا لم يحدث بعد والحمد لله، فهل هؤلاء يستحقون الأرض أو السماء أو هذه الخيرات؟ لا.

وبعد ذلك تقوم القيامة، ويطوي الله السماوات، ويبدل الله ﷻ الأرض، وهذا لحكمة عالية، من أجل عباده المؤمنين، لماذا؟ حتى لا تشهد عليهم الأرض لأنه بدلها، فإذا تبدلت فمن الذي يشهد؟! لا شيء، وهذا ليغفر الله لهم ويتوب عليهم، ويدخلهم:

﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ

يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣ الرعد).

٧ صحيح مسلم والترمذي عن أنس ﷺ

٨ المطالب العالية لابن حجر عن عمير بن نيار ﷺ

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ الإنسان قبل أن يتكوّن ماذا كان؟ لم يكن شيئاً مذكورا، وبعدها خلقه الله من نطفة أمشاج، فجعله سميعا بصيرا، وبعد أن تم تكوينه نزل إلى الأرض عريانا.

فسيكون نفس هذا الأمر هناك، سيُعيد الله تكوين الإنسان بعد أن أصبح ذرات في الأرض، نحن لو أننا فتحنا في التراب فلن نعرف تراب من هذا، ولا تراب من هذا، بسبب اختلاط التراب في الأرض، لأن المقبرة ربما يكون فيها عشرة أو خمسة عشر ميتاً مدفونين، فهل نستطيع أن نفرّق بين واحد وآخر؟! لا.

لكن الله ﷻ بقدرته وعظيم إرادته جعل لكل إنسان ذبذبات خاصة بترابه، فلا يختلط بسواه، وإن كان في نظرنا نحن لا نرى ذلك، ولكن هذا فعل رب العزة ﷻ.

وجعل في الإنسان مغناطيس موجود في أسفل العمود الفقري، وهذا لا يبلى، ولا يذوب، ولا تأكله الأرض، ولا يأكله السمك إذا مات الإنسان في البحر، فلا يستطيع السمك أن يأكله أو يكسّره أو يبتلعه، ولا تحرقه النار لو وُضع في النار، قال فيه ﷻ:

{ كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَبْلَى وَيَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجَبَ الدَّابِّ، مِنْهُ خَلْقٌ، وَفِيهِ يُرْكَبُ }^٩

وعجب الذنب هو الجزء الأخير في العمود الفقري في الإنسان والذي نسميه بلغتنا الدارجة (العُصْصُ) فلا يبلى، فهو مغناطيس رباني يجمع تراب الإنسان يوم يريد الله إعادته إلى الحياة كما كان، رأيتم ماذا يفعل المغناطيس مع الحديد والمسامير؟! كذلك نفس الأمر، كل واحد له مغناطيسه، وكل مغناطيس له جاذبية خاصّة، فلا يجذب تراب واحد آخر، وكل ذلك بقدره القادر ﷻ، وعظمة العظيم سبحانه وتعالى.

فيجمع التراب، ثم يُنفخ فتهبط الأرواح الى الأجسام التي كانت تسكن فيها، فيخرج الإنسان عريانا، هل منا من يأخذ ثوباً يلبسه عندما يخرج؟ أو هل يأخذ معه ما ليشتري من هناك ثوباً؟ لا يوجد مثل هذا الكلام: ﴿ كَمَا بَدَأْكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (١٢٩ الأعراف) ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (١٩٤ الأنعام) كل إنسان يخرج بمفرده، بدون عائلة ولا غيره، وماذا يلبس؟ قال ﷻ:

٩ مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة

{ أَوْلَ مَنْ يُكْسَىٰ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يَقُولُ : اكْسُوا خَلِيلِي ، فَيُؤْتَىٰ بِرِيْطَتَيْنِ بَيْنَاوَيْنِ ، فَلْيَلْبِسْنَهُمَا ، ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَسْتَقْبِلُ الْعَرْشَ } ١٠

وأول هنا - لتنتبها - يعني بعد رسول الله، لربما يقول الناس غير المنتبهين أن سيدنا إبراهيم قبل رسول الله، لا، إذا ذكر الأوليّة فيكون بعد رسول الله.

فإذا كان الإنسان من أهل الجنة فسيأتون له بثيابٍ من سُندسٍ خُضرٍ وإستبرق، فتنزل فتلبس فيه مباشرة، ولا تحتاج إلى تقصير أو تطويل أو أي شيء من هذا القبيل، والآخر - والعياذ بالله - يلبس ثياباً من قِطران.

ولا بد أن يتمايز الناس هناك ...، أما هذا فسيشرب شربةً هنيئةً مريئةً من حوض الكوثر ...، وإذا شربها يمكث الخمسين ألف سنة للموقف العظيم ... لا يشعر بظمياً ولا عطشٍ ولا جوع.

والآخر يشرب من ماءٍ كالمهل، يعني كالزيت المغلي، يشوي الوجوه من شدة حرارته، فما بالناس لو نزل البطن فماذا يصنع فيها؟!.

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ ﴾

هي الإعادة التي سيحققها لنا الله، فهذا وعد الله، ووعد الله لا يتخلف، ولا بد أن يتحقق، ولم يقل: وعيد، لأن الله لا يُخلف الوعد، وإنما من رحمته ومن كرمه يُخلف الوعد، يعني يتوعد جماعة بالنار لكن من الجائز أن يعفوا عنهم، أو يتوعد جماعة بالعذاب أيضاً وربما يسامحهم ويمحو عنهم هذا العقاب، لكن الوعد الذي وعده لا بد أن يفي به: ﴿ إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْوَعْدَ ﴾ (١٩٤ آل عمران) أي وعد وعده رب العزة فلا يُخلفه أبداً.

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ :

فهذا يبين لنا منزلة القرآن وعظمته عند الرحمن ﷻ، فأول كتاب كتبه الوهاب ﷻ في أم الكتاب هو القرآن، وبعده كتب كُتب الأنبياء الآخرين كالتوراة والإنجيل وصُحف إبراهيم وزبور سيدنا داود، والزبور يعني كتاب، ولكنه كتاب خاص بسيدنا داود.

فالله يقول: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾:

فما الكتاب الأول هنا؟ الذكر، والذكر هو القرآن، فهو الذي كُتب في أم الكتاب في اللوح المحفوظ أولاً: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّ حَكِيمٌ﴾ (الرغرف).

بعد ذلك كتبت باقي الكتب، وكتب فيها كلها قانون واحد ماشي في كل هذه الكتب: ﴿أَبِ الْأَرْضِ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾:

والأرض هنا هي أرض الجنة، والذي سيرثها الصالحون الذين أصلحوا ذواتهم وأعمالهم ونواياهم ونفوسهم لله ﷻ.

ومعها أيضاً أرض الدنيا، فإذا أصلح أهل الإيمان أحوالهم ملكهم الله ﷻ أرض الدنيا، ودانت الأرض بما عليها من ذول وشعوب لهم، والآية واضحة في القرآن: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وماذا يأخذون يا رب؟ ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (٥٥ النور) وليس في الجنة، وما معنى الخلافة؟ يعني الخلافة عن الله، وليست الخلافة التي يتنافس عليها المشاكسين ويقولون: الخلافة الإسلامية، لا، فنحن الخلفاء عن الله في أرض الله ﷻ.

يستخلفهم في الأرض ليُطبقوا شرع الله، وتعاليم الله، التي أنزلها على حبيبه ومصطفاه، كما استخلف الذين من قبلهم من الصالحين والأنبياء والمرسلين:

﴿وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (٥٥ النور) وهذا الوعد سيدنا رسول الله وعدنا أنه سيتحقق في آخر الزمان إن شاء الله، وبدت لوائحه تظهر في الأفق إن شاء الله، قال فيه ﷺ:

{ وَثُمَّلًا الْأَرْضُ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَيُسَلَّبُ الْكُفَّارُ مُلْكَهُمْ، وَلَا يَكُونُ مُلْكٌ إِلَّا لِلْإِسْلَامِ }^{١١}

وكما ورد بكتب التفسير كلها بمعاني مترادفة في تفسير قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨ الصف):

فإن الله تعالى إذا كان آخر الزمن أفنى جميع الملل والنحل ولم يبق إلا الإسلام ...

١١ مسند الروياني عن أبي إمامة ﷺ

وهذا على وشك أن يحدث إن شاء الله، لأن الله وعد النبي وقال فينا أمة النبي:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ (٢٨ الفتح)

وهل ظهر على الدين كله من عصر رسول الله؟ لا

فلا بد أن يأتي يوماً ويظهر دين ربي على سائر الأديان، كيف؟!

ليس عند الله كيف لأنه فعَّالٌ لما يُريد:

ما بين طرفة عينٍ وانتباهتها يُبَدِّلُ اللهُ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ

وأنتم ترون هذه البوادر وقد ظهرت:

فالأقوام الذين يتحدى بعضهم بعضاً ... يريدون أن يُوجِّحوا حرباً عالمية:

وهذه الحرب العالمية سيستخدموا فيها كل الأدوات الجهنمية التي اخترعوها لكي

يُبيدوا بها البشرية !!! كما يخططون

وبعد ذلك سيتنزَّلُ اللهُ ﷻ للمؤمنين بروح من عنده:

فتتحوَّلُ الإنتكاسة التي في صدورنا، والحزن الموجود في قلوبنا، والتفرقة الموجودة في

شعبونا، .. كل هذه الأمور سيزيلها رب العزة ﷻ، ويتجمَّعوا لِيُمْكِنَ اللهُ ﷻ لهم في

الأرض، وتكون الأرض كلها للإسلام وليس عليها إلا من يقول (لا إله إلا اللهُ محمدٌ رسول

الله).

﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ :

هذا الكلام الذي سمعناه الآن أفلا يُنعش الإنسان ويبعث فيه الأمل؟!

إن كان في الدنيا أو في الآخرة، وفي الآخرة سنرى ماذا جهَّز اللهُ لنا؟

وإن حيينا في الدنيا إن شاء اللهُ فماذا سنرى؟ كل هذا جهَّزه اللهُ لنا في هذه الآيات

من أجل سيدنا رسول اللهُ ﷺ.

وصلى اللهُ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ
يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (١٤ الحج)

١٧: جنات القرب

d d

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ﴾:

لو كان الكلام على الجنات التي في الدار الآخرة فقط كان أولى بالكلام أن يقول: إن الله سيُدخل، أو سوف يُدخل، للمستقبل، لكن الله يقول:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ ﴾:

يعني في الوقت والحين:

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ﴾:

والجنات من الدنيا، ومن دخل الجنة هنا نال المنى في الجنان العالية هناك، ومن جالس أهل الجنة هنا كان معهم على الأرائك في الدرجات العلى من الجنات هناك، وهذه الجنات أشار إليها سيدنا رسول الله ﷺ لمن يفقه فقال ﷺ:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: حَلَقُ الذُّكْرِ }^٢

وفي رواية أخرى:

{ مَجَالِسُ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَحَلَقُ الْقُرْآنِ }^٣

وفي رواية أخرى:

{ مَجَالِسُ الْعِلْمِ }^٤

فهذه الجنان العاجلة التي من دخلها يحظى بفضل الله وإكرامه بنعم روحانية إلهية

١ المنيا - العدوة - قرية العنبر ١٤ من محرم ١٤٣٨ هـ ١٥/١٠/٢٠١٦ م

٢ جامع الترمذي ومسنده أحمد عن أنس ﷺ

٣ الثاني والعشرون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أنس ﷺ

٤ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

عاجلة تجعله لا يحتاج إلى الزخارف التي في الجنات الآجلة.

فالمؤمن الحريص على بلوغ المراد يكون دائماً حريصاً على أنه طالما في الدنيا وفيه أنفاسٌ يتقلب في الجنان، إما جنة الذكر، حتى ولو كان بمفرده، لأنه لو ذكر بمفرده أيضاً أصبحت جنة، والملائكة تُحيط به من كل جانب:

{ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ فَضْلاً عَنِ كُتَابِ النَّاسِ، فَإِذَا وَجَدُوا أَقْوَماً يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيْنَا بُعِثْنَاكُمْ }

وإما في تلاوة قرآن ،،،

وإما في الصلاة على حضرة النبي وهي ذكر ...

وإما في مدارس العلم.

يُروى عن أحد العلماء الأفاضل، وكان من التابعين، وكان محبيه يطلبون منه أن يجالسهم بعد الصلاة، فيقول لهم: لي جلساء في انتظاري لا أستطيع أن أستغني عنهم، فذات مرة سأله أحدهم: من هم جلساؤك هؤلاء؟ فقال له: أجالس أصحاب رسول الله، قال: كيف؟ قال: في أحاديثهم وحكاياتهم ورواياتهم، فكيف أترك مجالسة أصحاب رسول الله وأجالسكم من أجل القيل والقال والغيبة والنميمة وما شابه ذلك؟!.

هذا حال المؤمن مع الله، إما أن يجالس الله فيقرأ في كتاب الله، ويتدبر في الآيات التي أنزلها علينا حضرة الله، أو يجلس بين يدي سيدنا رسول الله فيقرأ أحاديثه ويفقهها، ثم يشكر الله على هذه النعمة فيكثر من الصلاة والتسليم عليه.

ويستحضر أثناء ذلك أنه بين يديه من الصلاة الموصلة، وليس في حالة غيبة، ولكن في حالة استحضار، والإستحضر ينقلب إلى حضور.

وإما أن يجالس أصحاب النبي الكريم والأولياء والصالحين، ،،، فيذكر أقوالهم وأفعالهم لأجل:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبُّه بالرجال فلاح

وإما أن يجالس أهل العلم والخشية الأحياء، لأن الخشية تُكتسب من مجالسة أهل الخشية، وليس لها طريق غير هذا، فيكون الإنسان من أهل الخشية إذا جالس أهل الخشية. وإما أن يجالس الصادقين الذين جعلوا الدنيا بما فيها خلف ظهورهم، وأقبلوا بصدقٍ على رب العالمين خلف سيد الأولين والآخرين ﷺ.

وهؤلاء يُعبرُ أحدهم عن هذا الحال فيقول: ((إن لله جنةً عاجلةً من دخلها لا يحتاج إلى الجنة الآجلة، قيل: وما هي؟ قال: المعرفة بالله تعالى))

من يعرف الله يعيش في الجنة، لماذا؟ لأنه يكون دائماً حاله من باب: ﴿أَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ (فاطر ٣٤) سُبْحَانَ اللَّهِ عَنهُ دَائِماً، وَيُفْرَجُ عَنْهُ دَائِماً، ويعيش في راحة البال بالقرب من الواحد المتعال.

إذا جالس أو جانس أو آنس أي فردٍ أو جماعة وهم ليس عندهم في قانونهم ولا في جلوسهم غيبة أو نيمية أو قيل وقال، ولا حب شهرة، ولا رغبة في شُعبة، ولا إيذاء، ولا ازدراء لأحدٍ من المسلمين ...

فتكون مجالسهم ينطبق عليها قول رب العالمين: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ (الغاشية) ليس عندهم وقتٌ لهذا اللهو، لأنهم من البداية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون) أعرضوا عنه من البداية فكيف يخوضون فيه؟!..

فمجالسهم في الجنة، وأفعالهم وأقوالهم وأحوالهم كلها في الجنة، لأنهم يعيشون في الجنة المعجَّلة التي وصفها الحبيب ﷺ.

حتى الشيخ ابن تيمية رحمة الله عليه عندما سُجن ذهب إليه جماعة من أحبائه يزوروه فسألوه: هل أنت حزين هنا؟

قال لهم: لا، فجنني معي في صدري حيثما توجَّهتُ فهي معي.

الجنة معي بداخلي، وهي جنة الرضا عن الله، والإكثار من ذكر الله جل في علاه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة ١٥٢).

فمن يُرد أن يكون من أهل الجنان العالية الراقية يُعوِّد نفسه من هنا أن يعيش في هذه الجنة، ولا يترك الجنة طرفة عينٍ ولا أقل.

حتى ولو نام، ينام على الهيئة التي وصفها لنا الحبيب عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فكلنا ننام، لكن هناك من يؤذن لروحه أن تسبح في الملكوت الأعلى إلى قاب قوسين أو أدنى، وهناك من لا يؤذن لروحه فيبحث هنا وهناك في المشاكل والمشاكل والدنيا والملاهي والملاعب ويدخل الشيطان يخيفه والنفس تُخزنه، لأنه لم يتهيأ للنوم بما عرفنا وعلمنا سيدنا رسول الله ﷺ في النوم الذي يكون قربة لحضرة الله.

فحتى وهو في النوم ستسبح روحه في الجنان، ويُصبح في الصباح كما كان سيدنا رسول الله يفعل ذلك مع أصحابه الذين مشوا كلهم على هذا النهج إلا المنافقين، والمنافقون كانوا معروفين، فأصحاب رسول الله كانوا يعرفون المنافقين، لأن أحوالهم واضحة، وذكرها الله في القرآن.

كيف كانت أحوالهم واضحة؟ أحوالهم كثيرة في القرآن، لكن العلامة البارزة فيهم أنهم يراءون ويتظاهرون بأفعالهم أمام حضرة النبي، وهم جهلاء لأنهم غير مدركين أنه يرى بالله ﷻ.

أو يتظاهرون أمام صحبه الكرام، فيذهبون للصلاة معهم ويحضرون مجالسهم ظناً منهم أنهم يخادعونهم، والله ﷻ كذبهم فقال: ﴿تُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة) لأن الله مطلع ويرى، والأعمال بالنيات.

لكن الصادقين كان حضرة النبي في كل ليلة بعد صلاة الفجر يلتفت إليهم ويسألهم:

{ أَيُّكُمْ رَأَى اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟ }^٦

لأنه يعلم أنهم كانوا ساجدين في الملأ الأعلى، لماذا؟ لأنه لم يلوث يومه ولا ليلته بما يباعده عن الرُقي إلى حضرة الله، والسياحة في ملكوت الله جل في علاه: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأنعام) هل هو وحده؟ لا، بل وأهل الإيقان: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤَقِنِينَ﴾ (الأنعام) ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٦﴾ لَتَرُونَ الْجَحِيمَ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (التكاثر).

٦ تحاف المهرة ومسنند أحمد

فكانوا كلهم كذلك، ولذلك في التشريع حضرة النبي أقرَّ بعض التشريعات من رؤياهم المنامية، وأولها الأذان، كيف عُرف الأذان؟ رآه سيدنا عبد الله بن زيد وحكاه لسيدنا رسول الله، وعندما سمع سيدنا عمر الأذان أسرع وجرى على رسول الله وقال: والذي بعثك بالحق لقد رأيتُ مثل الذي رأي، وغيره وغيره، ما هذه الأرواح؟! هؤلاء يقول في أشباههم وأمثالهم الإمام أبو العزائم رحمته الله وأرضاه:

في الأرض أجسامهم والعرش قلوبهم صفت والله هاديها

جالسين على الأرض، ولكن أين القلوب؟ في عالم العرش، مرَّ سيدنا رسول الله بمسجده المبارك وكان الإمام عليُّ نائماً، ومسجد حضرة النبي في أطواره الأولى لم يكن فيه فرشٌ، لا يوجد غير التراب، فلما أرادوا أن يجددوه ذهبوا إلى وادي العقيق بجوار المدينة، وهو واد مبارك، والنبي قال فيه: { **العقيقُ وادٌ مباركٌ** }^٧، وجمعوا كمية من الحصى منه وفرشوا به المسجد، فسيدنا عليُّ كان نائماً، فأحد أصحاب النبي قال له: عليُّ نائم فهل أوقظه؟ فقال لهم ما معناه: { دعوه فعليُّ وإن كان جسمه على الثرى، إلا أن قلبه بالملاء الأعلى }، دعه ليشاهد، هؤلاء هل كانوا محتاجين لتلفزيوناتنا؟

وهل كانوا محتاجين للفضائيات التي نراها؟ ... لا !!

فهي لا تجلب لنا إلا البلاء والعناء والوباء، وهي السبب الرئيسي في ضياع البنات والأبناء في هذا الزمان الذي نعيش فيه ...

ما الذي جعل الأولاد كلهم يتخبطون في زماننا هذا؟ هذا البلاء الذي حلَّ بنا جماعة المؤمنين، لأن الذي صنعه الشياطين، ومن الذي يتحكَّم فيه؟ الشياطين، وجعلوه منفعة لهم فيستفيدوا من هذه المنفعة ويضلون به المؤمنون والعياذ بالله سبحان.

لكن هؤلاء في الليل في حضرة الملكوت الأعلى:

فمنهم من يأخذ سياحة في الجنة، ومنهم من يأخذ سياحة في اللوح الحفوظ ويقرأ منه بعض الرموز، ومنهم من يأخذ سياحة في سماء من السماوات ويقابل بعض الملائكة ويتعرَّف عليهم ويصادقهم ويستفيد منهم علوماً وأسراراً وأنواراً.

٧ تاريخ المدينة لابن شية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فهذا كان حال أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من الصالحين والأخيار والأطهار إلى يوم القرار.

كل ما في الأمر أنه جعل نفسه تعيش في الجنة على الدوام، والجنة كما قال الله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ﴾ وليست جنة واحدة،

بل جنات ومتنوعة.

﴿ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

أنهار المعارف، وأنهار العلوم، وأنهار الحكمة، وأنهار الكشف، وأنهار الحقائق ... أنهار لا عد لها ولا حد لها؛ من فضل الله ﷻ تُفاض على قلوبهم، ومن قلوبهم إلى صدورهم، وقد يخرج منها شيء من صدورهم على ألسنتهم لأحبهم إذا كان عندهم القوابل النورانية التي تعي هذا الفيض الذي أنزله الله ﷻ عليهم، أين هذا الكلام في القرآن؟ ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ (٤٩ العنكبوت) ليس آيات فقط، بل الآية ومعها البيان ومعها العلم، من أين أوتوا العلم؟

من عند العليم ﷻ، من باب: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (٢٨٢ البقرة) ومن باب:

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥ الكهف).

ما البداية هنا؟

أن يحفظ الإنسان نفسه من الغواية، ويحفظ نفسه من أهل الغواية، ودائماً لا يتنقل إلا من جنة إلى جنة، من جنة طاعة إلى جنة رضا إلى جنة علم إلى جنان القرآن إلى الجنان التي لا عد لها ولا حد لها في طريق الرحمن.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا أهلاً لذلك

وأن يزيدنا في ذلك، وأن يجعل أحوالنا كلها كذلك، ونسأل الله ﷻ أن يدخلنا هذه

الجنان بالروح والجسم والكل ظاهراً وباطناً

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ سُحُلُونَ فِيهَا مِنْ
 أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ
 فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهَدُوءًا إِلَى الطَّيِّبِ
 مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوءًا إِلَى صِرَاطِ
 الْحَمِيدِ ﴿الحج﴾

١٨: أهل النحلي

d d

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أعد لنا في الجنة ما لا عين رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والصلاة والسلام على مفتاح الجنة، وأول من يدخل الجنة؛ سيدنا مُحَمَّدُ القائل صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاسْتَفْتِحْ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أَمَرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ }^٢

من هو مفتاح الجنة؟

رسول الله ﷺ، لم يقل: لك أمرت أن أفتح، ولكن قال: (بك) يعني أنت المفتاح، فلو أن هناك مفتاح آخر لقال: لك أمرت أن أفتح، ولكن قال: (بك) يعني أنت المفتاح الذي جعله الكريم الفتح مفتاحاً للجنة والنعيم المقيم للمؤمنين أجمعين.

صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابه المباركين وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين وارزقنا يا ربنا جوار حضرته ﷺ أجمعين في دار النعيم.

سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، كان في مناجاة مع مولاه ﷺ، ونحن نعرف أن موسى كان كليماً لله: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (١٦٤ النساء) وليس معنى أن الله كلمه سيكون بكلامٍ ككلامنا، لا، فقد قال ﷺ:

{ لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الطُّورِ، كَلَّمَهُ بِغَيْرِ الْكَلَامِ الَّذِي كَلَّمَهُ بِهِ يَوْمَ نَادَاهُ، فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبُّ هَذَا كَلَامُكَ الَّذِي كَلَّمْتَنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى، إِتْمَا كَلَّمْتِكَ بِقُوَّةِ عَشْرَةِ آلَافِ لِسَانٍ وَلِي قُوَّةُ الْأَلْسِنَةِ كُلِّهَا، فَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالُوا لَهُ: صِفْ لَنَا كَلَامَ الرَّحْمَنِ، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَوْا

١ المنيا - مغاغة - مسجد أبو العزائم ١٥ من محرم ١٤٣٨ هـ ١٦/١٠/٢٠١٦ م

٢ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أنس ؓ

إِلَى أَصْوَاتِ الصَّوَاعِقِ تُقْبَلُ فِي أَجْلَى جَلَاءٍ يَسْمَعُونَهُ، فَإِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْهُ وَلَيْسَ بِهِ ٣

كان يسمعه بكل جوارحه، أي جعل الله كل حقائقه سمع، وليست الأذن فقط، لا بل العين تسمع والشعر يسمع واليد تسمع والرجل تسمع وكل أعضائه صارت مسامع لحضرة السميع ﷺ.

أعجز الناس

فينادي موسى ربه ﷻ ويقول له: يا رب من أعجز الناس؟ قال الذي يطلب الجنة بغير عمل، ويطلب الرزق بغير دعاء.

من العاجز؟ الذي يريد الجنة ويتكاسل عن الأعمال التي أمر بها رب الجنة، والتي تعطيه شهادة صلاحية أنه يستحق أن يكون من أهل الجنة: ﴿ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أُوْرثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣ الأعراف).

﴿ وَمَا رُبُّكَ بِظَلْمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٤٦ فصلت) لا بد أن ينال شهادة صلاحية، وكيف ينال شهادة الصلاحية؟ ينفذ ما طلبه منه الله، وينتهي عن النواهي التي نهى عنها مولاه، ويسير متابعا لحبيب الله ومصطفاه، فيكون بذلك استوجب دخول الجنة، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ومع ذلك سيعمل، لكنه لو نظر إلى أنه له عمل، وأنه يستحق على هذا العمل ثواباً أو أجراً، فيكون قد أخطأ القصد، لأن العمل لو وزنه ملك الملوك ﷻ بميزان العدل فأين عملنا الذي ينجيننا!!؟

لأن الأعمال - كما نرى في ركعتي الصلاة مثلاً - نجد التائهة والمفقودة كلهم يحضرون عند الصلاة، ومن يقرأ الفاتحة مكان التشهد، ومن يقرأ التشهد مكان الفاتحة، ألا يحدث ذلك؟! فعندما يحاسبنا يقول لنا: قلت لكم: ﴿ وَمَا أَمْرُؤًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (٥ البينة) تعالوا وزن هذه الأعمال بميزان الإخلاص، أين نذهب من هذا الميزان!!؟

٣ حلية الأولياء لأبي نعيم والبيهقي عن جابر ﷺ

معونة الله

لذلك يجب أن نعتقد تمام الاعتقاد:

أنا حتى لو عملنا فهذا نتيجة توفيق الله لنا، ومعونة الله لنا، وإمداد الله بالحول والطول لنا، فلو تخلت عناية الله ﷻ عنا فهل يستطيع لساناً فينا أن يذكر الله؟! لا، لأن الذي يحركه هو الله ﷻ، من الذي يُلهمه في الذكر؟ الله.

فنحن نحتاج دائماً إلى الدرس الذي يكرره لنا الله في كل ركعة من ركعات الصلاة لكي نستوعبه ونتبته له ونقوله كلنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥ الفاتحة):

فلو لم يعيننا على العبادة فهل يستطيع أحد منا على العبادة؟! لا، فالموضوع يحتاج إلى توفيق الله ومعونة الله ورعاية الله، وإمداد الله وقوة الله وحول الله، يمدنا به لكي نستطيع أن نعبد الله جل في علاه.

لو أخذ الله ﷻ ما شملنا به من رعايته، فما الذي يبقى لنا في العبادات؟! ليس لنا شيء غير السهو والنسيان والغفلة والذنوب والمعاصي، لكن الأشياء الطيبة كلها من ملك الملوك ﷻ، فهو سبحانه وتعالى يُتممها لنا.

فضل الله علينا

فلماذا يعطينا هذه العطايا العظيمة، ويترك غيرنا في الضلالة والغواية؟! لا، لأننا نعرف فضل الله علينا، ورحمة الله بنا، ومعزتنا عند الله تبارك وتعالى، خصنا نحن بهذه الألفاظ الحفية، وبهذه النعم الإلهية الوفية، عطيةً من عنده ﷻ، وخصوصية لنا لأننا آمنّا بالله، وصدقنا بحبيبه ومصطفاه، وكنا على قدرنا ننوي طاعته جل في علاه.

ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ لما وجد أن كثيراً من أصحابه ... مجتهدين ومجتهدين في العبادات: ... منهم من يقوم الليل كله، ومنهم الصائم على الدوام، ومنهم الذي لا يكل ولا يمل عن تلاوة القرآن، ومنهم من يكون لسانه رطباً بذكر الله على الدوام، فأراد أن ينبههم فقال:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَلَا أَنَا ،
إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ }^٤

وفي رواية أخرى:

{ إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ }^٥

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨ — سونس)

والمؤمن ينتبه لهذا جيداً، فمهما يجمع من الحسنات، ومهما يستكثر من الطاعات، ومهما يقبل على الله ﷻ بأصناف العبادات، إلا أنه يرى أن عناية الله أعظم، ولطف الله أكرم، ورحمة الله أكبر: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ (٢١ التور).

هذا حال المؤمنين المفلحين الصادقين، الذي رباهم عليه سيد الأولين والآخرين، المؤمن الذي يعيش في هذه الحالة فهل يغترّ على غيره؟! وهل يتكبرّ على أحدٍ سواه؟! وهل يظن في نفسه أنه خيرٌ من أحدٍ من خلق الله؟! لا، لأن معه الميزان الذي أنزله الرحمن، والذي وثّقه ووضّحه النبي العدنان ﷺ.

لكننا والحمد لله عرّفنا الله ما لنا عنده لكي نزيد في الثقة في الله، ونستكثر من طاعة الله، ونبتعد عن معاصي الله، وهذا فيه النجاح والسعادة لنا في الدنيا، والفوز والفلاح يوم لقاء الله ﷻ.

وصف الجنة

فالله ﷻ وصف لنا الجنة وصفاً تفصيلياً لنعرف أين نحن ذاهبون، وزاد بأن أخذ النبي ﷺ وأشهده على ما جهزّه لنا في الجنة، وراه رأي العين، فرأى كل شيء، كمن يريد أن يطمئن على جهاز العروس قبل الزواج.

فاطمأن على سكننا، وعلى مالنا في الجنة، وعلى مُتَعِنَا التي أوجدها الله لنا في الجنة، فأخذه الله سبحانه وتعالى ليريه مكانة المؤمنين في الجنان، فكأن الله قال له: يا مُجَدُّ أتدري لم

٤ مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
٥ معجم الطبراني عن طارق بن شريك رضي الله عنه

أرسلتُ إليك؟ لأريك جنتي لتشهد ما أعددتُ فيها لأوليائي، وأريك ناري لتشهد ما أعددتُ فيها لأعدائي، وأكشف لك عن جمالي، لتعلم أي منزَّة في كمالِي عن النظير والوزير والمشير، والصد والند، فرآه ﷺ بالنور الذي قوَّاه به مولاه إلهاً واحداً أحَدُ فَرْدٌ صمد، لا في شيء، ولا من شيء، ولا على شيء، ولا مفتقر إلى شيء، ولا محمولاً على شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١ الشورى).

وحتى أنه ذكر لأصحابه بعضاً مما لهم في الجنة، لكي يحقق لنا أن ما رآه حقٌّ عند الله، أيضاً كما روي في الحديث الصحيح لما تحدث النبي ﷺ في وصف الجنة فكان يقول لهم:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَنْفَاءً فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ
وَأَنَا أَصْلِي }^٦

فكان ﷺ يصف عن عيان، لا عن غيبة، بل ما يراه وما يُشاهده له مولاه، لأن الله ﷻ جعل له عياناً مضية قال فيها في الآيات القرآنية: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (١٠٨ يوسف) يدعو إلى الله علي بصيرة ﷺ، فذات مرة قال لهم:

{ وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفَنَائِهِ جَارِيَةً، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟، فَقَالَ لِعُمَرَ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ
فَأَنْظَرَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَكَ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا أُمَّي وَأُمَّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟ }^٧

انظر للطف النبوي، والحديث الأبوي، حديث شقيق فيه لطف، وفيه مداعبة من النبي صلوات ربي وتسليماته عليه.

وقال في بلال:

{ يَا بِلَالُ حَدَّثَنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمَلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ
فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: مَا عَمَلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَنْظَهْرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ
نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطَّهُورِ مَا كَتَبَ لِي أَنْ أَصْلِي }^٨

٦ البخاري ومسلم عن أنس
٧ البخاري ومسلم أحمد عن جابر
٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة

أخذ هذه المنزلة لأنه محافظ على الوضوء دوماً، فعندما يحدث يتوضأ، فإذا توضأ لا بد وأن يُصلي، وفيها حديث وإن كان ضعيفاً، ولكن تقويه الرواية الصحيحة، يقول فيه ﷺ عن الله ﷻ:

{ مَنْ أَحَدَثَ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ فَقَدْ جَفَانِي ، وَمَنْ تَوَضَّأَ وَلَمْ يُصَلِّ فَقَدْ جَفَانِي ، وَمَنْ صَلَّى وَلَمْ يَدْعُنِي فَقَدْ جَفَانِي ، وَمَنْ دَعَانِي وَلَمْ أَجِبْهُ فَقَدْ جَفَيْتُهُ ، وَلَسْتُ بِرَبِّ جَافٍ }

أنا عندي الرحمة والمغفرة واللطف والإكرام، ولكن أريد من الناس أن تقابلني بمثل هذا.

فضل الله على نبيه

فسيدنا رسول الله ﷺ كان من فضله عند ربه أن الله ﷻ وهو في الدنيا جاءه وهو في مكانه بكسوة الملوك كلها، فعندما كان مهاجراً للمدينة، ودخلها بعد سفر أسبوع، واجو كان حراً، ويحتاج الإنسان لتنظيف الجسد وتغيير الملابس من غبار الصحراء، والهواء الذي يأتي بالرمال.

وإذا به وهو داخل للمدينة يأتي إثنين من تجار المسلمين؛ سيدنا عبد الرحمن بن عوف وسيدنا الزبير بن العوام ﷺ، فقال له أحدهما: لا تدخل المدينة بهذه الهيئة، إني كنت في سوق من أسواق الشام، ورأيتُ ثوباً من أثواب الملوك يُباع، فقلتُ: هذا الثوب لا يليق به إلا رسول الله ﷺ، وها هو الثوب.

وجاء الثاني وقال: يا رسول الله وأنا في سوق بيت المقدس وجدتُ ثوباً من أثواب الملوك فقلتُ: هذا لا يليق إلا برسول الله وها هو، فأخذ النبي ﷺ الثوبان، ولبس أثواب الملوك، ودخل المدينة.

وفي هذا الوقت كانت قُرَيْشٌ جَعَلَتْ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ لِمَنْ يَأْتِي بِالنَّبِيِّ ﷺ، فأحدهم كان شاباً فتي من عائلة اسمها عائلة أسلم، جمع سبعين رجلاً من الشباب، وقال لهم: تعالوا نقبض على هذا الرجل وننال جائزة المائة جمل، ومعهم السيوف والرماح والخيول وقابلوا رسول الله ولم يكونوا يعرفوه، فبادره رسول الله ﷺ وقال له:

{ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا بُرَيْدَةٌ، فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، بَرَدَ أَمْرُنَا وَصَلَحَ، ثُمَّ قَالَ: وَمِمَّنْ؟. قَالَ: مِنْ أَسْلَمَ، قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: سَلِمْنَا، ثُمَّ قَالَ: وَمِمَّنْ؟ قَالَ: مِنْ بَنِي سَهْمٍ، قَالَ: خَرَجَ سَهْمُكَ، فَقَالَ بُرَيْدَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: فَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ بُرَيْدَةٌ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَأَسْلَمَ بُرَيْدَةٌ، وَأَسْلَمَ الَّذِينَ مَعَهُ جَمِيعًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ بُرَيْدَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَا تَدْخُلَنَّ الْمَدِينَةَ إِلَّا وَمَعَكَ لِيَوَاءَ، فَحَلَّ عِمَامَتَهُ ثُمَّ شَدَّهَا فِي رُمُوحِهِ، ثُمَّ مَشَى بَيْنَ يَدَيْهِ } ٩

فدخل المدينة دخول الملوك الفاتحين: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨ المناقون)

فسيدنا رسول الله ﷺ كان في شجاعته لا يدانيه أحد، حتى في موقعة حنين لما تركه الجيش، تقدم سيدنا رسول الله إلى الأعداء وقال لهم:

{ أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ } ١٠

وضرب لأصحابه مثلاً ذات مرة، فعن البراء بن عازب ؓ، قَالَ:

{ أَهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ ثَوْبُ حَرِيرٍ، فَجَعَلْنَا نَلْمُسُهُ وَنَتَعَجَّبُ مِنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنْعَجِبُونَ مِنْ هَذَا؟ قُلْنَا، نَعَمْ، قَالَ: مَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا } ١١

يعني وهو ينظر إلى قصور سعد ليطمئن عليها وجد في دواليبها مناديل أرق وأنعم من حرير الدنيا، لكي يعرفنا أن ما عند الله خير وأبقى لنا أجمعين.

منازل الجنان

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ﴾ :

ليست جنة واحدة بل جنات، منها جنة الخلد، ومنها دار السلام، ومنها عدن، ومنها جنة المأوى، ومنها الفردوس ... جنان لا عد لها ولا حد لها، يقول حضرة النبي ﷺ واصفاً

٩ الأنوار في شمائل النبي المختار

١٠ البخاري ومسلم عن البراء بن عازب ؓ

١١ البخاري ومسلم

نعيم طائفة واحدة من الأمة وهم الشهداء:

{ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }^{١٢}

وهذا للمجاهدين فقط، ولهم ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض، فما بالكم بالقانتين؟! وأين التائبين؟! وأين العابدين؟! وأين الصابرين؟! وأين الراضين؟! وأين الزاهدين؟! وأين المصلين؟! وأين الصائمين؟! فكل نوع من هؤلاء لهم نعيم لا ينفد عند ملك الملوك ﷻ في الجنة، ولذلك قال:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ﴾:

وليست جنة واحدة.

وتأخذ صنفاً آخر منهم: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ (٦٤ الرحمن) من يخاف من الله فكم له من الجنان؟ له أربع جنان، لأن الآية تقول بعد ذلك: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ﴾ (٦٢ الرحمن) وحضرة النبي وصفهم فقال:

{ جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا }^{١٣}

فالله ﷻ من إكرامه للمؤمنين جعل لكل مؤمن جنان لا عد لها ولا حصر لها، على حسب تقواه وعمله الصالح الذي يتقرب به إلى الله.

﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾:

وصف ما للمؤمن في الجنة في هذه الآية الصغيرة، وصف المكان والحلية التي يتحلَّى في هذا المكان، واللباس الذي يلبسه في هذا المكان، فالجنان تجري من تحتها الأنهار، والأنهار كما ذكرها الله في القرآن:

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ^ط فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ (١٥ النحل) والأربعة في مجرى واحد،

١٢ معجم الطبراني عن أبي مالك الأشعري

١٣ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس

ولا يختلط اللبن بالعسل، ولا العسل بالخمير، وخبز الآخرة غير خبز الدنيا، فخبز الدنيا تُغيب العقل، أما خبز الآخرة فإنها تُهيب الإنسان للتجليات والعطاءات التي يُفيضها عليه حضرة الرحمن ﷺ، ولذلك قال ﷺ:

{ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَثْبُثْ مِنْهَا، حُرِمَهَا فِي الْآخِرَةِ }^{١٤}

وهناك لا يقدر على تحمل التجليات الإلهية، ولا الخصوصيات الربانية إلا إذا سُقي من الخمرة الإلهية الجنانية التي جهزها الله ﷻ لعباده المكرمين المتقين.

حَلِيَّةُ الْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ

وما حليتهم هناك وما زينتهم؟

﴿ تَحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾:

والكلام في هذا الباب لا تتضمنه العقول، ولا تلحقه النقول، ولا يستطيع الإنسان التعبير عنه إلا كما قال حضرة الرسول ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَعَدَّ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }^{١٥}

لربما يظن أحد أن الحلي كآساور النساء هنا في الدنيا!، فالأمر ليس كذلك، وهل يلبس الرجال مثلما تلبس النساء في الدنيا؟ لا، فالكلام لا نستطيع ذكره ولا تفصيله ولا وصفه، لأن ذلك لا تطيقه عقول أهل الدنيا، لأن هذا نعيم الله ﷻ الذي جهزه الله للمتقين.

وما الملابس التي يلبسونها هناك؟ هي الملابس المحرمة عليهم في الدنيا: ﴿ وَرَبَّاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ ونحن نعرف أن الحرير محرّم على الرجال في الدنيا، فسيدنا رسول الله أمسك بالذهب والحرير وقال:

١٤ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

١٥ صفة الجنة لأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ أَجَلُ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ لِأَنَاثِ أُمَّتِي، وَحَرِّمَ عَلَيَّ ذِكْرَهَا } ١٦

وماذا ألبس؟

نلبس كما لبس حضرة النبي، كان خاتمه ودبلته من الفضة، فنلبس الفضة، لكن الذهب حُصَّ بالنساء، ونحن ممنوعين أن نتشبه بهن في هذا الباب.

بعض الناس يتساهل ويقول: ليس فيها شيء أن نلبس ولو دبلة من الذهب!! وآخر يقول: أنا ألبس خاتم من ذهب، حتى لو ذهبت إلى مكان وضاع مالي أجد معي مخرج، فأبيع الخاتم لكي أرجع لبلدي أو أقضي مصلحتي!! فنقول لهؤلاء: قال الله: ﴿ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْحَيْنِ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (١١٢ الأنعام) من أين أتيتم بهذا الكلام؟! كل هذا لأنك مُصِرٌّ أن تخالف رسول الله، وتُخالف ما جاء في شرع الله، وتلبس ما نهي عنه رسول الله ﷺ، مع أن الله قال لنا: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ (٥٤ النور) وقال: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (١٧ الحشر).

علامات أهل الجنة

هذه الجنة كيف نصل إليها؟ بعد الأعمال الصالحة التي عملناها والفرائض التي قمنا بها لله، جاء لنا الله بشيين مختصرين، وأي إنسان يستطيع أن يعملهما ويقوم بهما ليضمن الجنة العالية إن شاء الله.

العلامة الأولى: ﴿ وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ :

ما علامة أهل الجنة في الدنيا؟ ... وكيف نعرف أن هذا الرجل من أهل الجنة؟

لا يخرج من فيه إلا الكلم الطيب، موعظة، أو حكمة، أو نصيحة، أو توجيه سديد بطريقة سديدة، أو بكلام يُطمئن الخائف، أو كلامٌ يُذهب الجزع عن أهل الفزع، أو كلامٌ يُهدئ روع الخائفين، أو كلامٌ يُصير المنكوبين، أو كلامٌ يواسي أصحاب المصائب إن كان مصيبة الموت أو غيرها ... فلا يخرج من فيه إلا الكلم الطيب الذي يُوضع في ميزان حسناته عند ربه ﷻ.

ولذلك حضرة النبي في أكثر من حديث كان أهم شيء يُوصي عليه اللسان، فإذا حافظتُ على الفرائض وأزيد أيضاً في إحياء الليل، وأصوم بعض الأيام الفاضلة، وأتلو القرآن، ولكن لساني ليس له فرامل، كلما جلستُ في مجلس مع جماعة نقول: فلان كذا وفلان كذا، وهذه غيبة ونميمة، فأنا بذلك كالرجل الذي يتقاضى في اليوم عشرة آلاف جنيه ويصرف في اليوم عشرين ألف جنيهها، فيظل مديناً.

فأنا ما أحصله من العبادات لن يُعوضني كلمة واحدة غيبة في حق رجلٍ من عباد الله المؤمنين، لأنني مرهونٌ به، فلا بد أن يسامحني ولا بد أن يعفو عني، وإلا سأخذ من حسناتي، فإذا فويت الحسنات يقول لي: احمل عني سيئاتي، وهذا ما حدّرنا النبي ﷺ منه، وهذا الصنف الذي كثر في هذا الزمان، وهؤلاء هم المفلسون.

أصحاب رسول الله ﷺ كانت عبادتهم قليلة، ولكنهم كانوا متحكمين في اللسان بحيث لا يقع في عباد الله أبداً.

ذهب رجل لسيدنا أبي بكر لكي يحكم له في قضية، وسيدنا أبو بكر كان مُعيناً سيدنا عمر قاضي، فالقاضي لم يكن موجوداً فحكم مكانه، وبعد أن أنهى الرجل قضيته وخرج قابل سيدنا عمر، وقال له: كنت عند أبي بكر وعندي قضية كذا، وحكم بكذا، فقال سيدنا عمر: الحكم في هذه القضية كذا، فدخل الرجل - إن كان بعفوية، أو كان بجُبْثٍ ونفاق، فالله أعلم - على سيدنا أبي بكر وقال له: أنت الخليفة أم عمر؟! قال له: أنا الخليفة واعمل بما قضى به عمر.

كانوا موفقين، قضى على الفتنة في طرفة عين، فماذا يقول الآخر بعد ذلك؟! فقد إنتهت الفتنة، لماذا؟ لأنه عرف أن الرجل كان يبغى الفتنة، لأنهم كانوا ينظرون بعين السريرة المنيرة:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }^{١٧}

وكانت أحياناً تحدث بين الصحابة خلافات في الرأي، وفي المبدأ العام، لكن الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، أنا اختلفت معك فليس معنى ذلك أن أهاجمك، أو أشتمك،

١٧ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري

أو أخذ منك موقفاً، أو أخاصمك، أو أهجرك، لم يكن عندهم هذا الكلام، بل أنت لك رأيك، وأنا لي رأيي، والرأي يُحترم، والعلاقات لا تتأثر بهذه الكلمات.

كان هناك خلافاً في الرأي بين سيدنا خالد بن الوليد وسيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فذهب رجل لسيدنا خالد وقال له: أتدري ما قال فيك عبد الرحمن بن عوف؟ قال: وماذا قال؟ قال: قال كذا وكذا، قال: إن ما بيننا لم يبلغ ما ذكرت.

حضرة النبي علمهم أنه لا يجوز لأحدٍ أبداً أن يقع في أخيه، أو يُخطئ في حق أخيه، مهما كانت الظروف ومهما كانت الأحوال، وعلمهم أن كل مؤمن يجب أن يجعل في لسانه فرامل عالية، حتى لا ينطق إلا بالكلمات الغالية، التي تُحسب في صحيفة حسناته: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨٠ق).

كلمة واحدة قد تصنع حرباً بين عائلتين، أو بين قريتين، أو بين دولتين، كلمة واحدة تمتلك بها الزوجة وتكون حلالاً، وكلمة واحدة يبطل ما بينك وبينها وتكون محرمة عليك وهو الطلاق، ليعرّفنا قيمة الكلمة، ولا بد للمؤمن أن يكون عند كلمته.

لو نذرت نذراً، والنذر في أصله ليس فريضة، لكن أنت الذي فرضته على نفسك، فأصبح فريضة تُحاسب بها عند من يقول للشيء كن فيكون، ولا بد أن تُنفذ النذر كما قلته، ولا تتحایل، يعني مثلاً قلت: لو أكرم الله إبنی هذه السنة ونجح ودخل كلية الطب، فسأذبح خروفاً وأورّعه على الفقراء والمساكين، فلا بد أن تُنفذ ما قلته، يقول لك شخص: اعطي ثمن الخروف للفقراء والمساكين، لا يجوز ذلك، لأنك أنت الذي قلت وفرضت على نفسك، وسيحاسبك الله على الفرض الذي فرضته.

كل هذا ليعلمنا الإسلام أن المسلم لا بد أن يُفكر ويقدر قبل أن يخرج الكلام من فيه، الكلمة إذا لم تخرج من فيك أنت تملكها، فإذا خرجت من فيك ملكتك، فهل تعتذر؟ أو تأتي بفلان وفلان لكي يسامحك في الكلمة التي قلتها؟ ستضع نفسك في مشاكل لا عد لها ولا حصر لها، فما الذي يجعلني أقع في مثل هذا؟! ولذلك كان رجل من الصالحين يصف زماننا الذي نحن فيه فيقول:

((هذا زمن السكوت، ولزوم البيوت، وطاعة الله حتى الموت)) .

أفضل شيء في هذا الوقت الصمت، إلا إذا كنت تعرف أن كلامك سيكون في ميزان حسناتك، ورفعة في درجاتك عند الله ﷻ:

العلامة الثانية: ﴿ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ :

والهداية هنا آتية من الله، الإنسان الذي يعتمد على مولاه ودائماً يقرب باب حضرة الله يأتيه التوفيق والهداية من حضرة الله، فيهديه إلى الصراط القويم وهو الشريعة المطهرة والعمل بها.

وإن شئت صراط الحميد هو كتاب الله، لأنه هو الصراط الذي أنزله لنا الله لنمشي على هدايه.

وإن شئت قلت الصراط الحميد هو سيدنا رسول الله إذا تابعناه في كل ما جاءنا به من عند مولاه ..:

لأن الله قال لنا في شأنه في كتاب الله:

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ (١٥٣ الأنعام) :

فالإشارة هنا لسيدنا رسول الله، فسيروا خلفه، ولم يقل فسيروا عليه، لو كان الشرع لقال: فسيروا عليه أو على هدايه أو به، ولكنه قال: ﴿ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ فالإشارة هنا لسيدنا رسول الله، فهو الصراط المستقيم الذي تمشون وراءه ليكرمكم الله بالجنة العالية إن شاء الله.

نسأل الله أن يجعلنا من عباده الذاكرين، الشاكرين، الفاكرين، الحاضرين بين يديه في كل وقتٍ وحين، ونسأله ﷻ أن يجعل نطقنا ذكراً، وصمتنا فكراً، ونظرنا عبداً، ونسأله ﷻ أن يهدينا في الدنيا إلى الطيب من القول، وأن يأخذ بأيدينا لحسن متابعة الحبيب حتى يكون لنا من شفاعته نصيب، ونكون في جواره أجمعين في جنة النعيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا

لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ

بَهِيمَةٍ ۗ فَالْتَعَمِرُوا ۗ فإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ

فَلَهُ رَأْسُ السُّلْطَانِ وَنَشَرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿١٦﴾

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ

وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنْفِقُونَ ﴿ الْحَج ﴾

المخبتون

القرآن الكريم هو مائدة الله الممدودة للمؤمنين ...

يأكلون منها طعاماً شهياً يُحي القلوب، ويشربون منه شراباً رويّاً يجعل الأرواح تُحلق في سماء الكرم الفتح

ولذا ينبغي على المؤمنين أياً كان شأنهم أن يكون لهم دوماً حالٌ مع القرآن في كل يوم من أيام الدنيا، وكيفهم قول رسول الله ﷺ:

{ أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ } وقوله: { مَنْ شَعَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَنِ دُعَائِي وَمَسْأَلَتِي، أَعْطِيهِ أَفْضَلَ ثَوَابِ الشَّاكِرِينَ، وَإِنَّ فَضْلَ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ }^٢

لا توجد عبادة أبداً أفضل من تلاوة القرآن، ومن لم يقدر أن يتلو فليسمع، فالقارئ والسامع في الأجر شريكان.

والآيات التي نتناولها اليوم من سورة الحج أمر فيها الله ﷻ النبي ﷺ في أن يُبشر قوماً - نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين - سمّاهم المخبتين:

﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾

وماذا يبشرهم؟

- بالدرجات العالية والمقامات الكريمة في الجنة التي هيأها وجهزها لهم الله تعال.
- وبالنجاة يوم الفزع الأكبر يوم الدين.
- وبصحبة سيد الأولين والآخرين، ونوال شفاعته وجواره في جنة النعيم.

١ مسجد الرحمن . منشأة العماري . الأقصر ٥ من صفر ١٤٣٨ هـ / ١١ / ٥ / ٢٠١٦ م
٢ الحديث الأول: شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب عن النعمان بن بشير ؓ، والحديث الثاني: رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ ؓ مَرْفُوعاً

المخبتون

من هم المخبتون؟

المخبتون هم المتواضعون لله، وخلق الله ...

لأن الله ﷻ يحب من خلقه أن يتواضعوا لعظمته، وأن لا يدخلوا إلى حضرته وعليهم رداء الكبرياء، بل حذر وأنذر في حديثه القدسي:

{ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَارَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَدَفْتُهُ فِي النَّارِ }^٣

هل يوجد من هو أفضل من حضرة النبي؟ لا، فقد كانوا في غزوة بدر ثلاثمائة وأحد عشر أو ثلاثة عشر رجلاً، والكفار كانوا ألفاً، ولم يكن مع المسلمين أسلحة أو معدات، ولم يكن معهم غير فرسين إثنين فقط، وكانوا يسيرون على أقدامهم، لكن الله نصرهم: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (آل عمران ١٢٣) لماذا؟ لأنهم استغاثوا بالله، وتضرعوا إلى الله، وطلبوا المعونة من الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (الأنفال) استجاب لهم على الفور لأنهم كانوا في حالة تواضع وإخبات وتبتل وابتهال لله ﷻ.

وبعد فترة طويلة بعد أن فتح الله عليهم مكة، وبعد أن أصبح عددهم كبيراً، وكان الجيش أصبح إثنا عشر ألفاً ومعهم السلاح، وهم ذاهبون للطائف، وأثناء سيرهم قالوا لبعضهم: لن نُهزم اليوم من قلة، لكن الأعداء كان الطريق الذي عندهم بين جبلين، فقسّموا أنفسهم إلى فريقين على الجبلين ومعهم النبال، فعندما دخل جيش المسلمين أمطروهم بالنبال، ففر الإثنا عشر ألف رجل، ولم يبق إلا حضرة النبي ومعه نفر قليل، ولكي يرينا الله شجاعة هذا النبي ركب بغلته ودخل في وسطهم وعرفهم بنفسه وقال:

{ أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ }^٤

قال الله في هذه الآية:

{ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ } (التوبة) ٢٥.

٣ سنن أبي داود وابن ماجه عن أبي هريرة
٤ البخاري ومسلم عن الرء بن عازب

نعرف من هاتين الحادثتين أن من يُرد أن يقضي الله له كل شيء، ولا يبطئ في الإجابة في أي شيء، يتوجه إلى مولاه، ويكون خاشعاً خاضعاً متواضعاً ومتبتلاً لحضرة الله ﷻ ليعطيه الله ما يريد.

إذا صَلَّى لله يكون في هذه الحالة كذلك، لكن لو صَلَّى لله ويلبس جلباباً وعباءة من الصوف يريد من الناس أن تنظر إليه، وهل يوجد من يلبس مثله أو أحد مثله؟! ما لله ولهذا الكلام؟! قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }^٥

ينظر إلى القلوب ولا يبالي بالشكل، المهم ماذا في القلب: ﴿إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء) المهم في القلب أن يكون سليماً، وسليماً يعني خالياً من الأحقاد والأحساد والبغضاء والكُره والنفاق والصفات الرديئة التي تقطع العلاقات بينه وبين إخوانه من بني الإنسانية، لأنه لا بد أن يكون متواضعاً لله، ومتواضعاً مع خلق الله، ولذلك حضرة النبي ذكر الصفات التي ينبغي أن يكون عليها المؤمن فقال ﷺ:

{ الْمُؤْمِنُ أَلْفٌ مَأْلُوفٌ، وَلَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يُأَلْفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ }^٦

والفّ يعني يألف الناس، ويريد أن يجلس معهم، ويتكلم معهم، وهم كذلك يجوبون الكلام معه، والدردشة معه، وتوجد ألفة بينه وبين القوم، وهذا هو المؤمن.
أما من ليس بينه وبين الناس ألفة، فهذا مريضٌ بداء الكبر، وداء الكبر قال فيه حضرة النبي ﷺ:

{ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ }^٧

من كان عنده بعض ذرة من كبر فليس له شيء في هذه المكانة، ولكن لا بد أن يكون من: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان) متواضعين، يتكلم مع هذا، ويُلقي السلام على هذا، ويتبسم لهذا، ويجامل هذا، وهذه هي علامة بشاشة الإيمان.

٥ صحيح مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة

٦ مسند الشهاب والطبراني عن جابر

٧ صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود

بشاشة الإيمان

فمتى تكون بشاشة الإيمان قد خالطت الإنسان وظهرت على صدره؟

إذا كان ماشياً يُلقى السلام والبسمة على الدوام، ويؤانس المساكين، ويتفقد أحوال المرضى والمحرومين، وهي أحوال المسلمين التي حببنا فيها سيد الأولين والآخرين ﷺ، ومع ذلك لكل واحدة من هؤلاء أجر:

{ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ^٨ }

{ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ ^٩ }

فلماذا تركنا هذه البضاعة ومشينا عكسها؟! هل نمشي مع حضرة النبي أم نمشي عكس حضرة النبي؟! سبحان الله!! لماذا هذا يا مسلمين؟! عندما ننزل الشوارع حالياً فهل نجد الناس يمشون على هدي بضاعة حضرة النبي؟ لا، بل تجد منهم الحزين والعايب، لماذا؟! هل يوجد أسهل من الكلام؟! ولكن الكلام الذي ستأخذ عليه أجر من الملك العلام الذي يقول لنا فيه: ﴿ وَهُدًى إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ (٢٤ الحج) لا يخرج منهم إلا الكلام الطيب، حضرة النبي ﷺ يصف المؤمن فيقول فيه:

{ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّحْلَةِ لَا تَأْكُلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَلَا تَضَعُ إِلَّا طَيِّبًا ^{١٠} }

النحلة لا تقف إلا على زهور لها رائحة طيبة، ولا يخرج منها إلا طيب، أيضاً المؤمن كذلك مثل النحلة تجده في مجلس ذكر، أو مجلس علم، أو مجلس تلاوة قرآن، أو مجلس صلح بين متخاصمين، أو مجلس عمل برّ، أو مجلس فيه خيرٌ ومرحمةٌ .. فهذه مجالس المؤمن التي دائماً يبحث عنها.

وماذا يخرج منه؟

كلمة تُخفف عن منكوب، أو كلمة يواسي بها مريض، أو كلمة يجامل بها محزون .. هذا كلام المؤمن، لكن ممنوع أن يخرج من قاموسه كلمة تُوقع بين إثنين أو طائفتين، وممنوع

٨ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ؓ

٩ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي ذر ؓ

١٠ صحيح ابن حبان والنسائي عن لقيط بن عامر ؓ

أن يخرج منه سبٌ أو شتمٌ أو لعنٌ حتى ولو كان لحيوان.

وأدب الإسلام يعلمنا إذا دخلت بيت أخيك فادخل وأنت أعمى، لا تنظر هنا وهناك، ومع هذا تقول: بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله، حتى لو حدث شيء فتكون بريء من ذلك.

فالإسلام كله ذوقٌ رفيع، وأدبٌ بديع، فكانوا يقولون: إذا دخلت بيت أخيك فادخل أعمى، واجلس فيه أصم، لا تتصنّت ماذا يقولون، ولا فيم يتكلمون، حتى لا تخرج بعد ذلك وتقول: أنا كنت عند فلان وقالوا كذا وتحدثوا عن كذا، لكن تخرج من البيت وكأنك لم تسمع كلمة واحدة في هذا البيت، وهذا أدب الإسلام الذي علّمه لهم رسول الله ومشوا عليه.

وكان أحدهم وهو الربيع بن خيثم رضي الله عنه إذا طرق الباب تخرج له جارية فيغمض عينيه، لماذا؟ لأن الله قال: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ (٣٠ النور) فمن شدة الغضب يتهياً لها أنه أعمى، فتفتح له الباب على الفور، فكان يقول له سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ أَمَا لَوْ رَأَى مُحَمَّدٌ رضي الله عنه لِأَحَبِّكَ " ١١.

لماذا؟ لأنه يرى الصفات العظيمة التي كانت فيه، كان متواضعاً مع خلق الله ومع ذلك كان يخشى الله ويتقه في كل أنفاسه في هذه الحياه، وكلما رأى شيئاً يتذكر كلام الله وعظمة الله وجبروت الله فيرجع إلى نفسه ويلومها على ما قصرت في طاعة الله جل في علاه.

حتى أنه في يوم من الأيام مرّ في السوق:

والسوق فيه قسمٌ للحدادين، والحدادين كانوا موقدين النار ليحموا فيها الحديد، فعندما رأى النار تحرق الحديد وتلينه أغمى عليه ومكث أسبوعاً في هذا الأمر، وبعدها سأله وقالوا له: ماذا بك؟ قال لهم: رأيت النار تحرق الحديد وهذه نار الدنيا، فما بالكم بنار الآخرة: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨١ التوبة).

أوصاف المخبتين

الرجل الذي يريد أن يكون من أهل هذه البشريات ماذا يفعل؟ روضة بسيطة: هناك أربع صفات إذا اتصف بها المرء يُصبح من المخبتين الذين يبشرهم رسول الله، فعندما قال له الله: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ فليس الذين في زمانه فقط، بل من كان في زمانه، ومن بعد زمانه إلى قيام الساعة.

فيأتيه رسول الله في المنام ويبشره بما له عند الله ﷻ: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ (٤٧ الأحزاب) ألسنا من هؤلاء المؤمنين؟! نعم، فيأتي سيدنا رسول الله لبعض المؤمنين منا ويبشرهم، ولا حرج على فضل الله ﷻ، وقد قال ﷻ في ذلك:

{ مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ ، فَقَدْ رَأَى ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي }^{١٢}

وجل القلوب

فما أوصاف هؤلاء القوم لنكون مثلهم؟

﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ :

عندما يسمع أحدهم اسم الله من قارئ أو من عالم أو من أي إنسان يحدث له وجل وخوف وخشية في قلبه من الله ﷻ، فاسم الله لا يعبر عليه كأي اسم عادي، ولكن لا بد وأن يُعظّم اسم الله، فمن يُعظّم اسم الله فلا بد وأن يُعظّمه الله ﷻ.

أحد الصالحين اسمه بشر وكان في بغداد ، وكان ماشياً في يوم من الأيام، فوجد ورقة عليها اسم الله، فأتى بعطر وعطرها ووضعها في شق في جدار حتى لا يطأها أحدٌ بقدمه، وفي هذه الليلة رأى من يقول له في المنام: يا بشر طيّبت اسمنا فطيبتنا اسمك في الدنيا والآخرة وجعلناك من أوليائنا.

لأنه عظّم اسم الله، وطيّب اسم الله، فاسم الله لا بد وأن يكون معظماً، ولذلك نعجب من المؤمنين الذين استهتروا باسم الله ويقسمون به كثيراً ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ (٢٢٤ البقرة) فكلمة الله لا بد أن تُعظّمها.

١٢ صحيح مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة

فسيدينا رسول الله كان عندما ينطق بما يهتَز لها حتى الكافر والنافر، فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال:

{ قَاتِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَارِبَ حَصَفَةَ بِنَحْلٍ، فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ: غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ، حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟، قَالَ: "اللَّهُ"، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ أَخِي، قَالَ: أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَى سَبِيلَهُ، قَالَ: فَذَهَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ {^{١٣}

وفي رواية أخرى:

{ غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ نَجْدٍ، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاءِ فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا، وَعَلَّقَ سَيْفَهُ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْنَا فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاحْتَرَطَ سَيْفِي، فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُحْتَرِطٌ صَلْتًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ فَهُوَ هَذَا، قَالَ: وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ {^{١٤}

فكلمة الله ليست هينة، وسيدينا رسول الله يبين منزلة هذه الكلمة فيقول:

{ إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُعُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سِجِلًا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنْتَ كَرُمٌ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبُّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبُّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظِلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا

١٣ مسند أحمد والحاكم في المستدرک

١٤ البخاري ومسلم عن جابر ﷺ

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضُرْ وَزَنْتَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجِلَاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ، قَالَ: فَتَوْضَعُ السَّجِلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجِلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ ۝^{١٥}

لا يوجد شيء يستطيع أن يقف في الميزان مع كلمة الله، ولذلك يجب على المؤمن أن يقولها من داخله وليس من لسانه حتى تخرج معبرة عما في قلبه من الإيمان لحضرة الرحمن ﷻ، والكلمة إذا كانت من الفؤاد فإنها تشق أجواء الفضاء، وتفتح لها أبواب السماوات حتى تصل إلى العرش وتظل حوله تقول: الله الله الله إلى يوم القيامة، ويوضع ذلك كله في صحائف صاحبها.

إذا المؤمن أول شيء ينبغي عليه أن يتصف به ليكون من المخبتين أن يملأ قلبه بتعظيم الله وإجلال الله والخوف من الله والخشية من الله.

ولذلك العلماء مدحهم الله، وقال فيهم: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَخَشَوْتُهُمْ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (١٣٩ الأحزاب) وهذا حال المؤمن في كل زمان ومكان، لا يخشى إلا الله، ولا يخاف إلا مولاه ﷻ.

هل هناك تعارض بين هذه الآية والآية الأخرى التي يقول فيها الله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨ الرعد)؟ لا يوجد تعارض، لأنه إذا ذكر عظمة الله وجلال الله وكبرياء الله وقدرة الله حدث عنده خوف فأصبح من أهل هذه الآية، أما إذا ذكر إكرام الله وعفو الله وصفح الله ومغفرة الله وما ادخره الله للمؤمنين عنده فيطمئن فيكون من أهل الآية الأخرى.

فهذا حال وهذا حال، فالأول في حال الجلال، والثاني في حال الجمال، هذا في حال الخوف، والآخر في حال الفرح والسرور والطرب بفضل الله وكرم الله، والمؤمن يجب أن يكون معه الإثنين، فقد قيل: ((لو وُزن خوف المؤمن ورجاءه لاعتدلا)).

لا بد أن يكون هناك خوف ورجاء، لأن من خاف فقط قد يئأس من رحمة الله: ﴿إِنَّهُ

١٥ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف) ومن غلبه الرجاء كمعظم أهل هذا الزمان، قد يترك طاعة الله ويمشي على هواه، ويقول سيفعل الله بي كذا وكذا، وهذا أيضاً لا يجوز في حق المؤمن التقى النقي الذي يتابع سيدنا رسول الله صلوات ربي وتسليماته عليه.

الصابرون

﴿ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ ﴾ :

الله ﷻ جعل الدنيا دار بلاءٍ وابتلاءٍ، ولم يجعلها دار أجرٍ وجزاء، فلو كانت الدنيا دار أجرٍ وجزاء ما أعطى الله ﷻ الكافرين جرعة ماء، لكن عندما ننظر لأحوال الكافرين والجاحدين والمبغضين نجد معهم الأرزاق الحسية الدنيوية أكثر منا، لماذا؟ قال ﷻ:

{ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ }^{١٦}

لماذا سجن للمؤمن؟ ... لأن المؤمن معه تشريعات الله، ولا يمشي إلا بأمرٍ من كتاب الله أو بتصريحٍ من رسول الله، والآخر يمشي على هواه، فمثلاً: المؤمن لا يأكل إلا من بابٍ حلالٍ أباحه له الله، أو وضَّحه له رسول الله، لكن الكافر ليس عنده هذا المبدأ، فيأكل بالغش أو بالنصب أو بالخداع .. المهم أنه يعرف كيف يهرب من القانون حتى لا يتعرض للمشاكل التي تصيبه عندما يقع عليه طائلة عقاب القانون، لكن المؤمن يخشى الله فيسير بشريعة الله ... المؤمن إذا أراد أن يقضي شهوته لا بد أن يتزوج بطريقة شرعية إلهية ليُرْضَى رب البرية، لكن الكافر هل عنده ذلك؟ لا، فيعمل ما يريد وهي تفعل ما تريد ولا أحد يعترض على أحد.

إذاً جعل الله ﷻ الدنيا للمؤمنين دار بلاء، والآخرة دار عرضٍ وجزاء، وابتلانا الله ﷻ في الدنيا لكي نعود دائماً إلى الله، ونرفع أكف الضراعة إلى الله، فقد ورد في الأثر: أن فرعون موسى عاش أربعمئة عام لم يشك مرةً واحدةً من وجعٍ في رأسه، قيل: حتى لا يقول يا رب.

لكن المؤمنين غير ذلك، فالمرأة الصالحة في عصر حضرة النبي تزوجت رجلاً ومكثت

١٦ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة

معه فترة، ولم يحدث له شيء نهائياً، كأن يُصاب ببرد أو زكام، فقالت له: تعال نذهب للقاضي، فقال لها: لماذا؟ قالت لتقضي عنده مصلحة، وأثناء سيرهما تعرّث، فقالت له: هيا نرجع مرة ثانية، فسألها لماذا؟ فقالت له: أنت في الفترة الماضية لم يتذكرك ربك، وتذكّره رحمة، فاعتقدت أن الله غاضب عليك، ولن تنفع معيشتي معك، فلما رأيت أن الله تذكرك وتعرّثت قلت: الحمد لله تذكره لك رحمة، حتى نناجي الله ونرجع إلى الله، وندعوا الله ﷻ، وهذا في الدنيا، أما الجزاء في الآخرة قال فيه ﷻ:

{ يَوْمَ أَهْلُ الْعَاقِبَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ }^{١٧}

يتمنوا أن يكونوا من أهل البلاء لما يرون من حُسن حالهم يوم القيامة، يكفي أن الله قال فيهم: ﴿ إِنَّمَا يُؤِثِّرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠ الزمر).

الإنسان الذي يريد أن يعيش على شرع الله، وينفذ كتاب الله، ويتابع رسول الله؛ يحتاج إلى دواء صعب وهو الصبر:

ليستطيع تطبيق شرع الله، ونفسه لا تلعب به في هذه الحياة.

المسلمون الذي ضحكت عليهم أنفسهم في زماننا، ولا يرضى بما أعطاه الله من الأرزاق، ويُفكّر في السُّبُل التي نهي عنها الكريم الخلاق، وهي المصيبة التي حلّت بنا الآن، من الطرق الحرام، والغش والخداع والكذب، ولا يصبر على العمل بشرع الله ﷻ.

﴿ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ ﴾ :

فالصابرين هنا هم من يصبروا على العمل بشرع الله، والصبر عن المعاصي التي نهي عنها الله، والصبر على أداء الطاعات والعبادات التي كلفنا بها الله، وكل هذا يحتاج للصبر في الدنيا، فلا بد أن يكون للحياة الدنيا صبر على هذه الأمور.

إقامة الصلاة

﴿ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ ﴾ :

١٧ جامع الترمذي والبيهقي عن جابر ﷺ

واقامة الصلاة غير أداء الصلاة، واقامة الصلاة يعني أن يصلبها الإنسان بخشوع وحضور وإخلاص قصد بين يدي الله، لأن الله عندما مدح المؤمنين في سورة المؤمنون قال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (المؤمنون) والخاشع يعني الحاضر مع الله، فعندما يقول الله أكبر يرفع اليدين، فاليد الأولى تشير إلى الدنيا، واليد الثانية تشير إلى الآخرة، يعني يا رب الدنيا والآخرة خلف ظهري وأنت وحدك في وجهتي وفي قلبي، وجهه وجهه الله، فلا يتذكر شيئاً غير مولاه جل في علاه.

وكان السلف على هذه الشاكلة، ونحن لو جاهدنا سنكون إن شاء الله معهم لأن الله بشرنا وقال فينا: ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ (الواقعة).

الإنفاق

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ :

فإذا رزقه الله ﷻ من فضله لا بد أن ينفق، فإذا رزقه علماً يُنفق منه علماً لوجه الله لمن يريدون التعلم، وإذا رزقه الله ﷻ منصباً عليه أن يُوصل حاجات الفقراء والمساكين إلى المسئولين، لأن إنفاقه من جاهه.

وإذا رزقه الله جاهاً عليه أن يُنفق من الجاه بأنه يحاول أن يُصلح بين المتخاصمين، ويقرب بين المتباعدين لأن كلمته مطاعة ومسموعة، وإذا رزقه الله مالاً عليه أن يُنفق من هذا المال على الفقراء والمساكين، ولذلك قال الله: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ وليس من رزق الدنيا الحسي فقط، ولكن من هذه الأرزاق التي ذكرناها.

نسأل الله ﷻ أن يُخلقنا بهذه الصفات، وأن يُجملنا بأنوار هذه الآيات، وأن يجعلنا من أهل هذه البشريات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا
 يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٢٨﴾ أذِنَ لِلَّذِينَ
 يُقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ
 نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ
 دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ
 وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ
 الصَّوْمِعُ وَبِيعَ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ
 فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ
 يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣٠﴾ الَّذِينَ
 إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا
 الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿الحج﴾

٢٠: أهل نص الله-

d d

كل ما نحن في أمس الحاجة إليه ليمهد الله أحوالنا، ويصلح الله أمورنا، إن كان في أنفسنا أو في مجتمعنا:

أن نسمع إلى الله عند تلاوة كتاب الله، وأن نفقه هذا الكلام ثم نقوم به عاملين كما كان الصحابة والتابعين والأولياء والصالحين رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين.

الله ﷻ تولى بنفسه تدريس مادة الأخلاق، لم يتركها لنبي ولا لرسول، بل تولى بذاته تدريس الأخلاق لأن بها الوصول إلى الكمال وبلوغ منزلة الرجال، وأن يصير الإنسان منظوراً بعين الواحد المتعال ﷻ.

س الخيرية

وبين الله ﷻ أن سر خيرية الحبيب، وبالتبع خيرية أمة الحبيب تكون في قوله ﷻ في شأن الحبيب: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤ القم) لا بالعبادة، ولا بالزهادة، ولا بسهر الليل، ولا بالأدكار، وإنما بالأخلاق التي أثني عليه بها العزيز الغفار ﷻ.

وأشد الأخلاق التي تحتاج إلى جهاد من المؤمنين لينالوا درجة الصالحين؛ تحمل الأذى من الخلق، وهذا هو الدواء المر الذي من تجرعه وصبر عليه صار من الصالحين إن شاء الله رب العالمين، فسهل على الإنسان أن يجي ليلة في الصلاة لله، أو في تلاوة كتاب الله، وسهل عليه أن يصوم أياماً متتابعة لله، لكن الصعب عليه أن يسيء إليه إنسان ويضبط نفسه ويمسك أعصابه ولا يرد عليه، لأن الشيطان يستفزه، والنفس تتحرك، وربما الخلق في هذا الزمان - لأنهم ليسوا كأصحاب النبي العدنان - يُضافوا إلى المحركين، فيقولون له: لماذا أنت ساكت؟ لماذا لا ترد؟ وأصحاب رسول الله لم يكونوا هكذا، ولكنهم كانوا يطفنون النار، ولا يزيدون النار اشتعالاً كما يحدث في هذا الزمان مع إخواننا المسلمين.

فالله ﷻ طمأن قلوب المؤمنين الصادقين والصالحين وقال لهم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ :

وهذا البيان النظري سيدنا رسول الله كان يطبِّقه في الورش العملية مع صحبه الكرام، فكل آية من كتاب الله بيان من حضرة الله، والشطارة والمهارة في أني أطبقه في الحياة العملية.

يقول سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه:

{ أَنْ رَجُلًا شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ، وَالنَّبِيَّ ﷺ جَالِسٌ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَغْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدًّا عَلَيْهِ بَغْضَ قَوْلِهِ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَغْضَ قَوْلِهِ، غَضِبْتَ وَقُمْتَ؟! قَالَ: إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَغْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَتَقَدَّمَ مَعَ الشَّيْطَانِ }^٢

هذا الرجل لم يُوقر وجود سيدنا رسول الله، وأخذ يسب سيدنا أبو بكر سباً وشتماً وما شاكل ذلك، وكان هذا الرجل قريب عهد بالجاهلية، وكانت هذه طباع الجاهلية وكانوا لم يفتطموا منها بعد، لكن نحن والحمد لله ليس لنا شأن بالجاهلية.

فلما أكثر الرجل أراد سيدنا أبو بكر أن يرد عليه، فلما رآه الرسول ﷺ تحفّز قام من المجلس.

فلو عملت بهذه الآية، ورقاك الله ﷻ إلى مقام الكرام أهل هذه الآية سيقيض لك في كل زمان وفي أي مكان من يدافع عنك بأمر الرحمن ﷻ، فلن تحتاج إلى الدفاع عن نفسك، لأنه يوجد من يدافع عنك وهو أولى وأكرم، وهذا الكلام مجرّب ويعيش فيه الصالحون في كل زمانٍ ومكان.

سترد عن نفسك، سيكلك الله إلى نفسك، وتدخل فيما كره فيه رسول الله ﷺ، ولو أن أحداً سلط عليّ واستفزني ورددت عليه، فماذا يكون حالنا؟

٢ مسند أحمد والشهاب عن أبي هريرة رضي الله عنه

اسمع الحبيب ﷺ وهو يقول:

{ الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ }^٣

عندما يسب رجل آخر، والآخر يرد عليه، أصبح هذا قد ركبه الشيطان، والآخر ركبه شيطان، فيكونان شيطانين أمام بعضهما، فهل ترض لنفسك هذه المنزلة؟! أنت الذي جعلك الله خليفة عنه، ووارث عن حضرة نبي الله ومصطفاه، وطامع أن تكون من عباد الرحمن.

من صفات عباد الرحمن النواضع

فما صفات عباد الرحمن؟

الصفة الأولى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان ٦٣) هونا يعني متواضعين ليس عندهم كبر، لأن مشية الكبر هي عنها الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (القمان ١٨) وأمرنا بالقصد: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ (القمان ١٩) حتى الكلام والمشي علمه لنا الله في كتاب الله، ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ (القمان ١٩) إياك أن ترفع صوتك، كما يحدث في زماننا، لماذا؟ ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (القمان ١٩) المؤمنون كلامهم همس، لا أحد يسمعه من هنا أو من هناك، فلماذا ترفع صوتك؟ مادام من تكلمه يسمع الكلام، فما الداعي لهذه الدفعة الشيطانية، والإستفزازة النفسية التي أخرجتك عن الآداب القرآنية، وحرمتك أن تكون من أهل الخصوصية لرب البرية ﷻ.

العفو والصفح

الصفة الثانية: ﴿وَإِذَا حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان ٦٣).

وبعد ذلك: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (الفرقان ٦٤) إذا قبل العبادات والقربات يجب أن تملك زمام النفس، وهو الأمر الذين كان يتنافس فيه أصحاب النبي الكريم والصالحين في كل زمانٍ ومكان.

٣ مسند أحمد وابن حبان عن عياض بن جمار

الإمام علي عليه السلام كان سائراً، فسلط عليه نفر رجل يمشي خلفه ويشتمه، والإمام لا يريد أن يُدبِّي نفسه لهذه المنزلة، فظل هكذا حتى اقترب من البيت، ثم التفت إليه وقال: يا هذا إن كان عندك شيئاً آخر فهاته قبل أن يسمعك أحد أولادي فيرد عليك ويؤذيك، فالرجل أخذ وتاب وأتاب، ومن كانوا يدفعوه كانوا ماشيين خلفه، فذهبوا للإمام علي وقالوا له: رأينا اليوم عجباً، هذا الرجل قال كذا وكذا وأنت لم ترد؟! فقال الإمام علي:

يخاطبني السفية بكل فُبح فأكره أن أكون له مجيباً
يزيد سفاهاً وأزيد حلماً كعودٍ زاده الإحراق طيباً

مثل عود البخور كلما زادت النار كلما كانت الرائحة أحلى، من أين أخذها سيدنا الإمام علي؟ من وصف الحبيب الأعظم عليه السلام، لأن سيدنا رسول الله كان من أوصافه التي نزلت في التوراة:

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِزْبًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي
وَرَسُولِي سَمِيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ يَفْظُ، وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا سَخَابٌ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ
بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ }

فكانت أخلاق رسول الله، والشواهد في حياته أكثر من أن تُعد في هذا المجال، كان آية في العفو والصفح، وعلم الله صديقه الأعظم في كتاب الله كما علمه هنا أن لا يدافع عن نفسه، وعلمه كذلك أن يصفح عمن أساء إليه وشنع على ابنته الطيبة البرّة الكريمة أمنا عائشة زوجة النبي عليه السلام:

هي الأخلاق أسرار المعالي تفاض على أولي الهمم العوالي

من أراد أن يُخرجه الله يُفيض عليه هذه الأخلاق:

فالنبي عليه السلام ذهب إليه رجلٌ من اليهود في المدينة وهو زيدُ بنُ سَعْنَةَ كان قد أقرض النبي تمراً لأجل معين، يقول هذا الرجل:

{ فَلَمَّا كَانَ قَبْلُ مَحَلِّ الْأَجْلِ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةٍ

٤ صحيح البخاري ومسنَد أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ دَنَا مِنْ جِدَارٍ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَأَخَذَتْ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ بِوَجْهِ غَلِيظٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلَا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِمَطْلٍ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ، قَالَ: وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَأَنَّكَ الْمُسْتَدِيرُ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ وَقَالَ: أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ، أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَسْمَعُ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا أَرَى؟ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، لَوْلَا مَا أَحَادَرْتُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسِنْفِي هَذَا عُنُقَكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَثُودَةٍ، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّا كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّبَاعَةِ، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ غَيْرِهِ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ " قَالَ زَيْدٌ: فَذَهَبَ بِي عُمَرُ فَقَضَانِي حَقِّي، وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ؟ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رُعْتِكَ، فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لَا، فَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْتَةَ، قَالَ: الْحَبْرُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، الْحَبْرُ، قَالَ: فَمَا دَعَاكَ أَنْ تَقُولَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا قُلْتَ، وَتَفْعَلَ بِهِ مَا فَعَلْتَ، فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ كُلُّ عِلَامَاتِ التُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَحْتَبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ جِلْمُهُ جَهْلُهُ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا جِلْمًا، فَقَدْ أَحْتَبِرْتُهُمَا، فَأَشْهَدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا ۝ .

ومشى على هذا النهج أصحاب النبي الكرام ... سيدنا أبو بكر ﷺ وأرضاه، كان عنده ابن خالته رجلٌ فقير اسمه مُسطح بن أناة، وكان سيدنا أبو بكر هو الذي ينفق عليه وقائم بكل طلباته، هذا الرجل عندما شنع المنافقون على السيدة عائشة بالغ معهم في التشنيع عليها، وهي بنت ابن خالته، والقائم بكل نفقاته، فسيدنا أبو بكر قال: لن أعطه

٥ صحيح ابن حبان والحاكم عن عبد الله بن سلام ﷺ

شيئاً بعد اليوم، وعندما نزل القرآن في براءة السيدة عائشة، قال له الله: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور ٢٢) النبي قرأ الآية، فقال سيدنا أبو بكر: بلى يا رب أحب أن تغفر لي، وزاده، وقال: لا أقطعها عنه ما دُمتُ حياً، وفي رواية أنه زوجه، وبعد أن كان يعطيه جزءاً أعطاه الضعف لأن الله هو الذي طلب منه أن يعفو ويصفح .. وورد أنه أعطاه بأثر راجعي كما نقول

الأخلاق القرآنية

نحن في مجتمعنا الآن في أمس الحاجة إلى هذه الأخلاق القرآنية فيما بيننا، لأنه زادت المشاكل، وزاد الهم، وزاد الغم، وأصبح المسلم لا يتقبل كلمةً من مسلم، والبعض يستغل الآية القرآنية التي نزلت في الكافرين فيستخدمها في غير موضعها مع المسلمين والتي تقول: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة ١٩٤) هذه الآية نزلت في الكفار، لأنه لا يوجد مسلم يعتدي على مسلم مهما كانت الأحوال لأنه أخ له: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات ١٠) فهل يعتدي أحدٌ على أخيه؟!..

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ :

هذه الآية لها قراءة أخرى، لأن حضرة النبي ﷺ أنزل الله عليه القرآن على سبعة أحرف: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من يؤمن بالله ويوثق علاقته بالله سيدفع الله عنه كل بلاء وكل هم وكل غم وكل كرب وكل شدة، ويكون في عناية الله ﷻ على الدوام. وإذا حدث له أمرٌ من هذه الأمور فله بابٌ مفتوح: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق).

فالله ﷻ يدفع عن المؤمنين، إذا تمالأ الكافرين عليهم كما تمالأوا على المسلمين في هذا الزمان، فهل يقدرّون على رب العالمين ﷻ؟! لا، حاشا لله سبحانه وتعالى، ولا يقدرّون على جنده سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (المدثر ٣١).

جنود لا تُعد ولا تُحَد، مثلاً عندما طغى النمرور لقوة جيشه، وأراد أن يفعل في سيدنا إبراهيم الأفاعيل، سلط الله عليه جندي كلنا لا يبالي به، سلط عليه ناموسة دخلت في أنفه، وظلّت سائرة حتى وصلت إلى مخه، كيف يُخرجها بعد ذلك؟! فأحسّ بديبب وألم شديد في

رأسه، فهداه فكره - ليجعله الله عبرة لمن حوله - أنه لا يذهب هذا الألم إلا إذا ضربه جُنْدُه بنعالهم، فكانوا يضربونه بالنعال ليسكن هذا الألم، ليكون عبرة.

فالله ﷻ يدفع عن المؤمنين كل أمر ...

ولكنه يحتاج منهم أن يُوثِّقوا علاقتهم بالله، ويقوُّوا رابطة الإيمان في قلوبهم بحضرة الله، ويتوكلوا على الله ﷻ في كل أمورهم على الدوام: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٣الطلاق) وحسبه يعني يكفيه، فمن يتوكل على الله ويُحسن التوكل يكفيه كل هم، ويخرجه من كل غم، ويُفَرِّج عنه كل شدة، ويعيش في الدنيا كأنه في النعيم المقيم في جنان وارفة، لأنه في رعاية الله وعناية الله جل في علاه.

صفات لا تحبها الله

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ :

عندما يقول الله أنا لا أحب هذه الصفات، فهل يصح لأحد من المؤمنين أن يتمسك بصفة منها؟ ويتخلَّق بها ويتعامل بها؟! لا، لأنه يعلم أن الله لن يُحبه لو مشى فيها، وهذه هي المصيبة التي وقع فيها المسلمون في هذا الزمان.

يقول الله: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١١٤١الأنعام) وما أكثر المسرفين في هذا الزمان!! إن كان في الملبس أو الأكل أو في غيره أو غيره، وأكثرهم في الإسراف الذي يُسرف في وقته وبُضَيْعته، ولا يستغل في اليوم واللييلة ساعة في طاعة الله، ويضيع باقي الوقت في اللهو واللعب والغفلة عن حضرة الله جل في علاه!!.

إذاً الشيء الذي قال فيه الله أنه لا يحبه فالمفروض على المؤمن أن يسارع فوراً إلى تركه، والله قال: (إنه لا يحب) لكي يعرفنا أن من يتصف بأضداد هذه الصفات سُبِّحَه الله، فقد كان من الممكن أن يقول: إن الله لا يريد، أو إن الله لا يرضى، لكن قال: (لا يحب) لأن من فعل أضداد هذه الصفات أحبه الله ﷻ:

﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٩٥البقرة).

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ :

فالله سبحانه وتعالى لا يُحب الخائنين، ولا يحب الكافرين، وهذه أعطتنا إشارة ربانية يفقهها أهل الإيمان في كل وقتٍ وحين؛ أنه لا أمان للكافرين، لأنه خوَّانٌ وكفور، فلا أمان للكافر مهما تظاهر بأنه صديق معك لأنه يبحث عن مصلحة ومنفعة من ورائك، لكنه لو وجد فرصة لبؤذيك فلن يتوانى عن ذلك.

وكما هو موجود في الأفراد، موجود كذلك في الدول، ولذلك قال الله ﷻ لنا: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ (٧٣آل عمران) إياك أن تأمن لأحدٍ منهم، يقولون: هذا شيعوي، وهذا يهودي، وهذا كذا، وهذا كذا، فالكُفر كله ملَّةٌ واحدة، وحكى النبي ذلك وأخبر بأنهم سيجتمعون عليكم ليأكلوكم، قال ﷻ:

{ يُوْهِبُكَ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا ، فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ : بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَفُتَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ : حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ }

منهم من يُريد أن يستنزف البترول، ومنهم من يُريد أن يبتلع المحاصيل الزراعية، وغيره، والمهم أنهم يريدون أن يأكلونا: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ (٧٣آل عمران):

لنعلم علم اليقين أن أي كافر مهما تظاهر بالصدقة والمودة، فإن بباطنه الخيانة والعداوة للمؤمنين كما أخبر العزيز الحكيم ﷻ.

أصحاب حضرة النبي ﷺ، ورضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين تعرضوا للإيذاء في مكة، ولم يكن يمر يوماً إلا ويأتي بعضهم مجروح، وبعضهم مضروب، وبعضهم رأسه مشقوقة من الكافرين، لأنهم اشتدوا في إيذاء حضرة النبي، وأنتم تعلمون كثيراً من هذه القصص لمن تعذبوا في الله ﷻ من رجالٍ ونساءٍ من المؤمنين والمؤمنات.

فكان بعضهم عنده غيرة، وعنده حماس، ولا ينظر إلى العدد، لأن الله ملاءه كله مدد، مثل سيدنا عمر عندما حضرت الهجرة، كلهم هاجروا خُفية حتى لا يمنعهم الكفار، لكن سيدنا عمر وجد أربعين رجلاً من المستضعفين يريدون الهجرة، فقال لهم: انتظروا وأنا

٦ سنن أبي داود ومسند أحمد عن ثوبان رضي الله عنه

أحميكم، وفي اليوم الذي سيهاجر فيه، وفي النهار ذهب إلى الكعبة، والكفار كانوا جالسين مع بعضهم، وأمسك بسيفه ورُمحه ومعه سهامه، وقال لهم: يا معشر قريش من أراد أن تتكلمه أمه، أو تُرْمَل زوجته، أو يتيتم أولاده فليتبعني خلف هذا الوادي، فلم يَقم له أحد، للهيبة التي ألقاها عليه من يقل للشيء كن فيكون، هذه الهيبة جعلته لا يخاف منهم مع كثرة عددهم، وخرج وأخذ الأربعين رجلاً معه وهاجر بهم جهاراً نهاراً.

هؤلاء القوم كسيدنا عمر يقولون: يا رسول الله لماذا نسكت على هذا الذل؟! نستطيع أن نحارب هؤلاء القوم، فهيا بنا نحاربهم وننتهي من أمرهم، لكن الله ﷻ علمنا التدرج في الأمور، ولا بد من النظر إلى الأسباب، والأخذ بالأسباب التي جعلها مسبب الأسباب تفعل في هذه الحياة الدنيا، وكان المسلمون لا يزالون مجموعة صغيرة، وضعاف، وليس معهم سلاح، فكيف يحاربون!!؟ فهنا يلقون بأيديهم في التهلكة.

الإذن بالقتال

إلى أن جاء النبي ﷺ، واتفق مع الأنصار وكانوا في منى، وجلسوا معه واتفقوا على أن يهاجر إلى المدينة ويحموه، وكان هذا الكلام في الفجر أو قبل الفجر بقليل، والنبي كان قد اتفق معهم أن يخرجوا خفية، وأن يجتمعوا في مكان اسمه العقبة، في بيعة العقبة، وبعد أن انتهى الأنصار من البيعة قالوا: يا رسول الله إن شئت خرجنا بسيوفنا على أهل منى فحصدناهم جميعاً، لكن النبي قال: لا، لأن الله علمه التدرج، فقبل أن أحارب ماذا أفعل؟ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (١٦٠ الأنفال) انظروا للقوة المناسبة للعصر وللزمان، وجهزوها، وهذا تدبير الله للمؤمنين في كل زمان ومكان، وغير ذلك فيكون: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (١٩٥ البقرة).

وعندما تحصن المسلمون وتدرّبوا وكثروا، جاءهم الإذن من الله ﷻ:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ :

هذا الإذن جاء كما قال رواية الأحاديث بعد أن نهاهم الله أكثر من سبعين مرة يطلبون فيها الإذن بالقتال، إلى أن وجدوا أنهم استكملوا الأهبة وأصبحوا جاهزين بسلاحهم وجاهزين معنوياً وأقوياء بدنياً، فأذن الله ﷻ لهم في القتال ووعدهم أنه ينصرهم: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ من الذين سينصرهم في أي زمان ومكان؟ الله.

مروشة النص

ووضع ربنا سبحانه الصفات المؤهلة للنصر، فروشة النصر لمن أراد النصر في أي جهاد، إن كان في جهاد الأعداء الخارجين، أو في جهاد المنافقين والمرجفين في الداخل، أو في جهاد النفس للوصول إلى فتح الله، وفضل الله، وإكرام الله جل في علاه، وكل هذا جهاد.

أولها: لا بد من الإذن، فلا يفعل العبد المؤمن شيئاً إلا بإذن من الله، أو من حبيب الله ومصطفاه، أو من ولي الأمر إذا كان جهاداً لأعداء خارجين، أو من شيخ ومرابي إذا كان الجهاد للنفس.. فلا بد من الإذن، وبدون الإذن لا يتم الجهاد ولا يتحقق المراد.

﴿ أذن للذين يقتلون ﴾:

وفي قراءة أخرى: ﴿ أذن للذين يُقاتلون ﴾ يعني أعطاهم الله الإذن

﴿ بأنهم ظلموا ﴾:

إذاً لا بد أن يتحقق الإنسان قبل البدء في أي معركة أنه غير معتمد، وغير باغ، وغير آثم، ولذلك أمرنا الله ﷻ في القرآن بقتال البغاة الذين بدأوا بالعدوان لإخوانهم المؤمنين: ﴿ وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الحجرات) أي حتى ترجع إلى أمر الله.

فما دام الإنسان أخذ الإذن من الله ﷻ، أو من رسوله ﷺ، أو من ولاة الأمور، أو من شيخه في جهاده لنفسه، وتحقق بأنه غير باغ ولا متعدي واستعصم بالله، فليعلم علم اليقين: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾:

لا بد أن ينصره الله إن شاء الله رب العالمين.

وهذا كان متحقق مع أصحاب حضرة النبي حتى دانت لهم البرية كلها، كانوا يُنصرون بالرعب، والرعب سلاح لا يملكه إلا المؤمن المتصل بالله، لا أمريكا ولا روسيا ولا أي دولة من دول الأرض تستطيع أن تصنع سلاح الرعب لأنه يُصيب القلب: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ (الأحزاب) ليس في البيوت ولكن يصيب القلب بالرعب.

فالمؤمنون إذا استعصموا بالله، واستعانوا بالله، فإن الله يؤيدهم، وأول ما يؤيدهم به هو

سلاح الرعب الذي يلقيه في قلوب الأعداء:

ونحن والحمد لله شهدنا ذلك في عصرنا في حرب العاشر من رمضان سنة ١٩٧٣م، كان عندما يقول الجندي: الله أكبر، كان اليهودي يُصيبه هلع وفزع ويُسلم، لماذا؟ قُذف في قلوبهم الرعب، حتى وصل الأمر إلى أن الطيارين اليهود كانوا يخافون الصعود بالطائرات، فكانوا يربطونهم بجنزير، والجنزير له قفل ومفتاح، ويجعلون المفتاح في أيديهم وليس في يد الطيار ليخرج مضطراً، كل هذا خوفاً من المؤمنين، لأن معهم سلاح الرعب.

وأنتم تعرفون أن حضرة النبي نصره الله في واقعة الأحزاب بالريح، ريح صرصر عاتية سخرها عليهم الله ﷻ، ...

ولذلك فيما ورد في باب الملاحم، وهذه الملاحم هي أخبار آخر الزمان التي حكاها حضرة النبي لأصحابه والموجودة في آخر كتاب (سنن أبي داود) ﷺ، بين أن القوم العُناة الظالمين الغادرين سيهلكون بهذه الأسلحة الربانية، فسيُسلط الله عليهم الأعاصير والزلازل، وهي القادمة إن شاء الله، ولا بد منها: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ (٣ النجم).

وماذا يفعلون في هذه الأمور؟!

حتى ولو اكتشفوها فلن يستطيعوا دفعها!، وقد نزل عندنا بعض السيول ولم نستطع عمل أي شيء معها، ولو استمرت فماذا كنا نفعل!!؟.

لكن هؤلاء سيهْبُ من هذا المحيط وهذا المحيط ريحٌ شديدة المراس وهي الأعاصير التي تجرف أمامها الشجر وتقلعه من الأرض وتطيره في الفضاء وكذلك تُطير البشر وتحمل كل هذه الأشياء وتلقيها مرة ثانية هذه الأعاصير من شدتها ستهلك هؤلاء القوم الظالمين، مع الزلازل التي ستحرق الأرض وتبين لهم قدرة من يقول للشيء كن فيكون ﷻ.

﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ :

وهذا كما حدث في عصر رسول الله، سيحدث في هذه الأيام، إخواننا السوريين الذين أصبحوا مشردين في البلاد، هؤلاء المساكين لماذا خرجوا؟ لأنهم مسلمون يقولون: ربنا الله، هل هناك مشردين في العالم غير المسلمين؟! منهم من تشرّد من الصومال، ومنهم من السودان، ومنهم من ليبيا، ومنهم من العراق، ومنهم من سوريا، داروا على بقاع الأرض،

لأنهم يقولون: ربنا الله.

ولنعلم علم اليقين أن هؤلاء لا يضمرون للإسلام وأهله إلا كل شر، فمهما يتجملون، ومهما يعيدون، ومهما يقولون، لكن الله كما قلنا أن الله بين:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ :

فكل كفور لا بد وأن تسبقه الخيانة، وخَوَّانٍ يعني ليست خيانة واحدة، ولكن كثير الخيانة، لمن؟ للمسلمين الذين يقولون: ربنا الله ﷻ.

لكن كما قال الله:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨الصف)

ولماذا يا رب الحرب؟ ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤٢آل عمران)
كان من السهل أن ينزل أسلحته بدون حرب، ولكن كيف كنا سنأخذ هذه الدرجات؟
﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤٢آل عمران)، المجاهدين الذين هم في الميدان، والصابرين الذين هم نحن، ونحن الذين نتعرض للفتن والكوارث والمقاطعة الإقتصادية، كما حدث لحضرة النبي هو وقومه في شعب بني هاشم، ونفس الأمر يُعاد مرة ثانية من جديد ولكن على أوسع على المسلمين.

فلا بد من الجهاد لكي يعرف هؤلاء، ويعرف هؤلاء، ولولا الجهاد كما قال الله:

﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ هُدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ ﴾

والصوامع هي الأديرة التي تكون في أماكن عالية في الصحراء وعلى رؤس الجبال.

والبِيع الكنائس وهي جمع بيعة أي الكنيسة، لأن إخواننا المسيحيين لهم مكانان للعبادة، الدير وهو للرهبان المتفرغين الذين ترهبنا، وشرط من يذهب فيه أن لا يتزوج، ويتفرغ لطاعة الله إن كان رجلاً أو امرأة، والكنائس وهي للناس العاديين.

والصلوات هي أماكن العبادة الخاصة باليهود، والمساجد بالطبع لنا وهي الأماكن الخاصة بالمؤمنين والمسلمين.

﴿ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ :

هذه الأماكن كلها يُذكر فيها اسم الله كثيراً، فلولا الجهاد، ولولا استعدادنا، ولولا قوتنا، لهدموا هذه الأشياء، فأهم شيء عندهم أن يهدموها، لأنهم يحاربون الله ورسوله، ويحاربون دين الله في أي زمان ومكان.

وبدأ الله ﷻ بالصوامع والبيع ولم يأتي بالمساجد لترتيب الزمان، أو لأن الأفضلية عند الله ﷻ في الترتيب بحسب المقام، فيكون الترتيب الآخر للمساجد التي هي الأعلى شأنًا عند الله ﷻ.

قاعدة النص

وأتى لنا بقاعدة النصر لمن أراد أن ينتصر على غيره أو على نفسه:

﴿ وَالْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ :

وكيف ينصره؟

وفي الآية الأخرى: ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾ (٧٧) فكيف ننصره؟

وهل معه حرب؟ نصره في دينه وفي شرعه بالقيام بأوامره، والابتعاد عن نواهيه، وإقامة حدود الله التي طالبنا بها في كتاب الله، واتباع رسول الله ﷺ فيما جاءنا به من عند الله، فهذا هو نصر الله.

وتزيد الأمر إيضاحاً.. كيف نصر الله؟ ... أن نكون هُداةً مهديين، موفقين لطاعة الله في كل وقتٍ وحين، على المنهج الذي رسمه القرآن، وكان عليه النبي العدنان ﷺ، هذا هو النصر الذي طلبه منا الله ﷻ ... فما دمنا نحافظ على طاعة الله، وننتهي عن نواهي الله، وتتابع رسول الله فلا بد أن ينصرنا الله جل في علاه:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ :

سيُمددنا بقوته ..، ويشملنا بعزته ..، ويجعلنا أعزّة على الدوام ... لا ننال ضيماً ولا هواناً ولا ذلاً بين الأنام.

برنامج النص

هؤلاء القوم الذين يطلبون نصر الله لا بد أن يكون معهم الصفات التي وضحها الله:

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ :

فلا بد من برنامج النصر الإلهي كامل وشامل:

فمن أراد النصر فعليه أن يراجع هذا البرنامج، فيقيم الصلاة، ويحافظ على إخراج الزكاة التي فرضها الله ﷻ للفقراء لأنها حقهم، ويأمر نفسه بالمعروف، ثم يأمر من حوله والقريب منه، وينهى نفسه عن المنكر، وينهى من حوله، وينهى الأقرب فالأقرب، لأنه لا يستطيع الأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر وهو لا يفعل المعروف وينتهي عن المنكر، ونحن نعرف الكلام المنسوب للإمام عليٍّ ؑ وأرضاه:

يا أيها الرجل المعظم غيره	هالاً لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذئ الضنا	كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيرها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُسمع ما تقول ويُشتفى	بالقول منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلقٍ وتأتي مثله	عازٌّ عليك إذا فعلت عظيم

هذا المبدأ الإسلامي الذي سقاه لهم سيدنا رسول الله ﷺ، والعاقبة في كل الأمور الظاهرة والباطنة لمن يقول للشيء كن فيكون ...

﴿ وَلِلَّهِ عَنَقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ .

نسأل الله ﷻ أن يعيننا على نصرنا على أنفسنا، وعلى جهادها

وأن يعيننا على بلوغ المراد، وأن يجعلنا من أهل وده ظاهراً وباطناً، ومن أهل فتحه وقربه، ومن أهل معية حبيبه ومصطفاه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا
حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ ﴾ ﴿٥٨﴾ لَيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ
يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿

(الحج)

٢١: المهاجرون في سبيل الله

مأدبة الله

مأدتنا اليوم من كتاب الله، والحبيب ﷺ يقول لنا أجمعين:

{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبَةٌ لِلَّهِ فَاقْبَلُوا مِنْ مَأْدِبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ }^١

ولكننا نأكل منها بالقلب والجنان والروح والسرّ والحقائق الربانية التي لا تراها العينان، فيه الحقائق الإلهية التي هي سرُّ الرُقيّ والإرتقاء لجميع أهل الخصوصية.

ولو تدبرنا في كل آية من كتاب الله لكفتنا:

آية واحدة من كتاب الله ﷻ، فإن الحبيب ﷺ كان يقطع الليلة كلها من بعد العشاء إلى مطلع الفجر في آية واحدة يُكررها ولا يتجاوزها إلى غيرها تلذذاً بها، ومشاهدة لما خصّه الله ﷻ به من الفضائل والإفضال في آياتها، وشعاع النور الذي يخرج من القرآن يجعل الإنسان عند تلاوة القرآن كما أمر الرحمن كالإنسان الذي يغيب عن الأكوان ويغيب عن الوجدان إنشغالاً بمكون الأكوان ﷻ.

{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبَةٌ لِلَّهِ فَاقْبَلُوا مِنْ مَأْدِبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ }^٢

والمأدبة يعني الوليمة، ونحن نأكل كل يوم مرتين أو ثلاثة لنُطعم الجسد، ويستطيع أن يتحرّك ويذهب ويأتي:

لكن لا بد أن نُطعم القلب ليستطيع أن يسيطر على هذه المملكة، ويُهيمن عليها بالنورانية، ويجعل الجسم يعيش باستمرار تحت ظلال الشريعة الإلهية، أو يرتقي به فيجعله دوماً يتمتع بالجماليات المحمدية، فيعيش الحقائق ظاهرة وغير خفية.

١ الأقصر - ساحة الشيخ حسن الدح ٧ من صفر ١٤٣٨ هـ ١١/٧/٢٠١٦ م

٢ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٣ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

الوجبة القرآنية

فلا بد للمؤمن أن يكون له ولو وجبة كل يوم من كتاب الله، قال في ذلك سيدنا رسول الله ﷺ:

{ مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْعَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ،
وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطَرِينَ }^٤

والقانتين يعني الطائعين، والمقنطرين يعني تكون حسناته وقرباته بالقنطار عند من يقول للشيء كن فيكون.

ولذلك لا بد للإنسان أن لا يقل عن عشر آيات يتلوها لله في كل يوم بتدبر وتمعن وتلذذ بمناجاة حضرة الرحمن ﷻ، وهذا منهج سيدنا رسول الله وصحبه الكرام، والصالحين من بعدهم إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

الحياة في مقام العندية

فالآيات التي معنا تبين معنى عجيب وغريب، نحن نعلم أن من يجاهد في سبيل الله ويقتل يكون له عند الله ما لا يعد ولا يُعد من الأجر والثواب: ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩ آل عمران) يكون حياً حياةً نورانية إلهية ربانية، وتأتيه الأرزاق الإلهية المناسبة لحالته على الدوام.

يعني لم يقل أحياء فقط، ولكن قال: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وهي درجة في مقام العندية، وهي من أعلى الدرجات، وماذا يفعلون؟ ﴿يُرْزَقُونَ﴾ وماذا يُرزقون والجسم قد مات؟! يرزقون ما يناسب القلوب والأرواح، فيُرزقون فتحاً ربانياً، ونوراً قدسياً، ومشاهدات ومكاشفات وموانسات ومحاطبات، وهذه أشياء لا يستطيع أحد أن يتحدث عنها بالعبارات، وإنما كما قال أهل المعرفة: ((دُقْ تعرف)).

المؤمنون الذين كانوا حول رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله قد علمنا ما أعد الله ﷻ للشهيد الذي يقاتل في سبيل الله، ونحن نقاتل معك ولكننا كما نحن، لم تأتنا ضربةً بسيف،

٤ سنن أبي داود وابن خزيمة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

ولا طعنة برمح، ولا رمية بسهم، ولا زلنا أحياء، فما ذنبنا وقد كنا نريد هذا الفضل؟!
فنفصل المنفضل ﷻ وأنزل هذه الآيات:

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا ﴾ :

أرأيتم الإشارة؟

من قُتل ... أو مات الموتة الطبيعية:

﴿ لَيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ :

الذي قاتل وقُتل، والذي قاتل وأنجاه الله، استويا في الأجر عند الله جل في علاه.

الرزق الحسن

سيرزقهم الله رزقاً قال فيه: ﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ :

وهل هناك رزق حسن ورزق غير حسن؟

نعم، فالرزق الحسن : هو الذي خصَّ به الله الأتقياء والأتقياء والمؤمنين.

والرزق العادي هو الذي يستوي فيه المسلمون والكافرون والكل، وهي الأرزاق الحسية كالأكل والشرب والأنعام وكل هذه النعم الظاهرة فالكل يستوي فيها، بل ربما يكون الكافر أكبر فيها حظاً وأوفر فيها نصيباً، لأن الله ﷻ من حكمته يضيِّق على عبده المؤمن الدنيا ليشتدَّ رجوعه إليه، حتى يظل مع الله ﷻ على الدوام.

﴿ لَيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ :

الرزق الحسن بالنسبة للمجاهدين في سبيل الله سيكون في دار النعيم في الجنة، من نعم الله التي لا تُعد ولا تُحَد، والتي يقول فيها سيدنا رسول الله ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } °

الهجرة المعنوية

ونأخذ من الآية إشارة لأهل الاستنارة:

إشارة لا تُلغى المعنى الظاهر الذي ذكرناه، لكن هذه الإشارة لمن أراد أن يسلك سبيل الصالحين، وينهج على منهج الأكابر من العارفين، فلا بد أن تكون له إشارة في العبارات القرآنية، ولكن شرطها أن لا يُلغى المعنى الظاهر لأننا كلنا لا بد أن نتمسك بالظاهر لأنه شرع الله ﷻ، والباطن لي أنا لكي أعلوا وأرتقي وأصل إلى مقامات المقربين، نسأل الله ﷻ أن يُبلغنا إياها أجمعين.

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ :

هناك هجرة حسية ينتقل الإنسان بالجسم من مكانٍ إلى مكان، وهناك هجرة معنوية تنتقل الحقائق العالية التي في الإنسان إلى ملكوت حضرة الرحمن ﷻ، من الذي يهاجر؟ النفس والقلب والروح طالبين الفتوح من الفتح العليم ﷻ، ويستحيل أن يأتي الفتح من غير هجرة، فلا بد للإنسان أن يهاجر.

سيدنا إبراهيم يقول: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴾ (٩٩ الصافات) وكيف يذهب لله؟ هل هو في مكان حتى يُهاجر إليه؟ لا مكان ولا زمان ولا حيطة ولا إمكان، وإنما يهاجر من نفسه إلى حيث موضع الإكرام الذي جعله الله ﷻ لحبيبه ومصطفاه والصالحين من الأنام.

إشارات قاب قوسين

وسيدنا رسول الله راح قاب قوسين أو أدنى، وليس معناه - حاشا لله - أن الله كان في هذا المكان، فسيدنا رسول الله قربه من حضرة الله وهو على التراب كقربه من الله وهو في قاب قوسين أو أدنى، فكما أن الله ﷻ ما مسَّ التراب ولا حسَّه ولا جسَّه، فهو ﷻ ما مسَّ العرش ولا حسَّه ولا جسَّه، وليس العرش هو الذي يحمله، بل هو الذي يحمل العرش بقدرته، ويحفظه بكلاءته ﷻ، ما العرش ليحمل الرحمن سبحانه وتعالى!!؟

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١١١ الشورى).

لكن هو الموضوع الذي فيه الإكرام الخاص لسيد الأنبياء وأمير المرسلين، فكل نبي من الأنبياء وكل رسول من المرسلين كان له موضعاً من الإكرام، لكنه ولأنه فاقهم في القرب من الله وفي المقام، فإن الله ﷻ خصّه بموضع لا يصل إليه أحد سواه حتى ولو كان من كُمَّل ملائكة الله، لنعرف جميعاً أن له خصوصية عند مولاه، وأن العطاءات التي خصّه بها الله لا تُعطى لأحد سواه، صلوات ربي وتسليماته عليه.

وَحِكْمَةٌ إِسْرَاءِ الْحَبِيبِ إِغَاثَةً	لِعَالَمِهِ الْأَعْلَى وَرَحْمَةً حَنَانٍ
وَلَمْ يَكُ رَبُّ الْعَرْشِ فَوْقَ سَمَانِهِ	تَنَزَّرَهُ عَنِ كَيْفٍ وَعَنْ بَرَهَانٍ
وَلَكِنْ لِإِظْهَارِ الْجَمَالِ لِأَهْلِهِ	مِنَ الْعَالَمِ الْأَعْلَى وَنَيْلِ أَمَانِي

يريد أن يمتنع الملائكة ويُهجمهم بطلعته البهية وذاته النورانية، لأن هذا الطلب الذي كان عزيز عليهم وطلبوه من رب البرية ﷻ، هذا الرجل رسول لنا، وكما تمتع به الإنس، فقيل له: يا مُحَمَّدُ شَرِّفْ بوطاً قدميك قمة السماء كما شَرَّفْتَ به أديم البطحاء، اصعد حتى تُشَرِّفَ أهل السماء لأن أهل السماء يريدون أن يتشرفوا بحضرتك، صلوات ربي وتسليماته عليه.

من يُرد أن يسمو في المقام ويكون من أهل السُمُو والرفعة عند الله، فلا بد أن تهاجر حقائقه إلى حضرات القرب التي ذكرها كتاب الله، والتي ذُكرت عن أنبياء الله ورسول الله، وأكرمهم وأعظمهم سيدنا رسول الله ﷺ، يقول فيها الإمام أبو العزائم رحمته:

مَنِي أَسَافِرُ لَا مَنَ كَوْنِي الدَانِي أَفْرَدْتُ رَبِّي لَا حَوْرٍ وَوَلْدَانِ

أسافر من نفسي التي تقيدني والتي تمنعني من العُلُوِّ في مقامات الرقي والقرب من الله، فلا بد للنفس والقلب والروح وهذه الحقائق أن تهاجر إلى موطنها الأصلي، وموطنها الأصلي هو عالم الملكوت الأعلى والجنة العالية لأنها من النور والعالم الأعلى من النور.

فمن يهاجر هذه الهجرة كيف يطوي هذه المسافات!؟

ليس له إلا سفينة الحب، يركبها مع العشاق، وتجري بهم بأمر الكريم الخلاق إلى أن يصل إلى مقام القرب والتلاق، هو الحب.

سيدنا رسول عندما كان في قاب قوسين أو أدنى وبعد أن رجع حكي لأصحابه عندما قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فقال:

{ أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }

وورد أنه قالها لما سمع صوت سيدنا أبي بكر فأدخله معه وقال: السلام من الله علينا وعلى عباد الله الصالحين.

فالذين سيهاجرون من نفوسهم وشهواتهم وحظوظهم وأهوائهم، يعني ستكون الدنيا في أيديهم وليست في قلوبهم، لأن القلوب حافظوا عليها وخصَّصوها لحضرة علام الغيوب، والأيدي والأجسام جعلوها مشغولة بهذه النعم الظاهرة، وكانوا يقولون: ((اللهم اجعلها في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا)).

فهذا هو المعنى في هذا الأمر، يعني يخفف المشاغل ويخفف الإهتمام، حتى يكون الإهتمام كله بالله، وبالإقبال على الله، وبالقرب من رسول الله، وبالعامل بكتاب الله، فإن الله يتولاه: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (١١٩٦ الأعراف) وفي هذه الآيات فإن الله ﷻ يكأله في الأكوان بعنايته، لأنه فرغ ذاته لله ﷻ بالكلية.

هؤلاء القوم منهم من يموت وهو على فراشه، يقول فيهم ﷻ:

{ إِنَّ أَكْثَرَ شُهَدَاءِ أُمَّتِي أَصْحَابُ الْفُرُشِ، وَرُبَّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفِينِ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ }^٧

بماذا قُتل هؤلاء؟ ... قُتلوا بسيف المحبة؛ محبة الله شغلت البال، وملاأت تجاوبف القلب، وجعلته لا يرى إلا أنوار مولاه، ولا يسمع إلا ما يُذكِّره بالله، ولا يفعل إلا شيئاً يتيقن أنه يُرضى به مولاه، لأنه مشغولٌ بالله ﷻ بالكلية متابعاً للحبيب خير البرية صلوات ربي وتسليماته عليه.

هؤلاء القوم: ﴿ لَيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾:

من يمُت منهم بسيف المحبة، أو من يمُت بالكلية عن حظِّه ونفسه وهواه ويدخل في قول الله: ﴿ أَوْمَنَ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ (١١٢٢ الأنعام)

٦ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٧ مسند أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ

سيكون له رزقاً حسناً غير أرزاق الناس في الحياة الدنيا.

وما هذه الأرزاق؟

أن يحظى بالقرب من حبيب الله ومصطفاه، وأن يتملأ قلبه دائماً بشهود نور وجهه وجميل محبّاه، وأن يؤانسه ويلاطفه ويسمع لذيد حديثه وجميل خطابه صلوات ربي وتسليماته عليه، وأن يرزقه الله ﷻ الحكمة وفصل الخطاب، وأن يرزقه الله علماً وهيباً، وأن يرزقه الله مقاماً كشافياً؛ مقام من مقامات المكاشفة وأولها الفِراسة النورانية، قال ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }^٨

وأن يرزقه الله ﷻ رُفْقَةً من الملائكة الكرام يزورونه ويُحدثهم ويُحدثونه، ويأنس بهم ويأتسون به: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا } ماذا لهم؟ { تَنْزَلُ } بالمضارع المستمر، ليس مرةً واحدة، فلو قال: تنزل الملائكة، لكان نزولهم مرةً واحدة، لكن "تنزل" يعني يتكرر النزول باستمرار، ويتحدثون معه: { أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } (٣٠ فصلت) { حُنَّ أَوْلِيَاؤُكُمْ } يعني أنصاركم { فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } وما تريدونه سنأتيكم به: { وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ } وليس هذا فحسب { وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ } (٣١ فصلت).

وهذه الجزئية هي التي يظهر فيها كرامات الصالحين والعارفين، وماذا يعني: { وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ } يعني الشيء الذي يطلبه يؤيده فيه مولاه، والشيء الذي يتمناه يُحققه له حضرة الله، إذا ضمن لإنسانٍ أمراً وقي له مولاه، فمقام { مَا تَدَّعُونَ } مقام عالٍ، غير مقام { هُمْ مَا يَشَاءُونَ } (٣٥ق) فلهم ما يشاءون أقل في المقام.

وطبعاً هم في هذا المقام لا يشاءون إلا ما يشاءه الله، فلا يصل لهذا المقام وتكون مشيئته أن يكون صاحب منصب دنيوي، أو صاحب كنز فان، أو صاحب أي أمرٍ من أمور الدنيا الزائفة، لأنهم خرجوا من الدنيا ويعيشون في رحاب الله.

وما يطلبوه من الله - لأنهم يدعون الخلق إلى الله - يؤيدهم فيه الله، ويُعضدهم عليه الله، ويؤيِّق لهم به الله:

٨ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴾ :

يعرفنا أن هذه الأرزاق مباشرة بدون أسباب، فأرزاق الدنيا لا بد لها من الأسباب، صحيح أنها لا تفعل إلا بأمرٍ وبإذنٍ من مُسبب الأسباب، لكن الأرزاق الإلهية مباشرة بدون أسباب.

كيف يكون هذا؟ قد يظن البعض أن اختصاص الله للعارفين بسبب مكابدة الليل في العبادات، أو جهاد الأجساد في الصيام في الأيام والشهور المتتاليات، أو في أي عملٍ من الأعمال الشرعية التي يقومون بها، لكن هذه الأعمال كلها من يعمل بها له أجره، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف في الجنة.

لكن النعم التي ذكرناها ما أجرها؟ ما الذي عمله كي يُعطيك الله علماً وهيباً إلهامياً؟ ﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٦٥ الكهف) وهذه الأمور كلها؛ الإلهام والكشف والقرب والود والأنس: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢١ الحديد).

طهارة القلب من الخصوصية

وكيف نصل إليها؟ نحتاج إلى شيء واحدٍ فقط؛ طهارة القلب بالكلية من سوى رب البرية، وهذا جهاد العارفين والأوتاد والأقطاب والصالحين، فلماذا كان يذهب بعضهم للجبال؟ لكي يُجَلِّي مرآة القلب، ولكي يظهر فيه عطاءات من يُقل للشيء كن فيكون.

لكن يُصلي في الليلة ألف ركعة، فله أجر ذلك، أو يصوم الأيام، فله أجر ذلك، ويضاعف الله لمن يشاء.

لكن هؤلاء خصوصيتهم كيف نالوها؟ بهذه: ﴿إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٩ الشعراء) ولذلك جهاد العارفين الأعظم في تطهير القلب بالكلية، حتى لا يخطر فيه غير خالقه وباريه.

سيدنا عمر بن الفارض رضي الله عنه وأرضاه كان يجتهد في العبادات، وذات يوم كان يتوضأ في الأزهر فوجد رجلاً يتوضأ ولا يُحسن الوضوء، فاعترض عليه بشدة، فدفعه الرجل دفعة فوجد نفسه في صحاري مكة، فمكث فيها أربع عشرة سنة، وفي يوم من الأيام قال له: يا عمر

تعالى لأني سألقى الله في هذا اليوم، لتحضر وتُصلي عليَّ صلاة الجنائز، هذا الرجل ظلَّ يجاهد حتى قال:

وإن خطرت لي في سواك إرادةٌ على خاطري نفساً قضيتُ بردتي

هو الذي حكم على نفسه، ويقول: لو أن شيئاً خطر على بالي غيرك نفساً سأحكم على نفسي أنني مرتدٌ، ومرتدٌ يعني رجع عن القصد وعن طريق الله ﷻ، لكي لا يسبق إليكم الفهم بالمعنى الآخر لكلمة مُرتدٍ.

لأن هذا كلام أهل الإشارة، فكلهم على هذه الشاكلة، يتعلم القرآن، ويدرس الفقه، وبعد ذلك يتفرغ لجلاء النفس، وكل الصالحين السابقين واللاحقين على هذه الكيفية.

الإمام أبو الحسن الشاذلي^١

سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ حفظ القرآن، وتعلم الفقه وهو مولود في بلدة اسمها (غمارة) تبع (سبتة) في بلاد المغرب، ولم يجد أحداً من العلماء يكفيه فهاجر إلى فاس في المغرب وهي مركز علمي، فوجد أن ذلك لا يكفيه، فذهب إلى تونس، وبعد أن أنهى في تونس أراد أن يستزيد من العلم، وفي نفس الوقت يطلب الشيخ الذي يُوصِّله إلى الله، لأنه مهما حصل من العلم لا يستطيع أن يصل بنفسه إلى الله إلا بواسطة مربي مأذون من رسول الله ﷺ.

وكل واحد من المرين يكون معه كشف، أعطاه له الناظر الأعظم ﷺ، فلا يستطيع إضافة واحد، ولا يستطيع حذف واحد عنده، لأنه عليه فقط أن يُدرِّس لهؤلاء القوم، فظل الإمام أبو الحسن يبحث عن مربيه في مصر ثم بلاد الحجاز ثم بلاد الشام، ثم ذهب إلى العراق فوجد هناك رجلاً من أتباع سيدي أحمد الرفاعي وهو سيدي أبو الفتح الواسطي قال له: جئت تبحث عن القطب هنا وشيخك الذي تبحث عنه تركته في بلاد المغرب!!؟.

المريدون الذين لا يعلمون شيئاً يريدون أن يضموا لطريقهم هذا وذاك، لكن الكشوف مكتوبة، والذي كتبها سيد الأولين والآخرين ﷺ، ولا أحد يستطيع - كما قلت - أن يزيد

٩ لمن يريد التوسع يمكنه العودة لكتابتنا: الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلي..

أو يُنقص.

أحد المريدين عندنا هنا في مصر ذهب لسيدي الإمام الهمام أبو السعود رحمه الله، فقال له: أنت لست مريدي أنا، ولكن شيخك اسمه الشيخ عثمان المغربي، وهو لا يزال في بلاد المغرب، فامكث عندي هنا إلى أن يحضر لمصر، فمكث في الفصل خمس عشرة سنة، وذات يوم بعد الخمس عشرة سنة، وكانوا يأتون للأسكندرية، ويركبون بالمراكب إلى الروضة في القاهرة، وكانت هي ميناء القاهرة، فقال: أين فلان؟ فقالوا: ها هو، فقال له: اذهب إلى الروضة فشيخك سيصل الآن، فذهب وقابل الشيخ وأول ما سلّم عليه قال له الشيخ: جزى الله أخي أبو السعود عني خيراً إذ حفظك لي طوال هذه المدة.

الأمر ليس سهلاً كما تظنون، ولكن الأمر سابقة عناية من رب العالمين، والموكل بالتنفيذ هو سيد الأولين والآخرين ﷺ، والأولياء والصالحين لا يستطيعون تجاوز قدر أمثلة مما يشير به سيد الأولين والآخرين.

فرجع سيدي أبو الحسن الشاذلي إلى شيخه، وكان في بلدة اسمها طنجة، فأول ما ذهب إلى هناك كان الشيخ جالساً على الجبل، ووجد عين ماء تحت الجبل، فاغتسل وصعد إلى الشيخ، لأنها كانت عندهم عادة - ولا زالت - وهي عبادة، أنه إذا قابل الرجل الصالح لا بد أن يذهب على طهارة وعلى وضوء.

وصل عند الشيخ فقال له: أنت علي بن عبد الجبار بن كذا بن كذا بن كذا، وذكر نسبه إلى رسول الله ﷺ، لأن معه الكشف، ثم قال له: انزل فاغتسل، قال: فنزلتُ واغتسلت مرةً ثانية ورجعت، فقال لي: انزل فاغتسل، قال: ففهمتُ أنه يريد أن أغسل ما في قلبي من العلوم التي حصّلتها لكي أتلقّى العلوم الوهيبية.

صاحب الشيخ وبدأ يعطيه ما به يجلوا مرآة قلبه، ومابه يجاهد نفسه، إلى أن قال كما يحكي هو ذلك بنفسه: ((ما تركتُ الشيخ إلا بعد أن فتح الله عيون قلبي)) ظل معه إلى أن فتح الله عيون قلبه، وأصبح يرى ما يغيب عن السرائر، وغيب ما في الضمائر.

وأراد المزيد، فقال له: اذهب إلى تونس، وهناك بلد اسمها شاذلة، بجوارها جبل، وفيه مغارة، تجلس فيها لتجلي مرآة قلبك، وإياك والخلق لأن الخلق فتنة، وبعد ذلك تذهب إلى

مصر، وتأخذ فيها القُطبانِيَّة، وتربي فيها رجالاً وأبدالاً يُعطيهم لك سيدنا رسول الله ﷺ، فذهب إلى الجبل ليغسل فؤاده:

واغسل فؤاداً بماء جمع صفا فهذا إليَّ يُدني
وكيف يغسل فؤاده؟ كما قال النبي ﷺ:

{ الْقَلْبُ يَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا جِلاؤُهُ ؟ قَالَ : تِلَاوَةُ
الْقُرْآنِ وَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى }^{١٠}
السيد أحمد البدوي^{١١}

ونفس الكيفية سيدي أحمد البدوي أيضاً، تعلّم القرآن وحفظه بالروايات السبعة وعمره سبع سنوات، وتعلم الفقه على مذهب الإمام الشافعي، وكان في مكة، وراح إلى غار حراء يتعبّد فيه لله ﷻ، لماذا؟ ليس للعبادة فقط، ولكن لتصفية مرآة القلب من شوائب الدنيا، ومن علائق النفس، ومن أضرار الهوى إلى أن يصفو القلب، والقلب إذا صفا ترد عليه الواردات من الغيب ومن حضرة المصطفى:

إذا صفا القلب من وهمٍ وشبهاتٍ يشاهد الغيب مسروداً بآيات
نفسٌ بقلبٍ سليمٍ رفعةً ورضاً وألف عامٍ بلا قلبٍ كَلحظَاتٍ

مكث في غار حراء سبع سنوات، يُصَفِّي فيه مرآة قلبه، ومع ذلك مع أنه في غار حراء، فإنه كان لا يؤدي فريضة إلا في وقتها في جماعة في بيت الله الحرام، كيف هذا؟! ليس هناك كيف هنا!! فإن الله يطوي لهم الأرض، ما دام عزم فإن الله ﷻ يُعِينه: ..
{ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ } (آل عمران).

بعد أن اكتملت التربية شأنه شأن سيدي أبو الحسن الشاذلي، فسيدي أبو الحسن جاءه سيدنا رسول الله وقال له: يا علي اذهب إلى مصر فإن لك فيها حالاً وشأناً وستُربي بها أربعين رجلاً: فلان وفلان وفلان وهذا هو الكشف.

١٠ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما
١١ لمن يريد التوسع يمكنه العودة لكتابنا: المنرى الرباني السيد أحمد البدوي.

نفس الأمر سيدنا أحمد البدوي كان يعيش في مكة، وجاءه سيدنا رسول الله وقال له: يا أحمد اذهب إلى طنطا في مصر فإنك ستُربي بها أربعين رجلاً عبد العال وعبد الرحيم وعبد الرحمن، وأعطاه أيضاً الكشف.

وإذا أقامك أعانك، إذا جاءت الإقامة من الله فتأتي المعونة من الله، سيدي أبو الحسن قال له: يا سيدي الطريق طويل وليس به ماء وتتركني إلى الخلق بعضهم يُطعمني، وبعضهم يطردني؟ فقال: ستأتيك الأرزاق إن شئت من الجيب وإن شئت من الغيب، ليس لك شأن بهذا الأمر نهائياً.

مشى في الطريق من تونس إلى مصر تُظِلُّه سحابة، وكلما نفذ ما معه من ماء تمشط فيشربوا ويملأوا الأوعية والأوعية التي معهم حتى وصل إلى مصر.

سيدي أحمد البدوي ذهب للحرم وتكلم معه رجلاً وقال له: تعالي يا سيدي الشيخ تزورنا في بلدنا، قال له: وما بلدك؟ قال: بلدي طنطا في مصر، قال له: وماذا تعمل؟ قال: أنا شيخ البلد!! ... أرسل له الرفيق!!

وجاء معه إلى طنطا فقال له: لي كذا دار فاختر لك داراً منهم، والدار التي تُعجبك تقيم فيها، وأنا كفيل بكل شيء، قال له: لا، هذه الأمور على الله ﷻ.

طريق الفتح

فلو ذكرنا سير الصالحين كلهم نجد أنهم جميعاً بهذه الكيفية، ووصلوا للفتح الإلهي بطهارة القلب، وتنظيف الفؤاد من الدنيا الدنية، ومن الحقد ومن الحسد ومن الغل ومن الكُره ومن جميع المشاغل الكونية، لأن الذي يُقبل على الله يعلم علم اليقين أن الله ﷻ لا يُقبل على قلبٍ إلا إذا كان فارغاً ليس فيه سواه جل في علاه، لكن القلب المشغول فصاحبه لا يزال في الفضول.

وهؤلاء الذين يأتيهم الله بالأرزاق الحسنة:

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾ :

لأنهم تأتيهم أرزاقٌ مباشرة من باب: ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢١٢ البقرة).

مدخل الرضا

﴿ لَيْدٌ خَلَنَهُمْ مَّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ﴾ :

وما المدخل الذي يرضونه؟

إذا كانوا من العوام فيدخلون الجنة، وإذا كانوا من الخواص فيكونون على بساط القرب، وعلى أرائك الحب والمنادمة والمسامرة والمحادثة والمكاملة والمكافحة، وهذه بُغيتهم وليس لهم بُغية غيرها.

سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه لحظة موته ظهرت له قصوره في الجنة كما وعد سيدنا رسول الله، فقال:

فإن تك منزلتي في الحب عندكموا ما قد رأيتُ فقد ضيَّعتُ أيامي

وماذا تريد؟

أمنيةٌ ظفرت بها نفسي زماً واليوم أحسبها أضغاث أحلام

وما أمينتك؟ وجه الله:

فنظرة منك يا سولي ويا ألمي أشهى عليّ من الدنيا وما فيها

هذا هو المدخل الذي يريدونه، نظرة من حبيب الله، وبشرى طيبة من فم رسول الله، وبساط القرب والمناجاة.

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ :

وإن الله لعليم بمطلبهم، ويحلم عليهم في جهاد أنفسهم حتى ينالوا بغيتهم، نسأل الله أن يؤهلنا أجمعين لذلك، وأن يتفضل علينا بما تفضل به على أهل ذلك، وأن يجعلنا من خيار عباده المقبلين عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ
النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آرْكَعُوا
وَأَسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ
حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي
الَّذِينَ مِنْ حَرْجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ
سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ
الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ
وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۗ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ
وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿الحج﴾

٢٢: أهل الاصطفاء -

أول آية من هذه الآيات التي معنا تُعطينا بشري عظيمة تُثلج صدر كل مؤمن، أن الأخيار والأطهار والأبرار إن كان من الملائكة أو من الأنبياء أو من المرسلين أو من الناس، كل هذا نتيجة اصطفاء وانتقاء واجتباء ممن يقول للشيء كن فيكون.

دائرة الاصطفاء

﴿ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ :

اصطفى من الملائكة جبريل للنزول بالوحي على الأنبياء، وميكائيل للأرزاق، وإسرافيل للنفخ في الصور، وعزرائيل لقبض الأرواح، وحملة العرش للإستغفار والدعاء للمؤمنين والمؤمنات، وخدم الجنة، وملائكة لا عد لهم ولا حد لهم، قال الله ﷻ في شأنهم: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ (٣١ المدثر) وصف النبي ﷺ كثرتهم في عالم الملكوت، فقال ﷺ:

{ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تُنْطَ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ }^٢

فالملائكة اصطفاء وانتقاء من الله، والأنبياء كذلك: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٣ آل عمران) ذكر الله كل الأنبياء بفروعهم في هذه الآية، وذكر الله ﷻ لهم العناية فلم يقل: إن الله يصطفي، ولكن قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى ﴾ لأنه اختارهم من الأزل القديم قبل خلق الخلق، قال ﷺ:

{ إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمُنْجِدٌ فِي طِينَتِهِ }^٣

١ الأقصر - العديسات قبلي نجع قباح ٨ من صفر ١٤٣٨ هـ ١١/٨/٢٠١٦ م

٢ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن أبي ذر

٣ مسند أحمد وابن حبان عن العرياض بن سارية

يعني قبل خلق آدم كان رسول الله عند الله خاتم الأنبياء والمرسلين كما أخبر ﷺ. ثم أدخلنا الله ﷻ في البشري، وهذه هي التي نفرح بها ونتهئى بها، فقال:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾ :

من الذين يصطفيهم من الناس؟ المؤمنين والمسلمين والأولياء والصالحين، فكل هذه منح إلهية، واصطفاءات ربانية، وعطاءات قدسية، تفضل الله ﷻ بها علينا أجمعين، وإلا من فيكم الذي اختار لنفسه الهداية؟! لا يوجد أحد منا إختار لنفسه الهداية:

﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ

هَدَيْتُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ (١٧ الحجرات). ... من الذي هدانا للإيمان!؟

ومن الذي حَبَّبَ لنا الإيمان وزَيَّنَه في قلوبنا؟! ومن الذي كَرِهَ إلينا الفسوق والعصيان؟! ومن الذي كتب بنورانيته ومداد قدرته في قلوبنا الإيمان وسطَّره في صدورنا؟! ﴿ أَوْلَيْكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (٢٢ المجادلة).

لكي نفرح فرحاً عظيماً بفضل الله ﷻ الكريم أن جعلنا من عباده الأخيار والأطهار والمؤمنين والصالحين، وهذا كله فضلٌ من رب العالمين ﷻ.

﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ :

هذه الآية وحدها لو تدبرها المسلم لانصلحت كل أحواله، ما دام قد عرف أن الله يسمع جميع الأصوات، بجميع الألسنة، وبجميع اللغات، في جميع الجهات في وقتٍ واحد، فيتنبه دائماً قبل أن ينطق لسانه بأي كلمة أن من أول من يسمعه هو الله رب العالمين: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ﴾ (١٩ غافر).. وخائنة الأعين هي العين التي تنظر خلسة، يعني من تحت لتحت، ولذلك سيدنا رسول الله لم يكن عنده هذا الأمر، يقول ناعته:

{ وَإِذَا التَّفَتَ التَّفَتَ جَمِيعًا } ٤

هذا الأمر ليس عند رسول الله ﷺ، وكذلك الأتقياء والصالحين والأولياء من عباد الله، متابعةً لحبيب الله ومصطفاه، لأنه سيدخل في خائنة الأعين، والعين الخائنة هي التي تنظر ولا

٤ شعب الإيمان للبيهقي والطبراني عن هند بن أبي هالة رضي الله عنه

يعلم المنظور أنها نظرت إليه ولا ينتبه لذلك.

فرسول الله لم يكن هكذا، فإذا التفت التفت كله، ليس من هذه الناحية أو من هذه الناحية، بل يلتفت بكل جهاته لأنه ﷺ كان كما علمه ربه، ما زاغ البصر وما طغى عن تعليمه من الله ﷻ نفساً ولا أقل.

وسعة العلم الإلهي

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾:

إن شئت قلت يعلم ما أمامي، يعني أمام جسمي وأنا لا أراه، ويعلم ما ورائه، لأن أمامي وخلفي كما قال الله في آية أخرى من كتاب الله: ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ (١١١ الرعد) منهم من يحرس العين حتى لا تدخل حشرة تؤذيها، ومنهم من يحرس الأنف لأنه مفتوح وليس له بابٌ يُغلق حتى لا تدخل حشرة إلى الأنف فتؤذي الإنسان، ومنهم من يحرس الفم، ومنهم من يحرس الأذن ..

كل جزء من أجزاء الإنسان له حافظ وحارس من قبل حضرة الرحمن، يتقلب يميناً أو شمالاً والحارس يحرسه بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

ولذلك سيدي ذو النون المصري ﷺ وأرضاه سألوه وقالوا له: كيف دخلت طريق الله ﷻ؟ وكان هو من بلدة أحميم، فقال: كنت واقفاً على ساحل البحر في أحميم، فوجدت عقرباً تمشي بسرعة قوية جداً ونزلت عند الشاطئ، فوجدت ضفدعاً ينتظرها على الشاطئ فوثبت وركبت ظهره، وانطلق الضفدع وسبح بأقصى سرعة للجهة الأخرى من النهر، يقول: فأخذني الفضول وقلت أمشي وأنظر ماذا يفعلان؟ وعند الشاطئ الآخر وصلت الضفدع وقفز العقرب من على ظهرها وأخذ يجري بأقصى سرعة، وهو يعدوا خلفها، ثم دخلت مسجداً قريباً وبه رجل نائم ومخمور، والحمرة تسيل من فمه، وهناك حبة ضخمة تريد أن تلدغه، فلدغت العقرب الحية وقتلتها في الحال، ووقى هذا الرجل من لدغة هذه الحية! فيقول: أيقظته وقلت له: يا أخي انظر أين كنت أنت والله يفعل معك هذا؟! ويريدك أن تموت ميتة طيبة، لأنه لو لدغته الحية ومات على هذه الحال فيموت على كبيرة من الكبائر، فيذهب بسوء الخاتمة، ثم قال له: تَبَّ إلى الله وارجع إلى الله واغلق فمك واملاه بذكر الله

جل في علاه، فالله سبحانه وتعالى له حكم لا تُعد في حراسة المؤمنين والمؤمنات.

وإن شئت قلت:

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم في الحياة الدنيا فيعرف كل ما عملناه، ويعرف كل ما نقبل عليه ونعمله إلى أن تلقى الله جل في علاه، وهل هناك شيء يغيب عن الله؟! واسمع في هذا قول الله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٦: الصافات) لم يخلقك فقط، ولكن وما عمله أيضاً خلقه رب العزة ﷻ، لنتبته أن الله يطلع على ما فات وما هو آت.

وإن شئت قلت:

يعلم ما هم مقبلون عليه لحظة الخروج من الدنيا، وما يتعرضون له في عالم البرزخ، وما يتعرضون له في يوم الموقف العظيم حتى يكون فريق في الجنة وفريق في السعير، ويعرف ما سبق لهم في الأزل القديم لأنه هو الذي خلق الخلق، قال ﷻ:

{ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ ﷻ قَبَضَ مِنْ طِينَتِهِ قَبْضَتَيْنِ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِيَدِهِ الْأُخْرَى، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ: هُوَ لَئِنَّ الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي بِيَدِهِ الْأُخْرَى: هُوَ لَئِنَّ النَّارِ وَلَا أَبَالِي }^٥

محاسبة المؤمن لنفسه

فما دام الله يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا بأي كيفية وبأي هيئة، وفي النهاية أين نذهب؟ ﴿وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ :

لذلك لا بد للمؤمن أن تكون له وقفة مع نفسه، ويحاسب نفسه، وهذا المنهج الذي علمه سيدنا رسول الله ﷺ لأصحابه المباركين، فمنهم من جعل لنفسه وقتاً كل يوم يحاسب فيه نفسه، وكان كثير منهم يذهب للمسجد قبل المغرب ويجلس هذه اللحظات يراجع يومه ويقول: ماذا عملت اليوم؟ هل خرجت له شيكات اليوم؟ أم حررت له محاضر؟ ومنهم من كان يراجع يومه قبل النوم.

٥ مسند البزار والطبراني عن أبي موسى

وكان هؤلاء القوم بعد غروب الشمس ليس لهم شأنٌ بالخلق، فالليل كله لله جل في علاه، فعندما ينتهي النهار وينتهي الخلق يراجع نفسه لكي ينظر إن كان قد أخطأ فيعتذر، وإن كان قد أذنب يستغفر، وإن كان قد أحسن يحمد الله ﷻ على ذلك، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه حال أهل الإيمان على الدوام.

فلا بد من المراجعة ليدخل في القَسَم الإلهي: ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (٢ القيامة) وهي النفس التي تراجع صاحبها وتؤنبه على هذا، وتحمده على هذا، لأنه إذا لم يجد الإنسان التائب واللوم فيخشى عليه من سوء الخاتمة والعباد بالله ﷻ، فقد تُسَوَّل له نفسه أنه يُحَسِّن صُنْعاً ويدخل في قول الله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ (١٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف) يظن أنه يُحَسِّن الصنيع، لكن صنيعه غير مقبول عند من يقول للشيء كن فيكون.

كان من هؤلاء الذين يراجعون أنفسهم الشيخ مكين الدين الأسمري تلميذ سيدي أبو الحسن الشاذلي - لتعرفوا أحوال الصادقين - كان سيدي أبو الحسن يقول فيه: ((مكين رجلٌ من الأبدال)) والأبدال يعني الذين بدَّل الله صفاتهم بصفاتهم:

{ كُنْتُ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدْتَهُ }

هذا الرجل كان يعمل ترزياً، وكان لا يزال وإلى عهدٍ قريبٍ دائماً محل الترزى يجمع الزبائن، فيتكلمون من هنا وهناك، لكنه يقول: إني أراجع نفسي كل ليلة قبل غروب الشمس، فأعدُّ الكلمات التي تكلمتها في هذا اليوم فأجدها ما بين الإحدى عشرة كلمة، ولا تزيد عن أربع عشرة كلمة طوال النهار!!، ونحن نتكلمهم في نصف دقيقة أو أقل، لكن هذا ما يتكلمه طوال النهار.

يقول: فأنظر إلى هذا الكلام فما وجدتُ فيه إساءة إلى أحدٍ من خلق الله ذهبْتُ إليه واعتذرتُ إليه حتى لا يطالبني بالمساءلة أمام الله يوم القيامة، وإذا كان ذنباً فعلته في حق نفسي، تُبْتُ إلى ربي ﷻ وعاهدته أن لا أفعله مرةً ثانية، وإن كانت كلمات في ميزان حسناتي أشكر الله عليها وأسأله المزيد منها، وكان هذا الرجل كل ليلة على هذا المنوال.

٦ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة

وهناك صنفٌ آخر أعلى، وهو الذي يراجع نفسه كل نفسٍ، كلنا نتنفس في الأربع وعشرين ساعة أربعة وعشرين ألف نفسٍ، نفسٌ داخل ونفسٌ خارج، وكل نفسٍ تُسأل عنه، هل أنفقته في طاعة الله؟ أو في غفلة أو في معصية؟ فيحاسب نفسه على كل نفسٍ من هذه الأنفاس، وهؤلاء العظام الكرام الذين على قدم الحبيب عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، النفس الواحد لا يكون إلا في رضا حضرة الواحد ﷺ:

نفسٌ بقلبٍ سليم رفعة ورضا وألف عامٍ بلا قلبٍ كلحظات

لذلك هؤلاء القوم هذا حالهم:

في كل نفسٍ لهم نورٌ يواجههم من حضرة القدس ترويحاً وتيقيناً

في كل نفسٍ يأتيهم من فسيح التجليات، ومن عظيم التنزلات ومن كريم المؤانسات ما لا حدَّ له، ولا قدر له، ولا عدَّ له من المواجهات، ومن مجلى الكمالات، ومن الله ﷻ وحضرته القدسية بالذات.

فلا بد للإنسان السالك في طريق الله من مراجعة، ومن لم يراجع سيراجع هناك، ومن يراجع هنا فلن يُراجع هناك لأنه راجع أمره في هذه الحياة الدنيا:

﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ :

ما دامت الأمور كلها في النهاية ستكون لله، فيجب على الإنسان أن يحرص على أنه لا يعمل عمل خيرٍ إلا ويقصد به وجه الله، ولا يمتنع عن عملٍ إلا إذا تيقن أن هذا العمل لا يرضى عنه به مولاة، ويجعل عمله كله لله وليس للخلق، لأن الخلق لن يقدرُوا أن يعطوني ولن يدفعوا عني، فيكون تعاملك كله مع الله، ولذلك قال الحبيب ﷺ في هذا المقام:

{ مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ وَأَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأُنْكَحَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ }^٧

أدخل نفسك في هذه المعاملة، واجعل حياتك كلها لله، كما وجَّه الله سيدنا رسول الله لتكون معه إن شاء الله، فقال له: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام ١٦٢) فالإنسان لا يأكل إلا بالله، ولا يشرب إلا بالله، ولا يزور مريضاً إلا لله،

٧ جامع الترمذي ومسنَد أحمد عن معاذ بن أنس

ولا يُشيع جنازة إلا لله، ولا يفعل برّ أو خيرٍ إلا لله، ولا يمتنع عن شرٍّ أو ضُرٍّ إلا خوفاً من الله جل في علاه، وهي المعاملة العالية للأولياء والصالحين، فليس له شأنٌ بالخلق:

فخلِ الخلق خلفك ثم عامل بصدقٍ ذات مولاك العلية

فمن ينظر إلى الخلق ويسأل نفسه: هل رضوا أم غضبوا؟ لن يستطيع إرضاء أحداً، من الذي يستطيع إرضاء كل الخلق؟! لا أحد، لكن أستطيع أن أُرضي الله، وهذا منهج سيدنا رسول الله وكمّل الورثة والصالحين من بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

بعد أن عرّفنا الله أهل الإصطفاء وأهل الإجتباء، جاءت الآيات التالية إلى آخر السورة - سبحان الله - جمعت وحوت الشريعة المطهرة كاملةً، وما تركت فيها صغيرة ولا كبيرة إلا وذكّرتها، وتعالوا ننظر مع بعضنا هذا الأمر:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾:

يعني صدقوا بالله، وصدقوا برسول الله، فيما جاء به من عند الله ﷻ.

منزلة الصلاة

﴿أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا﴾:

يعني صلّوا، وأهم شيء في الصلاة الركوع والسجود، ولماذا قال بعدها:

﴿وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾:

مع أن الآية شاملة؟ لأن هذه أوسع، فابدأ أولاً وركّز على الصلاة وهو البند الأول الذي ركّز عليه الله، وحافظ على الصلاة لأنها أول شيء يصلك بالله ﷻ، ولذلك كان سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمه الله يقول: ((كل مرید لا يصلي الصلوات الخمس في أوقاتها في جماعة في بيت الله، فلا تعباً به واعلم أنه لم يدق شيئاً من شراب القوم)).

لا بد أن نحافظ على الصلوات الخمس في جماعة، في بيت الله، إلا إذا كان هناك عُذر، والعُذر يكون مطابقاً للائحة الأعذار الشرعية الواردة عن خير البرية، لأن البعض الآن يتلمّس لنفسه الأعذار ولو كانت أوزار، لأنه توجد لائحة أعذار وضعها النبي المختار، وليس

لأحدٍ أن يخلق لنفسه أعدار، فلو كان الدين بالرأي والهوى لفسد الدين والعباد بالله ﷻ، لكن الدين بالمتابعة للذي قال:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }^٨

فأول بندٍ أحرص عليه أداء الصلوات في وقتها في جماعة في بيت الله مهما كانت الأمور، فليس هناك عُذر لترك الصلاة، لأن الله يسر أمورها كلها لعباد الله.

﴿وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ :

والعبادة هنا هي أن تذكّر الله، وتتلو كتاب الله، وتسبّح الله، وتنزّه الله، وتقديس الله، وقل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وغيرها من العبادات التي ذكرها الله في القرآن: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف، ١٨٠) فإذا ذكر إسمًا من أسماء الله الحسنى فلا بأس، أو يُصلي على رسول الله لأن الله قال: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب، ٥٦) ويكثر من الإستغفار لأن الله قال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (نوح، ١٠).

كل هذه الأمور بعد أداء الصلاة، لكن يقول قائل: أنا مشغول بالذكر وتلاوة القرآن، ويمتنع عن حضور الجماعة في وقتها في بيت الله!! فهذا لا يجوز، حتى ولو قال أنه دخل خلوة، وشيخه أعطاه اسم يذكره مائة ألف مرة، وهل شيخك يقول لك: اذكره مائة ألف مرة وتترك صلوات الفرائض في وقتها في جماعة!!؟ فما فائدة الذكر هنا!!؟.

لكن كل النوافل والقربات بعد أداء صلاة، لأنها محلّ الصلّة بالله، ولو كان لأحدٍ أن يترك الصلاة لكان حبيب الله ومصطفاه، لتمتعه بوجه الله وجماله على الدوام، فقد كان عندما تحين الصلاة يقول:

{ أَرْحَنَّا بِهَا يَا يَلالُ }^٩

لم يُقل: أرحنا منها - حاشا لله - بل أرحنا بها، لأن الصلاة فيها رُوحٌ وريحان وجمال يواجهه به حضرة الرحمن: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ (الواقعة) في وقت الصلاة أين

٨ سنن الدارقطني عن مالك بن الحويرث

٩ معجم الطبراني ومسنند أحمد

يكون؟ ﴿ فَرُوْحٌ وَرَسْمَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴾ (٨٩ الواقعة) فصلاته كأنه في القدس الأعلى يواجه مولاه ويخاطبه في حال المناجاة، ويشافهه مشافهة، ويكالمه مكافحة، لأنه مع الله جل في علاه في حالة تفضّل بها عليه مولاه لإخلاصه في قصده ومحافظته على ما طلبه مولاه ﷺ.

الإمام أبو العزائم رحمته الله وأرضاه يقول في صلاة الصالحين، وهو منهم:

أقيم صلاتي إن تجردت عن نفسي	فأفنى به عني بمشهده القدسي
لديها يواجهني بوجه مقدس	أكون أنا عرش التنزل والكرسي
عليّ يصلي في صلاتي لأنني	تشبهت بالمختار بالجسم والنفس

يتنزل لقلبه بالتنزلات الإلهية، والفيوضات الربانية، والأسرار الذاتية، ويصلي عليه، أليس هناك قوم في القرآن - ونسأل الله أن نكون منهم جميعاً - قال فيهم الله: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (٣٤ الأحراب) فكما أننا نصلي له، فهو يصلي علينا، ولماذا يصلي علينا؟ ليُخرجنا من الظلمات إلى النور.

منهج المفلحين

فبعد أداء الصلاة تكون العبادات النفلية، وكل العبادات المسنونة الواردة عن رسول الله، فلا يجوز للإنسان أن يخترع النوافل من نفسه ولكن:

{ عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي } ١٠

سنة رسول الله، فإذا أنهى السنة وقام بها، يوسع العبادة:

﴿ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ ﴾ :

والخير دائرة واسعة جداً، فبعد أن كان يعبد الله بالصلاة في البداية، ثم بالنوافل، عليه أن يوسع الدائرة، فيجبر خاطر هذا، ويزور هذا المريض، ويشيع جنازة هذا، ويتصدق على هذا، ويأخذ بيد هذا الفقير .. فيفعل الخير مع خلق الله ليشاهد جمال الله في تدرجه في العبادات.

كل كلمة في موضعها، منهج لا يستطيع أحد من الأولين ولا الآخرين أن يُحرِّك فيه كلمة عن موضعها بالتقديم أو التأخير، لأنه نزل من العلي القدير ﷺ.

من يفعل هذا ماذا له عندك يا رب؟

﴿ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ :

وكلمة لعل في القرآن دائماً بمعنى اللام وليست بمعنى الترجي، فتكون (لتفلاحون) كقول الله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة ١٨٣) أي لتتقون.

فمن يُرد أن يكون من أهل الفلاح، وهو الفوز العظيم في الدنيا ويوم الموقف العظيم عند الرب الكريم ﷻ فليمشي على هذا المنهج الكريم الذي وضعه الله ﷻ، ومشى عليه سيدنا رسول الله ﷺ، ومشى عليه الصالحين من بعده إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

الجهاد الحق

من يُرد المزيد ليرتقي في الدرجات عند الحميد المجيد فينتقل إلى مرحلة أرقى:

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ ﴾ :

لم يُقل: وجاهدوا في سبيل الله، لأن الجهاد هنا شامل، يشمل الجهاد في سبيل الله، الجهاد ضد النفس، والجهاد ضد الشيطان، وجهاد الشهوات، وجهاد الملذات والمستحسنتات .. كل هذه الأشياء تحتاج إلى جهاد.

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ :

الجهاد يكون جهاداً أكيداً، فلا يكون جهاداً ضعيفاً بل لا بد أن يجاهد في الله حق جهاده، وعلى الفور يصدر له قرار الإجتباء من الله ﷻ:

﴿ هُوَ أَجْتَبَاكُمْ ﴾ :

أي اصطفاكم واختاركم وانتقاكم من بين خلقه وجعلكم خيرته من خلقه.

يس الدين

﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ :

إياكم أن يعتقد أحد أو يظن أن فيما طالبنا وكلفنا به الله مشقة، لأن الله ﷻ يسر على المؤمنين تيسيراً ما بعده تيسير:

- فمن لا يقدر أن يصلي واقفاً يصلي قاعداً، ومن كان مسافراً يصلي قصراً، ومن لم يجد الماء يتيّم، فهل أصبح هنا أي عذر يمنع الإنسان عن الصلاة؟ لا يوجد أي عذر أبداً، لأن كل الهيئات متاحة لك.

- ومن لم يستطع الصوم لكبر سنه أو لمرضه الذي ليس منه شفاء عفاه الله من الصوم وعليه أن يُخرج الفدية وليس عليه شيء، وإذا كان مريضاً ويُنتظر شفاؤه فعدةً من أيامٍ أخرى، تُفطر هذه الأيام وبعد أن تُشفى تُعيد هذه الأيام .. وإذا كان مسافراً خيره الله إما أن يُفطر أو يصوم، فأصبح الدين تيسير كبير من العلي القدير.

- ومن معه إمكانيات الحج وجب عليه، لكن إن لم يستطع لا يحاسبه الله على ذلك: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ (97آل عمران).

إذاً فليس للإنسان عذر لأن الله جعل هذا الدين ليس فيه مشقة، ولا أمرٌ فيه خروج عن طاقة الإنسان، وإنما كله مُيسّر لكل إنسان مهما كانت قواه ومهما كانت قدراته.

أهمية ذكر الله

الأمر الذي ليس فيه عذر لأي إنسان:

- إن كان مريضاً أو سليماً .. إن كان شيخاً كبيراً أو طفلاً صغيراً ..

- إن كان رجلاً أو امرأة ... إن كان على طهارة أو حتى على جنابة، والمرأة إن كانت في حالتها العادية أو في حالة النفاس أو في حالة الحيض

هو ذكر الله ﷻ: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (١٤ الأحزاب) :

أوصانا بالذكر الكثير: تذكر الله وأنت سائر، وأنت جالس، وأنت نائم .. ما الذي يمنعك من ذكر الله؟ لا شيء!!!

لا يطالبك الذكر بضرورة الوضوء، ولا الإتجاه إلى القبلة، ولا إلى الجلوس في المسجد، فليس لك عذر: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (١٩١ آل عمران) وكما قلنا ولو كنت على جناحة فلا تمنعك من ذكر الله، فهي تمنع من الصلاة، ومن تلاوة كتاب الله، إلا أنها لا تمنع من ذكر الله ﷻ ... فما عذر المؤمن يوم القيامة إذا ترك ذكر الله ﷻ طرفة عين أو أقل؟ لا يوجد عذر، ولذلك نريد كلنا أن ندخل في قول الله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ (١٣٥ الأحزاب) وهذه الجزئية التي يجب أن تجاهد نفسك فيها جهاداً شديداً، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال:

{ إِنَّ شَرَّاعِ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَنْبِئْنِي بِشَيْءٍ أَنْشَبْتُ بِهِ، فَقَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانَكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ }^{١١}

أهم شيء أن هذا اللسان لا يكل ولا يملئ ولا يغفل لحظة عن ذكر الله ﷻ، إذا فعلت ذلك فيا هناك، قال ﷺ وكانوا في سفر وجوار جبل يُسَمَّى جُمْدَان، فقال لهم:

{ سِيرُوا هَذَا جُمْدَانَ سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ }^{١٢}، وفي رواية أخرى قال:

{ سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَنْفَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافًا }^{١٣}

وكلمة استهتار في اللغة غير المعنى المشهور، فالمستهتر أى من يكثر إكثاراً كثيراً من ذكر الله، فذكر الله ليس هناك عذر أبداً في تركه!، ولذلك المؤمن يحرص عليه على الدوام.

{ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ }:

وهي ملة الإسلام الحنيفية، لأن سيدنا إبراهيم كما قال الله: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ

١١ جامع الترمذي والحاكم عن عبد الله بن بسر ﷺ

١٢ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

١٣ جامع الترمذي عن أبي هريرة ﷺ

وَيَعْقُوبُ يَبْنِيْ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى لَكُمْ الدّٰىنَ فَلَآ تَمُوْتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ ﴿١٣٢ البقرة﴾
أوصاهم بالإسلام، ويعقوب نفس الأمر، لأن الإسلام هو ملة سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء، وهو الجد الأعلى لسيدنا رسول الله ﷺ ...

﴿ هُوَ سَمَّنَكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ :

وكلمة "هو" قد تعود لسيدنا إبراهيم لأنه هو الذي سمّانا مسلمين، وقد تعود للعزير الحكيم ﷺ، لأن القرآن حدّث به الله ﷻ قبل ميلاد إبراهيم، لأنه كلام الله ﷻ القديم.

منازل أهل الاصطفاء

ثم بين الله ﷻ المنزلة العالية الراقية التي جعل فيها أهل الاجتباء وأهل الاصطفاء من أمة الحبيب ﷺ، هذه المنزلة تُضاهي منازل المرسلين والنبين بل تُبزّها:

﴿ وَفِي هٰذَا لِيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ شَهِيدًا عَلٰىكُمْ ﴾ :

جعل الله ﷻ النبي المصطفى المحتجى شهيداً على جميع الشهداء، وجعل الأنبياء شهداء على أممهم وأقوامهم: ﴿ فَكَيْفَ اِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلٰى هٰتُوْلَآءِ شَهِيدًا ﴾ (٤١ النساء) إذاً هو شهيد على الشهداء؛ على الأنبياء والمرسلين، وجعل رب العالمين ﷻ أمة النبي والمجتبين من أمته في هذه المنزلة الكريمة:

﴿ وَتَكُوْنُوْا شَهِدَآءَ عَلٰى النَّاسِ ﴾ :

شهداء على الأنبياء وأممهم، ولذلك قال ﷻ:

{ يُدْعَى نُوْحٌ فَيَقَالُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُوْلُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيَقَالُ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُوْلُوْنَ: مَا اَنَا مِنْ نَّذِيْرٍ، وَمَا اَنَا مِنْ اَحَدٍ، فَيَقَالُ: مَنْ شَهِدُوْكَ؟ فَيَقُوْلُ: مُحَمَّدٌ وَاُمَّتُهُ، قَالَ: فَيُوْتَى بِكُمْ تَشْهَدُوْنَ اَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، فَذٰلِكَ قَوْلُ اللّٰهِ تَعَالٰى: ﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ اُمَّةً وَسَطًا لِتَكُوْنُوْا شَهِدَآءَ عَلٰى النَّاسِ وَيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ عَلٰىكُمْ شَهِيدًا ﴾
وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ ١٤

١٤ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن أبي سعيد الخدري

من الذي سيشهد؟ سيدنا رسول الله، وأمة رسول الله!

وأمتة يعني الورثة الذين على درجته وعلى قدمه وعلى منزلته، فهؤلاء هم الغدول: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة ١٤٣) نفس المعني أيضاً للآية الذي يكرره الله لأهل العناية.

وهناك معني استنبطه الوارثون والعارفون لكي يطمئنوا أحبابهم وطلابهم ومريديهم، والله قال لنا في القرآن: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (النساء ٨٣) ليس كلهم يستنبطون، بل يوجد أناس يعطيهم الله درجة الاستنباط من كتاب الله إلهاماً وإمداداً من الله ومن رسول الله ﷺ، هؤلاء قالوا: قال الله في القرآن: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (الرعد ١٧) كل جماعة لهم رجل بالنيابة عن حضرة النبي يبلغهم وراثته عن حضرة النبي الفضل الإلهي والبشريات الربانية التي ادخرها الله لهم وأنزلها على هذا النبي ﷺ.

فعندما يأتي يوم القيامة كيف يخرج الناس؟

﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ ﴾ (الإسراء ١٧١) ليس بنبيهم ولا برسولهم، ولكن بإمامهم، فكل رجل يخرج ومعه أحبابه وأتباعه الصادقين الذين أعانوه على إبلاغ دعوة الله، والذين قاموا معه مجاهدين في نشر سنة حبيب الله ومصطفاه.

ليس لنا شأن برابطة المشجعين، فالمشجعون كثر ودورهم في الآخرة فقط!، هل ينزل الملعب أحدٌ من المشجعين؟ لا، هل تكون المكافآت لهم وهم بالمدرجات أم لمن في الملعب؟! نفس الأمر، فالدعوة تحتاج إلى الفريق، وهذا الفريق هو الذي له الغنائم والمكافآت والفضل والمشاهدات والإكرامات من الله ﷻ، والمشجعين أيضاً لهم أجر، قال ﷺ:

{ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^{١٥}

أجرهم هناك، لكن هنا لم يفعلوا شيئاً، بل يشاهدون فقط، فكيف يأخذون هذا

١٥ جامع الترمذي عن صفوان بن عسال رضي الله عنه

الفضل وهذا الإكرام وهذا الإنعام وهذا العطاء!!

فالصالحون قالوا في هذه الآية وأشباهاها وأمثالها: كل رجل بعد سيدنا رسول الله ﷺ سيُكلِّفه سيدنا رسول الله ﷺ بأن يكون شهيداً على أهل زمانه، لأنه هو الذي يعيش معهم، وهو الذي يعاشرهم، وهو الذي يراهم، وهو الذي يتأكد من أحوالهم.

هذا الكلام أقوله على يقين، وإياكم أن يشك أحدٌ فيه، لأنه كلام الصالحين الموقنين، الذين أنزل الله في قلوبهم معاني الذكر الحكيم، فبيان القرآن ومعاني القرآن ليس في تفسير النسفي ولا في تفسير ابن كثير فقط، لكن: ﴿بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (٤٩: العنكبوت) هو في صدور هؤلاء القوم، وسيدنا علي قال في هذا العلم: ((إن هاهنا لعلومٌ جمّة لو أجد لها حملة)) وقال في الحملة: ((هم الأقلون عدداً الأكثرون مدداً، يحملون هذا العلم في صدورهم حتى يستودعونه في قلوب أشباههم وأمثالهم)) لكن الآخرين ليس لهم علاقة بهذه العلوم الإلهية النازلة مباشرة من عند رب البرية ﷻ.

تشريعات الإسلام

وجاءنا بتشريعات الإسلام ليؤكد عليها مرة ثانية:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِشَيْءٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ السَّبِيلُ الَّيْسُوعُ ۗ وَكَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِكَافِرِينَ شُرَكَائِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ﴾ (٢١٣: آل عمران) ... وإقامة الصلاة غير أداء الصلاة، فإقامة الصلاة أن تكون الصلة بين قلب العبد ومولاه مباشرة، لا يشغله شاغل عن جمال مولاه، ولا يقطعه قاطع عن المناجاة لحضرة الله، لأنه إذا دخل في الصلاة يكون في مناجاة مولاه، وفي مصافاة باطنة وظاهرة مع حضرة الله جل في علاه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (١٤: طه).

﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ : ... والزكاة للإنسان أن يُنفق مما آتاه الله، إذا كان عنده مال يستوجب الزكاة يُنفق منه، وإذا كان عنده زرع بلغ نصاب الزكاة يُخرج منه حق الله يعطيه لفقراء الله، وإذا آتاه الله علماً وبياناً فيجعل منه شيئاً لله للفقراء الذين يحتاجون هذا العلم في بلاد الله، ولا يرجو منهم تكريماً ولا أجراً، ولا يرجو الأجر إلا من الله، ويقول لهم: ﴿إِنَّمَا نَطَعِكُمْ لِيُوجِبَ اللَّهُ لَكُمُ أَجْرًا ۖ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ (١٩: الإنسان).

وإذا آتاه الله ﷻ صوتاً شجيباً يمتع به أشجان القلوب وأسماع المؤمنين بكلام رب

العالمين، أو يُهَيِّج القلوب والأفئدة في مديح سيد الأولين والآخرين ﷺ رغبةً فيما عند الله، وهكذا كل شيء آتاه مولاه فعليه زكاة، قال ﷺ:

{ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ الْجَسَدِ الصَّوْمُ }^{١٦}

حتى أن الجسد له زكاة وزكاته أن أصوم، وماذا فيها لو أن أولادنا الشباب يصومون ولو يوماً في الأسبوع سواء الإثنين أو الخميس تأسياً برسول الله، فما المانع في ذلك؟ والنبي ﷺ يقول للسيدة عائشة كما ورد في الأثر:

{ دَاوِمِي قَرَعَ بَابِ الْجَنَّةِ، قَالَتْ: بِمَاذَا؟ قَالَ: بِالْجُوعِ }

ما الذي يمنع شبابنا أن يصوم يوماً كل أسبوع، أو ثلاثة أيام من كل شهر؟! فالعجوز مثلاً يصوم ثلاثة أيام كل شهر، لكن الشباب يصوم الإثنين والخميس كما كنا نفعل عندما كنا شباب، غير الأيام الفاضلة مثل العشر الأوائل من ذي الحجة، وأيام تاسوعاء وعاشوراء، فلا بد للإنسان أن تكون له زكاة مثل زكاة الجسد.

فضل المنفقين

قال ﷺ: { إِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الدَّارِ بَيْنَ الضِّيَافَةِ }^{١٧}

إذا كان عندي بيت ولا أحد يدخله نهائياً يأكل لقمة فأين زكاتك؟! أو لا أخرج منه طعاماً أطعم به من يحتاج إلى هذه الطعام!!، فدرجات الجنة العليا من الذي ينالها؟ حضرة النبي ﷺ يقول:

{ إِنْ فِي الْجَنَّةِ غُرْفًا يَرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ

أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ }^{١٨} وفي رواية:

{ لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ }^{١٩}

١٦ سنن ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

١٧ الجامع لأخلاق الراوي وتاريخ جرجان للسهمي عن أنس ﷺ

١٨ صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن أبي مالك الأشعري

١٩ مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

من أخلاق المؤمن أن يتخلَّق باسم الله الكريم، بماذا يجود؟

يجود بما عنده: ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر: ٩)

وأنتم تعلمون أن أصحاب رسول الله الذين كانوا يجيئون في هذا الباب، الرجل الذي أخذ ضيف رسول الله ليُطعمه، وسأل زوجته: ماذا عندك؟ قالت: طعامٌ يكفي الواحد، فإن أكل الأولاد لم يأكل الضيف، وإن أكل الضيف بات الأولاد جوعى، فقال لها: عليهم وأتى بالطعام ونجلس أنا وأنت مع الضيف - وهذا للمتشددين!! فقد جلس هو وزوجته مع الضيف وكانا في عصر رسول الله -، ثم قال لها: فتقومي وتظاهري بأنك تُصلحي المصباح وتُطفئيه، وتُحرِّك أسناننا كأننا نأكل حتى يشعر الضيف أننا نأكل معه فيأكل ويشبع، وفي الصباح قال له رسول الله ﷺ:

{ قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ }^{٢٠}

ما هذا الفتح العظيم الذي فعلوه!!؟

وهو نفس الأمر وخاصة مع الصالحين، فقد نزل جماعة على إخوانهم الصالحين، والطعام الذي معهم كان قليلاً، فقالوا: نضع الطعام على مائدة واحدة ونصطفُ حوله، ونُطفئ المصباح ونأكل كلنا، وبعد أن انتهوا من تناول الطعام وأوقدوا المصباح، فوجدوا الطعام كما هو ولم يأكل واحد منهم شيئاً، لأن كل واحد يريد أن يؤثر أخاه على نفسه؛ لا يريد أن يأكل حتى يشبع إخوانه.

ورجلٌ من الصالحين في عصرنا هذا، وبعد انتهاء حلقة الذكر والهيمان في الذكر، والجلاء في الذكر، وكان بعضهم يكاد يطير في الذكر، جلسوا بعد الذكر يأكلون، فأخذوا يقدمون بعضهم على بعض، يقول أحدهم للآخر: خذ هذه القطعة، والثاني يقول: لا خذ أنت هذه، وهكذا، فنظر إليهم الشيخ وقال لهم: لقد نلتم من فضل الله في طعامكم أكثر مما نلتموه في ذكركم.

لماذا؟ للإيتار، وهي أحوال الصالحين، فلا بد لمن يدخل في دائرة الصالحين، أو يريد على الأقل أن يكون يوم القيامة من المكرمين، أن يُضَيِّف الضيف، ويُطعم ويُمِرِّن نفسه

٢٠ صحيح مسلم وابن حبان عن أبي هريرة ؓ

وأولاده على هذا الخلق الكريم ويورثه لهم.

لكن أنا أكون في البيت والبيت لا يفتح أبداً للضيف لمدة عام أو أكثر أو أقل، والضيف يدخل ولن يكلفني شيئاً، لأن حضرة النبي قال:

{ إِذَا دَخَلَ الضَّيْفُ عَلَى قَوْمٍ دَخَلَ بَرِّزِهِ وَإِذَا خَرَجَ خَرَجَ بِمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِمْ }^{٢١}

من الذي كسب وفاز؟ أنت!!

وقد ورد في رواية أن رزقه يأتيه قبل مجيئه بأربعين يوماً، يعني مثل رؤساء الجمهوريات، فالملائكة تُجهز له المكان ومعها أيضاً طعامه الذي يأكله، حتى لا تتكلف له شيئاً، وماذا تأخذ أنت؟ تكسب أنه أخذ ذنوب أهل الدار كلها ويُلقيها في البحر.

الاعتصام بالله

{ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَانَكُمْ }:

الإعتصام بالله غير الإعتصام بحبل الله، لما كان الخطاب لكل المسلمين الذين بينهم وبين بعضهم شحناء قال لهم: { وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ } (١٠٣ آل عمران) بشرع الله وبكتاب الله وبسنة رسول الله، كل هؤلاء يجوز أن نقول عنهم حبل الله.

لكن هنا الإعتصام بالله: { وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ } كيف نعتصم بالله؟ إذا فرغنا القلب بالكلية، ولم يعد فيه إلا المولى جل في علاه، فهنا نتوجه إليه، ونتودد إليه، ونرفع الأُكُفَّ إليه، ولا نعتد إلا عليه، ولا نتكىل إلا عليه، ولا نتوجه ظاهراً أو باطناً إلا إليه، فهذا إسمه اعتصام بالله جل وعلا.

{ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَانَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ } : ما دام الإنسان

سيتولاه الله، ويرعاه الله، وسيكون في رعاية الله وفي كنفه على الدوام، فيكون معه النصر على نفسه، وعلى شهواته، وعلى حظوظه وعلى أهوائه، وعلى شيطانه، وعلى أعدائه، وعلى كل من يعاديه، لأن معه النصير ^{عليه السلام}: { فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ }.

الكَمِيلُ مِنَ الطَّبِيعِ تَفْسِيرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ د. شَمْسُ فَوْزِي مُحَمَّدُ فَوْزِي

d d

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا بجمال هذه الآيات، وأن يُخلِّقنا بهذه الأوصاف المباركات،
وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

d d

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
خَشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ
﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ
وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ
صَلَوَاتِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾
الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(سورة المؤمنون)

٢٣: ورثة الفردوس^١

d d

الآيات التي معنا الآن هي أول سورة سمّاها الله ﷻ بإسمنا، فسّمّاها سورة المؤمنون،
لنعرف فيها أوصاف المؤمنين وأخلاق المؤمنين وأعمال المؤمنين والجزاء الذي أعده الله ﷻ
للمؤمنين إذا عملوا بالتكليفات التي كلفهم بها رب العالمين ﷻ.

حقيقة الفلاح

وكان ﷻ يأتيه الوحي وهو بين أصحابه فيغيب عنهم ويتلقّى الوحي، فإذا انصم
الوحي عنه رجع إليهم وحَدَّثهم بما نزل عليه، فعندما نزلت هذه الآيات قال ﷻ لأصحابه:

{ أَنْزَلَ عَلَيَّ عَشْرَ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ قَرَأَ: "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ" حَتَّى
خَتَمَ عَشْرَ آيَاتٍ }^٢

هذه العشر آيات لمن أراد أن يدخل الجنة يعمل بهنَّ وينفذهن، بعد أن يتعلم هذه
الآداب وهذه الأخلاق، ثم يقوم بهنَّ عاملاً إن شاء الله رب العالمين، وروى النبي ﷻ:

{ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ وَبَنَّاها بِيَدِهِ، لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَجَعَلَ مِلَاطَهَا
الْمِسْكَ، وَثَرَابَهَا الزُّعْفَرَانُ، وَحَصْبَاءُهَا اللُّؤْلُؤُ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: قَدْ
أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ }^٣

الجنة نفسها حققت بالفلاح، والفلاح يعني الفوز والظفر وتحقيق الأمنية العظيمة التي
يتمناها الإنسان، وهي دخول الجنة إن شاء الله رب العالمين

{ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ } :

وكلمة "قد" في اللغة العربية للتحقيق، يعني كلام مُحقق وليس ظن ولا تخمين ولكن

١ الأقصر - الطود ٩ من صفر ١٤٣٨ هـ ١١/٩/٢٠١٦ م

٢ جامع الترمذي ومسنَد أحمد عن عمر بن الخطاب

٣ معجم الطبراني والبيهقي عن أبي سعيد الخدري

d d

كلام مُحقق، فمن يعمل بهذه الأوصاف من المؤمنين، يضمن لهم الله ﷻ الجنة، ويضمن لهم الفلاح، يعني الفوز بما يرجون وما يريدون ... ومطلوبهم الأعظم بعد وجه الله دخول الجنة العالية ليحظوا فيها برؤية الله، ويتعموا فيها بجوار رسول الله ﷺ.

صفات الوارثين للجنة

الأوصاف التي سيدخلون بها الجنة كم صفة؟ أتى الله لنا في هذه الآيات بست صفات سهلة وميسرة لمن يسرها الله ﷻ له، وقبض الله له أن يعينه بعونه، وأن يقويه بقوته، وأن يشد عضده بإرادته، وأن يجعله في رفقة أهل الصدق من بريته.

الخاصعون في الصلاة

أول صفة من أوصاف الجنة:

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

الذين يُصلون الصلاة وفيها خشوعٌ لله ﷻ، وفيها حضور بين يدي الله، وفيها طمأنينة في أدائها لله، وفيها عدم شرود الذهن، وعدم إنشغال القلب بغير الله ﷻ.

وهذا الخشوع لكي نستحضره ونستجلبه ماذا نعمل؟ هناك جزء ظاهري لا بد منه، وهناك جزء باطني وهو الأهم، فالجزء الظاهري من الإنسان إذا نوى الصلاة بعد أن يتطهر ويتوضأ، عليه أن يجعل بعد أن ينوي نظره إلى موضع السجود، فلا ينظر يمينا ولا شمالاً، ولا يتلفت وهو في الصلاة، فمن يلتفت يمينا أو شمالاً ويريد أن يعرف من على يمينه ومن على شماله فلا تصح صلاته، والنبي ﷺ رأى رجلاً يعبت بلحيته في الصلاة، فقال ﷺ:

{ أَمَا هَذَا فَلَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ }^٤

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:

{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَدَّ وَقَالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

٤ مسند زيد عن علي بن أبي طالب

فَقَالَ: اِرْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ثَلَاثًا ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلَّمَنِي ، فَقَالَ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيْسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ اِرْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَأْسًا ، ثُمَّ اِرْزُقْ حَتَّى تُعَدَلَ قَائِمًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ اِرْزُقْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا وَأَفْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا ٥

علمه رسول الله ﷺ الكيفية الصحيحة للصلاة :

وهي أن الإنسان عندما النية لا يكون في قلبه غير الله، فإذا قال الله أكبر فليس في قلبه شيء من الدنيا ولا المال ولا الأولاد، ولا أي شيء من متاع الحياة أكبر في قلبه من الله ﷻ، وينظر إلى موضع السجود وهو في حالة الوقوف، وينظر إلى قدميه في حالة الركوع، وينظر إلى أرنبة أنفه وهو في حالة السجود، لكي لا ينظر إلى هذا ولا إلى ذلك.

ويقراً قراءةً بتدبر، لا تقرأ القرآن بسرعة ولكن إقرأه بتأني وتدبر معانيه، وحاول أن تتفهم الأوامر الإلهية التي ذكرها الله ﷻ فيه، مع استحضار القلب أثناء ذلك، وهذه هي الأعمال الظاهرية في الخشوع.

ولكي يستكمل الإنسان الخشوع فلا بد أن يكون في القلب الإخلاص لله، يعني أنه لا يريد بهذه الصلاة إلا ارضاء الله، فإذا كان يُصلي ليُرضي الناس فتكون الصلاة غير مقبولة عند رب الناس، وهذا هو الرياء، والعياذ بالله، نسأل الله الحفظ والسلامة لنا ولكم أجمعين، يعني يُصلي لكي يراه الناس، أو يُصلي ليثق الناس فيه، إن كان تاجراً فيشتروا منه، وإن كان صانعاً يطلبوه ليعمل لهم مصالحهم، وهكذا، وهذا يقول فيه ﷺ:

{ مَنْ صَلَّى وَهُوَ يُرَائِي ، فَقَدْ أَشْرَكَ } ٦

فتكون صلاته فيها شركة، والله يقول فيها يوم القيامة:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ } ٧

٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة

٦ الحاكم في المستدرک والطبرانی عن شداد بن أوس

٧ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة

لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصاً لوجه الله ﷻ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠ الكهف).

فأول صفة من أوصاف أهل الجنة أنهم دائماً سماهم الخشوع والحضور بين يدي الله ﷻ في الصلاة.

الإعراض عن اللغو

السمة الثانية:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾:

اللغو هو الكلام الذي لا يفيد!

- فالكلام المفيد هو الذكر والتسبيح وتلاوة القرآن والوصية لمؤمن، والنصيحة لمسلم، والتخفيف عن منكوب، ومواساة الحزين .. كل هذه ألفاظ مفيدة ولها أجرها وثوابها عند الله ﷻ.

- وهناك كلمات ضارة ضرراً بالغاً بصاحبها كالسب والشتم واللعن والكذب وقول الزور والغيبة وهي أن يتكلم في حق المسلمين، أو النميمة وهي نقل الكلام بين شخصين ليوقع بينهما، وهي كلمات مُحَقِّقَة الضرر.

- وهناك كلمات لا هي نافعة ولا هي ضارة، وهي اللغو، كأن نجلس معاً ونتسامر ونتناقش في أمور كرة القدم، ما لنا وهذا الأمر!! أنا لن أعب، ولا حتى سأذهب لأتفرج، وحتى من يتفرج أيضاً يُضَيِّع وقته، فهذا موضوع يشغل الوقت فيما لا يفيد ... أو نجلس معاً نتكلم في أمور السياسة التي لا دخل لنا فيها، ولا شأن لنا بها في زماننا هذا، ...!!!!

فكثير من الناس جعل نفسه السياسي الأول بالجمهورية، والمفروض تؤخذ منه أقوال الساسة، وكذلك في الإقتصاد فمعه حل كل المشاكل الإقتصادية، وفي الرياضة فهو رياضي ناقد الذي لا مثيل له، وفي الموسيقى والغناء هو الناقد الفني الذي لا يبارى، وفي أخبار الناس هو صحفي الذي يعرف كل صغيرة وكبيرة في البلد، ويعرف من ولدت اليوم، وماذا

أنجبت؟! وهذه بمن تزوجت؟! وهذه لمن خُطبت؟! يعني أصبح العارف في كل شيء، وهي سمة العصر وشيمة العصر والتي لا تطابق شرع الله، ولا يوافق عليها حبيب الله ومصطفاه ﷺ، لأن سمة المؤمن كما قال ﷺ:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ }^٨

الشيء الذي لا يعنيني ما شأني به؟! ولماذا أتدخل فيه؟!

فلانة خُطبت لفلان، ولماذا رضيت به؟! مالي وهذا الأمر!! وفلان خطب فلانة، ولماذا هي بالذات!! أنت ما شأنك بذلك؟ وما الذي أدخلك في هذا الأمر!! فهذا اسمه لغو الكلام، وهو الكلام في المواضيع التي لا تفيد، فالمؤمن يعمل بقول النبي ﷺ، ونسأل الله ﷻ أن نكون أهلاً لذلك:

{ رَجِمَ اللَّهُ عَبْدًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ }^٩

إما أن يتكلم كلاماً يُكتب في صحيفة حسناته، أو يسكت:

لأن الكلام الآخر سيتحوّل إلى محاضر يُسأل عنها أمام النيابة الحسينية الإلهية، ويحاسبه القاضي الجبار رب البرية ﷻ، والشهود لسانه ويديه وجوارحه، هذا غير الملائكة غير الأرض التي مشى عليها، وهم كلهم شهودٌ لا يكذبون، والله بعد ذلك وقبل ذلك خير الشاهدين ... فأهم صفة للمؤمن: ط

تركه ما لا يعنيه، ولا يتدخل في شيء لا يعنيه، حتى يبعد عن لغو الكلام.

تَرْكِيَةِ النَّفْسِ

السمة الثالثة: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ :

وفاعلون أى عاملون، فيُخرجون الزكاة التي فرضها عليهم الله ﷻ.

والزكاة هنا نوعان:

٨ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

٩ شعب الإيمان للبيهقي ومسنَد الشهاب

النوع الأول: زكاة الخيرات:

وهي الزكاة التي فرضها الله علينا في الخيرات من زكاة المال، وزكاة الزرع، وزكاة الحيوانات، وزكاة التجارة، فهذه الزكوات لا بد أن أعرفها لكي أخرجها أولاً بأول، حتى لا أتعرض لسخط الله وغضب الله ﷻ.

فمن تجب عليه الزكاة في أي صنف من الأصناف ولا يخرجها وصفه الله في كتاب الله فقال: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۗ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (فصلت)، الذي لم يخرج الزكاة وصفه الله بأنه أصبح مشركاً، ولذلك سيدنا أبو بكر ﷺ حارب الذين امتنعوا عن الزكاة وسُمُّوهم المرتدين، لأنهم امتنعوا عن دفع الزكاة، والزكاة فريضة من فرائض الدين، وأمر الله المؤمنين أن يعطوها للنبي، وأمر النبي أن يأخذها فقال له ولنا: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (١٠٣ التوبة)!

فلا بد للإنسان المؤمن أن يتحرى على الدوام، إخراج الزكاة ولا يحاول أن يتحايل في إخراجها لأن الزكاة تُحصِّن المال، قال ﷺ:

{ حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ }^{١٠}

الحبُّ الذي سنُخرج زكاته لن يمسه السوس ولن يُصاب بشيء من هذه الحشرات لأن الله سيُحصِنه بذاته، والمواشي التي سنُخرج زكاتها إذا كانت وجبت عليها الزكاة، سيُحصِنها الله ﷻ من الطاعون البقري، ومن الأمراض الكثيرة المتفشية، وتكون في أمان لأن الله حصَّننا بإخراج الزكاة، وهكذا.

إذا لم يُخرج الزكاة فالله ﷻ لا بد أن يستوفي حقه بأي كيفية... قال سيدنا رسول الله عن إحدى هذه کیفیات:

{ مَا مَنَعَ قَوْمَ الزَّكَاةِ إِلَّا ابْتِلَاهُمُ اللَّهُ بِالسِّنِينَ }^{١١} وفي رواية { وَلَا مَنَعَ قَوْمَ الزَّكَاةِ إِلَّا حَبَسَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْقَطْرَ }

والسنين أى الجذب والقحط والشدة أو يمنع المطر ! فإن أمطروا إبتلاهم بالآفات

١٠ معجم الطبراني ومسنَد الشهاب عن عبد الله بن مسعود ﷺ
١١ عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَالثَّانِي بِرَوَايَةِ الْحَاكِمِ وَابِيهِقَى. التَّزْجِيبُ وَالتَّزْهِيْبُ

ولا عد لها فتهلك الزرع وهذه علامة فعندما نرى آفات موجودة ومنتشرة في الزراعة نعرف أن الناس تكاسلوا وتقاوسوا عن دفع الزكاة المقررة لله ﷻ، لكي ينتبه هؤلاء الناس ويتذكروا أن عليهم لله هذه الزكاة، فإذا أخرجوا الزكاة فإن الله ﷻ يحفظ الزرع ويحفظ الصرع ويحفظ المال فوراً، لأن الزكاة هي التي تُحصن كل ذلك.

النوع الثاني: زكاة النفس:

وزكاة النفس يعني تطهيرها من الأمراض الأوباء التي نهي الله عنها، فأطهرها من الحقد، وأطهرها من الحسد، وأطهرها من البغض والكره، وأطهرها من الغل، وأطهرها من الشح والبخل، وأطهرها من الأثرة والأنانية، وأطبق على نفسي قول رب البرية في المؤمنين الصادقين: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧ الحجر).

فيكون مع زكاة الأموال زكاة النفس، وهي التي قال لنا الله فيها: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ﴾ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴾ (الشمس) وزكاها يعني طهرها مما ذكرناه وما أشرنا إليه، ومما هو بين ثنايا كلمات الله وبين حنايا أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ.

حفظ الفروج

السمة الرابعة: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاهِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾:

الحفاظ على الفروج، وقد تكون الفروج أعضاء التناسل، وهذا المعنى الأول والأهم أن الإنسان يحفظ فرجه من الوقوع في الزنا والعياذ بالله، لأنه أشد الآفات التي حذر منها الله ﷻ، ولأنه آفة الآفات لم يقل الله ﷻ لنا: و لا تزنا، ولكنه قال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ﴾ (٣٢ الإسراء) يعني يجب أن تبتعدوا عن المقدمات التي تُهيئ للزنا.

ومالذي يهيئ للزنا؟ النظر إلى النساء من الرجال، والنظر من النساء إلى الرجال:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ ﴾ (٣٠ النور) ، ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ ﴾ (٣١ النور) هؤلاء أمرهم بغض البصر، والآخريين أمرهم بغض البصر.

كان ﷺ مع نسائه في بيته، وكنت جالسات في حالة استرخاء لأنهن مع حضرة النبي

وليس في البيت أحدٌ أجنبي، يعني غير مكتملين الحجاب، ودخل سيدنا عبد الله بن أم مكتوم ﷺ وكان أعمى فظللن على الوضع الذي هنَّ عليه، فقال ﷺ:

{ احتجبا منه ، فقلتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَيْسَ هُوَ أَعْمَى لَا يُبْصِرُنَا وَلَا يَعْرِفُنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَفَعَمِيَا وَإِنْ أَتَيْتُمَا ، أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِيهِ }^{١٢}

وانظر إلى التشديد النبوي!!، فالطرفان مطالبان بغضِّ البصر، ومطالبان بعد ذلك إذا تحدثا أن يكون الكلام في معروف: ﴿ وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (١٣٢ الأحزاب) والمعروف يعني الكلام في الضروريات، مثلاً إذا ذهب أحد ليقضي مصلحة من بيت أخ له، وطرق الباب، فليقف على يمين الباب أو على يساره حتى إذا فتح الباب لا يرى ما بالداخل، ويكون نظره إلى الأرض، فلا تقع عينه على التي تفتح له الباب إن كانت امرأة، ويكلمها بأدب جم وبصوت عادي، ولا يسترسل في الكلام فيقول لها مثلاً: كيف حالك أو أخبارك؟ فهذا لا يجب، لأننا بهذا ندخل فيما نهى عنه الله، وفي المنطقة المحرمة التي حرّمها الله ﷻ علينا.

حتى في التليفون إذا اتصل رجل بأحد فردت عليه زوجته أو ابنته، فلا يجب أن يسترسل معها في الكلام، ويقول لها مثلاً: هل أنت ابنته؟ وفي أي سنة دراسية؟ وأخبارك؟ إلخ .، هذا ليس شأنك، أنت تتكلم في الموضوع الذي تريده فقط: ﴿ وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (١٣٢ الأحزاب) في الشيء المعروف.

أو أحد مع زميلة له في العمل فيتكلم معها في حدود العمل:

هاتِ هذا كذا، أو ماذا فعلت في الموضوع المكلفة به في كذا؟ هل جهزت السجل الفلاني؟ و فقط، ولكن لا يقول لها مثلاً: ماذا تفعلين مع زوجك؟ وكيف يعاملك زوجك؟ وأولادك ما أخبارهم؟ أنت ما شأنك وهذه الموضوعات!! هذه أخبار خاصة لا يجب أن تتدخل فيها ولا أن تساهم فيها، لأن ضعاف النفوس ينتهزوا هذا الكلام، فمن الجائز أن تكون مسكينة وتقول له: أنا وزوجي غير موفقين مع بعضنا وعندنا بعض المشاكل، فينتهز هذه الفرصة ويدخل ليحل محل الرجل، ولذلك ربنا الحكيم العليم قال: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ (١٣٢ الأحزاب).

١٢ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن أم سلمة ﷺ

هناك أناسٌ مرضى في المجتمع، وأين هذا المرض؟

في القلوب، فينتهز الفرصة ويدخل، فيجب أن يكون الكلام بيننا وبين بعضنا في الجامعة مثلاً عن الدروس والمحاضرات، فتقول له مثلاً: أنا أريد محاضرة كذا لو سمحت وانتهى الأمر، لكن يقول لها: اعطني رقم تليفونك، تقول له: لا، أو يقول لها: من أي بلد؟ لا تسترسل معه، هي تريد المحاضرة فقط.

فيكون الكلام في الضرورات إن كان في العمل أو في البيت أو في المدرسة أو في الجامعة .. يكون الكلام في المتعارف عليه فقط.

لكن أنا أسمع في المصالح كلمات بين نساءٍ أجنبيات ورجالٍ أجنب مع بعضهم كلاماً يندى له الجبين، تصل إلى المزاح، والمزاح محذور، وكذلك الكلمات التي لا تليق، والذي يحدث بعدها فقهة بين الإثنين، مع أن الله ﷻ نهي عن ذلك نهياً صريحاً وقال: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَى﴾ (الإسراء: ٣٢) يعني كل الطرق التي تؤدي إلى الزنا نبتعد عنها بالكلية.

ذاهب إلى أخي لأزوره في البيت وليس هناك أحدٌ إلا إلا زوجته!، هل يُباح لي أن أدخل؟ لا، لأنني لست محرماً لزوجته، فأسأل: هل فلان موجود؟ إذا قالت زوجته لي: إنه غير موجود، أذهب وأمضي، ومن الجائز أن تقول لي: تفضل، فأقول لها: لا، سأنتظره في المسجد أو في مقهى حتى يرجع وأرسله لي، لماذا؟ لأن النبي أغلق هذا الباب وقال:

{ لَا يَخْلُونَ أَحَدُكُمْ بِأَمْرٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا }^{١٣}

هل استثنى الحبيب أحد؟ لا، الخلوة للمحارم فقط، والمحارم يعني المحرم عليهم أن يتزوجوها، كأبيها وأخيها وأبي الزوج لا مانع أو عمها أو خالها، لكن أخو الزوج لا يجوز له الخلوة، فلا يدخل إلا في وجود الزوج، أو في وجود أبناء كبار بالغين، لكن إذا كانت هي وحدها في البيت فقد منع الإسلام ذلك، ومنع أن يسافر معها كذلك حتى ولو لمصلحة ضرورية إلا إذا اصطحبا معهما محرم.

أخي مسافر للسعودية مثلاً، وزوجته تعرضت لمرض لها أو لطفل من أطفالها وتريد أن تسافر إلى بلد قريب للطبيب، فهل ينفع أن أسافر معها وحدنا؟ لا، لا بد أن يكون معها محرم من طرفها، يجوز أن يسافر معها والذي لأنه محرم.

١٣ مسند أحمد وابن حبان عن عمر بن الخطاب

فأمر الله ﷻ بسدِّ كل هذه الأبواب التي تؤدي إلى الزنا حرصاً على نقاء المجتمع المسلم وطهارته لأنها أخطر مصيبة تحلُّ بالمسلمين، ويكفي فيها قول الصادق الأمين:

{ الزَّانَا يُورِثُ الْفَقْرَ }^{١٤}، وورد في بعض الأثر:

{ بَشِّرِ الْقَاتِلَ بِالْقَتْلِ، وَالزَّانِيَ بِالْفَقْرِ، وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ }

فلا بد أن نبعد عنه ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ...

أما بالنسبة لزوجته فقد أحلها الله له إلا في أوقاتٍ محددة، وفي أماكن محددة، وكذلك ملك ذات اليمين التي كانت موجودة في الأزمان السالفة.

خطورة العادة السرية

أيضاً الحفاظ على الفرائض يقتضي أن يعلم شبابنا أن الله ﷻ حرَّم على المؤمنين أجمعين ما يسمونه بالإستمناء أو العادة السرية، لأن كثير من الشباب يلجأ إليها ويظن، أو غيره يُوهمه بأنها حلال، لكن اتفق أهل المذاهب الفقهية على أن العادة السرية حرام لأنها داخلة في هذه الآية، وداخلة في قول الله: ﴿فَمَنْ آتَىٰ ذَٰلِكَ﴾ وهي العادة السرية، أو اللواط ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ على حدود الله، وعلى حقوق الله، وعلى شرع الله جل في علاه، والعادة السرية يكفي فيها قول رسول الله ﷺ:

{ سَبْعَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَجْمَعُهُمْ مَعَ الْعَالَمِينَ، يُدْخِلُهُمُ النَّارَ أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ إِلَّا أَنْ يَثُوبُوا، إِلَّا أَنْ يَثُوبُوا، فَمَنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، النَّاكِحُ يَدَهُ، وَالْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ بِهِ، وَالْمُدْمِنُ بِالْحَمْرِ، وَالضَّارِبُ أَبُوَيْهِ حَتَّى يَسْتَفِيثَا، وَالْمُؤْذِي جِيرَانَهُ حَتَّى يَلْعَنُوهُ، وَالنَّاكِحُ حَلِيلَةَ جَارِهِ }^{١٥}

أولهم الناكح يده، فهذا والعياذ بالله لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزكيه حتى يدخل الجنة، وله عذابٌ أليم، هل هناك بقي شيء بعد هذا الحديث؟! هل هناك من يقول بعد ذلك أنها حلال!! فالذين يخللونها - هداهم الله - نظروا إلى أهل الغرب، وأهل العرب لا

١٤ شعب الإيمان للبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

١٥ شعب الإيمان للبيهقي عن أنس

يأتينا منهم إلا كل كرب، وقالوا: أن العلم يقول: أن الإنسان لا بد له من تصريف الفاض عن جسمه من الحيوانات المنوية وإلا سيتعب، مع أن الله جعل لنا تصريفاً طبيعياً في الاحتلام أو الاستنواء، والاحتلام أنه يشعر في النوم أنه يعاشر امرأة ويُنزل، والاستنواء أن يستيقظ من النوم ويجد نفسه قد أنزل ولا يرى مناماً ولا يشعر بشيء، وهذا يحدث حتى مع المتزوجين، إذا كان متزوجاً وذهب بعيداً عن زوجته لفترة طويلة فيحدث له نفس الأمر ... فالله جعل لنا تصريفاً طبيعياً إلهياً ربانياً ..

فلا نسمع لقول المرجفين من أهل أوروبا وأمريكا بأن هذا لا بد منه، وهذا ما يرددوه لأبنائنا في الجامعات، والنتيجة كما نراها الآن أن معظم شبابنا عندما يتزوج يصاب بالضعف الجنسي ولا يستطيع القيام بحقوق الزوجية، فيُسرعون للسحرة والدجالين، أو للطبيب إن كانوا عقلاء فيخبرهم أن عنده ضعف جنسي أو دوالي في الخصيتين! ولا بد من إجراء عملية لكي يستطيع إقامة العلاقة الجنسية وللإنجاب! وتتعقد الأمور!! فمن أين أتته الأشياء؟ من هذه العادة السرية السيئة التي يمارسها شبابنا، ولذلك معظم شبابنا في هذا الزمان يحتاج إلى عملية دوالي الخصيتين، وما سبب الإصابة بذلك؟ بسبب الممارسات الغير طبيعية البدنية والعصبية عندما يعبث بذكره، ويحاول أن يمارس العادة السرية بأي كيفية!!، ولذلك نهي الله ﷻ عنها.

فاحشة اللواط

ونهى الله أيضاً عن اللواط :

وهو إتيان الرجل للرجل، أو إتيان الرجل للمرأة من الدبر، فقال فيه ﷻ:

{ مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ، وَالْمَفْعُولَ بِهِ }^{١٦}

الإثنان يُقتلا، لأن هذا ليس من شريعة الإسلام، وأنتم تعلمون أن قوم لوط أنزل الله عليهم العقاب بسبب هذه الجريمة، العقاب الأول بالصيحة، والعقاب الثاني أخذوا إلى السماء السابعة ثم قُلبوا إلى الأرض السافلة، والعقاب الثالث رجمهم الله ﷻ بالحجارة، فهذا عقاب هذه الفعلة الفاحشة المنكرة التي نهي عنها الله ﷻ.

١٦ جامع الترمذي وأبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما

نسأل الله ان يحفظ شبابنا وفتياتنا أجمعين من هذه الوباءات التي انتشرت كالنار في الهشيم، وأن يحفظهم بحفظه ويجعلهم صالحين وأتقياء وبررة في الدنيا، وسُعداء مع النبيين والمرسلين يوم الدين آمين يا رب العالمين.

حفظ الأمانات

السمة الخامسة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾:

هذه الآية تطالبنا بحفظ الأمانة، وأهم صفة يطلبها الله ﷻ من المؤمن هي قول النبي:

{ أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ اتَّمَمْتَهَا وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ }^{١٧}

وكان النبي ﷺ من شدة حرصه على تعليم هذا الخلق لأمته، أنه كان قبل الهجرة لا يجد الكافرون مكاناً آمناً يستودعون فيه الشيء الثمين عندهم إلا عند رسول الله!!، مع أنهم كانوا يجاربونه!! وعندما خرج أصحابه نهب الكفار بيوتهم وأخذوا أموالهم وأخذوا تجارتهم وأخرجوهم بدون شيء من ممتلكاتهم، وعند خروج النبي أمر ابن عمه علي بن أبي طالب أن ينام في مكانه مع أنه سيتعرض للقتل، وأعطاه كسفاً بهذه الودائع وأسماء أصحابها، وأمره أن لا يترك مكة ولا يهاجر إلا قبل إعطاء كل وديعة لصاحبها، فمكث الإمام عليّ ﷺ وكرم الله وجهه ثلاثة أيام، إلى أن أدّى الودائع كلها لأهلها، ثم هاجر ليلحق بالحبيب المصطفى صلوات ربي وتسليماته عليه، ويكفي في هذه الصفة الطيبة أن النبي قال لنا في حديث مبارك شريف:

{ لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ }^{١٨}

ما علامة صدق الإيمان؟

أن يكون الإنسان متخلفاً بخلق الأمانة، إذا كان الإنسان غير أمين، فإن دينه فيه وهن، وفيه ضعف، وفيه رقة، وفيه لين، لكن لو كان إيمانه قوياً لكان أميناً، لأن من علامة صدق الإيمان أن يكون الإنسان أميناً في كل تصرفاته، وأميناً في كل عودته، وأميناً في كل عهوده، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.

١٧ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي هريرة

١٨ مسند أحمد وابن حبان عن أنس

المحافظة على الصلوات

السمة السادسة: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ :

وهذه قد يرى البعض أن فيها تكرار، لكن لا، ففي المرة الأولى تكلم عن الخشوع في الصلاة في هيئة الصلاة، لكن في هذه المرة تكلم عن المحافظة على أداء الصلاة في أوقاتها التي حددها الله ﷻ، لأن الله قال لنا في كتاب الله: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (النساء ١٠٣) لها أوقات حددها الله ﷻ، وقت الأذان، فمثلاً آذن الظهر فيه صلاة الظهر إلى ما قبل العصر، فهذا وقت الظهر ولكن جعل فيه وقت أول، ووقت ثاني أقل منه في الدرجة، ووقت ثالث أقل في الدرجة، فمن يُصلي في الوقت الأول غير من يُصلي قبل العصر، كيف؟ قال ﷻ، وانتبهوا للحديث:

{ **أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ، وَوَسَطُ الْوَقْتِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَآخِرُ الْوَقْتِ عَفْوُ اللَّهِ** }^{١٩}

فمن صَلَّى في أول الوقت يحظى بدرجة الرضوان: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (١٧٢ التوبة) ووسط الوقت رحمة الله: ﴿ أَوْلَيْكَ سَيِّرَحْمَهُمُ اللَّهُ ﴾ (١٧١ التوبة) وآخر الوقت عفو الله، فهل من ينال درجة الرضوان كمن يكون في عفو الله ﷻ!!؟ يعفو أو لا يعفو عنه

إذا المؤمن يجب أن يحافظ على أداء الصلوات في أوقاتها لأن الله قال بذاته: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (٢٣٨ البقرة) والصلاة الوسطى لم يبينها الله، ولا رسول الله لنحافظ على الصلوات كلها، بعض الأئمة قال: الفجر، وبعضهم قال: الظهر، وبعضهم قال: العصر، لكن سيدنا رسول الله لم يبينها بياناً صريحاً لنحافظ على الصلوات كلها في وقتها في جماعة.

ورثة الفردوس

الذي يحافظون على هذه الصفات الست، ما أجرهم؟ بين الله ﷻ عظيم الأجر والجزاء الذي جعله لمن يعمل بهذه الآيات - نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين - فقال في حقهم: ﴿ **أَوْلَيْكَ هُمُ الْوَارِثُونَ** ﴾ (١١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ :

ولذلك نسميهم ورثة الفردوس، والجنة لها أسماء كثيرة بحسب أقسامها وأحيائها، ففيها جنة الخلد، وفيها جنة عدن، وجنة المأوى، ودار السلام، وجنة النعيم، ودار المقامة، كل هذه أقسام للجنان وكل قسم له أهله، لكن لما وصف النبي ﷺ الفردوس قال:

{ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ }^{٢٠}

إذا فالفردوس درجات، فيه الأعلى، وفيه الأوسط، وفيه الأدنى، وهذا الفردوس تحت العرش مباشرة، والعرش ليس مكان، ولكن العرش موضع تجلي حضرة الرحمن بذاته لمن يُرد أن يتمتعهم بالنظر إلى جمالاته.

فالفردوس تحت العرش مباشرة، ولذلك أراد الله ﷻ لهم متعة النظر إلى الوجه الكريم، والتي يقول فيها في الذكر الحكيم: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٣﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة) ناصرة يعني تظهر عليها نُصرة النعيم، وبهجة النعيم، وجمال النعيم الذي ادخروه في دار المقامة، فعندما يريد الله أن يتمتعهم يرسل إليهم رسائل إلهية، كما ورد في الأثر: ((من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت، عبدي اشتقت لرؤياك فتعالى لتزورني))، لأن الإنسان يكون دخل في: ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ليس فيها موت نهائي، فكما قال ﷻ:

{ إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُدْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٌ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ بِلا مَوْتٍ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ بِلا مَوْتٍ }^{٢١}

فمن الناس من تُرسل إليه هذه الدعوة بمقدار كل سنة من سنين الدنيا مرة، ومنهم من تُرسل إليه هذه الدعوة بمقدار كل شهر من وقت الدنيا، ومنهم من تُرسل إليه هذه الدعوة بمقدار كل أسبوع من أيام الدنيا، ومنهم من تُرسل إليه هذه الدعوة بمقدار كل يوم من أيام الدنيا ... على حسب درجاتهم وقربهم من الله ﷻ ..

هذا الكلام كله سيكون في جنة الفردوس، على الكتيب الأحمر، يعني كوم عالي

٢٠ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه
٢١ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

كالمدرج، فمنهم من يكون له منبر من نور يجلس عليه، ومنهم من يكون له كرسي من جلال يجلس عليه، ومنهم من يكون له بساط يجلس عليه، ومنهم من يقف! كل على حسب درجته ومقامه، يكون هؤلاء على الكتيب الأحمر فوق الفردوس مباشرة، لكي يتمتعوا بالنظر إلى وجه الله ﷻ ... والنظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى أبهى مُتَع الجنة وأغلاها وأرقاها، ولذلك لا يناله إلا الكُمَّل من الرجال الذين يَمُنُّ اللهُ عليهم بفضله، وينالوا هذا النوال لا بعملٍ ولا بشيء قدموه، وإنما بفضل من الله ﷻ ورحمة.

سيدخلون الجنة ويرون فيها ألوان النعيم، وألطف حضرة الكريم، فيخافون أن يكون هذا الأمر لفترة معينة، ويخرجوا مرة ثانية، فطمأنهم الله ﷻ وقال:

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ :

يعني من يأخذ قطعة منها فلا يُطرد منها، ومن أخذ قصراً أصبح ملكه إلى ما شاء الله، ولا أحد ينازعه فيه لأنه ملكه، لأن من ورثه هو خير الوارثين وهو الله ﷻ:

﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ :

خلودٌ بلا موت، يظلون شباباً على الدوام لا يكبر أحدهم في السن، ولا تظهر عليه علامات الشيخوخة، بل يظلون كما قال ﷻ:

{ لَا يَبْلَى شَبَابُهُمْ } ٢٢

لا يظهر عليهم العجز والكبر أبداً، فيكون الكل في سن الثلاث والثلاثين سن الشباب على الدوام، فلا يأتي يوم يكون مثلاً أربعة وثلاثين! لا، ولكن يظل دائماً في ثلاث وثلاثين، وفي طول آدم، وفي جمال يوسف، وفي رشاقة وحيوية سيدنا محمد ﷺ .. ويظل في النعيم المقيم عند الله ﷻ لا يكلُّ ولا يملُّ ولا يصيبه بأسٌ ولا قنوط، ولكن دائماً وأبداً في تجديدٍ للنعم، وتجديدٍ للعطاءات، وتجديدٍ للهبات من الحي الذي لا يموت ﷻ.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل هذا الجمال، وأن يواجهنا بهذا الكمال، وأن يعيننا على التخلق بهذه الخلال، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ
 مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَائِدَتِ
 رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا
 يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا
 آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
 رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي
 الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَاهُنَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا
 نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ
 يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

(المؤمنون)

٢٤: المسارعون في الخيرات

كلنا نعمل الخير ونرغب في المسارعة إلى فعل الخيرات والتنافس في الطاعات، وعمل القربات التي تكون لنا بها منزلةً طيبةً عند الله ﷻ في الدنيا ويوم الميقات، هذه المسارعة إلى الخيرات لا بد أن تسبقها نية طيبةٌ منا أجمعين، لأن الأعمال بالنيات كما قال ﷺ:

{ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ }^٢

لكن الله ﷻ جعل شروطاً ومواصفاتٍ في كتاب الله لمن يسعى في الخير، ولمن يرغب في عمل البر، ولمن يريد أن يعمل أعمالاً لنفسه أو لقومه أو لجمعه، ولا بد أن تنطبق هذه المواصفات لأن الذي وضعها هو الذي يتقبل من الأعمال الصالحات وهو الله ﷻ.

وضع شروطاً لا بد لكل مؤمن أن يعيها وأن يعرفها، وأن يحاول أن يتصف بها، وأن يعمل جاهداً على أن يجمعها كلها، سواءً قبل عمله للخير، أو أثناء عمله، أو بعد عمله، المهم أن يكون متجماً بها على الدوام، إذا سقط شرطٌ منها ربما يقلّ أجره، وربما يُحرم الثواب، وربما لا ينال الأجر بالكلية لأنه خالف الشروط الإلهية القرآنية التي جعلها الله ﷻ في قرآنه الكريم.

خشية الله

أول هذه الشروط الألهية:

أن يكون متخليقاً بخلق الخشية، والخشية غير الخوف، فالخوف للإنسان قد يكون معه رُعبٌ وهلع، لكن الخشية يكون معها رقة، ومعها شفقة، ومعها عطف، ومعها حنان، ولذلك وصف الله ﷻ العلماء الأجلاء الأتقياء بأنهم أهل خشية الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَخَشَوْنَهُ﴾ (٣٩ الأحراب) الخشية خوف مع استعطاف، ومع استترقاق من الله ﷻ، هذا الخوف يجعل الإنسان يُقبل على الله ولا يبتعد عن الله جل في علاه.

١ الأقصر - الطود - مركز القادة ٩ من صفر ١٤٣٨ هـ ١١/٩/٢٠١٦ م

٢ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب

ولذلك جعل الله ﷻ أول صفات الذي يفعل الخيرات الخشية لله ﷻ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴾ :

وهذه الصفة سأضرب لها مثلاً: الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لكنهم لمشاهدتهم عظمة الله، وجلال الله، وقدرة الله، فهم في أشد الخشية على الدوام من حضرة الله ﷻ.

أعظم الملائكة جبريل الذي اختصه الله بالنزول بالوحي والتنزيل على نبينا ﷺ وعلى المرسلين أجمعين، وهو الذي صحب النبي ﷺ في رحلته المباركة؛ رحلة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس، ورحلة المعراج إلى العرش، ثم وقف هناك وقال كما ورد: إلى ها هنا انتهى مقامي، قال: يا أخي يا جبريل أها هنا يترك الخليل خليله؟ قال: يا محمد أنت لو تقدمت لاخترت، وأنا لو تقدمت قدر الأتملة - يعين طرف الإصبع - لاخترت، قال: ألك حاجة؟ قال: أن يؤمني الله ﷻ... يعني كان خائفاً من جلال الله ومن قدرة الله ومن عظمة الله جل في علاه، لأنه شاهد العظمة التي لا تُحد، والقدرة التي لا يستطيع أن يسعها أحد، فكان في خشية شديدة من الله سبحانه وتعالى، فنزل من أجله قول الله ﷻ: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ (الشعراء) ولذلك سأله رسول الله ﷺ كما جاء بالخبر المشهور الآخر:

{ إن الله يقول ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ فهل أصابك من هذه الرحمة؟

قال: نعم إني كنت أخشى عاقبة الأمر فأمنت بك لثناء أثنى الله علي بقوله:

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (٢٠ - ٢١ التكويد) ٣٤

فأعطاه الله ﷻ الأمان، فأصبح أميناً في الدنيا، وأميناً في الآخرة وأميناً عند الله ﷻ.

فأول صفة للمؤمنين المسارعين إلى فعل الخيرات ... بعد النية الطيبة ... أن تكون عندهم خشية من جلال الله:

وقبل العمل يعلمون علم اليقين أن الذي يطلع على حركاتهم الظاهرة والباطنة، والذي يرى ما في السرائر، والذي يطلع على غيب الضمائر هو الله ﷻ، وهو وحده الذي إليه المرجع وإليه المصير، وهو الذي يُثيب، ويجازي أو يُعاقب المخطئ، ولا يستطيع الناس جميعاً

٣ تفسير روح البيان والشفاء والسيرة الحلبية وكثير من كتب التفسير

لو اجتمعوا أن ينفعوه بشيء إلا بإذنه، ولا يدفعوا عنه شيئاً إلا بإرادته ﷻ.

فهنا يُجرر النية في العمل أن يكون العمل لله، لا لأحدٍ سواه، وهذا هو المشهد الأول الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ... فإذا أراد أن يعمل خيراً لأحدٍ من الخلق، أو خيراً لنفسٍ من الناس، أو معروفاً لأي إنسان، كان دائماً يستحضر أن يعمل لله، وليس لهذا الإنسان، لأن الذي يتولى إثابته ومكافأته هو الله ﷻ.

ورد أن السيدة عائشة ؓ والسيدة فاطمة ؓ كانتا كلتاهما قبل أن تتصدق تأتي بعطراً وتُعطر المال الذي ستخرجانه ثم ترسلانه إلى الفقير، فسُئلتا: لم تفعلنا ذلك؟ قالتا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول:

{ إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ الْمُصَدِّقِ عَلَيْهِ }^٤

فكانوا يُعطون الصدقة على أنها تقع في يد الله ﷻ، وكانت السيدة عائشة ؓ بالإضافة إلى ذلك تطلب ممن يحمل لها الصدقة إلى الفقير أن يحفظ ما يدعو به الفقير، لأن العادة أن الفقير إذا أعطاه أحدٌ شيئاً فإنه يدعو له، وبعد أن يعود تسأله: بم دعا؟ فيقول لها الدعاء، فتدعو للفقير بما دعا لها، فسُئلت عن السبب؟ فقالت:

دعاءً بدعاء حتى تسلم لنا صدقاتنا.

تخاف من دعاء الفقير حتى لا يكون أجراً لهذه الصدقة، لأنها تريد الأجر من الله ﷻ، ولو وُجدت هذه الصفة على القائمين على المشاريع الخيرية، والجمعيات الاجتماعية، والأعمال الخيرية كلها، لغطت أعمال البر مجتمعنا وفاضت عنا.

فماذا نحتاج في البداية؟

الذين يخافون الله، ويخشون الله، ويعلمون أن الأمر كله بيد الله وحده لا بيد أحدٍ سواه، فإذا كان يستطيع أن يُفلت في الدنيا من الجهاز المركزي للمحاسبات، أو من الجهات الرقابية، فكيف يُفلت في الآخرة؟! والذي يُحاسبه هو مولاه، والشهود عليه جوارحه التي فعلت، والأرض التي مشى عليها وصنع عليها، والملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

٤ البر والصلة لابن الجوزي عن عائشة ؓ

الإيمان بآيات الله

الشرط أو الصفة الثانية والتي لا غنى لأي مؤمنٍ عنها:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾:

لا بد أن يكون عنده إيماناً كاملاً بآيات الله، وآيات الله عندنا ثلاثة أصناف: آيات كتاب الله التي نزلت على رسول الله، وآيات الله ﷻ الموجودة في الآفاق: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران) وهي آيات كونية كالسماوات والأرض والجبال والشمس والقمر والبحار.. كل ما على الأرض وما فوقها وما تحتها آيات، يعني علامات بارزة تدل على قدرة الله، وعلى إعجاز صنع الله، وعلى إبداع الله تبارك وتعالى في صنعته.

الآيات الثالثة وهي الموجودة في الإنسان، ففبك من آيات الله ما يعجز أي إنسان - ولو لبيب - إذا تدبَّر فيه من قريب، ولذلك قال بعض الصالحين: ((تُبصرك فيما فيك يكفيك)) لو نظر الإنسان إلى آيات الله، يعني علامات قدرة التي فيك إن كانت في الوجه، أو كانت في اليدين، أو كانت في الرأس، أو كانت في البطن، أو في أي عضوٍ من الأعضاء، علامات بارزات تدل على قدرة الله سبحانه وتعالى على الدوام.

ولذلك أمر الله ﷻ المؤمنين أن يُشاهدوا هذا الفيلم الرباني الكوني، وهذا الفيلم الذاتي الإنساني، وقال في ذلك: ﴿ سَتُرِيهِمْ عَآيَاتِنَا ﴾ (فصلت) أين يا رب؟

﴿ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت) لا بد للإنسان أن ينظر للآيات التي في الأكوان، والآيات التي في نفسه ليعرف قدرة الله ﷻ. كيف؟

هذه عبادة بدأ بها ﷺ صحبه الكرام، فالرسول استمر يدعو إلى الله في مكة ثلاثة عشر عاماً، والصلاة فُرضت في العام الإثني عشر، يعني قبل الهجرة بسنة، والصيام والزكاة لم يُفرضوا إلا في العام الثاني من الهجرة، فماذا كانت عبادتهم في هذه السنين؟ كانت عبادتهم هي عبادة التفكير، فكانوا يتفكرون في خلق الله، وفي أنفسهم، وفي آيات كتاب الله ﷻ، ويربطوا هذه الأفكار بالله سبحانه وتعالى، فيهدون إلى عجيب قدرة الله وغرائب صنعته.

والتفكير أكبر عبادة، لأنه عبادة الأنبياء والمرسلين، فسيدنا رسول الله ﷺ كان قبل بعثته يجتلي في غار حراء، وماذا كان يفعل؟ تحكي الروايات أنه كان يتفكر، فيقف أمام الغار، أو يجلس في الغار ويتفكر في نفسه، ويتفكر في خلق الله من حوله، حتى قال أهل مكة من شدة شغله بهذا التفكير: إن محمداً عشق ربه، لماذا؟ لأنه كان مشغول البال على الدوام بهذا التفكير، هذا الفكر يقول فيه ﷺ مبيناً قدره بالنسبة للنوافل والعبادات:

{ لا عبادة كالتفكير }^٥

لا توجد عبادة في النوافل حتى قيام الليل أو صيام النهار أو غيره تساوي عبادة التفكير، لكن منهج التفكير يكون من العرش إلى الأرض، ولا نبحت عما زاد على ذلك، فهذا مقررنا، قال فيه ﷺ:

{ تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في الله }^٦، وفي رواية أخرى:

{ تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله فتهلكوا }^٧

وما أجر التفكير الذي يُثيب الله الإنسان عليه؟ قال ﷺ:

{ تفكر ساعة خير من عبادة سنة }^٨

والساعة تعني اللحظة، فتساوي سنة في النوافل التي يصنعها ويفعلها الإنسان ليُرضي الله ﷻ، وفي رواية أخرى:

{ فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة }^٩

والتفكير هي العبادة الثانية التي لا بد منها للإنسان، لأن أهم ما يفكر فيه؛ أن يفكر في البداية ويفكر في النهاية، ويفكر في المرجع والمآب والمصير، ويعلم علم اليقين أنه إن آجلاً أو عاجلاً ذاهباً إلى الله، فلا ينبغي عليه أن يخالف مولاه طرفة عينٍ ولا أقل، ولا يصنع إلا ما يحبه ويرضاه الله سبحانه وتعالى.

٥ معجم الطبراني ومسنَد الشهاب عن علي بن أبي طالب ﷺ

٦ معجم الطبراني والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

٧ العظمة للأصبهاني عن أبي ذر ﷺ

٨ الفوائد المجموعة للشوكاني

٩ العظمة للأصبهاني عن أبي هريرة ﷺ

إخلاص العمل لله

الصفة الثالثة: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ :

هل يوجد شرك بعد الإيمان؟! يعني إنسان مؤمن كيف يأتيه الشرك؟!
 الله ﷻ يقول في القرآن: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (١٠٦ يوسف)
 سئل النبي ﷺ في ذلك، فقال ﷺ:

{ إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ } ١٠

والشرك هنا أن الإنسان يصنع العمل من أجل الخلق، من أجل أن يحمده، ومن أجل أن يشكروه، ومن أجل أن يعظموه، ومن أجل أن يوقروه، ومن أجل أن يستفيد من ورائهم .. فالدافع له من العمل ليس لإرضاء الله، ولكن لإرضاء خلق الله، وهذا اسمه شرك عند الله ﷻ: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١١٠ الكهف).

فالعبادة يجب أن تكون خالصة لله ﷻ، وهذا ما كان يراعيه الصحابة الأولون، ومن بعدهم من الصالحين إلى يومنا هذا، وإلى يوم الدين.

انظر إلى الإمام عليّ عليه السلام وكرم الله وجهه، دعاه رجلٌ من الكفار في إحدى الغزوات إلى المبارزة، والمبارزة هي أن كل واحد يمسك بالسيف ويحاول أن يقضي على الآخر، وهي كالمصارعة الحرة ولكن يُضاف إليها سلاح، فأخذا يتضاربان بالسيوف حتى تكسر سيفيهما، فماذا يفعلان بعد ذلك؟ دخلا في مصارعة حرة، وكل واحد منهما يريد أن يوقع الآخر على الأرض، ومع كل واحدٍ منهما خنجرًا ليقتله به .. وفي النهاية رفعه الإمام عليٌّ وجلده على الأرض، وركب عليه وأخرج الخنجر لكي يذبحه، فبصق الرجل في وجه الإمام علي، لأنه لم يعد معه حيلة، فقام الإمام عليّ عليه السلام من عليه وتركه، فذهل الرجل وقال له: كيف تركتني بعد أن تمكنت مني؟! قال: كنت أقاتلك لله، فلما بصقت في وجهي خفت أن أقتلك انتقاماً لنفسي وليس مرضاةً لربي ﷻ، قال: وهل تراقبون الله تبارك وتعالى في هذه المواطن؟! قال: وفي أدقِّ منها!!.

١٠ سنن ابن ماجة والحاكم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

كانوا يراقبون الله مراقبةً عتيدةً في هذه المواطن بأنه لا يتبسّم إلا لله، ولا ينطق لأحدٍ من الخلق إلا ويقصد بما رضاء الله، ولا يفعل عملاً صغيراً أو كبيراً إلا وهمه رضاء الله تبارك وتعالى، وهذا هو الإخلاص، فالإخلاص أن يكون العمل خالصاً لله ﷻ.

وحَدَّدَ اللهُ ﷻ قبول الأعمال في قرآنه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (هالبينة) لا بد أن يؤسس المؤمن العبادة على الإخلاص، وأي عملٍ يعملهُ المسلم ما دام قد نوى فيه مرضاة الله فيكون عبادة، كما قال النبي:

{ وَلَسْتَ تَنفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى اللَّقْمَةَ تَجْعَلَهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ }^{١١}

اللقمة التي يرفعها ويطعمها لزوجته بشرط أن تصحبها نية خالصة سوية لله ﷻ تكون عبادة، وإذا داعب ابنه فتكون عبادة لله ﷻ، وأي عملٍ من الأعمال تستطيع أن تحوله من العادة إلى العبادة إذا سبقته نية خالصة، وصحبه الإخلاص هو أن يكون هذا العمل متوجهاً إلى الله ﷻ ... إذا ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾:

يعني قد تطهروا من الرياء، وعقدوا النية على الإخلاص، ونحن نحتاج إلى هؤلاء المخلصين، حتى قال ﷺ في الصادقين من أهل هذا الزمان:

{ طُوبَى لِلْمُخْلِصِينَ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الدَّجَى تَنْجَلِي عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلَمَاءَ }^{١٢}

هؤلاء هم المخلصون أو المخلصون، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

فصفة الإخلاص أساس في أي عملٍ من أعمال البر أو الخير كما ذكر الله ﷻ، وما أضاع الناس إلا حب الظهور، والرغبة في الشهرة، وطلب السمعة .. كل هذه الأمور تضيع الإنسان في دنياه، وتجعله خالياً من الحسنات في أخراه، لأن الله يوم القيامة يقول:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ }^{١٣}

لا يقبل الله العمل إلا إذا كان خالصاً لوجهه الكريم ﷻ.

١١ البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص
١٢ شعب الإيمان للبيهقي عن ثوبان
١٣ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة

الرهبته من الله

الصفة الرابعة: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ :

لما نزلت هذه الآية قالت السيدة عائشة لرسول الله:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أَهُوَ الرَّجُلُ يَزْنِي وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: لَا، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيُصَلِّي، وَيَتَصَدَّقُ، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ }^{١٤}

والوجل هنا من عدم قبول العمل، فنحن كلنا نعمل ولكن ليس مهماً العمل فقط، ولكن المهم القبول، ولذلك قيل: ((الجاهل يهتم بالإقبال والعالم يهتم بالقبول)) الجاهل يهتم بإقبال الناس عليه وإحاطتهم به وتعظيمه وتكريمه، والعالم يهتم بالقبول عند الله ﷻ، فيعمل المعروف ويعمل الخير ويعمل البر لخلق الله، ويفعل الطاعات لنفسه طلباً لمرضاة الله .. وكله خوفاً ووجلًا (خوفٌ شديد) .. أن الله ﷻ لا يقبله ولا يتقبل عمله.

وإلى ذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا كما وصفهم الله: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ آلِإِلٍ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (النذاريات) والمهجوع يعني النوم الخفيف، كانوا ينامون النوم الخفيف، لماذا؟ ليحيوا الليل في طاعة الله ﷻ، ومع ذلك كانوا ساعة السحر والتي هي قبل الفجر مباشرة: ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (النذاريات) من أي شيء يستغفرون؟ من الطاعات، لأنهم خائفون من القصور والتقصير.

فالمؤمن العالى، والذي قلبه مملوء بخشية الله، والذي يطلب رضاء الله دائماً ينظر إلى العمل من كل جوانبه، ويخاف أن يُقَصَّرَ فيه فلا يقبله مولاه.

ولذلك لو تصفحنا دوواين الصالحين وحياتهم تجدهم أجمعين كلهم كانوا مجملين بالقصور، ورؤية النفس أنها عدمٌ أو هباءً، أو أنه لا يستطيع أن يقدم شيئاً قليلاً أو كثيراً، وكان ميزانهم في الأفراد ذلك الميزان ويقولون:

((من رأى نفسه فوق التراب ضل)).

من يرى نفسه، ويسعد بنفسه، ويرى نفسه عالم أو عابد أو مجد أو مجتهد فهذا لم يفهم القضية، لأنه لو نظر نظرة بتمكين إلى المعونة التي يقدمها له الله، والقوة التي يقويه بها الله، والحوال والطول اللذان يواليه بهما مولاه، فماذا له؟ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة) فلو لم تأت المعونة فكيف نعبد؟! لا نستطيع أن نعبد ﷻ إلا بمعونته، ولا نستطيع أن نمنع أنفسنا عن المعاصي إلا بإرادته، ولا نستطيع أن نفعل أي عملٍ إلا إذا أمدنا بحوله وقوته ﷻ.

إذا رفع المعونة والحوال والطول فماذا معنا؟! لا نملك شيئاً نقدم به عملاً نافعاً لله إلا إذا أعاننا وقوانا الله جل في علاه، ولذلك كان الأنصار والمهاجرين يقولون:

اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينتنا علينا وثبتت الأقدام إذ لاقينا

وكان الله ﷻ على الدوام يلاحظهم في هذه الأحوال، ويطهرهم من هفوات النفس.

ذهبوا في غزوة بدر وكانوا ثلاثمائة وإحدى عشر أو ثلاثة عشر رجل، على حسب الروايات، والكفار يزيدون عن الألف، ونصرهم الله، لأنهم كانوا لا يرون لأنفسهم طاقة بمحاربة هؤلاء فتضرعوا إلى الله، واستغاثوا بالله، وطلبوا العون من الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (الأنفال).

فلما دخلوا في القتال، ورأوا أنه قد قُتل من الكافرين سبعين رجلاً، فكان يقول بعضهم: أنا قد قتلتُ فلان، والآخر يقول: وأنا قتلت فلان، وبعضهم يقول: أنا أريد في الغنائم أكثر لما أبليت، والآخر يقول أنا أريد في الغنائم أكثر للعمل الفدِّ الذي عملته، فقال الله لهم: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ (الأنفال) هل أنتم عملتم شيئاً؟!!

فلماذا تذكرون أنفسكم بالفعل وتنسون الله ﷻ؟! وسيدنا رسول الله قبل المعركة أمسك بحفنة من الحصى ورماهم بها، وقال:

{ شَاهَتِ الْوُجُوهُ }^{١٥}

فلم يبق وجه من وجوه الكفار إلا وأصابه في وجهه هذا الحصى، فقال الله حضرة

١٥ صحيح مسلم وابن حبان عن سلمة بن الأكوع

النبي: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (١١٧ الأنفال).

فالأمر هنا يحتاج من المؤمن أن ينظر إلى توفيق الله، وإلى معونة الله، ويكون دائماً واقفاً عند قول الله: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (٥٣ النحل) ولذلك فإن شعار الصالحين الصادقين يقول: ((إِذَا طَهَّرَ الْمَرْءُ قَوْلَهُ مِنْ بِيَاءِ النَّسَبِ فاعلم أنه صادق مع الله ﷻ)) وما معني بياء النسب؟ أي لا يقول: هذا مني، ولا يقول: لي، ولا يقول: بفضلتي، ولا يقول بمعونتي، لكن ينسب هذا كله لله فيقول: هذا بفضل الله، ومعونة الله، وبمدد الله جل في علاه، وبحول من الله سبحانه وتعالى فعلتُ كذا وكذا.

دائماً يبدأ الكلام بهذا، يقولون له مثلاً: محصولك ماشاء الله كثير، فكيف حصلت عليه؟ فيقول: بتوفيق الله حدث كذا وكذا، ومعونة الله أجرى الله لي كذا وكذا.

فلا بد للمؤمن أن ينسب الفضل لله على الدوام، فإذا نسي فيكون قد خدعته نفسه، وفي هذا الوقت أصبح في كفة غير طيبة، لأنه ربما تأخذه العزة بالإثم فيعجب بنفسه، فإذا أعجب بنفسه ورأى أنه فعل أو أنه عمل فيكون قد خرج من الدائرة الإيمانية الكاملة للمؤمنين الصادقين الذين لا يرون الفضل إلا لرب العالمين ﷻ.

فالمؤمن دائماً يعمل الخيرات، ويسارع في الطاعات، ولكنه دائماً ينظر إلى إكرامات الله له، وتوفيق الله له، ومعونة الله ﷻ له في كل هذه الطاعات والقربات والصلاحات.

إذا نسي ذلك فيصبح على خطر عظيم، ويخاف من الله لئلا يقبله الله ﷻ، أو يرده الله سبحانه وتعالى وهو لا يدري، لأن الإنسان لا يعلم إلا الظاهر، والله ﷻ يحاسبنا على الضمائر والسرائر: ﴿ وَإِنْ تَبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ (٢٨٤ البقرة).

السابقون المقربون

إذا اتصف المؤمن بهذه الأوصاف الأربعة فيكون من رجال الله الذين يسارعون في الخيرات، ويبادرون إلى الطاعات والقربات، وهؤلاء يقول فيهم الله:

﴿ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَاهُنَا سَابِقُونَ ﴾ :

وما معنى سابقون؟ سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال في هذه الآية: سبقت لهم العناية من الله في الأزل، فوفقهم الله للعمل في هذه الحياة الدنيا.

ليعرف أن العناية السابقة هي التي وفقته في الأعمال اللاحقة، وإذا كان على هذا المنوال فإن الله ﷻ يرفع عنه كل مشقة وكل عناء وكل شدة، لأن الله لا يكلف أي نفسٍ إلا وسعها، فيُعينه الله.

ولذلك نجد رجال الخير بمجرد أن يبدأ في مشروع تجد الخير يأتيه من كل حذبٍ وصبوب، ليس ممن يطلب منهم، ولكن يأتيه من باب يقول فيه الوهاب: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران ٣٧) وعندنا الأمثلة لا تُعد ولا تُحَد في هذا المجال.

فما دام قد اتَّصف بهذه الأوصاف، وعمله يرجو به مولاه، فإن الله يُرسل له من عالم الدنيا وربما من عالم الملائكة في صورة رجال ليعينوه على عمل هذا الخير الذي يرجو به رضا الله ﷻ.

سيدنا إبراهيم أول هؤلاء، أمره الله ﷻ أن يبني البيت المبارك هو وابنه إسماعيل فقط ولا يستعين بأحد، فصمَّم على تنفيذ أمر الله، وعقد العزم على أن يكون هذا العمل خالصاً لمولاه، فكان إسماعيل يأتي بالأحجار، وارتفع البناء، فماذا يصنع؟ سَخَّرَ اللهُ ﷻ له حجراً، وهو حجر المقام والذي فيه أقدام سيدنا إبراهيم الآن، هذا الحجر كان بمثابة أسانسير يتحرك بأمره، ينزل إلى أن يضع عليه إسماعيل الأحجار ثم يصعد به إلى مكان البناء، فيبني ثم ينزل مرة ثانية على هذا الحجر، فلا يحتاج إلى معونة من أحد، لأن معه معونة الواحد الأحد ﷻ.

ولما احتاج إلى حجرٍ يُجَدِّد به بداية المطاف، والأحجار التي معه جاءت من الجبال القريبة وكلها متشابهة، أنزل الله له الملائكة بحجرٍ من الجنة وهو الحجر الأسعد، لكي يعلم به بداية المطاف، فكان الله ﷻ يعينه، وممع ذلك عندما انتهى من البناء هو وإسماعيل علمنا، فماذا كان دعاءهم؟ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة ١٢٧) يريد أن يتقبل الله منهم العمل، وهذا هو الوجل، يريد القبول، مع أن الله ﷻ كان يُعينه في كل أموره، ولو نظرنا إلى المشاهير في هذا المجال تجد دائماً معونة الله لا تتخلى عنهم طرفة عين.

حتى الذي يريد أن يعبد الله ﷻ ويُخلص في العبادة، ويريد أن يتلذذ في جوف الليل في المناجاة، أو يريد أن يتلذذ بصيام أيام ليرضي بها مولاه، إذا نوى ذلك وصدق في ذلك

فإن الله يرفع عنه الكلفة - يعني المشقة - فيجد في هذه الأعمال راحة، بل ربما يجد فيها لذة، بل ربما يجد فيها حلاوة فيعمل العمل الذي لا يستطيعه أي إنسان، لأنه لا يشعر بجمول ولا كسل ولا فتور ولا ضعف لأن الذي يعينه هو مولاه، وهذه أحوال الصالحين أجمعين.

لماذا كان الصالحون يديمون الجهاد في العبادات لله؟ لأنهم يتلذذون بها، لأن الله رفع عنهم الكلفة والتعب والعنت، كانت السيدة رابعة وأمثالها تقف طوال الليل تصلي لله، فإذا حان الفجر تقول: لم أشبع في هذه الليلة من طاعة الله ﷻ، أتمنى أن أشبع ليلة من طاعة الله، يعني لماذا مرت الليلة سريعاً؟ لأن الله أزال عنها الكلفة والعناء، وأصبحت تعبد الله في لذة وبهجة وسرور يُخفف عنها متاعب الجسم ومشاق الجسم، وهذا في قول الله: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

ثم ذكرنا الله بحقيقة لا بد أن نعلمها أجمعين: ﴿وَأَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ :

المؤمن عندما يعمل العمل فالملائكة تكتب ذلك في كتاب، ثم يُنسخ من هذا الكتاب كتب: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٢٩ البقرة) نسخة تصعد إلى عرش الرحمن، ونسخة تبقى في كل سماء من السماوات السبع، ونسخة مع الكرام الكاتبين، ونسخة إلى موقعه في الجنة .. نسخ كثيرة فيها صور الأعمال وروحها.

حتى يعرف المؤمن أن الله ﷻ لديه كل شيء عنه، والله سبحانه وتعالى لا يغيب عنه شيء لا قليل ولا كثير.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ولا يُظلم الإنسان في شيء.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المسارعين في الخيرات، وأن يوفقنا للتخلق بهذه الصفات، وأن يجعلنا جميعاً من العاملين بهذه الآيات البيّنات، وأن يوفقنا على الدوام لعمل القربات، واستتباب الخيرات، والمسارة في الأعمال الصالحات، وأن يجعل ذلك كله ابتغاء وجهه الكريم، وأن يحفظنا في كل أحوالنا من هفوات النفوس، ومن وساوس الشياطين، ومن الخلق والأشرار أجمعين ... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

المراجع

d d d d d d d d d d d d d d d d d d

١. أسرار القرآن - السيد محمد ماضي أبو الغزائم، دار الكتاب الصوفي: ج: ١: ٧.
٢. الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، الشيخ نعمة الله بن محمود النخجواني، دار ربابي للنشر الغورية القاهرة.
٣. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، تحقيق أحمد عبد الله القرشي، طبع على نفقة د. حسن عباس زكي.
٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، دار المعارف.
٥. تفسير روح البيان، اسماعيل حقي البروسوي، دار الفكر.
٦. تفسير الشعراوي، أخبار اليوم.
٧. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٨. التفسير الصوفي للقرآن، محي الدين الطعمي، دار الروضة.
٩. عرائس البيان في حقائق القرآن، روزبهان البقلي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠. في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث.
١١. مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، دار القلم.
١٢. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، تحقيق عبد الله المنشاوي، دار الحديث، القاهرة.
١٣. تفسير الجلالين المحلى والسيوطي، دار التراث العربي.
١٤. تفسير الجليلاني، الشيخ عبدالقادر الجليلاني، مركز الجليلاني للبحوث العلمية، اسطنبول.
١٥. تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، دار غريب القاهرة.

١٦ . تفسير الكريم الحنان في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدى، المكتبة الإسلامية بالقاهرة.

١٧ . غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابورى، دار الصفوة.

١٨ . غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض، الحلبي، القاهرة.

١٩ . مختصر تفسير الشعراوى، منى الهاشمى، دار المعارف.

٢٠ . تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، اسماعيل حقى، اختصار محمد على الصابونى، دار القلم.

٢١ . صفوة التفاسير، محمد على الصابونى، دار القرآن الكريم، بيروت.

٢٢ . لطائف الإشارات، الإمام القشيري، تحقيق د. إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٣ . بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزبادى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٢٤ . معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية.

٢٥ . المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، كتاب الجمهورية.

٢٦ . أسباب النزول، الواحدى النيسابورى، دار نهر النيل، القاهرة.

٢٧ . كلمات القرآن تفسير وبيان، حسنين محمد مخلوف، دار المعارف.

٢٨ . جامع البيان في متشابه القرآن، د. أبوسريع محمد أبوسريع، دار الطباعة المحمدية.

٢٩ . موسوعة الحديث الشريف الإلكترونية.

المؤلف: فضيلة الشيخ فوزي محمد أبو زيد



✽ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر ١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، الغربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

✽ النشاط: يعمل رئيساً للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسي ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.. كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضاً من خلال موقعه على شبكة الإنترنت www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية في بابهِ وجارى إضافة تراث الشيخ العلمي الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية.

✽ دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامي، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحيابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم..، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكي المبني على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

✽ هدفه: إعادة المجد الإسلامي ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبتسيخ المبادئ القرآنية.

❖ قائمة مؤلفات الشيخ : عدد (١٠٢) كتاب في خمس عشرة سلسلة

أولاً: في تفسير القرآن الكريم: (٧)

- (٤) نفحات من نور القرآن (ج١)، (١٤) نفحات من نور القرآن (ج٢)،
(٤٨) أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام (٢ط)، (٩١) الآداب القرآنية مع خير البرية ﷺ،
(٩٣) أسرار خلة إبراهيم عليه السلام، (٩٦) تفسير آيات المقربين: الجزء الأول.
(١٠٢) تفسير آيات المقربين: الجزء الثاني.

ثانياً: الفقه: (٨)

- (٢) زاد الحاج والمعتمر (٢ط)، (٥) مائدة المسلم بين الدين و العلم (٢ط) (ترجم إنجليزي
وإندونيسي)، (٥٢) كيف تكون داعياً على بصيرة، (٥٤) مختصر زاد الحاج والمعتمر (٢ط)،
(٧١) الصيام شريعة وحقيقة، (٧٢) إكرام الله للأمم، (٩٥) صيام الأتقياء،
(١٠٠) دلائل الفرح بالرحمة المهداة.

ثالثاً: الحقيقة المحمدية: (١١)

- (٧) حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣ط)، (١٣) إشراقات الإسراء ج ١ (٢ط)،
(٢٢) الكمالات المحمدية (٢ط)، (٢٣) الرحمة المهداة، (٣٣) واجب المسلمين المعاصرين
نحو رسول الله ﷺ (٢ط) (ترجم للإنجليزية)، (٣٥) إشراقات الإسراء ج ٢، (٦١) السراج
المنير، (٧٠) ثاني اثنين، (٨٥) الجمال الحمدي ظاهره وباطنه،
(٨٧) تجليات المعراج، (٩٠) شرف شهر شعبان.

رابعاً: من أعلام الصوفية: (٦)

- (١) الإمام أبو العزائم المجدد الصوفي (٢ط)، (٣) الشيخ محمد علي سلامه سيرة وسريرة،
(٤١) المهربي الرباني السيد أحمد البدوي، (٤٥) شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقي (٢ط)،
(٥٩) الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلي،
(٩٧) الإمام محمد ماضي أبو العزائم، سيرة حياة.

خامساً: الدين والحياة: (٧)

- (٢٦) إصلاح الأفراد والمجتمعات في الإسلام (٢ط)، (٣٤) كيف يحبك الله (٣ط) (مترجم
إنجليزي)، (٣٩) كونوا قرآناً يمشى بين الناس (٢ط) (مترجم إنجليزي)،
(٥٠) قضايا الشباب المعاصر، (٦٧) بنو إسرائيل ووعده الآخرة،
(٧٥) أمراض الأمة وبصيرة النبوة (٣٢٠٠٠ تنزيل)، (٩٢) فقه الجواب (أسئلة الموقع).

سادساً: الخطب الإلهامية للمناسبات: (٧)

- (١٦) المولد النبوي، (١٧) شهر رجب والإسراء والمعراج، (١٨) شهر شعبان و ليلة الغفران،
(١٩) شهر رمضان و عيد الفطر، (٢٠) الحج و عيد الأضحى،
(٢١) الهجرة ويوم عاشوراء، (٥٥) الخطب الإلهامية مجلد: المناسبات الدينية (٣ط).

سابعاً: الخطب الإلهامية العصرية: (١) (٧٨) الأشفية النبوية للعصر.

ثامنًا: المرأة المسلمة: (٤)

(٩) تربية القرآن لجيل الإيمان (٢ط) (ترجم إنجليزية)، (٤٣) المؤمنات القانتات (ترجم إنجليزية) (٢ط)، (٤٤) فتاوى جامعة للنساء (٢ط)، (٧٤) الحب والجنس في الإسلام.

تاسعًا: الطريق إلى الله: (١٢)

(٦) طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (٢ط) (ترجم للأندونيسية)، (٢٥) طريق الخبويين وأذواقهم، (٢٨) المجاهدة للصفاء و المشاهدة (٢ط)، (٣٠) علامات التوفيق لأهل التحقيق، (٣١) رسالة الصالحين، (٣٢) مراقى الصالحين، (٥٧) تحفة المحبين ومنحة المسترشدين فيما يطلب في يوم عاشوراء للقاوجي (تحقيق)، (٦٠) نوافل المقربين، (٦٤) أحسن القول، (٧٩) دعوة الشباب العصرية للإسلام، (٨٨) مجالس تركية النفوس ج ١، (٨٩) مجالس تركية النفوس ج ٢،

عاشراً: الأذكار والأوراد (٧)

(٨) مفاتيح الفرج (٦ط) (٤ مرة طباعة) (ترجم إنجليزية وأندونيسية)، (١٥) أذكار الأبرار، (٣٧) مختصر مفاتيح الفرج (٥ط)، (٣٨) أذكار الأبرار (صغير) (٣ط)، (٤٠) أوراد الأخيار (تخريج وشرح) (٢ط)، (٥٦) نيل التهاني بالورد القرآني، (٧٣) جامع الأذكار والأوراد.

حادى عشر: دراسات صوفية معاصرة: (١٦)

(١٠) الصوفية و الحياة المعاصرة، (١١) الصفاء والأصفياء، (١٢) أبواب القرب ومنازل التقريب، (٢٩) الصوفية في القرآن والسنة (٣ط) (ترجم للإنجليزية)، (٣٦) المنهج الصوفي والحياة العصرية، (٤٢) الولاية والأولياء، (٤٩) موازين الصادقين، (٥١) الفتح العرفاني، (٥٣) النفس وصفها وتركيتها، (٥٨) سياحة العارفين، (٦٣) منهاج الواصلين، (٦٥) نسيمات القرب، (٦٨) العطايا الصمدانية للأصفياء، (٧٧) شراب أهل الوصل، (٨٣) مقامات المقربين، (٩٨) آداب المحبين لله.

ثانى عشر: الفتاوى: (٦)

(٢٤) فتاوى جامعة للشباب، (٧٦) فتاوى فورية ج ١، (٨٠) فتاوى فورية ج ٢، (٨٤) فتاوى فورية ج ٣، (٨٦) فتاوى فورية ج ٤، (١٠١) يسألونك.

ثالث عشر: أسئلة صوفية: (٣)

(٢٧) نور الجواب على أسئلة الشباب (ترجم للإنجليزية)، (٦٩) الأجوبة الربانية في الأسئلة الصوفية، (٩٩) إشارات العارفين.

رابع عشر: حوارات مع الآخر: (٣)

(٨١) سؤالات غير المسلمين، (٨٢) حوارات الإنسان المعاصر، (٩٤) أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين.

خامس عشر: شفاء الصدور: (٤)

(٤٦) علاج الرزاق لعلل الأرزاق. (٢ط)، (٤٧) بشائر المؤمن عند الموت (٣ط)، (٦٢) بشريات المؤمن في الآخرة، (٦٦) بشائر الفضل الإلهي،

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزي محمد أبو زيد

القاهرة	رقم الهاتف	إسم المكتبة
١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر	٢٥٩١٢٥٢٤	مكتبة المجلد العربي
سوق أم الغلام ميدان الحسين	٢٥٩٠١٥١٨	مكتبة الجندي
٥٢ شارع الشيخ ربحان، عابدين	٢٧٩٥٨٢١٥	دار المقطم
١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة	٢٥٨٩٨٠٢٩	مكتبة جوامع الكلم
١ عمارة الأوقاف بالحسين	٢٥٩٠٤١٧٥	مكتبة التوفيقية
٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	بازار أنوار الحسين
١١ ميدان حسن العدوى بالحسين	٢٥٩١٥٢٢٤	مكتبة العزيزية
١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسة	٢٥٩٠٠٧٨٦	الفنون الجميلة
٢٢ شارع المشهد الحسيني بالحسين	٢٥٩٠٢٥٤١	مكتبة الحسينية
١ شارع محمد عبه خلف الأزهر	٢٥١٠٨١٠٩	مكتبة القلعة
٩ ميدان السيدة نفيسة .	٢٥١٠٤٤٤١	مكتبة نفيسة العلم
عمارة اللواء ٢ شارع شريف	٢٣٩٣٤١٢٧	المكتب المصري الحديث
٢٨ شارع البستان بباب اللوق	٢٣٩٦١٤٥٩	الأديب كامل كيلاني
١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي	٣٣٣٥٠٠٣٣	مكتبة دار الإنسان
٦ ميدان طلعت حرب	٢٥٧٥٦٤٢١	مكتبة مدبولي
طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	مدبولي مدينة نصر
٩ شارع عدلى جوار السنترال	٢٣٩١٠٩٩٤	النهضة المصرية
٦ ش.د. حجازي، خلف نادي الترسانة	٣٣٤٤٩١٣٩	هلا للنشر والتوزيع
درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	المكتبة الأزهرية للتراث
١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر	٢٥٨٩٨٢٥٣	مكتبة أم القرى
٩ شارع الصناديقية بالأزهر	٢٥٩٣٤٨٨٢	المكتبة الأدبية الحديثة
٢١ شارع د. أحمد أمين، مصر الجديدة	٢٦٤٤٤٦٩٩	مكتبة الروضة الشريفة
الإسكندرية		
محطة الرمل، أمام مطعم جاد	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	كشك سونا
محطة الرمل، صفيية زغلول	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	الكتاب الإسلامى الثقافى
٦٦ شارع النبي دانيال، محطة مصر	٠١١١٤١١٤٣٠٠	كشك محمد سعيد موسى

٤ ش النبي دانيال، محطة مصر	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	مكتبة الصياد
٢٣ المشير أحمد إسماعيل، سيدى جابر	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	مكتبة سيبويه
محطة الرمل - أ/ أحمد الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	الكشك الأبيض
الأقاليم		
الرقازيق - بجوار مدرسة عبد العزيز على	-----	كشك عبد الحافظ
الرقازيق - شارع نور الدين	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	مكتبة عبادة
طنطا - أمام مسجد السيد البدوى	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	مكتبة تاج
طنطا - ٩ ش سعيد والمعتمد أمام كلية التجارة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	مكتبة قرية
كفر الشيخ - شارع السودان أمام السنترال، أ/ سامى أحمد عبد السلام	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كشك التحرير
المنصورة - شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارئ أ/ عماد سليمان	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	مكتبة صحافة الجامعة
المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ/ عاطف وفدى	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	مكتبة الرحمة المهداة
المنصورة - ش الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، ح كمال الدين أحمد	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	مكتبة صحافة الثانوية
طلخا - المنصورة - بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبرى طلخا	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	صحافة أخبار اليوم ح محمد الأترى
فايد - أحماده غزالى بربرى	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	مكتبة الإيمان
السويس، ش الشهداء، ح حسن محمد خيرى	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	كشك الصحافة
سوهاج - شارع احمد عرابى أمام التكوين المهني	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	أولاد عبدالفتاح السمان
قنا - أمام مسجد سيدى عبد الرحيم القناوى	٠١٠٦٩٥١٨٦١٦	كشك أبو الحسن
القرايا - إسنا - ش السيدة زينب - الحاج محمد الرئيس والأستاذ محمد رمضان محمد النوبى	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	كشك القرايا - إسنا
كشك حسنى محمد عبد العاطى المنسى	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى بإسنا

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بأحاء الجمهورية. ويمكن أيضاً قراءة الكتب وتنزيل نسخة الطباعة مجاناً من موقع الشيخ www.fawzyabuzeid.com وعلى موقع www.askzad.com موقع الكتاب العربى، وأطلبها من الناشر: دار الإيمان والحياة، ١٤ ش ١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة، ت: ٠٢-٢٥٢٥٢١٤٠، ف: ٠٢-٢٥٢٦١٦١٨.

٣	مقدمة		
٥	الآيات (٩ - ١٠) سورة يونس		
٦	١- أهل التحية		
٧	عمل الصالحات	٦	رسائل الله للمؤمنين
١٣	جريان الأنهار	٨	هداية الإيمان
١٥	علم اليقين	١٥	العلوم الإلهية
١٦	الدعاء المستجاب	١٦	جنة المعرفة
١٨	تعقيب	١٧	تحية المؤمن
١٨	الوارث المحمدي	١٨	رجال الله
٢٠	ميراث الرحمة	١٩	جمال العبودية
٢١	موسى الكليم والعبد	٢١	توجه العبد
		٢٣	العلوم الوهبية
٢٥	٢٤ - ٢٦) سورة يونس		
٢٦	٢: أهل الحسنى والزيادة		
٢٩	ظلم أهل الغرب لغيرهم	٢٦	مثل الدنيا
٣١	عموم دعوة الإسلام	٣٠	انتقام الله
٣٣	الحسنى والزيادة	٣٢	أيام الملاحم
٣٥	٦١ - ٦٤) سورة يونس		
٣٦	٣- أولياء الله		
٣٩	مقام الاصطفاء	٣٦	مقام المراقبة
٤٢	خوف المقربين	٤٠	سر الولاية
٤٧	ترياق الأغيار	٤٥	الحب في الله
٥٢	وراثه النبي	٤٩	بشريات الصالحين
٥٥	الآيات (١٠٨) سورة هود		
٥٦	٤: أهل السعادة		
٥٨	الجنة العاجلة	٥٧	أهل الشقاوة
٦٠	١١٢ - ١١٥) سورة هود		
٦١	٥: أهل الاستقامة		
٦١	أولاً: القيام بأوامر الله	٦١	روشته الاستقامة
٦٤	ثانياً: الإنتهاء عن جميع النواهي	٦٤	آفات السلوك
٦٦	رابعاً: للمحافظة على النعم	٦٥	ثالثاً: التجمل بخشية الله
٧٣	سادساً: الصبر	٦٨	خامساً: المحافظة على الصلاة

٧٤	سورة يوسف (١٠٨ - ١١١)		
٧٥	٦: الدعوة إلى الله على بصيرة		
٧٦	وسائل القرب	٧٥	ورثة الارشاد
٧٩	الجهاد الموصل	٧٨	البصيرة والدعوة
٨٤	سر الإخلاص	٨١	بشارة الإذن
٨٧	شدائد الدعاة إلى الله	٨٦	أعمال الآخرة
		٩١	الحكمة دراسة قصص السابقين
٩٢	سورة الرعد (٢٤ - ١٨)		
٩٣	٧: صفات أهل الاستجابة		
٩٥	أصناف الناس عند الحساب	٩٣	السعداء والأشقياء
٩٨	الوفاء بالعهد	٩٧	أبواب النار وأبواب الجنة
١٠١	صلة أهل القربى والمودة	١٠٠	الحفاظ على المواثيق الإلهية
١٠٣	الخوف من الحساب	١٠٢	خشية الله
١٠٧	إقامة الصلاة	١٠٥	الصبر لله
١١١	الحسنات يُذهبن السيئات	١٠٨	الإنفاق
١١١	العاقبة الطيبة	١١١	جزاء الصادقين
١١٤	الملائكة في خدمتهم	١١٢	الجنة مُقامهم
١١٦	سورة الرعد (٢٩ - ٢٨)		
١١٧	٨: طمأنينة القلب		
١١٨	طمأنينة المؤمنين	١١٧	فتن الغافلين
١١٩	أولاً: ذكر العين	١١٩	ذكر الجوارح
١٢٠	ثالثاً: ذكر اللسان	١٢٠	ثانياً: ذكر الأذن
١٢١	حقيقة الطمأنينة	١٢١	رابعاً: ذكر اليد
١٢٤	حفظ الله للمؤمنين	١٢٣	بين الجمال والجلال والكمال
١٢٥	الحياة الطيبة	١٢٥	حلاوة الطاعة
١٢٧	سورة الحجر (٥٠ - ٤٥)		
١٢٨	٩: نعيم المتقين		
١٣٤	سلامة الصدر مفتاح الجنة	١٢٩	نعيم الجنة
١٤١	لطائف الاشارات	١٣٨	بشريات سلامة الصدر
١٤٤	فضل الله علينا	١٤٢	عناية الله بالمؤمنين
		١٤٦	مقام التوبة

١٤٨	الآية (١) سورة الإسراء		
١٤٩	١٠: الإسراء		
١٤٩	الرد على المعترضين	١٤٩	إعجاز القرآن في خبر الإسراء
١٥١	مشاهد الإسراء	١٥٠	الإسراء بالروح والجسم
١٥٣	اجتماعه بالأنبياء ببيت المقدس	١٥٢	رحلة الإسراء والمعراج
١٥٧	هدية الله للأمم الإسلامية	١٥٤	قاب قوسين
١٦١	التجهز للعطاءات الإلهية	١٥٩	الصلاة إسراء ومعراج
١٦٢	بضاعة الإيمان	١٦١	حظ الشيطان
١٦٤	هدية الخليل إبراهيم	١٦٣	زينة الإيمان في القلب
		١٦٥	ذكر الله
١٦٨	سورة الكهف (٢٧ - ٢٩)		
١٦٩	١١: طلاب الوجه العلى		
١٧٠	وقع القرآن	١٦٩	خطاب القرآن
١٧٢	الحياة القرآنية	١٧١	حقيقة تلاوة القرآن
١٧٥	أهل الصفة	١٧٣	رجال الله
١٨٢	اجتناب أهل الغفلة والهوى	١٨١	الصبر في صحبة الصالحين
		١٨٥	اتباع الحق
١٨٦	سورة الكهف (١٠٧ - ١١٠)		
١٨٧	١٢: طلاب الجنة وطلاب المنة		
١٨٨	الإيمان والعمل الصالح	١٨٧	فضل قراءة سورة الكهف
١٩٢	حقيقة الحياة الباطنة	١٩٠	يسر العبادات في الإسلام
١٩٣	جنات الفردوس	١٩٢	الجزاء الأوفى
١٩٨	دار الخلود	١٩٥	من أوصاف الجنة
٢٠٠	قبول الأعمال	١٩٩	ورثة الفردوس
٢٠٤	تيسير معاني القرآن وتلاوته	٢٠٢	كلمات الله
٢٠٨	لقاء الله	٢٠٥	خصوصيته ﷺ
		٢٠٨	الخلاص بالإخلاص
٢١١	سورة مريم (٩٦ - ٩٨)		
٢١٢	١٣: أهل الود		
٢٢٣	سورة الأنبياء (٢٦ - ٢٨)		
٢٢٤	١٤: عباد مكرمون		
٢٢٧	النشأة الثانية	٢٢٤	حكمة النبوة

٢٢٩	ذو النون المصري	٢٢٩	ملائكة الحفظ
٢٣٢	الملائكة السياحون	٢٣١	الكرام الكاتبون
		٢٣٤	حملة العرش
٢٣٦	سورة الأنبياء (٤٧ - ٤٨)		
٢٣٧	١٥: ضياء الفرقان		
٢٣٨	أصناف الخلق يوم القيامة	٢٣٧	يوم القيامة
٢٣٩	الموازين القسط	٢٣٨	الحساب بالفضل وبالعدل
٢٤٣	المجاهرون	٢٤٢	محبة الله للتائبين
		٢٤٥	حقوق العباد
٢٤٩	سورة الأنبياء (١٠٧ - ١٠١)		
٢٥٠	١٦: أهل سابقة الحسنى		
٢٥٢	منح أهل السابقة	٢٥١	السابقة حاکمة
٢٥٤	عطاءات المقربين	٢٥٣	شهوات الحقائق الإنسانية
٢٦٣	الآية (١٤) سورة الحج		
٢٦٤	١٧: جنات القرب		
٢٧٠	سورة الحج (٢٤ - ٢٣)		
٢٧١	١٨: أهل التحلى		
٢٧٣	معونة الله	٢٧٢	أعجز الناس
٢٧٤	وصف الجنة	٢٧٣	فضل الله علينا
٢٧٧	منازل الجنان	٢٧٦	فضل الله على نبيه
٢٨٠	علامات أهل الجنة	٢٧٩	حلية المؤمن في الجنة
٢٨٤	سورة الحج (٣٥ - ٣٤)		
٢٨٥	١٩- المخبثون		
٢٨٨	بشاشة الإيمان	٢٨٦	المخبثون
٢٩٠	وجل القلوب	٢٩٠	أوصاف المخبثين
٢٩٥	إقامة الصلاة، الإنفاق	٢٩٣	الصابرون
٢٩٦	سورة الحج (٤١ - ٣٨)		
٢٩٧	٢٠: أهل نصر الله		
٢٩٩	التواضع صفة لعباد الرحمن	٢٩٧	سر الخيرية
٣٠٢	الأخلاق القرآنية	٢٩٩	العفو والصفح
٣٠٥	الإذن بالقتال	٣٠٣	صفات لا يجبها الله
٣٠٩	قاعدة النصر	٣٠٦	روشته النصر

		٣١٠	برنامج النصر
٣١١	سورة الحج (٥٨ - ٥٩)		
٣١٢	٢١: المهاجرون في سبيل الله		
٣١٣	الوجبة القرآنية	٣١٢	مأدبة الله
٣١٤	الرزق الحسن	٣١٣	الحياة في مقام العندية
٣١٥	إشارات قاب قوسين	٣١٥	الحجرة المعنوية
٣٢٠	الإمام أبو الحسن الشاذلي	٣١٩	طهارة القلب سر الخصوصية
٣٢٣	طريق الفتح	٣٢٢	السيد أحمد البدوي
		٣٢٤	مدخل الرضا
٣٢٥	سورة الحج (٧٨ - ٧٥)		
٣٢٦	٢٢: أهل الاصطفاء		
٣٢٨	وسعة العلم الإلهي	٣٢٦	دائرة الاصطفاء
٣٣٢	منزلة الصلاة	٣٢٩	محاسبة المؤمن لنفسه
٣٣٥	الجهاد الحق	٣٣٤	منهج المفلحين
٣٣٦	أهمية ذكر الله	٣٣٦	يسر الدين
٣٤٠	تشريعات الإسلام	٣٣٨	منازل أهل الاصطفاء
٣٤٣	الاعتصام بالله	٣٤١	فضل المنفقين
٣٤٤	(١ - ١١) سورة المؤمنون		
٣٤٥	٢٣: ورثة الفردوس		
٣٤٦	صفات الوارثين للجنة	٣٤٥	حقيقة الفلاح
٣٤٨	الإعراض عن اللغو	٣٤٦	الخاشعون في الصلاة
٣٥١	حفظ الفروج	٣٤٩	تزكية النفس
٣٥٥	فاحشة اللواط	٣٥٤	خطورة العادة السرية
٣٥٧	الحفاظة على الصلوات	٣٥٦	حفظ الأمانات
		٣٥٧	ورثة الفردوس
٣٦٠	(٥٧ - ٦٢) سورة المؤمنون		
٣٦١	٢٤: المسارعون في الخيرات		
٣٦٤	الإيمان بآيات الله	٣٦١	خشية الله
٣٦٨	الرهبنة من الله	٣٦٦	إخلاص العمل لله
٣٧٣	المراجع	٣٧٠	السابقون المقربون
٣٧٥	تعريف المؤلف الشيخ فوزي محمد أبو زيد وقائمة مؤلفاته		
٣٨٠	الفهرست	٣٧٨	أين تجد مؤلفات الشيخ

نزهة بحمد الله تعالى وإلى اللقاء مع الجزء الثالث إن شاء الله